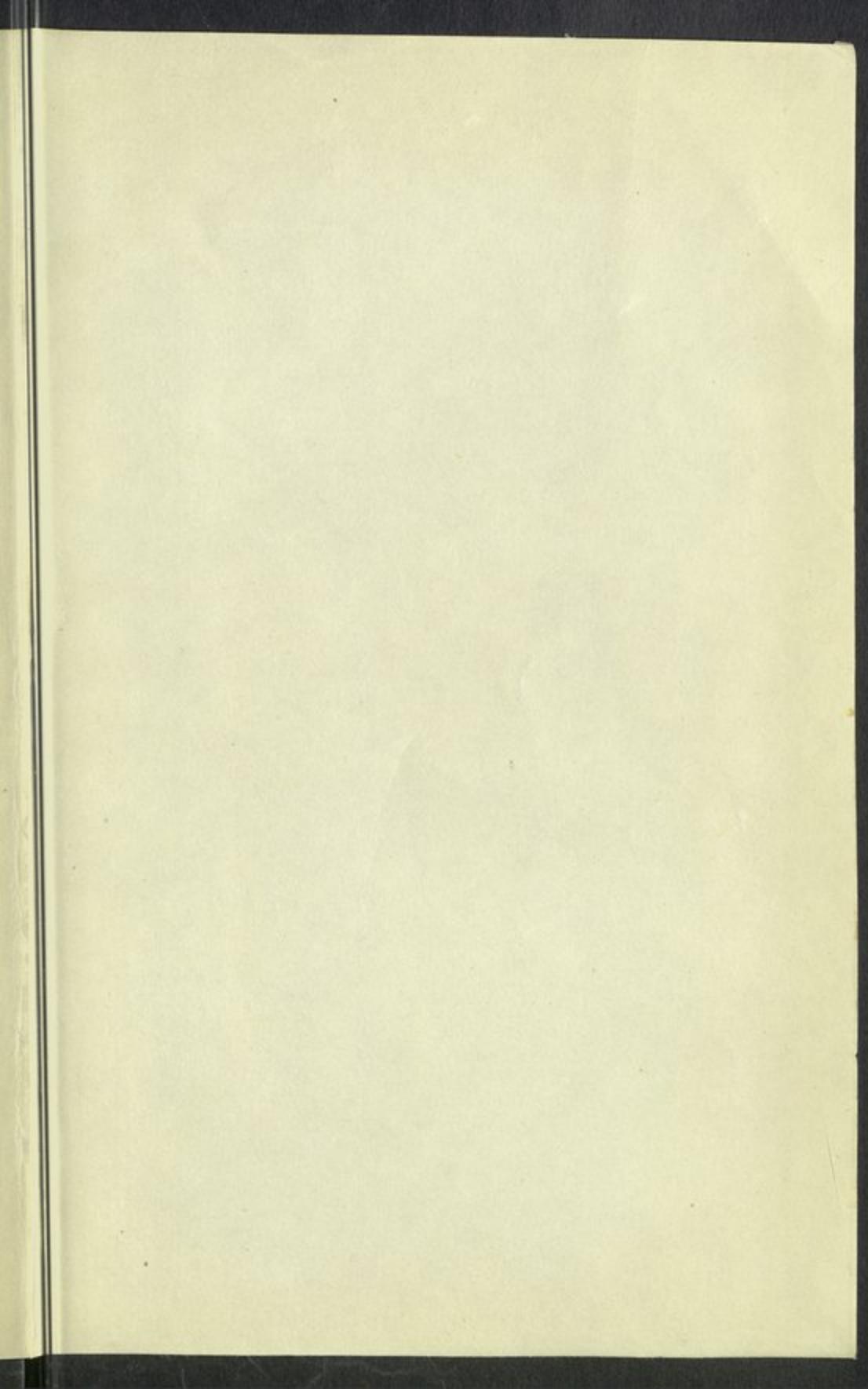
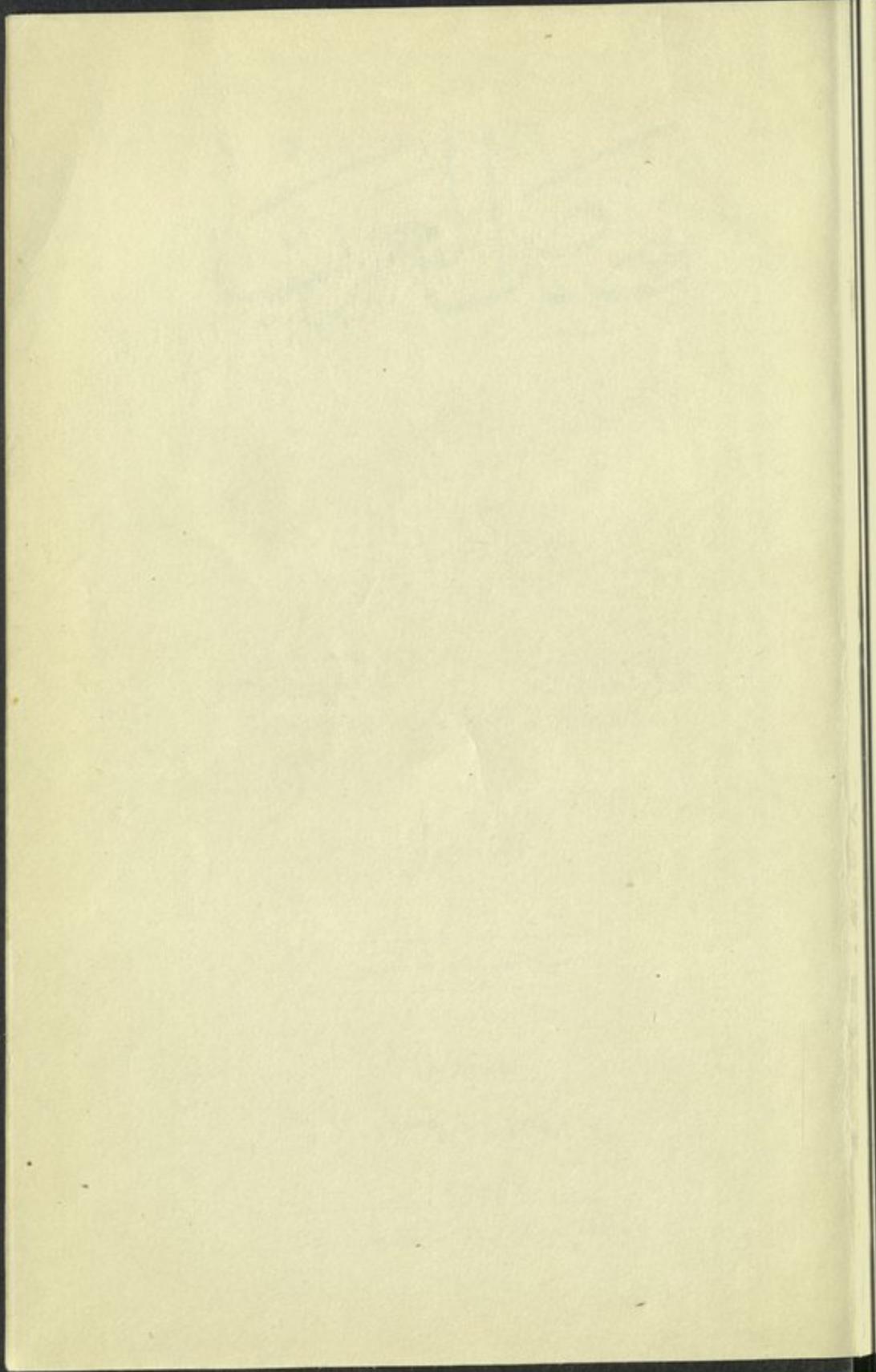


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOU
BINDERY
14 OCT 1972
I. 260458





30
A
Cat. # Cat. 1942

892.730
J21PKA
V.1
C.1

قصص العرب

تأليف

محمد الحجاج دائم الودياني

مفتول لغة العربية

محمد الحجاج دائم الودياني

المدرس بالمدارس الاميرية

على محمد الجاوي

المدرس بالمدارس الاميرية

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٣٥٨ - ١٩٣٩ هـ

58808

طبع بطبعه عسى الكتابي الحلبي وشريكه بمصر

Cat. Oct. 1943



1071 - 2001

8022

مراجع هذا الجزء

- أخبار الأذكياء : ابن الجوزي
- أدب الدنيا والدين : الماوردي
- أسواق العرب : سعيد الأفغاني
- الأنصانم : ابن السكابي
- الأغانى : أبي الفرج الأصفهانى
- أمالى الزجاجى : أبي على القالى
- أنباء نجيماء البناء : ابن خفر الصقابى
- بحر الآداب : للسيو بلاج
- بدائع البدائة : لعلى بن ظافر الأزدى
- البداية والهداية : ابن كثير
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : للألوسى
- التجرید الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح : للزبيدي
- تاريخ الأمم والملوك : ابن جرير الطبرى
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للشعالى
- ثمرات الأوراق : ابن حجة الحوى
- المجزرة : لأبي زيد الخطابى

- خزانة الأدب : للبغدادي
- ذيل زهر الآداب : للحضرى
- زهر الآداب : للحضرى
- السيرة النبوية : لابن هشام
- السيرة الخلبية : لنور الدين بن برهام الحلبي
- سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن عبد الحكم
- شرح ديوان الحماسة : للمرصفى
- شرح الخثار من شعر بشار : للغالدين
- شرح هرج البلاغة : لابن أبي الحديد
- عصر المؤمنون : للدكتور فريد الرفاعى
- العقد الفريد : لابن عبد ربہ
- العقد الفريد للملك السعيد : لأبي سالم محمد بن أبي طلحة
- عين الأدب والسياسة : لأبي الحسن علي بن هذيل
- عيون الأخبار : لابن قتيبة
- غرس الخصائص الواضحة : لأبي إسحق الوطواط
- الفرج بعد الشدة : للتنوخي
- الكامل في التاريخ : لابن الأثير
- الكامل في الأدب : للمبرد
- مجاني الأدب : للأب لويس شيمخو
- مجمع الأمثال : للميدانى
- المحاسن والأضداد : للباحث
- المحاسن والمساوی : للبيهقي

- محاضرات الأبرار : ابن عربي
الختار من نوادر الأخبار (مخطوط) : محمد بن أحمد الأنباري
مروج الذهب : المسعودى
المستطرف في كل فن مستطرف : للأشيهى
المطالعة العربية : المسترو . رأيت بالتحف البريطانى
المطالعة العربية للمدارس الثانوية : تأليف لجنة من وزارة المعارف
معجم الأدباء : لياقوت الحموى
معجم البلدان : لياقوت الحموى
معاهد التنصيص : نبدر الدين العباسى
المنتقى من أخبار الأصمى
مهذب الأغاني : للشيخ الخضرى
النجوم الزاهرة : ابن تغري بردى
فتح الطيب : المقرى
نقائض جرير والفرزدق : لأبي عبيدة
نهاية الأرب : للنويرى
الوزراء والكتاب : للجهميشارى
وفيات الأعيان : ابن خل كان

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والترجم

- أساس البلاغة : للزمخشري
تاريخ آداب اللغة العربية : بلجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية : للحضرى
رغبة الآمل من كتاب الكامل : للمرصفي
شرح ديوان الحماسة : للمرصفي
شرح الأمالي : للبكرى
طبقات الشعراء : لابن سلام
طبقات الشعراء : لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال : للضيّى
فهرس خريطة الملك الإسلامية : لأمين بك واصف
القاموس : للقىروز أبادى
لسان العرب : لابن منظور
المعارف : لابن قتيبة
معجم البلدان : لياقوت الحموى
وفيات الأعيان : لابن خالكان

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تستبين بها مظاهر حياتهم ، وأسباب مد نيتهم ؛ بذكراً أسوأهم وأجلاب تجاراتهم ، والمساكن التي كانت تُؤويهم ، وسائر ما كان على عهدهم من دلائل الحضارة ووسائل المعاش :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١	٢	قوس حاجب بن زرارة
٢	٤	فتكة البرّاص
٣	٦	حياة آل جفنة
٤	٨	الأعشى والخلق
٥	١٠	احتکام الشعراء في عكاظ
٦	١٢	عند كسرى
٧	١٤	عند النجاشي
٨	١٦	رسول الله في سوق عكاظ
٩	١٨	الكريم طروب
١٠	٢٠	الأعراب في جهدهم وضنك عيشهم
١١	٢٢	حفل غناء

- و -

العنوان	الصفحة	رقم القصة
الفناء يحيى القلب	٣٢	١٢
ضرب من التمثيل	٣٤	١٣
وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان	٣٦	١٤
دعاية للوطن	٣٩	١٥
أيَّ الأمْ أُعْقِل ؟	٤٠	١٦
قرآن العالية	٤٢	١٧
في قصور بني أمية	٤٧	١٨
في دار الفضل بن الربيع	٤٩	١٩
المعتصم في يوم عيد <small>القبطي المزبجي</small>	٥٥	٢٠
رسُلُّ الروم عند الناصر	٥٩	٢١
ليلة بما لفة	٦٢	٢٢

الباب الثاني

في القصص التي تتضمن معتقداتهم وأخبار كُهانهم وكواهفهم ، وتبسط ما كانوا
يعرفون من حقائق التوحيد والبعث ، والدار الآخرة ، وما كانوا يتولون به من إقامة
الأوثان ، وتعهدوها باللوان الزلفي والقربان :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
قوم عاد يستسقون بمكة	٦٦	٢٣
زيد بن عمرو يتلمَّس الدين الصحيح	٦٨	٢٤

العنوان	الصفحة	رقم القصة
النعمان بن المنذر يتنصر	٦٩	٢٥
طريقة السكاينة	٧٠	٢٦
عفيرة ومرثى بن عبد كلال	٧٤	٢٧
كاهنة بني سعد	٧٨	٢٨
كهانة سطيح	٨١	٢٩
مضرع العزى	٨٤	٣٠
أميمة بن أبي الصلت ورؤيا شق الصدر	٨٥	٣١
أم العوام	٨٧	٣٢
عمارة بن الوليد والسواحر	٨٩	٣٣
في حفر زرمزم	٩٢	٣٤
سيف بن ذي يزن والبشرة برسول الله	٩٥	٣٥
بشرة بحيري	٩٩	٣٦
في بعثة رسول الله	١٠١	٣٧
تطهير المنصور	١٠٤	٣٨
المنصور تتعى إليه نفسه	١٠٦	٣٩
رؤيا الرشيد	١٠٧	٤٠
تطهير الأمين	١٠٩	٤١
ذنب لا يطمع صاحبه في غفرانه	١١١	٤٢
طيبة ابن الرومي	١١٢	٤٣
تطهير الرشيد بن المعتمد	١١٤	٤٤
رؤيا	١١٦	٤٥

الباب الثالث

القصص التي تجلو علومهم ومعارفهم ، وتتوضح منها ثقافتهم ، وما كان
متداولاً بينهم من مسائل العقل والنقل التي هدتهم إليها فطthem أو أنتهت إليهم
تجاربهم :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
فراسة أبناء نزار	١١٨	٤٦
أرعني واحدري	١٢١	٤٧
طب الحارث بن كلدة	١٢٢	٤٨
حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم	١٢٧	٤٩
أعرابي في سفر	١٣٣	٥٠
في موت رسول الله	١٣٤	٥١
عيافة طب	١٣٦	٥٢
أبو النشناش ولهب	١٣٨	٥٣
غраб يبشر بموت الحجاج	١٣٩	٥٤
صدق الراجر	١٤٠	٥٥
علم المؤمن وسعة معارفه	١٤٢	٥٦
وفود الفارابي على سيف الدولة	١٤٤	٥٧

الباب الرابع

القصص التي يُرِى بها ما كانوا يَتَعْنُون به من المكارم والمخاخير ، وما كانوا يتذمّرون به من المناقص والمعرات ؟ سواء أكان ذلك فيما يتعلّق بكلّ منهم في نفسه ، أم فيما يتصل بالأقرؤين من ذويه ، أم فيما يضمّ أهل قبيلته ، أم فيما يشمل الناس جيّعاً :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
سبق السيف العدل	١٤٨	٥٨
إيشار ابن مامّة الإيادي	١٥١	٥٩
وفاء السموءل	١٥٢	٦٠
لاحرُّ بوادي عوف	١٥٣	٦١
مروءة حاتم	١٥٥	٦٢
ماوية تتحدث عن كرم حاتم	١٥٧	٦٣
بين حاتم و ماوية	١٥٩	٦٤
مروءة ووفاء	١٦١	٦٥
مكرمة	١٦٥	٦٦
أجراهُ من الموت	١٦٨	٦٧
يزيد بن عبد المدان عند الحارث بن جفنة	١٦٩	٦٨
إغاثة	١٧٣	٦٩
سفانة بنت حاتم	١٧٦	٧٠
زعيم العجم و عمر بن الخطاب	١٧٨	٧١
أبو سفيان عند هرقل	١٧٩	٧٢

العنوان	الصفحة	رقم القصيدة
إسلام أبي ذر	١٨٣	٧٣
جود عثمان بن عفان	١٨٥	٧٤
لبيد والوليد بن عقبة	١٨٦	٧٥
الخطيئه والز برقان بن بدر	١٨٨	٧٦
قدوم الخطيئه على عتبية بن المهاص	١٩٥	٧٧
فقير عند سعيد بن العاص	١٩٧	٧٨
قصر سعيد بن العاص	١٩٩	٧٩
معاوية وسعيد بن العاص	٢٠١	٨٠
كرم معاوية	٢٠٣	٨١
معاوية يغفو	٢٠٤	٨٢
الوفى	٢٠٨	٨٣
أسخي من البحر إذا زخر	٢١٠	٨٤
يمجد على مقدار نفسه	٢١١	٨٥
من حيل الكرماء	٢١٣	٨٦
يد عند عبيد الله بن العباس	٢١٤	٨٧
لربّدأتني	٢١٥	٨٨
اختبار الأجواد	٢١٧	٨٩
إن هذا الأسخي مني	٢١٩	٩٠
إنا ننزل الضيف ولا نرحله	٢٢٠	٩١
الأخطل محبوس في كنيسة	٢٢١	٩٢
عمارة الفقيه وعبد الملك بن مروان	٢٢٢	٩٣
بين الحجاج الثقفي ويزيد بن المهلب	٢٢٤	٩٤

العنوان	الصفحة	رقم القصة
زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب	٢٢٦	٩٥
احتكموا وأكثروا	٢٢٨	٩٦
أنت أخو الندى وحليفه	٢٣٠	٩٧
ما كذب مذ شد عليه إزاره	٢٣٢	٩٨
أعطيك مالى إن شئت	٢٣٣	٩٩
الشمعة والسراج	٢٣٤	١٠٠
حديث عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احتضر	٢٣٥	١٠١
عفة جرير وفجور الفرزدق	٢٣٦	١٠٢
خالد القسمى وزياد بن عبيد الله	٢٣٨	١٠٣
الفقر خصم لجوح	٢٤٠	١٠٤
يشتكي الفقر	٢٤١	١٠٥
حدّثني عن أغرب مامر بك	٢٤٢	١٠٦
المتصور وأهله	٢٤٤	١٠٧
هذا بغية أمير المؤمنين	٢٤٦	١٠٨
معن بن زائدة والأسود	٢٤٨	١٠٩
عقيد الجد والجدود	٢٥٠	١١٠
مثلك يُصطنع	٢٥١	١١١
نعمه عدوك قلادة في عنقى	٢٥٢	١١٢
جود عبد الواحد بن سليمان	٢٥٣	١١٣
أبو حنيفة يرءى الجوار	٢٥٥	١١٤
يربى الله الصدقات	٢٥٦	١١٥

العنوان	الصفحة	رقم القصة
العرق دسّاس	٢٥٨	١١٦
إن بعد العسر يسرا	٢٦٠	١١٧
لأنّا سواك ولو سففت التراب	٢٦٥	١١٨
تيه وكرم	٢٦٧	١١٩
لكل جديـد لذـة	٢٦٩	١٢٠
جود البرامـكة	٢٧٠	١٢١
حسن العفو	٢٧٦	١٢٢
واعظ الرشيد	٢٧٩	١٢٣
أموى عند الرشيد	٢٨٣	١٢٤
يواسى بعضهم بعضاً	٢٨٧	١٢٥
وفي للبرامـكة	٢٨٨	١٢٦
أفضل الأصحاب	٢٩٤	١٢٧
ما ولدت العرب أكرم منك	٢٩٥	١٢٨
الأصمـى يطـلـب القرـى	٢٩٧	١٢٩
لقد أـمـكـنـك اللهـ مـنـ الـوـفـاءـ	٢٩٨	١٣٠
إـبرـاهـيمـ بـنـ المـهـدىـ وـالـمـأـمـونـ	٣٠٤	١٣١
من جـودـ أـبـيـ دـلـفـ	٣١١	١٣٢
عبد اللهـ بـنـ طـاهـرـ وـالـحـصـنـىـ	٣١٢	١٣٣
حسنـ المـكـافـأـةـ	٣١٥	١٣٤
رجـوتـكـ دونـ النـاسـ	٣١٨	١٣٥
المـأـمـونـ يـغـوـ عنـ الحـسـينـ بـنـ الضـحـاكـ	٣١٩	١٣٦
وفـاءـ كـافـورـ	٣٢١	١٣٧

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٣٨	٣٢٣	درس يُلقى على حاسد
١٣٩	٣٢٦	عفة الشريف الرضي
١٤٠	٣٢٨	أمين

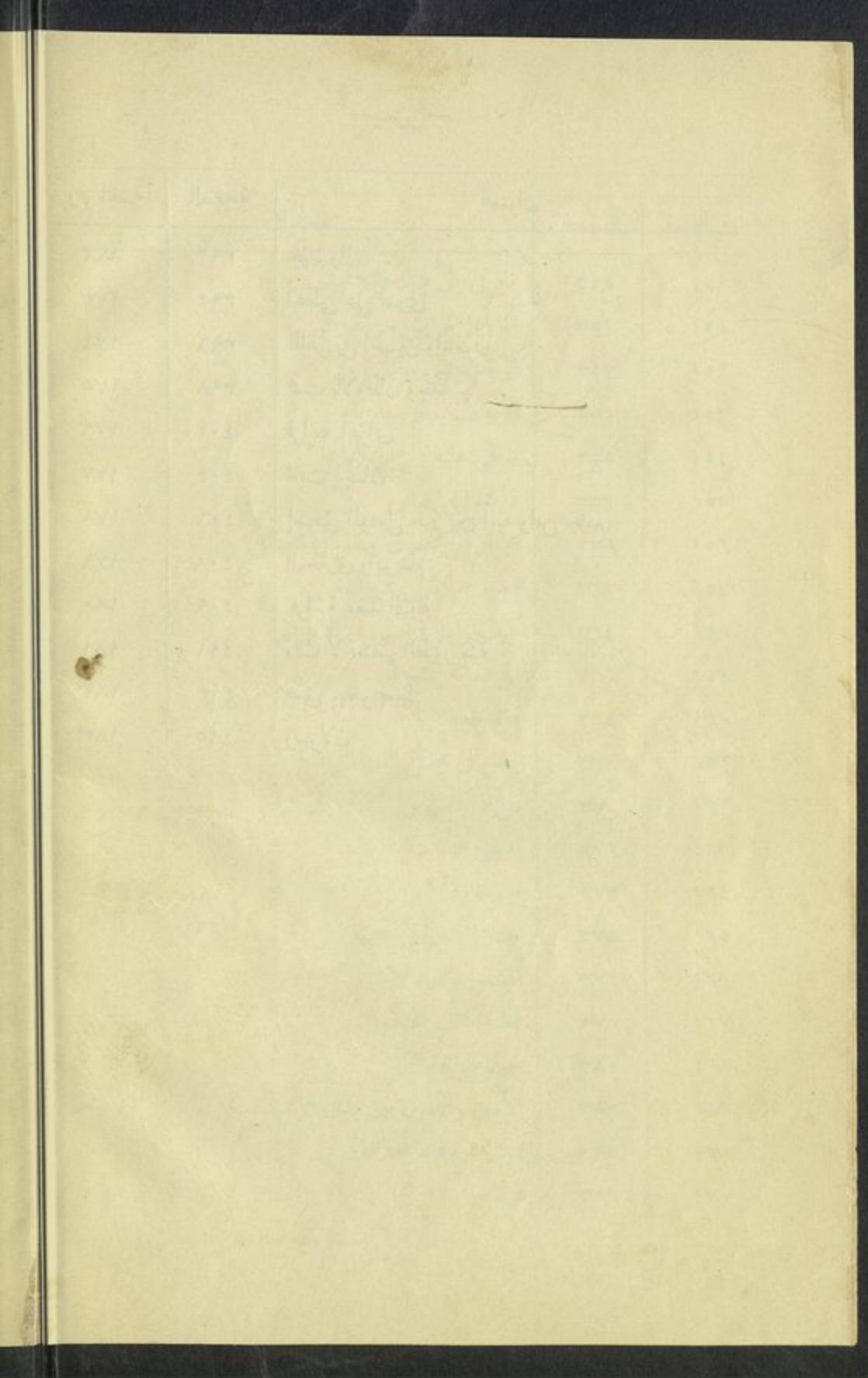
الباب الخامس

القصص التي تعدد غرائزهم وخصالهم ، فتكشف ما طبعوا عليه من وفرة العقل ،
وحدة الذكاء ، وصدق الفراسة ، وقوة النفس ، وما أهلتهم له طبيعة بلادهم ،
وأسلوب حياتهم من شريف السجايا ، ومدوح الخصال :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٤١	٣٣٢	غم من نجا من الموت
١٤٢	٣٣٤	وافق شن طبقة
١٤٣	٣٣٦	لن يَرِح العبد ان حتى يقتلا
١٤٤	٣٣٧	النذير
١٤٥	٣٣٨	حديث عن امرىء القيس
١٤٦	٣٤١	صحيفة المتلمس
١٤٧	٣٤٤	إن العصا قرعت لذى الحلم
١٤٨	٢٤٦	فطرة
١٤٩	٣٤٧	حدب على إخوته

العنوان	الصفحة	رقم القصة
نافرنى إلى فتاك فإنه نحيب	٣٤٩	١٥٠
أنا أعلم بقريش من قريش	٣٥١	١٥١
أو قد جئني سلاماً	٣٥٣	١٥٢
الأحنف يفهم معاوية	٣٥٤	١٥٣
نوطى عليه يامزبن التماما	٣٥٥	١٥٤
ذكاء ابن عباس	٣٥٧	١٥٥
عمران بن حطّان يتنقل في القبائل	٣٥٨	١٥٦
دهاء عمارة بن تميم اللخمي	٣٦٢	١٥٧
كيف رأيتم فراسى في الأعرابى	٣٦٤	١٥٨
من بدايه الشعرااء	٣٦٦	١٥٩
قوه حجه	٣٦٨	١٦٠
إياس في مجلس القضاة	٣٦٩	١٦١
من ذكاء إياس	٣٧٠	١٦٢
أدبيتني فتأدبتي	٣٧١	١٦٣
مرودة وذكاء	٣٧٣	١٦٤
حدر إبراهيم بن هرمة	٣٧٥	١٦٥
المنصور ودليله بالمدينة	٣٧٦	١٦٦
قطنة كاتب المنصور	٣٧٨	١٦٧
حيلة طريفة	٣٨٠	١٦٨
الأمين والمأمون بين يدي الرشيد	٣٨٣	١٦٩
قرامجد وفرعا خلافة	٣٨٥	١٧٠
قررتا عين	٣٨٩	١٧١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
حيلة وال	٣٩٢	١٧٢
أعطي على قدرى	٣٩٤	١٧٣
طاهر بن الحسين والمأمون	٣٩٦	١٧٤
همت بالأوطان وجداً بها	٣٩٨	١٧٥
فراسة أعرابى	٤٠٢	١٧٦
ثابت الجنان	٤٠٤	١٧٧
إسحق الموصلى حكم بين أبيه وابن جامع	٤٠٦	١٧٨
البحترى وأبو تمام	٤٠٨	١٧٩
فراسة عند الدولة	٤٠٩	١٨٠
ملك لا تعتصم الطيور منه	٤١١	١٨١
صبي يهجو صبياً	٤١٣	١٨٢
رسولان	٤١٥	١٨٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُهْدَّمة

لُعْدَة القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق، وتصوير العادات ، ورسم حاجات النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونبَّل مقصدها ، وكرمت غايتها - تُهذِّب الطياع ، وتُرْقِّق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذات الشأن الأساسي في آداب الأمم قد يها وحديثها ؛ فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيات الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ، ومخلفاتِ الرومان ، وأثار المصريين القدماء . والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثر عنها فيض من ذلك الأدب الرفيع ؛ ييد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضمونهم حقهم في ذلك الباب ، ووصموهم بالخيال العقيم ، وعادوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن المنصفين منهم قد هالهم هذا الجمود ، ولم يرقهم ذلك النكaran ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود ، وترجموا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدىوا للناس عن قصص عنترة وذات الممهة ، وجلوا عليهم ألف ليلة وأخبار ابن ذي يزن .

وهذه القصص ، وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير العصور التي وضعت

فيها ، وَوَسَّمت لِنَا الْبَيْثَةَ الَّتِي نَبَتَتْ مِنْهَا ، كَثِيرٌ مِنْهَا تَافِهُ الْفَرْضُ ، مِنْهُمُ الْفَصْدُ ،
رَدِيُّ الْلُّغَةِ وَالْأَسْلَوبِ . وَفِي قَصْرِ قَصْصِ الْعَرَبِ عَلَيْهَا جَحْدُ الْلَّادَابِ الْعَرَبِيةِ
فَضْلَاهَا ، وَإِنْكَارُ عَلَيْهَا مَفَاخِرِهَا . . . وَإِلَّا إِنْ هَنَاكَ قَصْصًا زَخَرَتْ بِهَا مَجَالِسُ
الْخَلْقَاءِ وَسَوَامِرُ الْأَمْرَاءِ ، وَمَلَائِتُ الْكِتَبِ الَّتِي اخْدَرَتْ إِلَيْنَا عَنِ الْمُؤْلِفِينَ الْقَدِيمَاءِ ؛
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَرْدُوا شَرِيعَتَهَا ، أَوْ يَجْنُوا أَطْايِبَهَا إِلَّا مَا مَنَعَتْ بِهِ هَذِهِ الْكِتَبِ
مِنْ اضْطَرَابِ التَّرْتِيبِ ، وَرَدِيِّ الْطَّبِيعِ ، وَتَحْرِيفِ النَّاسِخِينِ .

وَكَتَابَنَا هَذَا جَعَنَا فِيهِ هَذِهِ الْقَصْصَ : مَا اتَّبَذَ مِنْهَا وَمَا شَرَدَ ، وَأَفْنَا مَا تَنَافَرَ
وَافْتَرَ ، وَجَعَلَنَا أَقْسَاماً ، وَقَسَّمَنَا أَبْوَاباً ؛ جَعَنَا كُلَّ قَصْةٍ إِلَى مَثَلِهَا ، وَضَمَّنَا كُلَّ
طَرْفَةٍ إِلَى شَبَهِهَا ؛ لِيَجْتَمِعَ إِلَى غَرْضِ الْقَصْةِ — مِنْ تَهْذِيبِ الْطَّبَاعِ وَتَرْقِيقِ النُّفُوسِ —
عَرْضٌ شَامِلٌ لِحَيَاةِ الْعَرَبِ: مَدِينَتِهِمْ وَحَضَارَتِهِمْ ، وَعِلْمَهُمْ وَمَعَارِفُهُمْ ، وَأَدِيَانُهُمْ وَعَقَائِدُهُمْ ،
وَذَكْرُ لِمَوَانِدِهِمْ وَشَمَائِلِهِمْ ، وَمَا طَبَعُوا عَلَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الْفَرَائِزِ ، وَحَدَّةِ الْذَّكَاءِ ، ثُمَّ
مَا كَانَ لِلْمَرْأَةِ عِنْدِهِمْ مِنْ سَامِيِّ الْمَكَانَةِ وَعَظِيمِ الْمَزَلَةِ ، وَمَا أَثْرَعَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ
صَوْرَوْا بِهَا حَبَّهُمُ الْعَفِيفُ وَغَزَّلُهُمُ الرَّقِيقُ وَعَشَقَهُمُ الشَّرِيفُ ، وَلَمْ يَخْلُ كَتَابَنَا مَا
كَانَ لَهُمْ مِنْ مَحَاورَاتٍ وَمَسَاجِلَاتٍ وَمَطَابِيلَاتٍ وَمَنَاقِلَاتٍ ، وَمَا نَقَلَهُ الرَّوَاةُ مِنْ أَحْوَالِ
الْعَامَةِ وَالْمَلُوكِ ، وَطَرْفِ الْفَضَّاهِ وَالْوَلَاهِ ، وَأَخْبَارِ الْأَيَامِ وَالْحَرُوبِ ، وَغَيْرُ هَذَا مَا
سَيَعْرُضُ مُفَصَّلًا فِي أَبْوَابِ الْكِتَابِ .

وَلَمْ تَقْفَ فِي اخْتِيَارِ الْقَصْةِ عَلَى تَعْرِيفِ خَاصٍ ، أَوْ حَدِيَّ مَرْسُومٍ ، فَهِيَا اخْتِرَنَاهُ مَا ذَكَرُوهُ
مِنْ طَرِيفِ الْأَخْبَارِ وَشَائِقِ الْأَحْدَاثِ ، وَمَا وَضَعُوهُ مُصَوَّرٍ بِهِ الْمَجَالِسُ وَالْأَشْخَاصُ ،
وَمَا صَنَعُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الطَّيْرِ وَالْحَيْوَانِ ، وَمَا تَحْتَلُوهُ مِنْ أَخْبَارِ الشَّيَاطِينِ وَالْجَانِ ؛
إِذْ كَانَ الْفَرْضُ تَقْيِيفُ الْأَذْهَانِ بِذِكْرِ الْطَّرَائِفِ ، وَانْشَرَاحُ الصَّدُورِ بِعَرْضِ الْلَّطَائِفِ ،

مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .

ولعل القارئ يروقه ما تدمي فيها من شريف الخصال فيحتذىها ، أو تعجبه
كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائج الأساليب . ولعله يكون فيها مباديٌ صالحة وأسس قوية لم يرید أن ينشئ
قصاصًا طويلاً على أساس ، أو يقيم روایات على بناء .

وكان من همنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من
زيادة اقتضتها اختلاف الروایات ، أو تغيير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف
عبارات لا غنا عنها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعانى ، وترجم
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنهله عذباً ،
وورده سائغاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ، ورجونا من الخير .

المؤلفون

{ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩
(مايو سنة ١٩٣٩)

يَعْلَمُ كُلُّ مُؤْمِنٍ بِمَا يَصْنَعُ وَلَا يُكَفِّرُ بِمَا
لَمْ يَعْمَلْ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْمُحْسِنِينَ
وَالَّذِينَ حَسِّنُوا هُنَّ الْمُأْمَنُونَ
إِنَّمَا يُنَاهَا عَنِ الْمُحْسِنِينَ
مَا أَنْفَقُوا وَلَا زَانُوا^{كُلُّ حِلْمٍ لِمَنِ اتَّقَى}
لَا يُنَاهَا عَنِ الْمُحْسِنِينَ
مَا أَنْفَقُوا وَلَا زَانُوا^{كُلُّ حِلْمٍ لِمَنِ اتَّقَى}
لَا يُنَاهَا عَنِ الْمُحْسِنِينَ
مَا أَنْفَقُوا وَلَا زَانُوا^{كُلُّ حِلْمٍ لِمَنِ اتَّقَى}

وَلَا يُنَاهَا عَنِ الْمُحْسِنِينَ
مَا أَنْفَقُوا وَلَا زَانُوا^{كُلُّ حِلْمٍ لِمَنِ اتَّقَى}
لَا يُنَاهَا عَنِ الْمُحْسِنِينَ
مَا أَنْفَقُوا وَلَا زَانُوا^{كُلُّ حِلْمٍ لِمَنِ اتَّقَى}

۱۷۹

الباب الأول

في القصص التي تستبين بها مظاهر حياتهم ، وأسباب
مدنיהם ؛ بذكر أسواقهم وأجلاب تجارتهم ، والمساكن
التي كانت تؤويهم ، وسائر ما كان على عهدهم من دلائل
الحضارة ووسائل المعاش .

الباب الأول

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تُسْتَبِينُ بِهَا مَظَاهِرُ حَيَاتِهِمْ ، وَأَسْبَابِ
مَدْنِيَّتِهِمْ ؛ بِذَكْرِ أَسْوَاقِهِمْ وَأَجْلَابِ تِجَارَتِهِمْ ، وَالْمَسَاكِنِ
الَّتِي كَانَتْ تَؤْوِيهِمْ ، وَسَائِرِ مَا كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ دَلَائِلِ
الْحُضَارَةِ وَوَسَائِلِ الْمَعَاشِ .

١ - قَوْس حاجب بن زرارة *

توالت على مُضـر الجدوـة والقـحـط سـبعـ سنـين حتـى كـادـوا يـهـلـكـونـ ، فـلـمـا رأـيـ حاجـبـ (١) بنـ زـارـةـ الـجـهـدـ وـالـجـدـبـ عـلـىـ قـوـمـهـ جـمـعـ بـنـ زـارـةـ فـقـالـ : إـنـيـ قدـ أـزـمـعـتـ عـلـىـ آـتـيـ الـمـلـكـ فـأـطـلـبـ إـلـيـهـ أـنـ يـأـذـنـ لـقـوـمـنـافـيـكـوـنـوـاـ تـحـتـ هـذـاـ الـبـحـرـ (٢) حتـىـ يـخـيـوـاـ ؛ فـتـلـحـأـ بـعـضـهـمـ عـلـيـهـ ، وـقـالـ بـعـضـهـمـ : رـشـدـتـ فـافـعـلـ ، غـيـرـ أـنـاـ نـخـافـ عـلـيـكـ بـكـرـ بنـ وـائـلـ لـمـاـ كـانـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـهـمـ ، وـلـابـدـ لـكـ مـنـ وـرـودـ مـيـاهـهـمـ . فـقـالـ : مـامـنـهـمـ وـجـهـ مـنـ النـاسـ وـلـاـ شـرـيفـ إـلـاـ وـلـىـ عـنـهـ يـدـ خـضـرـاءـ إـلـاـ اـبـنـ الطـوـيـلـةـ التـيـمـيـيـ ، وـأـنـاـ أـرـجـوـ أـنـ اـدـارـيـهـ ، شـمـ اـرـتـحلـ .

فـجـعـلـ لـايـأـتـيـ عـلـىـ مـاءـ لـبـكـرـ إـلـاـ أـكـرـمـهـ سـيـدـهـمـ ، وـنـحـرـ لـهـ وـقـرـأـهـ ، حتـىـ نـزـلـ قـصـوـانـ (٣) ، وـعـلـيـهـ اـبـنـ الطـوـيـلـةـ التـيـمـيـ ، فـلـمـاـ أـضـاءـ الصـبـحـ ، وـنـادـيـهـمـ قـرـيبـ منـ مـنـزـلـ حاجـبـ الذـىـ حلـ فـيـهـ ، دـعـاـ حاجـبـ بـنـطـعـ ، ثـمـ أـمـرـ فـصـبـ عـلـيـهـ التـمـرـ ، ثـمـ نـادـيـهـ حـىـ عـلـىـ الـفـدـاءـ . فـنـظـرـ اـبـنـ الطـوـيـلـةـ ، فـإـذـاـ هـوـ بـحـاجـبـ ، فـقـالـ لـأـهـلـ الـجـلـسـ : أـجـبـيـوـهـ فـإـنـهـ سـيـدـ قـوـمـهـ ، فـأـتـوـهـ فـأـكـلـوـاـ ، وـأـهـدـيـهـ اـبـنـ الطـوـيـلـةـ جـزـورـأـ وـشـيـاهـاـ ، فـنـحـرـ وـأـكـلـ وـأـطـمـ . ولـمـاـ أـرـادـ حاجـبـ أـنـ يـرـتـحلـ قـالـ لـهـ اـبـنـ الطـوـيـلـةـ : إـنـيـ مـعـكـ حتـىـ تـبـلـغـ مـأـمـنـكـ ؟

* نـاقـصـ جـرـبـ وـالـفـرـزـدقـ صـ ٤٦٢ـ جـ ١ـ طـبـ لـيـدـنـ ، بـلـوغـ الـأـرـبـ صـ ١٢٣ـ جـ ١ـ ، المـقـدـ أـفـرـيدـ صـ ١٧٥ـ جـ ١ـ (١) هـوـ سـيـدـ بـنـ قـيمـ ، وـكـانـ مـنـ الـفـرـجـ الـدـيـنـ أـرـسـلـهـمـ العـمـانـ بـنـ المـنـارـ الـكـسـرـيـ بعدـ أـنـ سـمـعـ مـنـهـ تـقـصـ الـعـرـبـ وـتـهـجـيـنـ أـمـرـهـمـ . أـدـرـكـ الـاسـلـامـ وـأـسـلـمـ ، تـوـفـيـ سـنـةـ ٣ـ (٢) الـبـحـرـ : الـرـيفـ (٣) قـصـوـانـ : مـوـضـعـ فـيـ دـيـارـ تـيمـ الـهـ بـنـ ثـلـبةـ .

فإني لا أدرى ما يعرض لك أماتك . فقال حاجب : ليس أماتي أحد أخافه علىك .
١١) وارتحل حاجب حتى أتى كسرى ؛ فلما شكا إليه الجهد في أنفسهم وأموالهم ،
وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده حتى يعيشوا ويُحيطوا قال له : إنكم -
معشر العرب - غدر حرب صاء على الفساد ، فإن أذنت لهم أفسدوا البلاد وأغاروا على
الرعية وأذوهם . قال له حاجب : فإني ضامن الملك ألا يفعلوا ، قال : ومن لي
بأن تغنى بما تقول ؟ قال : أرهنك قوسى بالوفاء بما ضمنت لك .

ولما جاء حاجب بقوسه ضحك القوم الذين كانوا حول الملك لما رأوا قوسه ،
وقالوا : بهذه العصا تغنى الملك بما ضمنت له ! فقال الملك لهم : ما كان ليُسلِّمُها لشء
أبداً وأمرَّهم فقبضوها ، وأذن للعرب في أن يدخلوا الريف ^(١) .

١٢) ومكث بنو زراراة في الريف مدة ، ثم مات حاجب ، وبعدها زال القحط ،
وخرج أصحاب حاجب إلى بلادهم ، وارتحل عطارة ^{بن} حاجب إلى كسرى ليطاب
قوس أبيه ؛ ولما دخل عليه وكلمه في القوس قال له كسرى : ماأنت بالذى وضعتها
عندى ، قال : أجل ! أئْهَا الملك ما أتنا بالذى وضعتها . قال : فما فعل الذي وضعها ؟
قال : هلك ، وهو والدى ، وقد وفى لك أئْهَا الملك بما ضمن لك عن قومه ووفى
هو بما قال للملك ؛ قال كسرى : ردوا عليه قوسه ؛ وكاه !

(١) الريف : الأرض فيها الزرع والخشب .

* ٢ - فتكة البراءض *

كان البراءض بن قيس الكنانى رجلا فاتكا خليعاً^(١) ، يبحى الجنایات على أهلها ، فيخلعه قومه ، وتبراءوا من صنعيه ، فقارفونم ، وقدِم مكة ، فحالف حربَ بن أمية ، ثم نبأ به المقام بمكة أيضاً ، ففارق أرض الحجاز إلى أرض العراق ، وقدِم على النعمان بن المنذر الملك - وكان النعمان يبعث كل عام بطريقه^(٢) للتجارة إلى عكاظ^(٣) تباع له كل عام هناك - فقال يوماً ، وعنده البراءض وعروة بن عتبة ابن جعفر المعروف بالرحال^(٤) : من يحيى لطيفي هذه حتى يُبلّغها عكاظ؟ فقال البراءض : أبْيَت اللعن ! أنا أجيّزها على كنانة ، فقال النعمان : إنما أريد من يحيى لها على كنانة وقيس ، فقال عروة : أكب خلبيع يحيى لها ! أبْيَت اللعن ! أنا أجيّزها على أهل الشیح والقیصوم^(٥) من أهل همة وأهل نجد ! فقال البراءض - وغضب - وعلى كنانة^(٦) تحيي لها عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم !

دفع النعمان بطريقه إلى عروة الرحال ، وأمره بالمسير بها ، وخرج البراءض يتبع أثره ، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه ، حتى إذا كان عروة بين ظهراني قومه أدركه البراءض بن قيس ، فآخرج قداحه يَسْتَقْسِم^(٧) بها في قتل عروة ، فرّ به

١- المضاف والمنسوب ص ١٠١ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٣ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٣٦٠ ج ١

(١) كان يضر بالمثل بفسكه ، فيقال : «أدتك من البراءض» (٢) بطريقه : العبر التي تحمل الطيب ويز التجار (٣) عكاظ موضع كان بين نخلة والطائف (٤) لقب بالرحال لكثره رحلته إلى الملوك (٥) الشیح والقیصوم : بنايات مما يظلم في السهل . (٦) كنانة هم قوم البراءض . (٧) الاستقسام : كانوا إذا أراد أحدهم سفراً أو تزويجاً أو نغو ذلك من المهام ضرب بالقداح ، وكان على بعضها مكتوب : أمرني ربى ، وعلى بعضها الآخر : نهاني ربى ، والباقي غفل ، فإن خرج أمرني ربى مضى لثأره ، وإن خرج نهاني ربى ، أمسك ، وإن خرج الغفل أجلاها ، وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر أو النهي .

عُروة فقال : ما تصنع يا بَرَّا ض ؟ فقال : أَسْتَقْسِمُ فِي قتالك ، أَيُؤْذن لِي أَمْ لَا ؟ فتَالَ عَرُوْة : هِمْتَكَ أَضَعْفُ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَبَّ إِلَيْهِ الْبَرَّا ض بِالسِيفِ فَقَتَلَهُ .

فَلَمَّا رَأَاهُ الَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَى الْعِيرِ وَالْأَهْمَالِ قَتِيلًا انْهَزَمُوا ، فَاسْتَاقَ الْبَرَّا ضُ الْعِيرَ ، وَسَارَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى خَيْرَةٍ ، وَتَبَعَهُ رِجَالٌ لِيَخْذَاهُ : أَحَدُهُمْ غَنَوْيٌّ وَالآخَرُ غَطَفَانِي ، وَسَارَ حَتَّى لَقِيَهَا الْبَرَّا ض بِخَيْرَةٍ ، فَقَالَ لَهُمَا : مَنِ الرِّجَالُانِ ؟ قَالَا : مَنْ قَيْدَنَا قَدِيمًا نَفْتَلَ الْبَرَّا ض ؛ فَأَنْزَلَهُمَا وَعَقَّلَ رَاحَاتِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيْكَا أَجْرًا عَلَيْهِ وَأَجْوَدُ سِيفًا ؟ قَالَ الغَطَفَانِي : أَنَا ، فَأَخْذُهُ وَمَشِي مَعَهِ لِيَدِهِ - بِزَعْمِهِ - عَلَى الْبَرَّا ض ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَنَوِي : احْفَظْ رَاحَاتِيكَا فَقَعَلَ .

وَانْطَقَ الْبَرَّا ض بِالْغَطَفَانِي حَتَّى أَخْرَجَهُ إِلَى الْخَرْبَةِ ^(١) فِي جَانِبِ خَيْرَةٍ ، وَقَالَ لَهُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرْبَةِ يَأْوِي إِلَيْهَا ، فَأَمْهَانِي حَتَّى أَنْظَرَهُ أَهُوَ فِيهَا ؟ فَوَقَفَ ، وَدَخَلَ الْبَرَّا ض ؛ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : هُوَ فِيهَا وَهُوَ نَائِمٌ ، فَأَرْنَى سِيفَكَ حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْهِ : أَضَارَهُ هُوَ أَمْ لَا ؟ فَأَعْطَاهُ سِيفَهُ ، فَصَرَّبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ أَخْفَى السِيفَ وَعَادَ إِلَى الْغَنَوِي ؛ قَالَ لَهُ : لَمْ أَرَ رَجُلًا أَجِبَّ مِنْ صَاحِبِكَ ، تَرَكْتُهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ الْبَرَّا ض وَهُوَ نَائِمٌ فَلَمْ يَقْدِمْ عَلَيْهِ ! فَقَالَ : انْظُرْ لِي مَنْ يَحْفَظُ الرَّاحَاتَيْنِ حَتَّى أَمْضِي إِلَيْهِ فَأَقْتَلَهُ ، فَقَالَ : دَعْهُمَا وَهَا عَلَىـ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْخَرْبَةِ ، فَقَتَلَهُ وَسَارَ بِالْعِيرِ إِلَى مَكَةَ !

(١) الْخَرْبَةُ : مَوْضِعُ الْخَرَابِ .

* حياة آل حفنة

قال خارجة بن يزيد : دعينا إلى مأدبة^(١) ، فحضرها وحسان^(٢) بن ثابت قد حضرها ، فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة ، وهو يومئذ قد ذهب بصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكان إذا أتى طعام سأله ابنه أطعم يده أم يدين ؟ (يعني باليد الزيادة وباليدين الشوأة لأنه ينهش منها) فادعاً قال : طعام يدين أمسك يده .

فلمَا فرغوا من الطعام أتوا بمحاريتين : إحداهما رائقة ، والأخرى عَرَّة ، فجلستا وأخذتا مِزْهَرَيهما^(٣) وضررتا ضرراً عجيباً ، وغنتا بقول حسان :

انظُرْ خَلِيلِي بِيَطْنَ جِلْقَ هَلْ تُونِس^(٤) دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ

فسمع حسان يقول : قد أراني بها سمِيعاً بصيراً ، وعيناه تدمعن ؛ فإذا سكتنا سكت عنه البكاء ، وإذا غنتا بكى ، فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكتتا يشير إليهما أن تغنجا فيبكي أبوه !

فلا اقلب حسان من المأدبة إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وقال : لقد أذكَرْتني رائقة وصاحبتها أمراً ما سمعته أذنائي بعيد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأبيهم ، ثم تبسم وجلس فقال : لقد رأيت عشر قيان ، خمس روميات يغنين بالروميه بالبرابط^(٥) ، وخمس يغنين غناه أهل الخيرة أهداهن

* الأغانى ص ١٦ ج ١٤

(١) المأدبة كل طعام يصنع لدعوة أو عرس (٢) هو شاعر رسول الله ، وقد نشأ في

الجاهلية وبه شأنه فيها ، وعاش طويلاً في الإسلام ومات في خلافة معاوية سنة ٤٥ هجرية .

(٣) المزهر : عود يضرب به (٤) تونس : تبصر (اللسان مادة « عجب » ومادة « بلق »)

(٥) البرابط : العود .

إليه يا ياس بن قبيصة ، وكان يَغْدِي إلَيْهِ مِنْ يَعْنَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ
إِذَا جَلَسَ لِلشَّرْبِ فُرِشَ تَحْتَهُ الْأَسْ وَالْيَاسِمِينُ وَأَصْنَافُ الرِّيَاحِينِ ، وَضَرَبَ لَهُ
الْعَنْبَرُ وَالْمَسْكُ فِي صَحَافِ الْفَضَّةِ وَالْذَّهَبِ ، وَأَقَى بِالْمَسْكِ الصَّحِيحِ فِي صَحَافِ الْفَضَّةِ ،
وَأَوْقَدَ لَهُ الْعُودَ الْمُنْدَى إِنْ كَانَ شَاتِيًّا . وَإِنْ كَانَ صَائِفًا أَقَى هُوَ وَاصْحَابُهُ بِكَسَاءَ^(١)
صَيْفِيَّةٍ يَتَفَضَّلُونَ^(٢) بِهَا ، وَفِي الشَّتَاءِ يَؤْتَى بِفَرَاءِ الْفَنَّاكَ^(٣) وَمَا أَشْبَهُهُ ، وَلَا وَاللَّهُ
مَا جَلَسْتُ مَعَهُ يَوْمًا قَطُّ إِلَّا خَلَعَ عَلَى ثِيَابِهِ الَّتِي عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَلَى غَيْرِي مِنْ
جَلَسَاهُ ، هَذَا مَعَ حَلْمٍ عَمِنْ جَهَلٍ وَضَحْكٍ ، وَبَذَلٍ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، مَعَ حُسْنٍ وَجْهٍ ،
وَحُسْنٍ حَدِيثٍ ، مَا رَأَيْتُ مِنْهُ خَنَّا قَطُّ وَلَا عَرْبَدَةً ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الشَّرْكِ .
فَجَاءَ الْإِسْلَامُ فَهَبَّا الْكُفَّارُ وَتَرَكُنَا الْخَزْرُ وَمَا كَرِهُ . وَأَتَمَ الْيَوْمَ مُسْلِمُونَ تَشْرِيبَوْنَ
هَذَا النَّبِيَّدَ مِنَ التَّرِ ، وَالْفَضِيَّخَ^(٤) مِنَ الزَّهْرِ وَالرَّطْبِ ، فَلَا يَشْرُبُ أَحَدُكُمْ ثَلَاثَةَ
أَقْدَاحٍ حَتَّى يَذْهَبَ بِعَقْلِهِ وَدِينِهِ ، أَفَلَا تَتَهَوَّنُ !^(٥)

(١) الكباء : جمع كسوة (٢) التفضل : التوشيع ، وأن يخالف المرء بين أطراف ثوبه .

(٣) الفنّاك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها (٤) الفضيّخ : شراب يتخذ من بسر .

* ٤ - الأعشى والخلق

قال بعض أهل البايدية :

كان لأبي الحلق^(١) شرف كثيفات وقد اختلف ماله، وبقي الحلق وثلاث إخوات له
ولم يترك لهم إلا ناقة واحدة وبُردين كان يشهدُ فيما الحقوق.

فأقبل الأعشى^(٢) من بعض أسفاره يريد منزلة بالميامة، فنزل الماء الذي به
الخلق، فقرأه أهل الماء وأحسنوا قراؤه. ثم أقبلت عمدة الحلق، فقالت: يا ابن أخي؛
هذا الأعشى قد نزل بعائنا وقد قرأه أهل الماء، والعرب تزعم أنه لم يدحْ قوماً إلا
رَفَعَهُمْ، ولم يهُجْ قوماً إلا وضَعَهُمْ، فانظر ما أقول لك، واحتل في زقق من خمر
من عند بعض التجار، وأرسِلْ إليه بهذه الناقة والزقّ وبُرْدَى أبيك؛ فوالله لئن
اعتلَجَ السَّكِيدُ والسَّنَامُ والخَرُّ في جوفه، ونظر إلى عطفِهِ في البردين، ليقولَنَّ فيك
شعرًا يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقع رسْلَها^(٣).

ثم أقبل يدخل وينخرج وبِهِمْ ولا يفعل؛ فـ كـما دـخلـ على عـمـتهـ حـضـتـهـ؛
حتـى دـخـلـ عـلـيـهـاـ قـالـ :ـ قـدـ اـرـتـحـلـ الرـجـلـ وـمـضـىـ .ـ قـالـ :ـ الـآنـ وـالـلـهـ أـحـسـنـ
ماـ كـانـ الـقـرـىـ !ـ تـتـبـعـهـ ذـلـكـ مـعـ غـلامـ أـبـيـكـ ~ وـهـوـ مـوـلـىـ لـهـ أـسـوـدـ شـيـخـ ~ فـإـذـاـ لـحـقـهـ
أـخـبـرـهـ عـنـكـ أـنـكـ كـنـتـ غـابـاـ عـنـ المـاءـ عـنـ زـوـلـهـ إـيـاهـ ،ـ وـأـنـكـ مـاـ وـرـدـ مـاـ فـعـلـتـ ~

* أغاني من ١١٣ ج ٩ ، بلوغ الأربع من ١٦٢ ج ٢

(١) الحلق: لقب عبد العزى بن حنم من كلاب بن ربيعة، ولقب بذلك يوم عضه حصان
في وجنته فترك بها أثراً على شكل الحلقه (٢) هو أعشى قيس، واسميه ميمون بن قيس، أحد
الأعلام من شعراء الحالية وفخولهم، وهو أول من سأله بشره واتبعه بأقصى البلاد، أدرك
الإسلام ولكن لم يسلم. توفي سنة ٧ هـ (٣) الرسل: المابن.

أنه كان به كَرْهَتَ أَنْ يَفُوتَكِ قِرَاءَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا أَحْسَنُ لَوْقَعَهُ عَنْهُ؛ وَلَمْ تَزَلْ
 تَحْسَهُ حَتَّى أَتَى بَعْضَ التَّجَارِ فَكَانَهُ أَنْ يُقْرِضَهُ ثُمَّ رَزَقَهُ خَمْرًا، وَأَتَاهُ بَنُونَ يَضْمَنُونَ
 ذَلِكَ عَنْهُ فَأَعْطَاهُهُمْ وَجْهَهُ بِالنَّاقَةِ وَالخَنْزِيرِ وَالبَرْدِينَ مَعَ دُولَيْهِ، فَخَرَجَ يَتَبعُهُ
 فَكَانَ مِنَ الْمَاءِ قِيلَ: ارْتَحِلْ أَمْسِيَّهُ عَنْهُ، حَتَّى صَارَ إِلَى مَنْزِلِ الْأَعْشَى بِمَنْفَوْحَةِ
 الْيَمَامَةِ؛ فُوجِدَ عَنْهُ عَدَدٌ مِنَ الْفَتَيَانِ قَدْ غَدَّاهُمْ بِغَيْرِ لَمْ، وَصَبَّهُمْ فَضِيْخًا^(١) فَهُمْ
 يَشْرِبُونَ مِنْهُ، وَقَرَعُ الْبَابَ فَقَالَ: انْظُرُوا مَنْ هَذَا؟ فَخَرَجُوا فَإِذَا رَسُولُ
 الْحَمَّاقِ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا؛ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: هَذَا رَسُولُ الْحَمَّاقِ الْكَلَابِيُّ أَنْتَكَ بَكِيتَ
 وَكِيتَ. فَقَالَ: وَيَحْكُمُ! أَعْرَابِيُّ وَالَّذِي أُرْسَلَ إِلَيَّ لَا قَدْرَ لَهُ! وَاللَّهُ لَئِنْ اعْتَلَجَ
 الْكَبِيدُ وَالسَّنَامُ وَالخَنْزِيرُ فِي جُوفِ لَأَقْوَانَ فِيهِ شَعَرًا لَمْ أَقْلِ قَطُّ مِثْلَهُ، فَوَاتَّهُ الْفَتَيَانُ
 وَقَالُوا: غَبَتَ عَنَّا فَأَطْلَلَتَ الْغَيْبَةَ، ثُمَّ أَتَيْنَاكَ فَلَمْ تُطْعِمَنَا حَمَّامًا وَسَقَيْتَنَا فَضِيَخَ مَوَالِحَمَّامِ
 وَالخَنْزِيرَ بِيَابِكَ لَا نَرْضَى بِذَا مِنْكَ^(٢) فَقَالَ: إِنَّذِنُوا لَهُ؛ فَدَخَلَ فَادِي الرِّسَالَةِ، وَقَدْ
 أَنْاحَ الْجَزُورَ بِالْبَابِ، وَوَضَعَ الزَّقَّ وَالْبَرْدِينَ بَيْنَ يَدِيهِ؛ فَقَالَ: أَقْرَهُ السَّلَامُ، وَقَلَ لَهُ:
 وَصَلَّتَكَ رَحْمٌ، سَيَّاتِيكَ ثَنَاؤُنَا.

وَقَامَ الْفَتَيَانُ إِلَى الْجَزُورِ فَنَحَرُوهَا وَشَقُّوا خَاصِرَهَا عَنْ كَبَدِهَا وَجَلَدُهَا عَنْ
 سَنَامِهَا، ثُمَّ جَاءُوا بِهِمَا، فَأَقْبَلُوا يَشْوُونَ، وَصَبَّوَا الخَنْزِيرَ فَشَرَبُوا، وَأَكَلُوا مَعْهُمْ وَشَرَبُوا؛
 وَلِبَسَ الْبَرْدِينَ، وَنَظَرَ إِلَى عَطْفِيَّهِ فِيهِمَا؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السَّهَادُ الْمُؤْرَقُ^(٣) وَمَا بِيَ مِنْ سُقُمٍ وَمَا بِيَ مَعْشَقٌ^(٤)
 وَفِيهَا يَقُولُ:

نَفَى النَّمَّ عَنْ آلِ الْحَمَّاقِ جَفَنةً^(٥) كَجَابِيَّةٌ^(٦) الشَّيْخُ الْعَرَاقِ تَهْفَقُ^(٧)

(١) الفضيَخ: شراب يَتَخَذُ مِنْ بَرْسٍ (٢) معشق: عشق (٣) الجابية: حوض ضخم (٤) فرق: الإباء: امتلاء.

ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دردق^(١)
 لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليقاع^(٢) تحرق
 وبات على النار الندى والخلق
 بأسجم^(٣) داج عوض لا تفارق
 ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
 يداه يدا صدق ، فكفت مبيدة
 وكسوة رداء ياما عسر^(٤) -
 وسار الشعر وشاع في العرب . فما أنت على الحلق سنة حتى زوج أخواته
الثلاث كل واحدة على مائة ناقة ، فأيسر وشرف .

النَّاثِرُ بِجُنْدِمْ

احتکام الشعراء في عکاظ*

حکي عن نابعة^(٥) بني ذبيان أنه كانت تُضرب له قبة من أدم بسوق عکاظ يجتمع إليه فيها الشعراء، فدخل إليه حسان بن ثابت، وعنده الأعشى، وقد أنشده شعره ، وأنشدته أخنساء قوله :
 قدّى بعينيك ألم بالعين عوار^(٦)

(١) الدردق : الصبيان الصغار (٢) اليقاع : الثل (٣) الأسم : الأسود والمراد الليل ، ودجا الليل أظلم . وعوض : أبداً (٤) روت السيف : ماوه وحسن .
 * أغاني ص ٣٤٠ ج ٩ (٥) هو أبو أمامة زيد بن معاوية ، أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمهم عکاظ ، ولقب بالنابغة لبووغه في الشعر فجادة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير ، وهو من أشراف ذبيان وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة (٦) عوار : كل ما أعمل العين ، وذرفت : قطرت .

حتى انتهت إلى قوله :

وإنَّ صخراً لِتَأْمِمُ الْهُدَاءَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمَ^(١) فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَإِنَّ صخراً لَمَوْلَانَا وَسِيدُنَا وَإِنَّ صخراً إِذَا نَشَطَ^(٢) لَنْحَارٌ
فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ أَبَا بَصِيرَ^(٣) أَنْشَدَنِي قَبْلَكَ لَقْلَتُ : إِنَّكَ أَشْعَرُ النَّاسَ ! أَنْتَ
وَاللَّهُ أَشْعَرُ مَنْ كُلَّ أَشَنِي ! قَالَتْ : وَاللَّهُ وَمَنْ كُلَّ رَجُلٍ .
فَقَالَ حَسَانٌ : أَنَا وَاللَّهُ أَشْعَرُ مِنْكَ وَمِنْهَا . قَالَ : حِيثُ تَقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ :
حِيثُ أَقُولُ :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرْ يَلْمَعُنَ بالضَّحَاحَا وَأَسِيافُنَا يَقْطُرُنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا
وَلَدُنَا بَنِي الْعَنَقَاءِ وَابْنَيِ الْمَحْرَقِ فَأَكْرَمُ بَنَا خَالَالًا وَأَكْرَمُ بَنَا ابْنَمَا
فَقَالَ : إِنَّكَ شَاعِرٌ لَوْلَا أَنْكَ قَلْتَ : «الْجَفَنَاتُ» فَقَلَّتَ الْعَدُودُ ، وَلَوْ قَلْتَ :
«الْجَفَانُ» لَكَانَ أَكْثَرُ . وَقَلْتَ : «يَلْمَعُنَ فِي الضَّحَاحَا» وَلَوْ قَلْتَ : «يَبْرُقُنَ
بِالدَّجَا» لَكَانَ أَبْلَغُ فِي الْمَدِيجِ ؛ لَأَنَّ الضَّيْفَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرُ طَرْوَقًا ، وَقَلْتَ :
«يَقْطُرُنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا» فَدَلَّتَ عَلَى قِلَّةِ الْقَتْلِ ، وَلَوْ قَلْتَ : «يَجْرِيْنَ» لَكَانَ
أَكْثَرُ لَانْصِبَابِ الدَّمِ ، وَفَخَرَتَ بَنِي وَلَدَنَ ، وَلَمْ تَفْخَرْ بَنِي وَلَدَكَ .
فَقَامَ حَسَانٌ مُنْكَسِرًا مُنْقَطِعًا !

(١) العَلَمُ : الجَبَلُ (٢) شَتَا الْفَوْمُ : أَجْدَبُوا فِي الشَّتَاءِ (٣) أَبُو بَصِيرٌ : كَنْيَةُ الْأَعْشَى .

* ٦ - عند كسرى

خرج أبو سفيان في جماعةٍ من قريش ، يريدون العراق بتجارة ؛ فلما ساروا ثلاثةً جعهم أبو سفيان ؛ فقال لهم : إنَّا من مسيرةنا هذا على خطٍّ ؛ فقد قدمنا على ملك جبار ، لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا ممتَّجراً ، ولكن أئْكِم يذهبُ بالعِير ، فان أصيَبَ فتحنُّ بِرَآءَ من دمه ، وإن غَيْمَ فله نصفُ الريح .
قال غيلان^(١) بن سلمة : دعوني إذن فأنا لها .

فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كَسْرَى تَحْلِقَ^(٢) وَلَبِسَ شَوَّيْنَ أَصْفَرَيْنَ، وَشَهْرَ أَمْرَهَ، وَجَلَسَ بِيَابَ كَسْرَى حَتَّى أُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ التَّرْحُمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لِكَ الْمَلَكُ : مَا أَدْخَلَكَ بِلَادِي بِغَيْرِ إِذْنِي ؟

قال : قل له : لستُ من أهل عداوةٍ لكَ ، ولا أنتِكَ جاسوساً لِضَدِّي من أَضْدَادِكَ ؛ وإنما جئتُ بتجارةٍ تَسْتَمْتَعُ بِهَا ؛ فَإِنْ أَرْدَتَهَا فِيَّ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تُرْدِهَا ، وَأَذِنْتَ فِي بَيْعِهَا لِرَعْيَتِكَ بِعُثْمَانَ ؛ وَإِنْ لَمْ تَأْذِنْ فِي ذَلِكَ رَدَدَتِهَا ؛ وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ ، فَإِذَا سَمِعَ صَوْتَ كَسْرَى سَجَدَ .
قال لِهِ التَّرْحُمَانُ : يَقُولُ لِكَ الْمَلَكُ : لَمْ سَجَدْتَ ؟
قال : سَمِعْتُ صَوْتاً عَالِيًّا ، حِيثُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْلَمَ صَوْتَهُ إِجْلالاً لِلْمَلَكِ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقْدِمْ عَلَى رفع الصَّوْتِ هَنَاكَ غَيْرُ الْمَلَكِ ؛ فَسَجَدْتُ إِعْظَامَاهُ .
فَاسْتَحْسَنَ كَسْرَى مَا فَعَلَ ؛ وَأَمْرَ لَهُ بِرِّفَقَةٍ^(٣) تَوْضِعُ تَحْتَهُ .
فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا

* بلوغ الأربع ص ٣٢٠ ج ١ ، العقد ص ١٧٥ ج ١

(١) غيلان بن سلمة الثقفي شريف شاعر جاهلي ، كانت له ثلاثة أيام : يوم يحكم فيه بين الناس ، ويوم ينشر فيه شعره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله وأسلم بعد فتح العائوف . (٢) تخلق : تعطيب . (٣) المرفقة : الخدمة .

رأى عليها صورةَ الملك ؛ فوضعها على رأسه ؛ فاستجهله كسرى واستحمقه . وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها . قال : قد علمتُ ، ولكنني لما أتيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ الملك ، فلم يكن حقّ صورته على مثلّي أنْ يجلسَ عليها ! ولكن كان حُقُّها التعظيم ؛ فوضعتها على رأسى ؛ لأنّه أشرفُ أعضائِي وأكرمُها علىَ ! فاستحسنَ فعله ، ثم قال له : الملك ولد ؟ قال : نعم ! قال : فَإِنَّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الصغير حتى يَكُبرَ ، والمريض حتى يَمْرُأَ ، والغائب حتى يَوْبَ . فقال كسرى : زِهْ ! ما أدْخَلَكَ علىَ ؟ ودلَّكَ علىَ هذا القول والفعل إلا حظُّكَ ! فهذا فعلُ الحكماءِ وكلامُهم ، وأنت من قومِ جُفاة لا حِكمة فيهم ؛ فما غذاؤك ؟ قال : خبز البر . قال : هذا العقل من البر لا من اللين والتمر .

ثم اشتري منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكساه ، وبعث معه من الفرس مَنْ بَنَى له أطْمَانًا^(١) بالطائف ، فكان أول أطمٍ بنيَّ بها .

(١) الأطم : القصر وجده آطام .

* ٧ - عند النجاشي

قال عمرو^(١) بن العاص :

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسعون مبني ، قلت لهم : تعلمون - والله - أني أرى محمدآ يعلو الأمور علوًّا منكرآ، وإنى لقد رأيت أمراً فاترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فإن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا لرأي ! قلت : فاجعوا لنا ما شهدي له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم .

فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنهه إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر^(٢) وأصحابه ، قال : فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال : قلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمرى لو قد دخلت على النجاشي فسألته إيه فأعطانيه ، فضررت عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأى قريش أني قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كاً كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم أيها الملك؛ قد أهديت إليك أدماً كثيراً ؛ ثم قربته إليه ، فأعجبه واسهابه ، ثم قلت له : أيها الملك؛ إنى قد رأيت رجالاً خرج

* الروض الأنف ص ٢١١ ج ٢ (١) هو عمرو بن العاص بن وائل أحد دهاء العرب وفصحائهم وساستهم وفاتح مصر على عهد عمر بن الخطاب . توفي سنة ٤٣ هـ (٢) هو جعفر بن أبي طالب ، وكان قد هاجر إلى الحبشة .

من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فاعطانيه لاقته ؛ فإنه قد أصاب من أشرافنا
وخيارنا .

قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو
انشقَّتْ لِي الأرض لدخلتُ فيها فرقاً منه ! ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت
أنك تكره هذا ما سأتكه . قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه
الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ليقتله ؟ قلت : أيها الملك ؟ أ كذلك هو ؟
قال : ويحلك يا عمرو ! أطعني واتبعه ؛ فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على مَنْ
خلفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجندوه .

قال : قات : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على
الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وقد حال رأي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي
إسلامي . ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيمت خالد بن
الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال :
والله لقد استقام العيسى ، وإن الرجل لنبي ؛ اذهب والله فأسلم فحقى متى ؟ قلت :
والله ماجئت إلا للإسلام .

قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد
فأسلم وبائع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم
من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بائع ،
فإن الإسلام يحب ما كان قبله ، وإن الهجرة تحب ما كان ، فبايعته ثم
انصرفت !

٨ — رسول الله في سوق عكاظ*

روى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه ، قالوا :
 أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن بسوق عكاظ^(١) ، فقال : مَن
 القوم ؟ قلنا : من بنى عامر بن صعصعة ! قال من أى بنى عامر ؟ قلنا : بنو كعب بن
 ربيعة . قال : كَيْفَ الْمَنْعَةُ فِيهِمْ ؟ قلنا : لا يُرَأِمُ مَا قَبْلَنَا ، ولا يُصْطَلِّي بَنَارَنَا ! فقال :
 إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ أَتَيْتُكُمْ تَمْنُوعَنِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، وَلَمْ أُكْرِهْ أَحَدًا مِنْكُمْ
 عَلَى شَيْءٍ ؟ قالوا : وَمَنْ أَى قَرِيشٌ أَنْتَ ؟ قال : مَنْ بَنَى عَبْدَ الْمَطْلَبِ ! قالوا : فَأَيْنَ
 أَنْتَ مِنْ بَنَى عَبْدَ مَنَافِ ؟ قال : هُمُ الْأُولُ مِنْ كَذَنِي وَطَرَدَنِي ! قالوا : وَلَكُنَا
 لَا نَطْرُدُكَ وَلَا نَؤْمِنُ بَكَ ، وَلَا نَمْنَعُكَ أَنْ يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّكَ .

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ وَالْقَوْمُ يَتْسُوَّقُونَ^(٢) إِذْ أَتَاهُمْ بُجْرَةً بْنَ قَيْسَ الْقُشَيْرِيَّ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا
 الَّذِي أَرَاهُ عَنْكُمْ أَنْكَرَهُ ؟ قَالُوا : هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْشَى . قَالَ : وَمَا لَكُمْ وَلَهُ ؟
 قَالُوا : زَعْمُنَا أَنَّهُ رَسُولَ اللَّهِ وَيَطَّلِبُ إِلَيْنَا أَنْ نَمْنَعَهُ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ . قَالَ :
 فَبِمَاذَا رَدَدْتُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالُوا : قَلَّنَا فِي الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، نَخْرُجُ إِلَى بَلَادِنَا ، وَنَمْنَعُكَ
 مَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا . قَالَ بُجْرَةُ : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السَّوقِ يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشَرَّ مِنْ
 شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ ؟ بِدَائِمِ تَنَابِذَكُمُ النَّاسُ ، وَتَرْمِيكُمُ الْعَرَبَ عَنْ قَوْسِ وَاحِدَةٍ ؛ قَوْمُهُ
 أَعْلَمُ بِهِ ، لَوْ آتَوْنَاهُ خَيْرًا لَكُلُّهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ ، تَعَمَّدُونَ إِلَى مَرَهَقٍ^(٣) قَدْ طَرَدْتُهُ

* أسواق العرب ص ٢١٧ (١) كانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وكان يجتمع بها أكثراً شراف العرب للتجارة ، ومفادة الأسرى ، والتعكيم في الحصومات والفالحة والمنافرة بالشعر والخطب (٢) تسوق القوم : إذا باعوا واشتروا (٣) قلان مرهق : أي منهم بسوه وسفه .

قومه وَكَذَّبُوهُ ، فَتَوْنَهُ وَتَنْصُرُونَهُ ! فَبَئْسَ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُمْ !

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ : قَمْ ؛ إِلَحْقْ بِقَوْمِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ عِنْدَ قَوْمٍ
لَفَسَرْبَتْ عَنْقَكَ ! قَامَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى نَاقْتَهُ فَرَكَبَهَا ، فَغَمَرَهَا بُحْرَةُ^(١) فَقَمَّصَتْ بِرَسُولِ
اللَّهِ فَأَلْقَتْهُ ؛ وَعِنْدَ بْنِ عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ ضَبْيَاعَةُ بَنْتُ عَامِرٍ بْنَ قُرْطَ ، وَكَانَتْ مِنَ النَّسَوَةِ
اللَّاتِي أَسْلَمْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بَعْكَةً ، جَاءَتْ زَائِرَةٌ إِلَى بْنِ عَمْهَا قَالَتْ : يَا آَلَ عَامِرٍ ؟
أَيُّصْنَعُ هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ لَا يَنْعَنُهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ! قَامَ ثَلَاثَةٌ نَفْرٌ مِنْ بْنِ عَمْهَا
إِلَى بُحْرَةَ وَثَلَاثَةَ أَعْانِيهِ ، فَأَخْذَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَجَعَلَهُ^(٢) بِهِ الْأَرْضَ ، ثُمَّ
جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى هَؤُلَاءِ وَالْعَنْ هَؤُلَاءِ .

فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ رَجَعَتْ بَنْتُ عَامِرٍ إِلَى شَيْخِهِ لَهُمْ ، فَقَدْ كَانَ أَدْرَكَتْهُ السَّنُّ حَتَّى
لَا يَقْدِرُ أَنْ يَوْافِيَ مَعْهُمُ الْمَوْسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ
الْمَوْسِمِ ؛ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ سَأَلُوكُمْ عَنْ كَانَ فِي الْمَوْسِمِ ، فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتِي مِنْ قُرْيَشٍ ،
ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّهُ أَحَدُ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّابِ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيًّا يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَنْعَنُهُ وَنَقُومَ مَعَهُ ،
وَنَخْرُجَ بِهِ مَعْنَا إِلَى بَلَادِنَا ! فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بْنَيَ عَامِرٍ ! هَلْ
لَهَا مِنْ تَلَافٍ ؟ هَلْ لَذِنَابَاهَا^(٣) تَطَّلَّبَ ؟ فَوَاللَّهِ نَفْسُ فَلَانَ بِيَدِهِ مَا تَقُولُهَا إِيمَاعِيلٌ
قَطْ ؛ أَلَا إِنَّهَا الْحَقُّ ، فَأَيْنَ كَانَ رَأَيْكُمْ ؟

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ صَفَحةُ ٢٣٢ مِنَ الْجَزْءِ الثَّانِي بِحَرَةَ بْنَ فَرَاسِ (٢) جَلَدَ بِهِ الْأَرْضَ
خَرِبَهَا (٣) أَصْلُ الذَّنَابِيِّ : الذَّنَبُ .

الكرم طروب*

قدم عبد الله بن جعفر^(١) على معاوية بالشام ، فأنزله في دار عياله ، وأظهر من إكرامه ما يستحقه ؛ ففاظ ذلك زوج معاوية ثم سمعت ذات ليلة غناً عند عبدالله ابن جعفر ؛ فجاءت إلى معاوية ، وقالت له^{هـ} فاسمع ما في منزل الذي جعلته من حملك ودمك ، وأنزلته بين حرمك !

فجاء معاوية ؛ فسمع شيئاً حركه وأطربه ؛ فقال : والله إنني لأسمع شيئاً تقاد الجبال تخر^(٢) له ! ثم انصرف .

فألا كأن في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، وهو قائم يصلي ، فنبه زوجه ، وقال لها : اسمعى مكان ما أسمعتنى ! هؤلاء قومى ملوك^{هـ} بالنها ، ورعبان^{هـ} بالليل !

ثم إن معاوية أرق ذات ليلة ، فقال خادمه : اذهب فانظر منْ عند عبد الله ابن جعفر وأخبره أنى قادم عليه .

فذهب وأخبره ؛ فأقام عبد الله كلَّ من كان عنده ؛ فلما جاء معاوية لم يرَ في المجلس غير عبدالله ؛ فقال : مجلس منْ هذا ؟ قال عبدالله : هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : مُرِّه فليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد قال : مجلس منْ هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين ! قال :

* المستطرف من ١٤٩ ج ٢ ، العقد الغريب من ٤٩ ج ٢

(١) هو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريماً جوداً يحب البذل ويرتاح للعطاء ، وغسله إلى سماع الغناء ، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة وتوفي سنة ٩٠ هـ (٢) تخر : تسجد .

إن أذن عليلة؛ فمُرْهَ أَن يرجعَ إِلَى مَجَاسِهِ، وَكَانَ مَجَلسُ بُدَيْحِ الْمَفْنِي، فَأَمْرَهُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ، فَرَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: دَوِ أَذْنِي مِنْ عَلَّهَا،
فَتَنَاهُ الْمَوْدُ وَغَنِيَ، وَقَالَ:

وَدَعْ هُرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَجَلُ^(١) وَهُلْ تَطْيِقُ وَدَاعًا أَيْمَانَ الرَّجُلِ^(٢)
فَحَرَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: لَمَّا حَرَكْتَ رَأْسَكَ يَا بْنَ
جَعْفَر؟ قَالَ: أَرِيحَيْهِ أَجْدَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ لَقِيْتُ عَنْهَا لَأُبْلِيْتُ، وَلَوْ سَئَلْتُ
لَأُعْطِيْتُ.

وَكَانَ مَعَاوِيَةَ قَدْ خَضَبَ؛ فَقَالَ ابْنَ جَعْفَرَ لِبُدَيْحِ: غَنِّ غَيْرَ هَذَا - وَكَانَ مَعَاوِيَةَ
جَارِيَةً أَعْزَّ جَوَارِيَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ تَتَوَلِّ خَضَابَهُ - فَغَنَّ بُدَيْحَ وَقَالَ:
أَلِيْسَ عَنْكَ شَكْرٌ لِتَّى جَعَلْتَ^(٣) مَا بَيْضٌ مِنْ قَادِمَاتِ^(٤) الرَّأْسِ كَالْحُمَّ
وَجَدَدَتْ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَخْلَقَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ وَطُولُ الدَّهْرِ وَالْقِدْمِ
فَطَرَبَ مَعَاوِيَةَ طَرَبًا شَدِيدًا، وَجَعَلَ يَحْرُكُ رِجْلَهُ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرَ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنْ تَحْرِيكِ رَأْسِي فَأَجْبَيْتَكَ وَأَخْبَرْتَكَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ
عَنْ تَحْرِيكِ رِجْلَكَ؟ فَقَالَ: كُلَّ كَرِيمٍ طَرُوبٍ.

ثُمَّ قَامَ، وَقَالَ: لَا يَبْرُحُ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ لَهُ إِذْنِي، ثُمَّ ذَهَبَ فَبَعْثَتِ إِلَيْهِ
ابْنُ جَعْفَرَ بِعِشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَمِائَةِ ثُوبٍ مِنْ خَاصَّةِ كُسوَتِهِ، وَالِّي كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
بِآلَافِ دِينَارٍ، وَعِشْرَةِ أَلْوَابٍ.

(١) هُرِيرَةُ اسْمُ قَبْنَةٍ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عُمَرٍ وَبْنِ مُرْنَدٍ أَهْدَاهَا إِلَى قَرْبِهِ؛ وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيْدَةِ

لَأَعْشَى قَيْسٍ (٢) أَصْلُ الْقَوَادِمِ: أَرْبَعَ رِيشَاتٍ فِي مَقْدَمِ الْجَنَاحِ وَالْوَاحِدَةِ قَادِمَةٌ، وَبِرِيدٍ مَقْدَمَ الشَّعْرِ

(٣) الْحُمَّ: الْفَحْمُ.

* ١٠ - الأعراب في جهدهم وضنك عيشهم

قال زياد لغيلان بن خرشة : أحب أن تحدّثني عن العرب وجهدها ، وضنك عيشها ؛ لمحمد الله على النعمة التي أصبهنا بها ؛ فقال غيلان : حدّثني عمي قال : توالت على العرب سنونَ تسعَ في الجاهلية حَطَمَتْ كل شيء ، فخرجتُ على بَكْرٍ لى في العرب ؛ فمكثت سبعةً لا أطعم إلما ينال منه بعيري ، أو من حشرات الأرض ؛ فشدّدت على بطني حجراً من الجوع ، حتى دفتُ في اليوم السابع إلى حِوَاء^(١) عظيم ؛ فإذا بيت جُحُشَ^(٢) عن الحى ؛ فمِلْتُ إليه ، فخرجت إلى امرأة طُولَة حُسَانَة^(٣) ؛ فقالت : من ؟ قلت : طارق ليل ، يتَمَسُ القرى ! قالت : لو كان عندنا شيء لأتَرَ ناك به ، والدال^٤ على الخير كفاعله ؛ حِسَنَة^(٤) هذه البيوت ، ثم انظر إلى أعظمها فإن يك في شيء منها خيرٌ فقيمه .

ففعلت حتى دفتُ إليه ، فرَحِبَ بي صاحبه ، وقال : من ؟ قلت : طارق ليل ، يتَمَسُ القرى . فقال : يا فلان ؛ فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال : لا ؛ فوالله ما وقرَ^(٥) في أذني شيء كان أشدَّ علىَ منه .

قال : فهل عندك شراب ؟ قال : لا . ثم تأوه ، فقال : قد بقينا في ضرع الفلانة^(٦) شيئاً لطارق إن طرَق ، قال : فأتَ به . فأتَى العطَنَ^(٧) فابتَعَثَها ، فما

* المحسن والساوى من ٩٩ ج ٢ طبعة ليزوج ، عيون الاختيار ص ٢٤٤ ج ٣

(١) الحواء : جماعة البيوت المتدانية (٢) جُحُش : نحي وأبعد عن البيوت (٣) حسانة : حسانة

(٤) حس : تعرف أحواهها (٥) وقر : نقل (٦) الفلانة والفلان بالتعريف : كناية عن غير الآدميين

(٧) العطَن : مناخ الأبل حول وردها .

سمعت شيئاً قطْ كأن أشد من سُخْبٍ تِيمٍ الناقَةِ في تلك العُلبةِ؛ حتى إذا
ملاها، وفاقتْ من جوانبها، وارتفعتْ عليها رَغْوةٌ كجُمَّةُ الشِّيخِ، أقبلَ بها
يَهْوَى نحوِي، فعثَرَ بعودٍ أو حجرٍ، فسقطَتِ العُلبةُ من يدهِ؛ فما أصْبَتْ بمحضِيَّةِ أفعُّ
لَقَبِيِّ، ولا أعظمَ موقعاً عندي من انكفاءِ تلك العُلبةِ على مثل الحالِ التي كنتُ فيها.

فَلَمَّا رأَى ذَلِكَ رَبُّ الْبَيْتِ خَرَجَ شَاهِراً سِيفَهُ؛ فَبَعْثَتِ الْإِبْلَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى
أَعْظَمِهَا سَنَامًا، وَدَفَعَ إِلَيْهِ مُدْيَةً، وَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اصْطَلِّ واحْتَمِلِ.

فَجَعَلَتِ أَهْوَى بِالْبَضْعَةِ^(١) إِلَى النَّارِ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِنَاهَا^(٢) أَكْلَتُهَا، ثُمَّ مَسَحَتْ
مَافِي يَدِي مِنْ إِهَالِتِهَا^(٣) عَلَى جَلَدِي، وَقَدْ كَانَ قَحْلَ^(٤) عَلَى عَظْمِيِّ، حَتَّى كَانَهُ
شَنَّ^(٥)، ثُمَّ شَرَبَتُ شَرَبَةً مَاءً، وَخَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَىَّ، فَأَفَقْتُ إِلَى السَّعْرَ.

وَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: لَا عَلَيْكَ أَلَا تَخْبِرُنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا؛ فَمَنْ

الْمَنْزُولُ بِهِ؟ قَالَتْ: عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ.

(١) البَضْعَةُ: الْفَطْمَةُ مِنَ الْلَّحْمِ (٢) بَلَغَ إِنَاهَ: نَضَجَ، وَادْرَا كَهْ (٣) الْاهَالَةُ: الشَّحْمُ أَوْ أَذْيَبُ
مِنَ الشَّحْمِ (٤) قَحْلٌ: بَيْسٌ (٥) الشَّنُّ: الْفَرِيَّةُ الْخَلْقُ الصَّغِيرَةُ.

* ١١ - حفل غناء

خرجت جميلة^(١) حاجَةً؛ فخرج معها من الرجال المغنيين، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة، وحَجَّ معها من القيَانِ مُشَيَّعَاتٍ لها ومعظَماتٍ لِقَدْرِهَا واحِقَّهَا خمسون قِيَنةً، وَجَهَّ بَهُنَّ مَوَالِيهِنَّ مَعْهَا؛ وَأَعْطَوْهُنَّ النَّفَقَاتِ وَحَمَلوْهُنَّ عَلَى الإِبَلِ فِي الْمَوَادِجِ وَالْقِبَابِ وَغَيْرِ ذَلِكِ؛ فَأَبْتَ جَمِيلَةً أَنْ تُنْفِقَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ درهماً فَمَا فَوْقَهُ حَتَّى رَجَعَنَّ. وَتَخَاهَرَ مِنْ خَرْجِهَا فِي الْمَخَادِ أَنْوَاعُ الْلَّابَسِ الْمُجِيبُ الظَّرِيفُ وَالْمَوَادِجُ وَالْقِبَابُ؛ فَلَمْ يَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مُثِلَّ ذَلِكَ الْجَمْعِ سَفَرًا طَيِّبًا؛ وَحُسْنَا وَمَلَحةً.

وَلَمَّا قَارَبُوا مَكَةَ تَلَقَّاهُمْ سَعِيدُ بْنُ مِسْبَحٍ وَابْنُ سُرَيْجٍ وَالْعَرِيْضُ وَابْنُ مُحْرِزٍ وَالْهُذَلِيُّونَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَنِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَةَ وَقِيَانَ كَثِيرٍ، وَمِنْ غَيْرِ الْمَغَنِينَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْرُومِيُّ وَالْعَرْجَى وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُشْرَافِ فَدَخَلَتْ جَمِيلَةُ مَكَةَ وَمَا بِالْحِجَازِ مُغَنٌ حَادِقٌ وَلَا مَغْنِيَةٌ إِلَّا وَهُوَ مَعَهَا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُشْرَافِ مِنْ سَمِينَا وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَخَرَجَ أَبْنَاءُ أَهْلِ مَكَةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَنْظَرُونَ إِلَى جَمِيلَةِ حَجَّهَا وَحْسُنِ هِيَئَتِهِمْ.

فَلَمَّا قَضَتْ حِجَّهَا سَأَلَتْهَا الْمَكِيُّونَ أَنْ تَجْعَلْ لَهُمْ مَجْلِسًا. قَوْلَتْ : لِلْغَنَاءِ أَمْ لِالْحَدِيثِ؟ قَالُوا : لِهُمَا جَيِّعًا. قَوْلَتْ : مَا كُنْتِ لِأَخْلِطَ حِدَّاً بِهِرْزِلْ، وَأَبْتَ أَنْ تَجْلِسَ لِلْغَنَاءِ! فَقَالَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ : أَقْسَمْتُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ لِاسْمَاعِ

* أغاني ص ٢٠٩ ج ٨ ، ونهاية الأرب ص ٤٣ ج ٥

(١) هي جميلة مولادة بني سليم ، كانت أصلًا من أصول الغناء ، وعندها أخذ عبد وابن عائشة وجابة وسلامة وغيرهم من المغنيين والمغنيات توفيت سنة ١٢٥ هـ تقريبًا .

غناهـا إلـا خـرج مـعها إلـى المـديـنة فـإنـي خـارـج ، فـعـزـم الـقـوم كـلـهـم عـلـى الخـروـج ؛
فـخـرـجـت فـي جـمـعـ أـكـثـرـ من جـمـعـها بـالـمـديـنة .

فـلـما قـدـمـتـ المـديـنة تـلـقـاهـاـ أـهـلـهـاـ وـأـشـرـافـهـمـ منـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ ، فـدـخـلتـ بـأـحـسـنـ
مـاـ خـرـجـتـ مـنـهـ ، وـخـرـجـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ مـنـ بـيـوـتـهـمـ فـوـقـواـ عـلـىـ أـبـوـابـ دـورـهـمـ
يـنـظـرـونـ إـلـىـ جـمـعـهـاـ وـإـلـىـ الـقـادـمـينـ مـعـهـاـ . فـلـما دـخـلتـ مـنـزـلـهـاـ وـتـفـرـقـ أـسـجـعـ إـلـىـ مـنـازـلـهـمـ ،
وـنـزـلـ أـهـلـ مـكـةـ عـلـىـ أـقـارـبـهـمـ وـإـخـوـانـهـمـ أـنـاـهـاـ النـاسـ مـسـلـمـينـ ، وـمـاـ أـسـتـنـكـفـ مـنـ
ذـلـكـ كـبـيرـ وـلـاـ صـنـيـرـ .

فـلـما مـضـىـ لـمـقـدـمـهـاـ عـشـرـ أـيـامـ جـلـسـتـ لـغـنـاءـ ؛ فـقـاتـ لـعـمـرـ بـنـ أـبـيـ رـبـعـةـ : إـنـي
جـانـسـةـ لـكـ وـلـأـصـحـابـكـ ، وـإـذـاـ شـتـتـ فـعـدـ النـاسـ لـذـلـكـ الـيـوـمـ ؛ فـغـصـتـ الدـارـ
بـالـأـشـرـافـ مـنـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ ، فـابـتـدـأـتـ جـمـيـلـةـ فـغـتـ صـوتـاـ يـشـعـ عـرـ(١) :

هـيـهـاتـ مـنـ أـمـةـ الـوـهـابـ مـنـزـلـنـاـ
إـذـاـ حـلـلـنـاـ سـيفـ(٢) الـبـحـرـ مـنـ عـدـنـ
وـأـحـتـلـ أـهـلـكـ أـجـيـادـ(٣) وـلـيـسـ لـنـاـ
إـلـاـ التـذـكـرـ أـوـ حـظـ مـنـ الـعـزـنـ
لـوـأـهـاـ أـبـصـرـتـ بـالـجـزـعـ عـبـرـتـهـ
مـنـ أـنـ تـقـرـدـ قـمـرـيـ عـلـىـ فـنـنـ
إـذـنـ رـأـتـ غـيـرـ مـاـ ظـنـنـتـ بـصـاحـبـهاـ
مـاـأـنـسـ لـأـنـسـ يـوـمـ الـخـيـفـ(٤) مـوـقـفـهـاـ
وـمـوـقـفـيـ وـكـلـاـنـاـ مـمـ ذـوـ شـجـنـ
وـقـوـلـهـاـ لـلـثـرـيـاـ وـهـيـ بـاـكـيـةـ

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر في أبي أن يقول منه ، فأعطاه ألف دينار
على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بفتح وأبيين مخافة أن يربجه مقامه بمكة على
قول الشعر ، فطرأ يوماً فقال هذا الشعر (٢) سيف البحر : ساحله (٣) أجياد : موضع
بمكة (٤) لحج : مختلف باليمن (٥) الخيف : موضع بني (٦) ذوسن : ذو طرائق .

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ : مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ ؟
 إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ نَعَمْتَ بِهَا فَمَا أَصْبَتَ بِتَرْكِ الْحَجَّ مِنْ شَعْنِ
 فَكَلَّاهُمْ أَسْتَحْسَنَ الْغِنَاءَ وَضَجَّ الْقَوْمُ مِنْ حُسْنٍ مَا سَمِعُوا . وَدَمِعَتْ عَيْنُ عَمْرٍ
 حَتَّى جَرَى الدَّمْعُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَحِيَتِهِ : شِمْ أَفْبَلَتْ عَلَى أَبْنَ سُرَيْجٍ فَقَاتَ : هَاتِ
 فَانْدَفَعَ يُغَنِّي وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِشِعْرِ عَمْرٍ :

أَلَيْسَتْ بِالْتِي قَاتَ لَوْلَاهُ لَهَا ظُهُورًا
 أَشَيْرِي بِالسَّلَامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحْوَنَا نَظَرًا
 وَقَوْلِي فِي مُلَاطْفَةٍ ازِينَبَ نَوَّلَ عُمَرًا
 وَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَقْدَ خَبَرَنِي الْحَبَرَا

فُسِّمِعَ مِنْ أَبْنَ سُرَيْجٍ فِي هَذَا الْلَّهَعْنُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُقَالُ إِنَّهُ مَا سُمِعَ مِثْلُهُ .
 شِمْ قَاتَ لِسَعِيدِ بْنِ مِسْبَحٍ : هَاتِ يَا أَبَا عَمَانَ ، فَانْدَفَعَ فَغَنَّى :

قَدْ قُلْتُ قَبْلَ الْبَيْنِ لَمَّا حَشِيدْتُهُ لِتُعَقِّبَ وَدَدًا أَوْ لَتَعْلَمَ مَا عَنِّي
 لَكَ الْخَيْرُ هَلْ مِنْ مَصْدِرٍ تَصْدِرِيْنَهُ (١) يُرِيجُ كَا سَهَلْتِ لِي سُبْلَ الْوَرَدِ
 فَلَمَا شَكَوْتُ الْحَبَّ صَدَّتْ كَائِنَا شَكَوْتُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى حَجَرٍ صَلَدِ
 فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهُ وَبَرَعَ فِيهِ . شِمْ قَاتَ : يَا مَعْبُدَ هَاتِ ؛ فَغَنَّى :

أَحَارِبُ مَنْ حَارَبَتْ مِنْ ذِي عَدَاوَةِ وَأَحْبَسُ مَالِي إِنْ غَرِّمْتَ فَأَعْقِلُ (٢)
 وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَبِيدِ لَمْ أَحْلُ إِنَّ أَبْزَاكَ (٣) خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مِنْزِلُ

(١) يُقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره (٢) يزيد فأعقل عنه ، وعقل عنه : اذا غرم ما زمه
 من دبة (٣) لم أحلى : لم أنغير ، أبزاك خصم : قهرك ، والشعر لمن بن أوس وهو شاعر فحل
 من مخضري الجاهلية والاسلام .

ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك فانظر أى كفت تبدل
قالت جميلة: أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء.

ثم قالت: هاتِ يابنَ محْرِزْ؟ فاني لم أؤخرك لخساستِ بك؛ ولا جهلاً بالذى
يجبُ في الصناعة؛ ولكننى رأيتُك تحبُّ من الأمور كلها أوسطها وأعدلها،
فجعلتك حيث تحبُّ واسطةَ بين المكيين والمدنيين. فغنى.

ثم قالت للغريض: هات؛ فاندفع يغنى بـشـعـر عـمـرو بن شـأسـ الأـبـيات وـفـ.

آخرها:

فواندمى على الشباب ووأندَمْ نديمتُ وبان اليوم مى بغير ذمْ
وإذ إخوتي حَوْلَى وإذ أنا شائخُ وإذ لا أجيِبُ العاذِلاتِ من الصممْ
أرادت عَرَارًا^(١) بالهوان ومن يُرِدْ عَرَارًا لعمرِي بالهوانِ فقد ظلمَ

قالت جميلة: أَحْسَنَ عَمْرُ وبن شـأسـ ولم تحسن؛ إذ أفسدتَ غنايـكـ بالـغـريـضـ؛
والله ما وضـعـناـكـ إلا موضـعـكـ ولا نقصـنـاـ منـ حـظـكـ ! فـبـاـ ذـاـ أـهـنـاكـ !

ثم أقبلت على الجماعة فقالت: ياهؤلاء، اصدقوا وعرقوه نفسَه ليقنع بـمـكانـهـ؛
فأقبل القوم عليه، وقالوا له: قد أخطأتَ إن كنتَ عَرَضْتْ. فقال: قد كان ذلك
ولستُ بـعـائـدـ . وقام إلى جميلة فقبلَ طرفَ ثوبـهاـ واعتذر، فقبلتْ عذرـهـ ،
وقالت له: لا تَعْدُ .

ثم أقبلت على أـبـنـ عـائـشـةـ فقالـتـ: يا أـبـاـ جـعـفـرـ هـاتـ ؟ فـتـغـنـيـ بـشـعـرـ النـابـغـةـ
الـذـىـ فـيـهـ :

(١) هو عـارـ بنـ عـمـروـ بنـ شـأسـ وهوـ منـ أـمـةـ لـعـمـروـ سـودـاءـ ، وـكـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ زـوـجـ أـيـهـ زـرـاعـ.
وـخـصـامـ ، فـقـدـ كـانـ تـؤـذـهـ وـتـهـيـرـهـ وـتـشـتـهـ ، وـحاـوـلـ عـمـروـ أـنـ يـصلـحـ مـاـيـنـهـماـ فـلـمـ يـفـلـحـ فـطـلـقـهـاـ .

سقى العيـثُ قـبرـاـينـ بـصـرـىـ (١) وجـاسـمـ عـلـيـهـ مـنـ الـوـسـمـيـ جـوـدـ وـوـابـ
قالـتـ جـمـيلـةـ : حـسـنـ مـاـ قـاتـ يـاـ أـبـاـ جـعـفـرـ . شـمـ أـقـبـلـتـ عـلـىـ نـافـعـ وـبـدـيـحـ فـقـالتـ :
أـحـبـ أـنـ تـغـنـيـاـنـ صـوـتاـ وـاحـدـاـ فـغـنـيـاـ جـمـيـعـاـ بـصـوـتـ وـاحـدـ وـلـحنـ وـاحـدـ :

أـلـاـ يـاـ مـنـ يـلـومـ عـلـىـ التـحـابـ أـفـقـ شـيـئـاـ لـتـسـمـعـ مـنـ جـوـابـ
بـكـرـتـ تـلـوـمـىـ فـالـحـبـ جـهـلاـ وـمـاـ فـيـ حـبـ مـثـلـ مـعـابـ
أـلـيـسـ مـنـ السـعـادـ غـيـرـ شـكـ هـوـيـ مـتـواـصـلـيـنـ عـلـىـ اـقـتـرـابـ
كـرـيمـ نـالـ وـدـاـ فـعـافـ وـسـتـرـ مـنـ مـفـعـمـ كـذـابـ (٢)

فـقـالتـ جـمـيلـةـ : هـوـاـكـمـ وـالـهـ وـاحـدـ وـغـنـاـكـاـ وـاحـدـ ، وـأـنـتـاـ تـحـتـمـاـ مـنـ بـقـيـةـ الـكـرـمـ
وـوـاحـدـ الشـرـفـ : عـبـدـ الـلـهـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ .

شـمـ أـقـبـلـتـ عـلـىـ الـهـذـلـيـنـ الـثـلـاثـيـنـ فـقـالتـ : غـنـوـاـ صـوـتاـ وـاحـدـاـ ؛ فـانـدـفـعـوـاـ فـمـنـوـاـ
بـشـعـرـ عـنـتـرـةـ الـعـبـسـيـ (٣) :

حـيـثـتـ مـنـ طـلـلـ تـقـادـمـ عـهـدـهـ أـقـوـىـ وـأـقـرـبـ بـعـدـ أـمـ الـهـيـمـ
كـيـفـ الـمـزـارـ وـقـدـ تـرـبـعـ أـهـلـهـ بـعـنـيـزـ تـيـنـ وـأـهـلـنـاـ بـالـعـيـلـ (٤)
إـنـ كـنـتـ أـزـمـعـتـ الـفـرـاقـ فـإـنـماـ زـمـتـ (٥) رـكـابـكـ بـلـيـلـ مـظـمـ

قـالـتـ : مـاـ رـأـيـتـ شـيـئـاـ أـشـبـهـ بـغـنـائـكـ مـنـ اـتـقـاقـ أـرـواـحـكـ .

شـمـ أـقـبـلـتـ عـلـىـ نـافـعـ بـنـ طـمـبـورـةـ فـقـالتـ : هـاتـ يـاـ نـقـشـ الـغـضـارـ (٦) وـيـاـ حـسـنـ
الـلـسانـ ؛ فـانـدـفـعـ يـغـنـيـ :

(١) بـصـرـىـ وـجـاسـمـ : مـوـضـعـانـ بـالـشـامـ (٢) نـاهـدـةـ الـثـدـىـ (٣) عـنـيـزـ تـيـنـ : مـوـضـعـ . وـالـيـلـ :
مـوـضـعـ فـيـ دـيـارـ بـنـيـ عـبـسـ (٤) زـمـ الـعـبـيرـ : خـطـمـهـ (٥) الـغـضـارـ : الطـيـنـ الـلـازـجـ الـأـخـضرـ وـهـوـ
لـبـ لـهـ .

يَاطُولَ لِيلَى وَبَتْ لَمْ أَقْمَرْ
وِسَادِيَ الْهَمْ بُطِنْ سَقَمْيَ
أَنْ قُمْتُ يَوْمًا عَلَى الْبَلَاطِ^(١) فَأَبَىَ صَرَتْ رَقَاشًا وَلَيْتْ لَمْ أَقْمَرْ
فَقَالَتْ جَمِيلَةُ : حَسْنٌ وَاللَّهُ .

ثُمَّ قَالَتْ : يَامَالِكَ هَاتِ : فَإِنِّي لَمْ أُؤْخِرَكَ لَأَنِّكَ فِي طَبَقَةِ آخِرِهِ ، وَلَكِنِي
أَرَدْتُ أَنْ أَخِيمَ بِكَ يَوْمَنَا تَبَرِّكَ بِكَ ، وَكَيْفَ يَكُونُ أَوْلُ مَجَلَسِنَا كَآخِرِهِ ، وَوَسْطِهِ
كَطَرَفِهِ ، فَإِنِّكَ عَنِّي وَمَعْبُداً لِنِي طَرِيقَةُ وَاحِدَةٍ وَمَذَهَبٍ وَاحِدٍ ، لَا يَدْفَعُ ذَلِكَ
إِلَّا ظَالِمٌ ، وَلَا يَنْكِرُهُ إِلَّا عَاضِلٌ^(٢) ، الْحَقُّ أَقْوَلُ ، فَمَنْ شَاءَ فَلِيَنْكِرْ ؛ فَسَكَتَ الْقَوْمُ
كَلْمَمْ إِقْرَارًا لِمَا قَالَتْ . وَانْدَفَعَ يَغْنِي :

عَدُوُّ مَنْ عَادَتْ وَسَلَمْ لِاسْلَمْهَا	وَمِنْ قَرَبَتْ سَلَمَى أَحَبَّ وَقَرَبَاهَا
هَبِينِي امْرَأً إِمَامًا بِرِيشَةً ظَلَمَتِهِ	وَإِمَامًا مُسِيَّنًا تَابَ بَعْدَ وَأَعْتَبَاهَا
أَقْوَلُ - التَّمَاسَ الْعَذْرَ لِمَّا ظَلَمَتِنِي	وَحَمَلَتِنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا :
إِيمَنْتُكِ إِشْهَادًا لِلْعَدُوِّ بِهِ جَرَنَا	وَقَطَعْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ حَتَّى تَقْضِيَ ^(٣)

قَالَتْ جَمِيلَةُ : لَيْتَ صَوْتَكَ يَامَالِكَ قَدْ دَامَ لَنَا وَدُمنَا لَهُ ! وَقَطَعَتِ الْمَخَاسِ
وَانْصَرَفَ عَامَّةُ النَّاسِ وَبَقِيَ خَواصِهِمْ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي حَضَرَ الْقَوْمُ جَمِيعًا ، فَقَالَتْ لَطُويَّسُ : هَاتِ
يَا أَبَا عَبْدِ النَّعِيمِ ، فَابْتَدَأَ طَوَّيَّسُ فَنَى :

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَعَادَ لِي طَرَبِي منْ حُبَّ حَوْدٍ^(٤) كَرِيمَةُ الْحَسَبِ
غَرَاءً مُثْلِ الْهَلَالِ آنَسَةً أوَّلَ مُثْلِ تِنَالِ صُورَةُ الدَّهَبِ

(١) الْبَلَاطُ : الْأَرْضُ ، وَقِيلَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوَيَّةُ لِلنَّاسِ (٢) الْعَاضِلُ : الْمُنْعِ (٣) تَقْضِيَ : قَطْعُ

(٤) الْحَوْدُ : الْحَسَنَةُ الْخَالِقُ الشَّابِةُ .

صادتْ فؤادي بِجَيْدِ مُغْزَلَةٍ^(١) تَرْعَى رِيَاضًا مُلْتَفِتَةً الْعَشْبِ

فقالت جميلة: حسن والله يا أبا عبد النعم.

ثم قالت للدلال: هات يا أبا يزيد؛ فاندفع فغنى:

قد كنتُ آمِلُ فِيكُمْ أَمْلًا وَالمرءُ لِيْسَ بِمَدْرَكٍ آمِلُهُ

حتى بَدَأْتِي مِنْكُمْ خُلُفٌ فَزَجَرْتُ قَابِي فَارْعَوَى جَهَلُهُ

لِيْسَ الْفَقِيْهُ بِمُخْلَدٍ أَبْدًا حَيَا ، وَلِيْسَ بِفَائِتَ أَجَلُهُ

قالت: حسن والله يا أبا زيد. ثم قالت أهييت: إِنَّا نُجْلِكَ الْيَوْمَ لِكِبِيرٍ
سَنَنَكَ وَرِقَّةٌ عَظِيمَكَ . قال: أجل!

ثم قالت يبرد الفؤاد ونومة الضحى: هاتيا جمِيعاً لَحْنَا وَاحِدَآ فَغَنِيَّا:

إِنِّي تَذَكَّرْتُ فَلَا تَلْحَنِي لَوْلَاهُ مَكْنُونَةٌ تَنْطِقُ

فقالت جميلة: أحسننا.

ثم قالت لفند ورحة وهبة الله: هاتوا جمِيعاً صوتاً وَاحِدَآ فَإِنَّكُمْ مُتَقْتَنُونَ فِي
الأصوات والألحان ، فاندفعوا فغنووا:

أشافتَكَ مِنْ نَحْوِ الْعَقِيقِ بُرُوقُ لَوَامِعٌ تَخْفِي تَارَةً وَتَشُوُقُ

وَمَا لِي لَا أَهُوَى جَوَارِيَ بَرَبِّ وَرُوحِي إِلَى أَرْوَاهِنَ تَتُوقُ

لَهْنَ جَمَالٌ فَاقِعٌ وَمَلَاحَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى دَلَّ النَّسَاءِ يَفْوُقُ

وَكَانَ بَرَّ حَاضِرًا ؛ فَقَالَ: جَوَارِي وَاللهُ عَلَى مَا وَصَّمُ ؛ فَمَنْ شَاءَ أَقْرَ وَمَنْ
شَاءَ أَنْكَرَ . فَقالت جميلة: صَدَقَ . مَغْنَتْ جَمِيلَةٌ بِشِعْرِ الأَعْشَى:

بَانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلَهَا أَنْقَطَاماً وَأَحْتَمَتِ الْغَورَ فَاجْلَدَيْنِ^(٢) فَالْفَرَاعَا

(١) المغزلة: الظبيبة ذات الفزال (٢) الجدان والفرع: موضعان.

واستنكرتني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصلَّام
تقولُ بنتِي وقد فَرَّتْ بُنْتُ مُرْتَحلاً: ياربَ جنْبَ أَبِي الْأَوْصَابَ والوَجَعَماً
وكان شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَعَيْرَه دَهْرٌ مُلْحٌ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمِعَه
فَلَمْ يُسْمَعْ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ أَبْتَداَهَا بِالْأَمْسِ وَخَتَمَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَقَطَعَتْ
الْجَلَسَ؟ فَانْصَرَفَ قَوْمٌ وَأَقَامَ آخَرُونَ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْثَالِثُ اجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضَرَبَتْ سِتَّارَةَ وَأَجْلَسَتِ الْجَوَارِيَّ
كَلْهُنَ فَضَرَبَتْ بَنَّ وَضَرَبَتْ بَنَّ عَلَى خَمْسِينَ وَتَرَّا ، فَتَزَارَلَتِ الدَّارُ ؛ ثُمَّ غَنَّتْ
عَلَى عُودِهَا ، وَهُنَّ يَضْرِبُونَ عَلَى ضُرِبَاهَا بِهَذَا الشِّعْرِ :

فَإِنْ حَمِيتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قَرَّةَ وَإِنْ تَبَدُّلْ يَوْمًا لَمْ يَعْمَلْكَ (١) عَارُهَا
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضَ لَمْ تَرَ غِلْظَةَ وَفِي الْحَسْبِ الْفَخْمِ الرَّفِيعِ نَجَارُهَا
فَمَا رَوْضَهُ بِالْحَرَنِ طَبِيعَةُ الْبَرَى يَمْجُعُ النَّدَى جَنْبَاجَاهَا (٢) وَعَرَازُهَا
بِأَطْلَبِهِ مِنْ فِيهَا إِذَا جَمْتَ طَارِقًا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا
فَدَمَعَتْ أَعْيُنُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ حَتَّى بُلُوا ثِيَابَهُمْ وَتَنفَسُوا الصَّعْدَاءَ ، وَقَالُوا : بِأَنْفُسِنَا
أَنْتِ يَا جَمِيلَةَ ! ثُمَّ قَالَتِ الْجَوَارِيَّ : أَكَفْفَنَ فَكَفْفَنَ ؛ وَقَالَتِ يَا عَزِيزَ غَنِيَّ ؛
فَغَنَّتْ بِشِعْرِ لَعْمَرَ :

تَذَكَّرَتْ هَنْدَآ وَأَعْصَارَهَا (٣) وَلَمْ تَقْعُضْ نَقْسُكَ أَوْطَارَهَا
تَذَكَّرَتِ النَّفْسِ مَا قَدْ مَضَى وَهَاجَتْ عَلَى الْعَيْنِ عُوَّارَهَا (٤)

(١) لَمْ يَعْمَلْكَ : لَمْ يَحْقِكَ (٢) الْجَنْبَاتُ : مِنْ أَحْرَارِ الشَّجَرِ لَهُ زَهْرَةٌ صَفَرَاءُ طَبِيعَةُ ، وَالْعَارَ
نَبْتُ طَبِيعَ الْرِّيحِ وَهُوَ التَّرْجِسُ الْبَرِّيَّ (٣) الْأَعْصَارُ : جَمْعُ عَصْرٍ ، يَرْبِدُ الْأَوْقَاتَ الَّتِي كَانَ يَجْتَمِعُ
عَلَيْهَا فِيهَا (٤) الْعَوَارُ : مَا عَارَ فِي الْعَيْنِ مِنْ الْفَنْدَى وَالرَّمْدَ فَأَوْجَعَهَا .

لِتَمْنَحَ رَامَةَ مِنَ الْهَوَى وَتَرْعَى لِرَامَةَ أُسْرَارَهَا
إِذَا لَمْ نَزِرْهَا حِذَارَ الْعِدَّا حَسَدْنَا عَلَى الزَّوْرِ زُوْرَهَا
فَقَالَتْ جَمِيلَةٌ : يَا عَزَّ ؛ إِنْكِ لِبَاقِيَةٌ عَلَى الدَّهْرِ ، فَهَبِّئْنَا لِكِ حَسْنُ هَذَا الصَّوْتِ
مَعَ جَوَدَةِ هَذَا الْفَنَاءِ .

ثُمَّ قَالَتْ لِحَبَابَةَ وَسَلَامَةَ : هَانِيَا لَحْنًا وَاحِدًا ؛ فَفَنَّتَا :
كَفِ حَرَنَا أَنِيْ أَغَيْبِ وَتَشَهِّدُ وَمَا نَلْتَقِي وَالْقَلْبُ حَرَانُ مُؤْصَدُ
وَمِنْ عَجَبِ أَنِيْ إِذَا الْلَّاْلِلْ جَنَّنَى أَقْوَمُ مِنَ الشَّوْقِ الشَّدِيدِ وَأَعْدَدُ
أَحِنُّ الْيَسْكُمْ مِثْلَ مَا حَنَّ تَأْقِيْ إِلَى الْوَرْدِ عَطْشَانُ الْفَوَادِ مَصْرَدُ^(١)
وَلِيْ كَبِدَ حَرَرَى يَعْذِّبُهَا الْهَوَى وَلِيْ جَسْدُ يَبْلِي وَلَا يَتَجَدَّدُ
فَاسْتُحْسِنْ غَنَاؤُهُمَا .

ثُمَّ أَقْبَاتَ عَلَى خُلِيْدَةِ فَقَاتَتْ لَهَا : بِنْفَسِي أَنْتِ ! غَنِيْ ؛ فَفَنَّتِ :
أَلَا يَامِنْ يَلْوُمُ عَلَى التَّصَابِيِّ
بَكْرَتْ تَلْمُونِي فِي الْحَبِّ جَهَلًا
أَلِيسْ مِنَ السَّعَادَةِ غَيْرَ شَكِّ
كَرِيمُ نَالَ وُدًّا فِي عَفَافِ وَسْتَرِ مِنْ مُنْعَمَةِ كَعَابِ
فَاسْتُحْسِنْ مِنْهَا مَاغَنَتْ . ثُمَّ قَالَتْ لِعَقِيْلَةَ وَالشَّمَاسِيَّةِ : هَاتِيَا فَنَّتَا :
هَجَرَتِ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ مَا جَهَرَمْ
أَطْعَتِ الْوَشَاهَ الْكَاشِحِينَ وَمِنْ يُطْعَمْ

(١) التصرير. سفي دون الرى.

ثم قالت لفروعه وبلبلة ولذة العيش : هاتين فتنتين ؛ فاندفع من بصوت واحد :
لعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى بغير سقماً إني إذن لستيم
على دماء البدن إن كان حبها على النأى في طول الزمان يرِيمُ
تلميذ ملامات فينسينت بعدها ويدرك منها العهدُ وهو قديمُ
فأقسمُ ماصافت بعدك خلة^(١) ولا لك عندى في الفؤاد قسمُ
قالت : أحسنت وهو لعمري حسن .

وقالت سعدة والزرقاء غنيماً فغنتا ؛ فاستحسن غناهما .
ثم قالت للجامعة غنو جمِيعاً ؛ فغنوا ، وانقضَّ المجلسُ وعاد كل إنسان إلى
وطنه . فما رأى مجلس ولا جمع أحسن من هذه الأيام الثلاثة !

(١) الخلة . الخليفة .

١٢ — الغناء يحيى القلب *

حدَثَ مِنْ يَفْهَمُ الْغَنَاءَ ، قَالَ :

بَاعْنَى أَنْ جَيْلَةَ قَعْدَتْ يَوْمًا عَلَى كَرْسِيِّهَا وَقَالَتْ لَأَذْنَاهَا : لَا تَجْبِي عَنِّي
أَحَدًا الْيَوْمَ ، وَاقْعُدِي بِالْبَابِ ، فَكَلَّ مِنْ يَمْرُ بِالْبَابِ فَاعْرَضِي عَلَيْهِ مَجْلِسِي ؛ فَفَعَلَتْ
ذَلِكَ حَتَّى غَصَّتِ الدَّارُ بِالنَّاسِ ؛ فَقَالَتْ جَيْلَةَ : اصْعَدُوهَا إِلَى الْعَلَالِيِّ^(١) ،
فَصَعَدَتْ جَمَاعَةٌ حَتَّى امْتَلَأَتِ السَّطُوحَ .

فَجَاءَهَا بَعْضُ جَوَارِيهَا فَقَالَتْ لَهَا : يَا سَيِّدِي ، إِنْ تَمَادَى أَمْرُكَ عَلَى مَا أُرِى
لَمْ يَبْقَ فِي دَارِكَ حَائِطٌ إِلَّا سَقَطَ ؛ فَأَظْهَرَى مَا تَرِيدِينَ . قَالَتْ : اجْلِسِي !
فَلَمَّا تَعَالَى النَّهَارُ وَاشْتَدَ الْحَرُّ اسْتَسْقَى النَّاسُ الْمَاءَ فَدَعَتْ لَهُمْ بِالسَّوَيْقِ^(٢) ؛ فَشَرَبُ
هُنَّ أَرَادُ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ وَامْرَأَ دَخَلَ مَنْزِلِي إِلَّا شَرَبَ ؛ فَلَمْ
يَبْقَ فِي سُفْلِ الدَّارِ وَلَا غَلُوْهَا أَحَدٌ إِلَّا شَرَبَ ، وَقَامَ عَلَى رِءُوسِهِمْ الْجَوَارِيِّ بِالْمَنَادِيلِ
وَالْمَرَاؤِحِ الْكَبَارِ ، وَأَمْرَتْ جَوَارَهَا فَقَمَّنَ عَلَى كَرَاسِيِّ صَغَارٍ فِيمَا بَيْنَ كُلِّ عَشْرَةِ
نَفَرٍ جَارِيَةً تَرْوَحَ .

ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي شَيْئًا أَفْزَعَنِي وَأَرْعَبَنِي ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ
مَا سبِبُ ذَلِكَ ، وَقَدْ خَفَتْ أُنْ يَكُونُ قَرْبَ أَجْلِي ، وَلَيْسَ يَنْعَنِي إِلَّا صَالِحٌ عَلَى ،
وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَتَرَكَ الْغَنَاءَ كَرَاهَةً أَنْ يَلْحَقَنِي مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ رَبِّي !

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : وَفَقْكِ اللَّهُ وَبَثَتَ عَزْمَكِ ! وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ لَا حَرَجَ عَلَيْكِ
فِي الْغَنَاءِ . وَقَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ ذُو سَنَّ وَفَتَهُ وَتَجْرِيَهُ : قَدْ تَكَلَّمَتِ الْجَمَاعَةُ ، وَكُلُّ

* الْأَغْنَى ص ٢٢٤ ج ٨

(١) الْعَلَالِيُّ . جَمْعُ عَلَيْهِ : وَهِيَ الْغَرْفَةُ (٢) السَّوَيْقُ : شَرَابٌ يَتَخَذُ مِنَ الْحَمْطَةِ وَالشَّعْبِرِ .

حزْبٌ بِنَالْدِيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَلَمْ أُعْتَرِضْ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ ، وَلَا شَرِكَتُهُمْ فِي رَأْيِهِمْ ؛
فَاسْتَمِعُوا إِلَى لِقَوْلِي ، وَأَنْصِتُوْا وَلَا تَشْغُبُوا^(١) إِلَى وَقْتِ اِنْقَضَاءِ كَلَامِي ؛ فَمَنْ
قَبَلَ قَوْلِي فَاللهُ مُوَفِّقُهُ ، وَمَنْ خَالَفَنِي فَلَا يَأْسَ عَلَيْهِ إِذْ كَنْتُ فِي طَاعَةِ رَبِّي .

فَسَكَتَ الْقَوْمُ جَمِيعًا ؛ وَتَكَلَّمَ الشَّيْخُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاشَرَ أَهْلِ الْحِجَازِ ؛ إِنَّكُمْ مَتَى تَخَادَلْتُمْ فَشَانِمَ
وَوَبَّتُ عَلَيْكُمْ عَدُوُّكُمْ ، وَظَفَرَ بِكُمْ ، وَلَا تَفْلِحُوْا بَعْدَهَا أَبْدًا . . . إِلَى أَنْ قَالَ : إِنَّ
الْفَنَاءَ مِنْ أَكْبَرِ الْلَّذَاتِ ، وَأَسْرَرُ الْنَّفُوسِ مِنْ جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ ، يُحْبِي الْقَلْبُ ، وَيُزِيدُ
فِي الْعُقْلِ ، وَيُسْرُ النَّفْسُ وَيَفْسَحُ فِي الرَّأْيِ ، وَيَتِيسِرُ بِهِ الْعَسِيرُ ، وَتَفَتَّحُ بِهِ الْجِيَوشُ ،
وَيَذَلَّ بِهِ الْجَبَارُونَ حَتَّى يَتَهَنَّوْا أَنفُسَهُمْ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ ، وَيُبُرِّئُ الْمَرْضِيَّ وَمَنْ مَاتَ
فِيْلَهُ وَعَقَالُهُ وَبَصَرُهُ ؛ وَيُزِيدُ أَهْلَ الثَّرَوَةِ غَنِّيًّا وَأَهْلَ الْفَقْرِ فَنَاعِةً وَرَضًا بِاسْتِمَاعِهِ ؛
فَيَعْزِفُونَ عَنْ طَابِ الْأَمْوَالِ . مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ كَانَ عَلَلًا ، وَمَنْ فَارَقَهُ كَانَ جَاهَلًا ؛ لَأَنَّهُ
لَا مِنْزَلَةَ أَرْفَعُ ، وَلَا شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ ؛ فَكَيْفَ يُسْتَصْوَبُ تَرْكَهُ ، وَلَا يَسْتَعْنَ بِهِ عَلَى
النَّشَاطِ فِي عِبَادَةِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ ؟ ! وَكَلَامُ كَثِيرٍ غَيْرُ هَذَا .

فَارَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بَشَرٌ ، وَكَلَّ عَادَ بِالْخُطاِّ عَلَى نَفْسِهِ ،
وَأَفَرَّ بِالْحَقِّ لَهُ .

ثُمَّ قَالَ جَمِيلَةُ : أَوْعَيْتَ مَا قَلْتُ ؟ وَوَقَعَ مِنْ نَفْسِكَ مَا ذَكَرْتُ ؟ قَالَتْ : أَجَلِ !
وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قَالَ لَهَا : فَاخْتَمِي مِجَاسِنَّا وَفَرِقَ جَمَاعَتِنَا بِصَوْتِ فَقْطٍ ؛ فَفَنَتْ :
أَفَ رَسْمُ دَارِ دَمْعُكَ الْمُتَرْفِقُ سَفَاهًا ؟ وَمَا اسْتِنْطَاقُ مَا لِيْسَ يَنْطِقُ

(١) شَغَبَتْ عَلَى الْقَوْمِ : هِيجَتْ الشَّرُّ عَلَيْهِمْ .

بحيث التقى جمع وأقصى مُحسِّر^(١)
معانٍ قد كادت عن العهد تخلق
مُقامٌ لنا بعد العشاء وَمَنْزَلٌ به لم يكدره علينا مُعوقٌ
فأحسنُ شئٍ كان أول ليلنا وآخره حُزنٌ إذا تفرق^{*}
قال الشيخ: حسن والله! أمثل هذا يترك! لا والله ولا كرامة لمن خالف
الحق. ثم قام وقام الناس معه وقال: الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من
الغناة ولا جحود فضيلته، وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة.

* ١٣ — ضرب من التمثيل*

قال أبو عبد الله: جلست جميلة يوماً ولبست بُرْنساً^(٢) طويلاً، وألبست من كان عندها بَرَانِسَ دون ذلك، وكان في القوم ابن سُرِّيج، وكان قبيح الصلع، قد أخذ وقرة^(٣) شعرٍ يضعها على رأسه، وأحياناً جميلة أن ترى صلعاته، فلما بلغ البرنس إلى ابن سرِّيج قال: دبرت على ورب الكعبة! وكشف صلعاته ووضع القلنسيَّة^(٤) على رأسه، وضحك القوم من قُبُح صلعاته.
ثم قامت جميلة ورقتَّت وضررت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل، وعلى عاتقها بُرْدة يمانيَّة، وعلى القوم أمثالها، وقام ابن سرِّيج يرقص ومعبد والفر يض

(١) جمع: علم المزدافة، ووادي مسر: موضع بين مني والمزدافة
* الأغانى ص ٢٢٦ ج ٨

(٢) البرنس: قلنسوة طويلة، أو كل ثوب رأسه منه، دراعة كان أو جبة أو ملرأ^(٣) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه (٤) القلنسيَّة: القلنوس: ما يلبس في الرأس.

وابن عائشةَ ومالكُ ، وفي يدِ كلِ واحدٍ منهم عودٌ يضربُ به على ضربِ جميلةٍ
ورقصها ؛ فَغَنَتْ وغَنَى القوم على غنائِها :

ذهب الشبابُ وليته لم يذُهَبِ
وعلاً المفارقَ وقع شَيْبٌ مُغْرَبٌ^(١)
والغانياتُ يُرْدَنْ غيركَ صاحبَا
ويَعِدُنَكَ الْجَرَانَ بعد تَقْرِبِ
إني أقول مقالةً بتجاربِ حَقَّا ، ولم يُخْبِرُكَ مثلُ مُجَرَّبٍ
صَافِ الْكَرِيمِ وَكُنْ لِعَرْضِكِ صَائِباً وعن اللثيم ومثله فتنكَبِ
ثم دعت بثياب مُصَبَّغَةً ووفرة شعرٍ مثلِ وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ،
ودعت للقوم بِمُشَلٍ ذلك فلبسوا ، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشي القوم خلفها ،
وَغَنَتْ وغَنَوا بِغناها بصوت واحد :

يَشِينَ مَشَى قَطَا الْبِطَاحِ تَأْوِداً^(٢) قبَ^(٣) الْبَطُونَ رواحِ الْأَكْفَالِ
فيهنَّ آنسَةُ الْحَدِيثِ حَيَّةٌ لِيسَتْ بِفَاحِشَةٍ ولا مِتَفَالٍ^(٤)
وَتَكُونُ رِيقْتُهَا^(٥) إِذَا تَهْتَهَا كَلْسَكَ فوق سَلَافَةِ الْجَرِيَالِ^(٦)
ثُمَّ نَعَرَتْ وَنَعَرَ الْقَوْمُ طَرِبًا ، ثُمَّ جَلَستْ وَجَلَسُوا وَخَلَعُوا ثِيَابَهُمْ وَرَجَمُوا إِلَى
رِيزِم ، وَأَذِنَتْ لِمَنْ كَانَ بِيَامِهَا فَدَخَلُوا ؛ وَانْصَرَفَ الْمُغَنُونُ وَبَقَى عَنْدَهَا مَنْ
يُطَارِحُهَا مِنَ الْجَوَارِيِّ !

(١) مغرب : أيض (٢) تأود الشيء : تموح ، وثنى (٣) قب الْبَطُونَ : القباء الضامرة الْبَطُون

(٤) المثال : المنفحة الربيع لنترك التطيب (٥) الربق : ماء الفم غدوة قبل الاكل وبيونت في الشعر

(٦) الجريال : من أسماء الحجر .

١٤

* وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان

قال دحان الأشقر : كنت عاملًا لعبد الملك بن مروان بعكة، فنمى إليه أن رجلاً أسود يقال له : سعيدُ بنُ مسجح^(١) أفسدَ قريشَ وأنفقوا عليه أموالهم؛ فكتب إلىَّه : أن اقبض ماله وسيره ، ففعلَّتْ.

فتوجه ابنُ مسجح إلى الشام ؛ فصحبه رجلٌ له جوارٌ مغنياتٌ في طريقه ، فقال له : أين تُريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريدُ الشام ، قال له : فتكون معى ؟ قال : نعم .

فصحبه حتى بلغَ دِمشقَ ، فدخلَ مسجدَها ، فسألَه : من أخصُ الناس بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمِّه ، فوقف ابنُ مسجح عليهم وسلم ، ثم قال : ياقرييانَ هل فيكم من يضيفُ رجلاً غريبًا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضُهم إلى بعض - وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قيينة يقال لها «برقُ الأفق» - فتناقلوا به إلا فتي منهم تذمَّر^(٢) ؛ فقال : أنا أضيقك . وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل تمحيءَ أنتَ وضيفك .

فذهبوا جميعاً إلى بيت القيينة ؛ فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد : إنِّي رجلُ أسود ولعلَّ فيكم من يقدِّرُني^(٣) ، فأنَا أُجاسِّسُ وآكُلُ ناحيةَ وقام . فاستحبِيوا منه ،

* الاغانى ص ٢٨٢ ج ٣

(١) سعيد بن مسجح : أحد الموالى ، مكى أسود ، محن ، متقدم ، كان أول من غنى الغناء العربي بعكة وهو الذي علم ابن سريح والغريض (٢) تذمَّر : خشي الفم واللوم (٣) قدرت الشيء : استقدرته وكرهته .

وَبَعْثَوْا إِلَيْهِ بِمَا كُلَّ؛ فَلَمَّا صَارُوا إِلَى الشَّرَابِ قَالَ لَهُم مُشَكِّلَ ذَلِكَ؛ فَفَعَلُوا بِهِ كَا
فَعَلَوْا فِي الْمَأْكُلَ؛ وَأَخْرَجُوا جَارِيَتَينِ فِي جَلْسَتَاهُ سَرِيرَهُمْ وَضَعَهُمَا، فَفَعَلَتَا إِلَى
الْعِشَاءِ، ثُمَّ دَخَلَتَا، وَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ حَسَنَةُ الْوِجْهِ وَالْمَهِيَّةِ، وَهَا مَعَهَا، فِي جَلْسَتَهُ
السَّرِيرِ وَجَاسَتَا أَسْفَلَ مِنْهَا عَنْ يَمِينِ السَّرِيرِ وَشَمَائِهِ، قَالَ ابْنُ مِسْجَحٍ: فَقَمَلْتُ
هَذَا الْبَيْتَ:

فَقَاتِلَ أَشْمَسْ أَمْ مَصَابِحَ بِيَعْةَ^(١) بَدَأَتْ لَكَ خَلْفَ السِّجْفِ^(٢) أَمْ أَنْتَ حَالِمُ
فَفَضَبَتِ الْجَارِيَةِ، وَقَالَتْ: أَيْضُرِبُ هَذَا الْأَسْوَدَ فِي الْأَمْثَالِ! فَفَظَرُوا إِلَى نَظَرِ
مُنْكَرِّاً، وَلَمْ يَرِزُوا يَسْكُنُوهُمَا، ثُمَّ غَنَّتْ صُوتًا. فَقَاتِلَتْ: أَحَسَنْتِ وَاللهُ! فَفَضَبَ
مُولَاهَا، وَقَالَ: أَمِثَلُ هَذَا الْأَسْوَدَ يُقْدِمُ عَلَى جَارِيَتِي! فَقَالَ لِرَجُلِ الَّذِي
أَنْزَانِي عَنْهُ: قَمْ فَانْصَرِفْ إِلَى مَنْزِلِي؛ فَقَدْ ثَقَلَتْ عَلَى الْقَوْمِ، فَذَهَبَتْ أُقُومْ فَتَذَمَّمَ
الْقَوْمُ، وَقَالُوا لِي: بَلْ أَقُومْ وَأَحْسَنْ أَدَبَكَ، فَأَفْقَتْ وَغَنَّتْ. فَقَاتِلَتْ: أَخْطَأْتِ وَاللهُ
وَأَسَأْتِ؛ ثُمَّ اندَفَعَتْ فَعَيْتِ الصَّوْتُ، فَوَثَبَتِ الْجَارِيَةِ وَقَاتَلَتْ مُولَاهَا: هَذَا وَاللهُ
أَبُو عَيْانَ سَعِيدُ بْنُ مِسْجَحٍ، فَقَاتِلَتْ: إِنِّي وَاللهُ أَنَا هُوَ، وَاللهُ لَا أَقِيمُ عَنْكُمْ، فَوَثَبَ
الْقُرْشِيُّونَ. فَقَالَ هَذَا: يَكُونُ^ع عَنْدِي. وَقَالَ هَذَا: يَكُونُ عَنْدِي. وَقَالَ هَذَا: بَلْ
عَنْدِي! فَقَاتِلَتْ: وَاللهُ لَا أَقِيمُ إِلَّا عَنْ سَيِّدِكُمْ - يَعْنِي الرَّجُلَ الَّذِي أَنْزَاهَهُمْ.
ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا أَقْدَمَهُ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرُ. فَقَالَ لِهِ صَاحِبِهِ: إِنِّي أَسْمَرُ الْلَّيْلَةَ مَعَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَهَلْ تُحْسِنُ أَنْ تَعْدُوَ؟ قَالَ: لَا؛ وَلَكِنِي أَسْتَعْمَلُ حُدَاءَ.
قَالَ: فَإِنْ مَنْزِلِي بِحِذَاءِ مَنْزِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنْ وَاقْتَتُ^ع مِنْهُ طَيْبَ نَفْسِ أَرْسَلْتُ
إِلَيْكَ.

(١) الْبَيْعَةُ: كَنِيسَةُ النَّصَارَى (٢) السِّجْفُ بِالفتحِ وَيَكْسِرُ: السِّر.

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رأه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجع ، وأخرج
رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدا :

إِنَّكَ يَا مُعاَذْ يَا بْنَ الْفُضْلِ إِنْ زُلِّ الْأَقْدَامُ لَمْ تُزْلِكْ
عَنْ دِينِ مُوسَى وَالْكِتَابِ الْمُبَرَّزِ تُقْيِمُ أَصْدَاعَ^(١) الْقَرْوَنِ الْمُبَلِّ
لِلْحَقِّ حَتَّى يَنْتَحِوا لِلْأَعْدَلِ

فقال عبد الملك للقرشى : مَنْ هَذَا ؟ قال : رجل حجازى قَدِيمٌ عَلَىٰ ؛ قال :
أَخْضَرْه . فَأَخْضَرْه وَقَالَ لَهُ : أَحَدُ مُجَدِّدَه ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَغْنِي غَنَاءُ الرُّكْبَانَ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : غَنَّه . فَتَغْنَى . فَقَالَ لَهُ : فَهَلْ تَغْنِي الغَنَاءُ الْمُتَقْنَ . قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
غَنَّه . فَتَغْنَى .

فَاهْتَرَ عبد الملك طَرَبًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْسَمْ إِنْ لَكَ فِي الْقَوْمِ لَأْسِمَاءً كَثِيرَةً !
مَنْ أَنْتَ ؟ وَيَلِكَ ؟ قَالَ لَهُ : أَنَا الظَّالُومُ الْمَقْبُوضُ مَا لِهِ الْمَسِيرَةُ عَنْ وَطْنِهِ سَعِيدُ بْنُ مَسْجِعٍ
قَبْصَ مَالِي عَامِلُ الْحِجَازِ وَنَقَائِي . فَتَبَسَّمْ عبدُ الْمَلِكِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ وَضَحَ عُذْرُ
فَتِيَانُ قَرِيشٍ فِي أَنْ يُنْفِقُوا عَلَيْكَ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَمْنَهُمْ وَوَصْلَهُ ؛ وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِرْدٌ
مَا لِهِ عَلَيْهِ وَأَلَّا يَعْرِضَ لَهُ بِسُوءٍ .

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن والفرنان : جانا الرأس ، أو الصدغ : الميل ، ومنه « لأقمن صدغك » أي ميلك .

١٥ - دعاية للوطن*

كان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية ، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيب بلدة بها يصرّب المثل في الجاهلية والإسلام ! قال : وبماذا تُمدح ؟ قال : بصحّة هؤلئها ، وطيب مائتها ، ونُزُهَة ظاهرها ، تصْلُح لالْعُفْفِ والظَّلْفِ ، سهل وجبل ، وباديَّة وبستان ، وبَرْ وبحْر ، محلُّ الملوك وَمَرَازُهم ، ومسكُنُهم وَمَوَاهِم ، وقد قدِّمْتُها - أصلحك الله - مُخْفِي فرجعت مُثقلة ، وَوَرَدْتُها مُقْلًا فأصارتك مُكْبِرًا ؛ قال : فكيف نَعْرِفُ ما وصفَتَها به من الفضل ؟ قال : بأنْ تَصِيرَ إلَى ، ثم أدعُ ما شئتَ من لذَّاتِ العيش ، فوالله لا أجوزُ بك الحيرة فيه !

قال : فاصنع لنا صنيعًا ، وآخرُج من قولك ؛ قال : أفعـل ؛ فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيدـ من وحشـها : من ظباء ونمـاء وأرابـ وحبارـ^(١) ، وسقاهم ماءـها في قلـاها ، وأجلسـهم على رقـها^(٢) ، ولم يستخدم لهم حرـأ ولا عبدـاً إلا من مولـدـها ومولدـتها من خدمـ ووصائفـ ووصفاتـ كـائهم المؤـلـوـ، لغتهم لغـةـ أهلـها ، ثم غـناـهم حـنـينـ وأصحابـهـ في شـعـرـ عـدـيـ بن زـيدـ شـاعـرـهمـ وأعشـى هـمـدانـ لمـ يتـجاوزـهاـ ، وحيـاـهمـ بـرـيـاحـيـنـهاـ ، ونـقـلـهـمـ^(٣) على شـرـابـهاـ ، وقد شـربـوا بـفوـكـهاـ ؛ ثم قال له : هل رأـيـتـنـ استـعـنتـ على شـئـ مما رأـيـتـ وأـكـلتـ وشرـبتـ

* الأغانى ص ٣٥١ ج ٢ ، نهاية الأرض .

(١) طائر طوبل العنق رمادى اللون (٢) الرقم : الوشى المخطط (٣) نقلهم : أطعمهم النقل .

وافتشرتَ وشمتَ وسمعتَ بغير ما في الحيرة؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفة
 بذلك ، ونَسَرْتَه فَأَحْسَنْتَ نُصْرَتَه والخروجَ مَا تضمنَتَه ، فبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي
 بذلك .

* ١٦ - أَئِ الْأُمَّمُ أَعْقَلُ؟



قال شبيب^(١) بن شيبة أحد بلغاء العرب وجليس الملوك :
كنا وقوفاً بالمرآب^(٢) ، وكان المرآب مألف الأشراف ؛ إذ أقبل ابن المفع^(٣)
فبَشِّرَنَا به ، وبدأناه بالسلام ، فرد علينا السلام ثم قال : لو ماتت إلى دار نيروز
وظلَّها الضليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فعودتمُ أبدانكم تهيد الأرض ،
وارحمُ دوابكم من جهد التقل ، فإن الذي تطليونه لم تقتلواه ، ومهمما قضى الله لكم
من شيء تناولوه .

* أسواق الذهب ص ٤٠٠ ، بلوغ الأربع ص ١٥٩ ج ١

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله المقري التميمي خطيب البصرة في زمانه ثنا في البصرة
وامتاز ببنالة نفس ، وسخاء كف ، وحسن تواضع ونزاهة لسان . وعرف شبيب أبا جعفر المنصور
قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية ول عهده المهدى ، وبقي كذلك حتى ولد
المهدى الخليفة فصار من خيرة مشارقه وجساته إلى أن مات سنة ١٧٠ هـ (٢) مرجد البصرة :
هو في الأصل منسخ للإبل تعرض فيه للبيع ، ثم أصبح على عهد الأمويين سوقاً عاماً تُنْذَرُ فيه
المحال وتنعدد الحالات يتوسطها الشعرا ووالرجال ويؤمهما الأشراف فيتناولون ويتنازرون
ويتهاجون ويتشاورون (٣) كان عبد الله بن المفع من أبناء الفرس الذين نشروا بين العرب
ولد سنة ١٠٦ هجرية ونثأ بالبصرة ، وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج فارس للحجاج بن يوسف ،
وبن ابن المفع أكثر أيامه على دين الحجوسية ، ثم أسلم في آخر عمره ، وتعلم صناعة الكتابة ،
ويرع في ذلك ، وكتب لكتير من الأمراء ، وكان غاية في الذكاء ، اشتهر ببلاغته ورشاقة عبارته ،
وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين ، ومات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ .

فقبلنا وملنا ، ولما استقرَّ بنا المكان قال لنا : أَيُّ الْأَمْ أَعْقَلْ ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ! فقلنا : لعله أراد أصله من فارس ، فقلنا : فارس ، فقال : ليسوا بذلك ؛ إنهم ملکوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيمها من الْمُلْكِ ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبثَّ فيهم عَقْدُ الْأَمْرِ ، فما استنبتوا شيئاً بِعْقُولِهِ ، ولا ابتدعوا باقِ حُكْمِهِ في نفوسهم . . .

قلنا : فالروم ، قال : أصحاب صنعة ، قلنا : فالصين ، قال : أصحاب طرفة ، قلنا : فالهندي ، قال : أصحاب فلسفة ، قلنا : فالسودان ، قال : شرُّ خلقِ الله ؟ قلنا : فالترك ، قال : كلاب مختاسة . قلنا : فالخزر ، قال : بقر سائمه ، قلنا : فقال ، قال : العرب !

فضحكتنا جميعاً : فقال : أَمَا إِنِّي مَا أَرَدْتُ مُوافِقَتَكُمْ ، وَلَكُنْ إِذْ فَاتَّنِي حظِّي مِنَ النَّسْبَةِ ، فَلَا يَفْوَتَنِي حظِّي مِنَ الْمَعْرِفَةِ ؛ إِنَّ الْأَرْبَابَ حَكَمُتْ عَلَى غَيْرِ مَثَالِهِ ، وَلَا آثارَ أَثْرَتْ ، أَصْحَابُ إِبْلٍ وَغَنَمٍ ، وَسَكَانُ شَعْرٍ وَأَدْمٍ ، يَجِدُونَ أَحَدَهُمْ بِقُوَّتِهِ ، وَيَنْفَضِّلُونَ بِمَجْهُودِهِ ، وَيُشَارِكُونَ فِي مَيْسُورِهِ وَمَعْسُورِهِ ، وَيَصْفُ الشَّيْءَ بِعَقْلِهِ فَيُكَوِّنُ قَدْوَةَ ، وَيَفْعُلُهُ فَيُصِيرُ حَجَّةَ ، وَيَحْسَنُ مَا شَاءَ فَيُحْسِنُ ، وَيَقْبَحُ مَا شَاءَ فَيُقْبِحُ ، أَدْبَرُهُمْ أَنفُسُهُمْ وَرَفِيقُهُمْ هُمُهُمْ ، وَأَعْلَمُهُمْ قُلُوبُهُمْ وَأَسْتَنُهُمْ ، فَلَمْ يَزُلْ حِبَّةُ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَحِبَّاؤُهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى رَفَعَ لَهُمُ الْفَخْرَ ، وَبَلَغَ بِهِمْ أَشْرَفُ الذِّكْرِ ، وَخَتَّمَ لَهُمْ بِمُلْكِكُمُ الدُّنْيَا عَلَى الْدَّهْرِ ، وَاقْتَحَمَ دِينَهُ وَخَلَاقَتْهُ بِهِمْ إِلَى الْحَسْرِ عَلَى الْخَيْرِ فِيهِمْ وَلَهُمْ ، قال سُبْحَانَهُ : « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْبِلِينَ » .

فَمَنْ وضع حَقَّهُمْ خَسِيرٌ ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ حَسِيرٌ^(١) ، وَدَفَعَ الْحَقَّ بِاللِّسَانِ أَكْبَتُ لِلْجَنَانِ .

(١) حَسِيرٌ : غَلَبٌ بالْحَجَّةِ .

* ١٧ — قرآن العلية *

قال خادمُ أمير المؤمنين المأمون^(١): طلبني أمير المؤمنين ليلةً، وقد مضى من الليل
ثُلْثَةَ، فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً وسماهما : أحدهما على بن محمد والآخر
دinar الخادم ، واذهب مسرعاً لما أقوله لك ؟ فإن أصحابَ الأخبار قد أكثروا
في أنَّ شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار البرامكة ، وينشد شعراً ويدركهم ذكرآ جيلاً ،
ويندبُهم وي بكى عليهم ، ثم ينصرف . فامض الآن أنت وعلى دينار حتى ترددوا
هذه الْخَرِبات ، فاستتر واخلفَ جدار من هذه الجدر ، فإذا رأيتم الشیخ قد جاء ،
وبكى وندب ، وأنشد شيئاً فأتونی به .

قال : فأخذتهما ومضينا حتى وردنا الْخَرِبات ، وإذا نحن بغلام قد أتى ، ومعه
بساط وكرسي جديد ، وإذا شیخ وسم ، له جمال وعلیه مهابة وصلف ، فجلس يبكى
وينتحب ويقول :

وَأَمَّا رَأَيْتُ السِيفَ جَلَّ جَعْفَراً وَنَادَى مَنَادٍ لِلخَلِيفَةِ فِي يَحْنَبِي
بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَأَيْقَنْتُ أَنَّهُ قُصَارَى الْفَقِي يَوْمًا مَفَارَقَةُ الدُّنْيَا
أَجَعْفَرُ إِنْ تَمَلِّكْ فَرْبَ عَظِيمَةَ كَشَفَتْ وَلَعَمَيْ قَدْ وَصَلَتْ بَهَا نَعْمَى
فَقَلَ لِلَّذِي أَبْدَى لِي حَيَّ وَجَعْفَرَ شَمَاتَهُ : أَبْشِرْ لَنَّا تَهُمُ الْعَقَبَى

* العقد الفريد للملك السعيد ص ٨٩ ، المحسن والساوى ص ١٢٢ طبع لينج.

(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة العامة بعد مقتل الأمين سنة ١٩٦ هـ كان ميلاً لاعفو مطابوعاً على الحير ، راغباً في العلم ، محباً للمجدل ، وأخباره في كل هذا مشهورة مأثورة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .

لَنِنْ زَالْ غُصْنُ الْمَلِكِ عَنْ آلِ بَرْمَكٍ
فَا^(١) زَالَ حَتَّى أَثْمَرَ الْفُصْنُ وَاسْتَعَلَ
وَمَا الْدَّهْرُ إِلَّا دُولَةٌ بَعْدَ دُولَةٍ
تُبَدِّلُ ذَا مُلْكٍ وَتَعْقِبُ ذَا بَلْوَى
عَلَى أَنْهَا لِيَسْتَ تَدُومُ لَأَهْلَهَا
بَنِي بَرْمَكَ كُنْتُمْ نُجُومًا مُضِيَّةً
بِهَا يَهْتَدِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ مَنْ أَسْرَى
إِكْلِكْمُ أَبْكَى بَعْنَ غَزِيرَةٍ وَقَلْبٍ قَرَحَ لَا يَمُوتُ وَلَا يَحْيَا

قال : فتراهينا له^(٢) لما فرغ ، ثم قبضنا عليه ؛ فجزع وفزع ، وقال : مَنْ أَتَمْ ؟
فقالت له : حاجبُ أمير المؤمنين ، وهذا فلان وفلان ، قال : وما تريدون مني ؟
فأعلمه ما أَمْرَ به أمير المؤمنين من أَخْذِهِ إلى مجلسه ، فقال : ذَرْنِي أوصي وصيَّةً
فإنِّي لا آمِنُ العَطْبَ ، ثم تقدَّمَ إلى بعض الدَّكَاكِينَ ، وأخذ ورقَةَ ، وكتب فيها
وصيَّةً دفَّها إلى غلامَه ، ثم سرَّنا به .

فَلَمَّا دَخَلَ إِلَى الْجَلْسِ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَجَرَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟
وَبِمَاذَا اسْتَوْجَبَ مِنْكَ الْبَرَامِكَةُ مَا تَفَعَّلَهُ فِي خَرَبَاتِ دُورِهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :
لِلْبَرَامِكَةِ عِنْدِي أَيْدِ خَضْرَاءَ ، أَفْتَادْنُ لِي أَنْ أَحْدَثَكَ عَنْ حَالِهِ مَعْهُمْ ؟ قَالَ : قَلْ .

قال : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَذْرِيُّ بْنُ الْمَغِيرَةِ مِنْ أَهْلِ دَمْشَقَ ، كُنْتُ بَهَا مِنْ أَوْلَادِ
الْمَلُوكَ ، فَرَأَتْ عَنِ نِعْمَتِي كَاتِرْزُولَ عَنِ الرَّجَلِ ، فَلَمَّا رَكَبْتُنِي الْدِيُونَ ، وَاحْتَجَتْ إِلَيْ
بَعْضِ مَسْطَطِ رَأْسِي وَرَءُوسِ آبَائِي ، أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخَرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ ، فَخَرَجْتُ
مِنْ دَمْشَقَ وَمَعِي نَيْفُ وَثَلَاثُونَ امْرَأَةً وَصَبِيًّاً وَصَبِيَّةً ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا يُرُهَنُ

(١) الجواب بالشرط مم تقدم القسم ، وهو قليل ، وإليه أشار ابن مالك في قوله :

وربما رجح بعد قسم شرط بلا ذي خبر مقدم
وهو مذهب الفراء ، ويرى الجمهور أن مثل البيت اللام فيه زائدة (٢) تراهـي له : تصديـ.

حتى دخلنا بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد ، فدعوت بشباب لي كنت قد أعددتها لاستماع بها الناس فلبسها ، وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ، ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة ، فإذا أنا بمسجد مزخرف ، وفيه مائة رجل بأحسن زى وزينة وبرزة ، وعلى الباب خادمان .

قطعت في القوم وولجت المسجد ، وجلست بين أيديهم ، وأنا أقدم وأؤخر ، والعرق يسيل مني ؛ لأنها لم تكن صناعتي ، وإذا بخادم قد أقبل فحدث الخادمين ؛ فدخلوا وأزعجو القوم فقاموا وأنا معهم .

فأدخلونا دار يحيى بن خالد ، ودخلت معهم ، فإذا يحيى جالس على دكّة له وسط بستان ، فسلمنا وهو يعدنا مائة واحداً ، وبين يدي يحيى عشرة من ولده ، وإذا غلام أمرد حين عذر^(١) خداه ، قد أقبل من بعض المقاصير ، بين يديه خدام مفترطون^(٢) في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنهما من ألف متقال ، ومع كل خادم مجمرة من ذهب ، في كل مجمرة قطعة من عود كثيبة الفهر^(٣) ، قد ضم إليه مثله من العنبر السلطاني ؛ فوضعوه بين يدي الغلام ، وجلس الغلام إلى جنب يحيى .

ثم قال يحيى للزير القاضي : تكلم فقد زوجت بنى عائشة من ابن عمى هذا ، فخطب القاضي وزوج ، وشهدت أولئك الجماعة ، وأقبلوا علينا بالثار^(٤) وبنادق المسك والعنبر ، فالتفقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كفي ، ونظرت وإذا نحن مائة وأثنا عشر رجلا ، فخرج إلينا مائة خادم وأثنا عشر خادماً ، مع كل خادم صينية فضة عليها ألف دينار شامية ، فوضع بين يدي كل رجل مما صبيته ،

(١) عذر الغلام : نبت شعر عنده (٢) القرافق كجندب : ضرب من الملابس (عرب كرته)

(٣) الفهر : الحجر ملء الكف (٤) الثار : ما تاثر من الشيء .

فرأيت القاضى والمشائخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويحملون الصوانى تحت آباطهم ، ويقوم الأول فالاول حتى بقيت بين يدى يحيى لا جسر على أخذ الصينية ، فغمزنى الخادم فجسست وأخذتها ، وجعلت الذهب فى كمى ، وأخذت الصينية فى يدى وقت ؛ فجعلت التفت وراني مخافة أن أمنع من الذهاب بها .

فيينا أنا كذلك فى صحن الدار كثيرون من الافتات ويحيى يلحظى ، قال للخادم : اثنى بذلك الرجل . فرددت إليه ؛ فأمر فسبت الدنانير والصينية وما كان في كمى ، ثم أمرنى بالجلوس فجلست ؛ فقال : من الرجل ؟ فقصصت عليه قصتى ، فقال : على موسى ، فأتى به ، فقال : يابنى ؛ هذا الرجل غريب ، فخذه إليك واحفظه بنفسك ونعمتك .

فقبض موسى على يدى ، وأخذنى إلى بعض دوره فأكرمهى وعاشرنى يومى ولياتى كلًا وعشرين ؛ فلما أصبح دعا بأخيه العباس ، وقال : إنَّ الوزير أمرنى بالعلف على هذا الفتى ، وقد عاملت اشتغالى في دار أمير المؤمنين ، فاقبضه إليك وأكرمه ، ففعل . فلما كان من الغدر تسلمت أخيه ، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونى عشرة أيام ، لا أعرف خبر عيالى وصبيانى : أفى الأموات هم ألم في الأحياء ؟ فلما كان في اليوم العاشر دفعت إلى يد الفضل ، فعطف على وزاد في الكرامة ، فلما كانت في اليوم السادس عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم ، فقالوا : قم فاخذ إلى عيالك السلام ، فقلت : واويا له ! سُلِّبت الدنانير والصينية ، وقد تمزقت ثيابي واتسخت وأخرج إلى عيالى على هذه الحالة ! إنما الله وإنما إليه راجعون ! فرفع الستر الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، ثم الخامس والسادس ، فلما رفع الخادم الستر السابع قال لي : تمن ماشنت ، وتقىد إلى بقضاء جميع ما تأمر به . فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً ،

استقبلتني منها رائحةُ النَّدَّ والعود ونفحاتُ المسكِ ، وإذا أنا بصيامي يتقدّمُون في الحرير والديباج ، وقد حملَ إلىَّ ألف ألف درهم مبدّرة ، وعشرةَ آلاف دينار ، وقبالَتَان^(١) بضياعتين ، وتلك الصينية فيها الدنانير والبنادق ؛ فبقيتُ يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة ، لا يعلم الناس أمنَ البرامكة أنا أمَّ رجل غريب اصْطَفَوْنِي .

فَلَمَّا جاءَتِ الْقَوْمَ الْبَلِيهُ ، وَزَرَتْهُمْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدَ النَّازِلَةَ ، قَصَدَنِي عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ وَأَلْزَمَنِي فِي هَاتِينِ الضَّياعَتَيْنِ مِنَ الْخَرَاجِ مَا لَا يَبْغِي دَخْلُهُمَا بِهِ ، فَلَمَّا تَحَمَّلَ عَلَىَّ الدَّهْرِ كُنْتُ فِي أَوَاخِرِ الظَّلَيلِ أَقْصَدَ خَرَابَاتِ الْقَوْمِ ، فَأَنْذَلْتُهُمْ وَأَذْكَرْتُ حَسَنَ صَنِيعَهُمْ إِلَيَّ ؛ وَفَاءَهُمْ عَلَىِّ إِحْسَانِهِمْ .

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : عَلَىَّ بَعْمَرُو بْنِ مَسْعَدَةَ ، فَلَمَّا أَتَيَّ بِهِ قَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ؛ أَتَعْرُفُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ بَعْضُ صَنَاعَ الْبَرَامِكَةِ ، قَالَ : كَمْ أَلْزَمْتَهُ فِي ضَياعَتِهِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : رَدَ عَلَيْهِ كُلُّ مَا اسْتَأْدَيْتَهُ^(٢) إِيَاهُ فِي مَدْتَهِ ، وَأَوْغَرُوا^(٣) ضَياعَتِهِ تَكُونَانَ لَهُ وَلَعْقَبَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

فَعَلَا نَحِيبُ الرَّجُلِ ! وَلَمَّا طَالَ بَكَاؤُهُ قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَلَمْ تَبْكِيْ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ الْبَرَامِكَةِ ! أَرَأَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْلَمْ آتَتِ خَرَابَهُمْ فَأَبْكَيْهُمْ وَأَنْدَبَهُمْ حَتَّى اتَّصلَ خَبْرُهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِيْ مَا فَعَلَ ؛ مِنْ أَينَ كُنْتُ أَصْلُ إِلَيْهِ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مِيمُونَ : فَلَقِدْ رَأَيْتَ الْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَاشتَدَّ حَزْنُهُ عَلَىِّ الْقَوْمِ ، وَقَالَ : صَدِقْتَ ! لَعْمَرِي هَذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ الْبَرَامِكَةِ ؛ فَعَلِيهِمْ فَابْكِ ، وَإِيَاهُ فَاشْكِرْ ، وَلَهُمْ فَاؤِفْ ، وَلَا إِحْسَانَهُمْ فَاذْكُرْ !

(١) القبة : السكفة (٢) استأداء مالا : إذا صدره وأخذه منه (٣) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

* ١٨ - في قصور بني أمية *

قال محمد بن أحمد المكى : حدثنى أبى قال : دخلت إلى علوىيه ^(١) أعوده في
علة اعتلها ثم عوف منها . فجرى حديث المأمون فقال : كدت - علم الله - أذهب
دفعة ذات يوم وأنا معه ، لو لا أن الله تعالى سلمنى ووهب لي حلمه . فقلت : كيف
كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنت معه لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطغنا
فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم ، فدخل صحنًا من صهونهم
فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله ، وفيه بركة ماء فيها سمك ، وبين يديه
بستان على زواياه أربع سروات ^(٢) كأنها قصّت بمقدار من التقاويف ، أحسن
مارأيت من السروات قدًا وقدرًا .

فاستحسن ذلك وعزم على الصبح ، وقال : هاتوا إلى الساعة طعاماً خفيفاً ، فأتى
به بين ماء وورد ، فأكل ودعا بشراب وأقبل على وقال : غنى ونشطنى ، فكأن
الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت :

لو كان حولي بني أمية لم تُنْطِقْ رجاله أَرَاهُمْ نَطَقُوا
فنظر إلى مُغضباً ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ! وبلك ! أفلت لك
مسئولي أو سروري ! ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت ؟
تعرض بي !

* الأغانى من ١٢٤ ج ١٠

(١) هو علي بن عبد الله بن سيف ، وبكى علوىيه أباحسن ، كان مقتنياً حاذفاً ، ومؤدبًا حسناً ،
وضارباً متقدماً ، مع خفة روح ، وطيب مجازة ، وملائحة نوادر ، علمه إبراهيم الموصلى وعنى
به جداً ، فبرع ، وغنى لحمد الأمين ، وعاش إلى أيام التوكيل (٢) السرو : شجرة واحدة تمسروة ،

فتخيّلت^(١) عليه ، وعلمتُ أنِّي قد غلطت فقلت : أَنْتُ مُؤْمِنٌ عَلَى أَنْ أَذْكُرَ بَنِي أُمِّيَّة !
هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلاثة ألف
دينار وهبوا له سوى الخيل والضياع والرقيق . وأنَا عنْدَكُمْ أَمْوَاتٌ جُوعًا ! فقال :
أَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ شَيْءٌ تُذَكِّرُنِي بِهِ تَفْسِيْكَ غَيْرَ هَذَا ؟ فقلت : هَذِهِ حَضْرَتِي حِينَ
ذَكَرْتُهُ . فقال : اعْدِلْ عنْ هَذَا وَغَنِّي . فَإِنْسَانِي اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ إِلَّا هَذَا
الصوت :

الْجَيْنُ ساقَ إِلَى دَمْشَقَ وَلَمْ أَكُنْ أَرْضِي دَمْشَقَ لِأَهْلِنَا بَلَّا
فَرْمَانِي بِالْقَدْحِ فَأَخْطَأْنِي فَانْكَسَرَ الْقَدْحُ . وَقَالَ : قَمْ عَنِي إِلَى أَعْنَةِ اللَّهِ وَحْرَرْ
سَقَرَ . وَقَامَ فَرَكِبَ .

فَكَانَتْ وَاللَّهِ تَلْكَ الْحَالُ آخِرَ عَهْدِي بِهِ حَتَّى مَرْضَ وَمَاتَ .

قال : ثم قال لي : يا أبا جعفر كم تراني أحسنُ أغنِي ؟ ثلاثة آلاف صوت ، أربعة
آلاف صوت ، خمسة آلاف صوت ، أنا والله أغنِي أكثر من ذلك . ذهب - علم
الله - كلُّه ، حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت . وقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألف
روح مانجحت منه واحدة منها . ولكنَّه كان رجلا حليما وكان في العمر بقية !

(١) التعبيل : الاحتياط .

كـ ١٩ — في دار الفضل بن الريـع *

قال أحد بن يحيى المكي : دعاني الفضل^(١) بن الريـع ودعـا علـويه ومحـارـقـاً، وذلك في أيام المأمون بعد رجـوعـه ورضاـه عنـهـ، إلاـ أنـ حـالـهـ كـانـتـ نـاقـصـةـ مـتـضـعـضـعـةـ؛ فـلـماـ اجـتمـعـنـاـ عـنـدـهـ كـتـبـ إـلـىـ إـسـحـاقـ^(٢) المـوـصـلـ يـسـأـلـهـ أـنـ يـصـيرـ إـلـيـهـ، وـيـعـلـمـهـ الـحـالـ فـإـجـمـاعـنـاـ عـنـدـهـ، فـكـتـبـ إـلـيـهـمـ : لـأـنـتـظـرـونـيـ بـالـأـكـلـ؛ فـقـدـ أـكـلـتـ، وـأـنـاـ أـصـيرـ إـلـيـكـ بـعـدـ سـاعـةـ .

فـأـكـلـنـاـ وـجـلـسـنـاـ نـشـرـبـ حـتـىـ قـرـبـ الـعـصـرـ، ثـمـ وـافـيـ إـسـحـاقـ فـجـلسـ، وـجـاءـ غـلامـ يـقـطـرـمـيزـ^(٣) نـبـيـذـ، فـوضـعـهـ نـاحـيـةـ، وـأـمـرـ صـاحـبـ الشـرـابـ بـاسـقـائـهـ مـنـهـ، وـكـانـ عـلـويـهـ يـغـنـيـ الفـضـلـ بـنـ الـرـيـعـ فـلـخـ اقـتـرـحـهـ الفـضـلـ عـلـيـهـ وـأـعـجـبـهـ، وـهـوـ فـإـنـ تـمـجـيـأـ أوـ تـبـصـرـىـ الـدـهـرـ طـمـنـىـ^(٤) بـأـحـدـائـهـ طـمـ المـقـصـىـ بـالـجـلـمـ^(٥) فـقـدـ أـتـرـكـ الأـضـيـافـ تـنـدـىـ رـحـالـهـمـ وـأـكـرـمـهـمـ بـالـمـحـضـ وـالتـامـلـ السـيـمـ^(٦) فـقـالـ لـهـ إـسـحـاقـ : أـخـطـأـتـ يـأـبـاـ الـحـسـنـ فـأـدـأـهـ هـذـاـ الصـوتـ، وـأـنـاـ أـصـلـحـهـ لـكـ.

* الأغانى من ٣٠٦ ج ٥

(١) كان الفضل بن الريـع وزيراً للرشيد بعد زوال دولة البرامكة ، وبعد موت الرشيد استوزر للأمين ، ووقف معه ضد المأمون ، وبعد قتل الأمين شفع طاهر بن الحسين للفضل عند المأمون فرضى عنه ، ومات سنة ٢٠٨ هـ (٢) إسحاق الموصلى: من أشهر نداماء الخلفاء تفرد بصناعة الغناه وكان عالماً باللغة والموسيقا والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ورواية للشعر وحافظاً للأخبار توفى سنة ٢٣٥ هـ (٣) الفطارمـيزـ : قلةـ كبيرةـ منـ الزـجاجـ (٤) مـلـنـىـ : نـحـرـنـىـ (٥) الجـلـمـ : الـذـىـ يـجـزـ بـهـ الـشـعـرـ وـالـصـوـفـ ، وـالـمـقـصـىـ : الشـىـءـ الـذـىـ يـقـصـ (٦) الـحـسـنـ : الـابـنـ الـخـالـعـ بـلـ رـغـوـةـ ، وـالتـامـلـ العـظـيمـ السـنـامـ مـنـ الـأـبـلـ ، وـمـثـلـهـ السـمـ .

فجُنَ عَلَوِيْهِ واغتاظ ، وقامت قيامته . ثم أقبل إسحاق على عَلَوِيْهِ فقال له :
يا حبيبي ؟ ما أردتُ الوضع ^(١) منك بما قلتُ لك ، وإنما أردتُ تهدى بيك وتقويتك ؟
لأنك منسوب الصواب والخطأ إلى أبي وإلى ، فإن كرحت ذلك تركتك ، وقلت
لك : أحسنت وأجملت . فقال له عَلَوِيْهِ : والله ما هذَا أردتَ ، ولا أردتَ إلا
مَا لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبرني عنك حين تحيي هذا الوقت لما دعاك
الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطلاح : ما حملك على الترفع عن مُبَاكرته ^(٢)
وخدمته مع صنائِعِه عندك ، وما كان ينبغي أن يَشغلك عنه شيء إلا الخليفة ! ثم
تحبّه ومعك قطر ميز نبيذ ترفعاً عن شرابه ، كما ترتفع عن طعامه ومجالسته إلا
كما تشتهي وحين تنشط ، كما تفعل الأكفاء ^(٣) ، بل تزيد على فعل الأكفاء . ثم
تعمد إلى صوت قد اشتهر واقتصر ، وسمعه جميع من حضر ؛ فما عَابَه منهم أحد ؛
فتعمّبه ليتم تغريبك إيه لذاته ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك
إلى مثل مادعاك إليه الأمير ، بل بعض أتباعهم لم يدرت وباكرت ، وما تأخرت
ولا اعتذرت . قال : فأمسك الفضل بن الريبع عن الجواب بإعجاباً بما خاطب به
عَلَوِيْهِ إسحاق .

قال له إسحاق : أما ما ذكرته من تأخّر عنك إلى الوقت الذي حضرت فيه ؟
 فهو يعلم أنّي لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع ، إن وثيق بذلك مني ، وإنما ذكرت له
الحجّة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترتفع عنك ؟ فكيف
ترفع عنه وأنا أتسبّب إلى صنائعه ، وأستمنّحه وأعيش من فضله مذ كنت ؟

(١) الوضع : الفضة (٢) باكره : أناه بكرة : غدوة (٣) الأكفاء : النظاراء المتأثرون .

وهذا تضريباً^(١) لا يُبالي به منك . وأما حَمْلِي التبيذ معى فإن لي في التبيذ شرطًا — من طعمه وريحه ، وإن لم أجده لم أقدر على الشرب ، وتنفس على يومئذ ، وإنما حمله ليتم نشاطي وينتفع بي ، وأما طعمى على مالختاره فإني لم أطعن على اختياره ، وإنما أردت تقويمك ، ولست والله تراني متبعاً لك بعد هذا اليوم ، ولا مقومًا شيئاً من خطئك ، وأنا أغنى له — أعزه الله — هذا الصوت فيعلم وتعلم ، ويعلم من حضر أنك أخطأت فيه وقصرت ؛ وأما البرامكة ملازمتك لهم فأشهر من أن أجده ، وإنى لخفيق فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكركم على صناعتكم ، وبأن أذيعه وأنشره ، وذلك — والله أقل ما يستحقونه مني .

ثم أقبل على الفضل — وقد غاظه مدحه لهم — فقال : اسمع مني شيئاً أخبرك به مما فعلوه ، ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي ؛ فإن وجدت لي عذرًا وإلا فلم : كنت في ابتداء أمرى نازلا مع أبي في داره ، فسكن لايزال يجري بين علمني وعلمانه وجواري وجواريه الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات فيشكوكنهم إليه ، فأتبع الضجر والتذكر في وجهه ، فاستأجرت دارا بقربه ، وانتقلت إليها أنا وعلمني وجواري ، وكانت داراً واسعة ، فلم أرض مامعى من الآلة لها ، ولا من يدخل إلى من إخوانى أن يروأمثاله عندي .

ففكّرت في ذلك وكيف أصنع ، وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الأحداثة من نزول مثل في دار بأجرة ، وأنى لا آمن في وقت أن يستاذن على

(١) التضريب : الاغراء بين القوم .

صاحب دارى، وعندى من أحشى منه^(١) ولا يعلم حالى فيقال : صاحب دارك ؟ أو
يوجّه فى وقتٍ فيطلب أجرة الدار، وعندى من أحشى منه ؛ فضاق بذلك صدرى
ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ .

فأمرت غلامي بأن يسرّج لي حماراً كان عندي : لأنّه مُنْهَى إلى الصحراء أتفرّج
فيها مما دخل على قابي ، فأسرّجه وركبت برباده وتعلّم ؛ فأفظى بي المسير وأنا مفكّر
لا أميّز الطريق التي أسلك فيها ، حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواب
غلمانه إلى ، وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ، فدخلوا فاستأذنوا لي ،
وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيت خجلاً ، قد وقعت في أمر بين فاضحين : إن
دخلت إليه برباده وتعلّم ، وأعلمه أنّي قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن
قلت له : كنت محتاجاً ، ولم أقصدك فجعلتني طريقةً كان قبيحاً .

ثم عزمت فدخلت ، فلما رأني تبسم وقال : ما هذا الزّي يا أبا محمد ! قد عالمنا
أنك جعلتنا طريقةً ، فقلت : لا والله ياسيدى ، ولكنني أصدقك . قال : هات .
فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها ، فقال : هذا حق مستو أهذا شغل قلبك ؟
قلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تشغل قلبك بهذا ، ياغلام ، ردوا حماره ، وهاتوا
له خلعة . فجاءوني بخلعة تامة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ، ووضع
النبيذ فشربت وشرب فغئيته ، ودعا في وسط ذلك بدواه ورقصة ، وكتب أربع
رفاع ظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعض وكلائه فدفع إليه الرفاع
وساره بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ، ومنى الرجل وجاسنا نشرب ، وأنا أنتظر

(١) أحشى منه : استحيا .

شيئاً فلأرأه إلى العَتَمَةِ^(١) ثم أَسْكَأْ يحيى فنام . فقامت وأنا منكسر خائب ،
فخرجت وفُرِّمْ لِي حماري .

فَلَمَا تَجَازَتِ الدَّارَ قَالَ لِي غَلامِي : إِلَى أَينَ تَمْضِي ؟ قَلْتُ : إِلَى الْبَيْتِ . قَالَ :
قَدْ وَاللَّهِ يَعْلَمُ دَارُكَ وَأَشْهِدَ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَابْتِيعُ الدَّرَبَ كَاهْ وَوْزِنَ ثَمَنُهُ ، وَالْمُشْتَرِي
جَالِسٌ^{*} عَلَى بَابِكَ يَنْتَظِرُكَ لِيَعْرِفَكَ ، وَأَظْنَهُ أَشْهَرَى ذَلِكَ لِلسَّاطِلَانَ ؛ لَأَنِّي رَأَيْتُ الْأَمْرَ
فِي اسْتَعْجَالِهِ أَمْرًا سُلْطَانِيًّا ؛ فَوَقَعْتُ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِي ، وَجَئْتُ وَأَنَا
لَا أَدْرِي مَا أَعْمَلُ ؛ فَلَمَّا نَزَلْتُ عَلَى بَابِ دَارِي إِذَا أَنَا بِالْوَكِيلِ الَّذِي سَأَرَهُ يَحْيَى قَدْ
قَامَ إِلَيَّ . قَالَ لِي : ادْخُلْ — أَيْدِكَ اللَّهُ — دَارَكَ حَتَّى أَدْخُلَ حَاطِبِتَكَ فِي أَمْرِ أَحْتَاجُ
إِلَيْكَ فِيهِ ؛ فَطَابَتْ نَفْسِي بِذَلِكَ ، وَدَخَلْتُ ، وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَقْرَأْنِي تَوْقِيْعَ يَحْيَى :
« يُطْلِقُ لَأَنِّي مُحَمَّدٌ إِسْحَاقٌ مائَةً أَلْفَ درَمٍ يَتَنَعَّلُ لَهُ بِهَا دَارَهُ وَجَمِيعُ مَا يَجَاوِرُهَا
وَيَلَاصِقُهَا » . وَالتَّوْقِيْعُ الثَّانِي إِلَى ابْنِهِ الْفَضْلِ : « قَدْ أَمْرَتُ لَأَنِّي مُحَمَّدٌ إِسْحَاقٌ مائَةً
أَلْفَ درَمٍ يَتَنَعَّلُ لَهُ بِهَا دَارَهُ ، فَأَطْلِقَ إِلَيْهِ مَثَلَّهَا لِيَنْفَقَهَا عَلَى إِصْلَاحِ الدَّارِ كَمَا يَرِيدُ
وَبِنَاهَا عَلَى مَا يَشَهِي » . وَالتَّوْقِيْعُ الثَّالِثُ إِلَى جَعْفَرٍ : « قَدْ أَمْرَتُ لَأَنِّي مُحَمَّدٌ إِسْحَاقٌ
مائَةً أَلْفَ درَمٍ يَتَنَعَّلُ لَهُ بِهَا مَنْزِلٍ يَسْكُنُهُ ، وَأَمْرَ لَهُ أَخْوَهُ بَدْفَعَ مائَةً أَلْفَ درَمٍ يَنْفَقُهَا
عَلَى بَنَاهَا وَمَرَّمَهَا عَلَى مَا يَرِيدُ ، فَأَطْلِقَ لَهُ أَنْتَ مائَةً أَلْفَ درَمٍ يَتَنَعَّلُ بِهَا فَرْشاً
لِمَنْزِلِهِ » . وَالتَّوْقِيْعُ الرَّابِعُ إِلَى مُحَمَّدٍ : « قَدْ أَمْرَتُ لَأَنِّي مُحَمَّدٌ إِسْحَاقٌ أَنَا وَأَخْوَاهُ
بِمِائَةِ أَلْفِ درَمٍ لِمَنْزِلٍ يَتَنَعَّلُ وَنَفْقَهَا عَلَيْهِ ، وَفَرْشٍ يَتَدَلَّلُ^(٢) ، فَرِّ لَهُ أَنْتَ

(١) العَتَمَةُ : وقت صلاة العشاء . (٢) الْاِبْذَالُ : ضد الصيانة .

بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقةه ». وقال الوكيل : قد حملت المال واشترت كل شئجاورك بسبعين ألف درهم ، وهذه كتب الابتعاث باسمى والإقرار لك ، وهذا المال بورك لك فيه فاقبضه .

فقبضته وأصبحت أحسن حالا من أبي في منزل وفرش وآلتى ، ولا والله ما هذا بأكير شئ فعلوه لي ، أفالام على شكر هؤلاء !

فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر . وقالوا : لا والله لاتلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحبياتي غن الصوت ، ولا تدخل على أبي الحسن بأن تقوّمه له ! فقال : أفعل . وغناء فتبين علوّيه أنه كما قال . فقام قبلي رأسه ، وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد ، وردّه^(١) اسحق مرات حتى استوى لعلويه .

(١) ردّه : أعاده مثل ردّه .

* ٢٠ — المعتصم في يوم العيد

قال حمدون بن إسماعيل النديم : حضر العيد ؟ فعُيِّنَ المعتصم^(١) بالله خيله تعبية
لم يسمع بثناها ، ولم ير لأحدٍ من ولد العباس شبيه بها ، وأمر بالطريق فسُجح^(٢)
من باب قصره إلى المصلى ، ثم قسم ذلك على القواد ، وأعطى كل واحد منهم
مسافة^(٣) .

فما كان قبل الفطر بيوم حضر القواد وأصحابهم في أجمل زى وأحسن هياء ؛
فلزموا مصافهم منذ وقت الظهور ، إلى أن ركب المعتصم بالله إلى المصلى ؛ فكان الموضع
الذى وقع لإبراهيم بن المهدى بعد الحرمين^(٤) بمذاء مسجد الخوارزمى ؛ وإبراهيم
واقف وأصحابه في المصف .

فما أصبح المعتصم أمر القواد الذين لم يربوا في المصف بالصير إلى المصلى على
التعبية التي حَدَّها ، وليس ثيابه ، وجاس على كرمى ينتظر مُضى القواد . فلما
انقضى أمرهم تقدَّم إلى الرَّجَالَة في المسير بين يديه ؛ فتقدَّم منهم سبعة آلاف ناشبٍ
من الموالى ، كل ثلاثة منهم في زى مخالف لزى الباقيين ، وأربعة آلاف من
المغاربة ، وأمر الشيعة فكأنوا وراءه بالأعداء ، وعدتهم أربعة آلاف ، وركبتُ

* الحسان والساوى من ١٦٤

(١) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ولقب بالمعتصم بالله في اليوم الذى دعى له بالخلافة سنة ٢١٨ هـ ، وكان شجاعاً مقداماً شديد البأس محباً للعمارة ، منصراً إلى الجيش ، وتوفى سنة ٢٢٧ هـ (٢) يقال : مسح الأرض ، أى ذرعها (٣) المصف : موضع الصف ، وججه مصف (٤) الحرمسى : واحد حرس السلطان .

لَا أدرى مِنْزَلَتِي أَينَ هِيْ ، وَلَا أَعْرُفُ مِرْتَبَتِي ، وَلَمْ أُعْلَمْ أَينَ أَسِيرُ مِنْ الْمُوَكِّبِ .
فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ ، وَاسْتَوَى عَلَى سَرْجِهِ التَّفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَا حَمْدُونَ :
كُنْ أَنْتَ خَلْفِي ، فَلَزَمْتُ مَؤْخَرَ دَابِّتَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَابِ الْقُصْرِ تَلَاقَاهُ الْقَوَادُ
وَأَصْحَابُ الْمَصَافِ : يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنْ مَصَافِهِ ، فَإِذَا قَرَبَ نَزْلَ وَسْلَمَ عَلَيْهِ بِالْخَلْفَةِ ،
فَيَأْمُرُهُ بِالرَّكْوبِ وَيَمْضِي ، حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِي ، فَنَزَلَ وَسَلَمَ عَلَيْهِ بِالْخَلْفَةِ
فَرَدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ وَكَيْفَ حَالُكَ ؟ وَكَيْفَ كَنْتَ فِي
أَيَّامِكَ ! ارْكَبْ فَرْكَكِ . فَلَمَّا جَاءَوْزَهُ التَّفَتَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا حَمْدُونَ ؟ قَلْتَ : لَبِيكِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : تَذَكَّرُ ؟ قَلْتَ : إِنَّ اللَّهَ يَسِيدِي ! وَأَمْسَكَ .
فَنَظَرَتُ فِيهَا قَالَ فَلَمْ أَجِدْنِي أَذْكُرْ شَيْئًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَا يَشْبَهُ مَا كَانَ فِيهِ !
فَنَفَضَ عَلَيْهِ يَوْمِي ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ حَسْنَهِ وَسُرُورِهِ بِالْمَرْتَبَةِ الَّتِي أَهَانَتِي بِهَا ، وَقَلْتَ :
الْخَلْفَاءُ لَا يَعْامِلُونَ بِالْكَذْبِ ، وَلَا يَحْبُّونَ يَسَائِلَنِي عَنْهُ اِنْصَرَافِهِ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ،
فَلَا يَكُونُ لَهُ عِنْدِي جَوابٌ وَلَا حَقِيقَةٌ ! وَتَحْوَفَتُ أَنْ يَنْتَلِي مِنْهُ مَكْرُوهٌ ؛ فَلَمْ أَزْلَ
وَاجْمَأَ فِي طَرِيقٍ إِلَيْهِ وَقْتِ اِنْصَرَافِهِ ، ثُمَّ أَجْمَعْتُ عَلَى مَغَالِطَتِهِ إِنْ أَمْكَنْتُهُ ، وَإِعْمَالِ
الْحِيلَةِ فِي التَّخَاصِ إِنْ يَسَائِلَنِي .

فَلَمَّا اسْتَقَرَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَبُسطَ السَّمَاطُ^(١) ، وَجَلَسَ الْقَوَادُ عَلَى مَرَاتِبِهِ لِلطَّعَامِ
أَقْبَلَتُ أَخْدَمْ وَأَخْتَافَ ، لَيْسَتْ لِهِمْ غَيْرَ مَا كَانَ قَدْ قَالَهُ لِي ، لَا أَغْفَلْ عَنْ ذَلِكَ ،
حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ السَّمَاطِ ، وَرَفَعَ السَّتَّرَ ، وَنَهَضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَخَلَ الْحِجَرَةَ ،
وَمَصَى إِلَى الْمَرْقَدِ ، فَلَمْ أَبْلُثْ أَنْ جَاءَ الْخَادِمَ وَقَالَ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَضَيَّتْ .
فَلَمَّا دَخَلْتُ ضَحْكًا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا حَمْدُونَ ؟ رَأَيْتَ ؟ قَلْتَ : نَعَمْ يَسِيدِي

(١) السَّمَاطُ : مَا يَعِدُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ .

قد رأيت ! فالحمد لله الذي بلغ بي هذا اليوم وأرانيه ؛ فما رأيت ولا سمعت لأحدٍ من الخلفاء والملوك بأجل منه ولا أبهى ولا أحسن ؟ قال : ويبحث ؟ أرأيت إبراهيم ابن المهدى ؟ قلت : نعم ياسيدى ! قال : رأيت سلامه على وردى عليه ، ونزله إلى ؟ قلت : نعم ! فقال : إنه لما كان من أمره ما كان - يعني الخلافة - فهم الطريق في يوم عيد من منزله إلى المصلى كقسمى إياه في هذا اليوم بين قواده ، فوقع موضعى منه الموضع الذى كان به هذا اليوم ، فلما حاذنى نزلت فسلمت عليه ، فرد على مثل ما ردت حرفًا حرفًا على ما قال لي .

فدعوت له وانفرج عنى ما كنت فيه ، وتخلى عن الغم والكرب . ثم قال : ياحدون ؛ إنى لم آكل شيئاً ، وأنا أنتظر أن تأكل معى ، فامض إلى حجرة الندماء ؛ فإنك تجد إبراهيم هنا لك ، فاجلس إليه وعاتبه وضاحكه ، وأجر له هذا الحديث ، وقل له : إنك رأيته في ذلك اليوم فعل بي فعلى به في هذا اليوم ، وانظر إلى وجهه وكلامه ، وما يكون منه فغر فيه على حقيقته ، وأصدقني عنه ، واعجل ولا تختبس !

قلت : نعم ياسيدى ! فمضيت ، وقد دفعت إلى أغلى مما كنت فيه ؛ لعلى بأن إبراهيم لو كان من حجر لأنور فيه هذا القول وتغير ، وظهر منه ما يُذكره ، وخفت أن يأتي بما يُسلك به دمه ، فمضيت حتى دخلت الحجرة ، فجلست إلى إبراهيم ، وقلت ما أمرني به ، وأنا مبادر خوفاً من خادم يلعقنى ، أو رسول ، فلا يمكننى معه تحسين الأمر ، وما يظهر لي منه ؟ فقلت لا إبراهيم : كيف رأيت ياسيدى هذا اليوم ؟ أما أعجبك حسنه ؟ وما كان من تعبيبة أمير المؤمنين ؟ قال : بلى والله إنه أعجبنى ! فالحمد لله الذى بلغنىه وأرانيه ، وأنطب فى الدعاء المعتصم .

فَلَمَّا أَمْسَكَ قَالَتْ : يَا سَيِّدِي ؛ أَذْكُرْكَ ، فِي أَيَامِكَ ، وَقَدْ رَكِبْتَ فَعَبَّيْتَ شَبِيهًـا
بِهَذِهِ التَّعْبِيَةِ ، وَقُسِّمَتِ الظَّرِيقَ مِثْلَ هَذِهِ الْقَسْمَةِ ؛ فَوَقَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْضِعُ
الَّذِي وَقَعَ لَكَ ، وَاجْتَزَتْ بَهُ ، فَنَزَلَ إِلَيْكَ وَسَلَّمَ ، فَرَدَدَتْ عَلَيْهِ كَرْدَهُ عَلَيْكَ فِي هَذَا
الْيَوْمِ !

فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ إِلَّا أَنْ قَلَتْ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى ارْبَدَ لَوْنَهُ ، وَجَفَّ رِيقَهُ ، وَاعْتَقَلَ لَسَانَهُ ،
وَبَقَى لَا يَكْلُمُ بِحُرْفٍ مَلِيمٍ ، ثُمَّ قَالَ بِلِسَانٍ ثَقِيلٍ : لَكَأْنِي فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ ! فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِلَّذِي رَأَيْتُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَلَّ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ !

فَتَغَنَّمَتْ^(١) ذَلِكَ وَقْتَ ، وَأَنَا أَلْتَفَتُ ، وَنَهَضْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَعْتَصَمَ ، فَقَالَ لِي :
هِيَهُ يَاهْدُونَ ! فَقَلَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، وَقَلَتْ لَهُ مَا أَمْرَتَنِي بِهِ ،
فَأَظْهَرَ سَرُورًا وَدُعَاءً ، وَقَالَ : كَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ : وَاللَّهُ قَالَ ! بِحَيَايَيِّ ! قَالَ :
وَحَيَايَاتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : فَكَيْفَ رَأَيْتَ وَجْهَهُ ! فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ ، فَقَلَتْ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بِاللَّهِ لَا تَرْكَتَنِي مِنْ وَجْهِ عَمَّكَ الَّذِي لَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ فَرْحَ وَلَا حَزْنَ !
فَاسْتَضْحَكَ ، ثُمَّ أَمْسَكَ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَنَا ، ثُمَّ رَقَدَ . فَلَمَّا اتَّبَعَهُ وَجَلَسَ دَعَا
بِإِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ النَّدَمَاءِ ، فَشَرَبَ وَبَرَّ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْطَافَهُ .

(١) تَغَنَّمَهُ : اتَّهَزَ غَنْمَهُ ، وَعَدَهُ غَنْمَةً .

* ٢١ — رسل الروم عند الناصر*

رحل الناصر^(١) لدين الله من قصر الزهراء^(٢) إلى قصر قرطبة^(٣) لدخول وفود الروم عليه ، وقعد لهم في بهو المجلس الراهن قعوداً حسناً نبيلاً ، وقعد عن يمينه ولـُ العهد من بنيه ، وقعد عن يساره منذر بن سعيد ، وحضر الوزراء على مرأتهم يميناً وشمالاً ، ووقف الحجاب^{*} من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي وغيرهم وقد بسطَ صحن الدار أجمع يعتاق البسط ، وكـُرـَمـُ الدـُـرـَانـَكـ^(٤) ، وظلت أبواب الدار وحــنــيــاــهاــ بــالــدــيــبــاجــ وــرــفــيــعــ الســتــورــ .

فــوــصــلــ رــســلــ مــلــكــ الرــوــمــ حــائــرــينــ مــا رــأــوــهــ مــنــ بــهــجــةــ الــمــلــكــ وــفــخــامــةــ الســلــطــانــ ، وــدــفــعــواــ كــتــابــ مــلــكــهــمــ صــاحــبــ قــســطــنــطــيــنــيــةــ الــعــظــمــىــ ، وــهــوــ فــيــ رــقــ^(٥) مــصــبــوــغــ بــلــونــ ســمــاــوــيــ ، مــكــتــوبــ بــالــذــهــبــ بــالــخــطــ الــإــغــرــيــقــ ، وــدــاــخــلــ الــكــتــابــ مــدــرــجــ^(٦) مــصــبــوــغــةــ أــيــضاــ مــكــتــوــبــ بــخــفــضــةــ بــخــطــ إــغــرــيــقــ أــيــضاــ ، فــيــهــ وــصــفــ هــدــيــتــهــ الــتــىــ أــرــســلــ بــهــ وــعــدــهــ ، وــعــلــىــ الــكــتــابــ طــاــبــ ذــهــبــ وــزــنــهــ أــرــبــعــةــ مــثــاــقــيلــ ، عــلــىــ وــجــهــ مــنــهــ صــورــةــ مــســيــحــ وــعــلــىــ الــآــخــرــ صــورــةــ الــمــلــكــ وــصــورــةــ وــلــدــهــ .

* نفح الطيب من ١٧٢ ج ١٧٢

- (١) هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس ، وأول من ثقل بالخلافة منهم . وكانت أيامه أيام جهاد ، وكان عادلاً حسناً محباً للعلم ، شغوفاً بالعمارة ، توفي سنة ٥٣٥ هـ (٢) هي المدينة التي بناها الناصر (٣) قرطبة : حاضرة الخلافة بالأندلس ، وكانت أحدث بغداد عزاً وعلواً وحضارة وفيها المسجد الجامع الذي بناه عبد الرحمن الأموي سنة ٧٩٢ م ، وهي الآن الكنيسة الكندرائية (٤) الدرانك : الطنانس (٥) الرق : ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق (٦) ادرجت الكتاب : طوبته .

وكان الكتاب بداخل درج^(١) فضة منقوش ، عليه غطاء ذهب ، فيه صورة الملك من الزجاج الملون البديع ، وكان الدرج داخل جعبه ملasse بالديباج . ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه ليذكروا جلاله مقدده ، وعظم سلطانه ، ويصفوا ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته .

وتقديم إلى الأمير الحكيم ابنه ولـ عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكيم الفقيه محمد بن عبد البر السكرياني بالتأهـل لذلك ، وإعداد خطبة بلـغـة يـقـوم بـهـا بين يـدـيـ الخـلـيـفة ، وـكـانـ يـدـعـىـ منـ الـقـدرـةـ عـلـىـ تـأـلـيفـ الـكـلامـ ماـلـيـسـ فـوـسـعـ غـيرـهـ . وـحـضـرـ الجـلـسـ السـلـطـانـيـ ، فـلـماـ قـامـ يـخـاـلـفـ التـكـلمـ بـمـاـ رـأـىـ هـالـهـ وـبـهـرـهـ هـوـلـ المـقـامـ وـأـبـهـةـ الـخـلـافـةـ ، فـلـمـ يـهـتـدـ إـلـىـ لـفـظـةـ ، بلـ غـشـىـ عـلـيـهـ ، وـسـقطـ إـلـىـ الـأـرـضـ .

فـقـيلـ لـأـبـيـ عـلـىـ القـالـيـ . وـهـوـ حـيـنـئـذـ ضـيـفـ الـخـلـيـفـةـ الـوـافـدـ عـلـيـهـ مـنـ الـعـرـاقـ ، وـأـمـيـرـ الـكـلامـ ، وـبـحـرـ الـلـغـةـ . فـمـ فـارـقـ هـذـاـ الـوـهـيـ ، فـقـامـ خـمـدـ اللـهـ وـأـنـيـ عـلـيـهـ ، ثـمـ انـقـطـعـ القـولـ بـالـقـالـيـ ، فـوـقـفـ سـاـكـنـاـ مـفـكـراـ فـيـ كـلـامـ يـدـخـلـ بـهـ إـلـىـ ذـكـرـ مـاـ أـرـيدـ مـنـهـ . فـلـمـ رـأـىـ ذـكـرـ مـنـذـرـ^(٢) بـنـ سـعـيـدـ قـامـ ، فـوـصـلـ افـتـاحـ أـبـيـ عـلـىـ لـأـوـلـ خـطـبـتـهـ بـكـلامـ عـجـيبـ ، وـنـادـيـ مـنـ الإـحـسـانـ فـذـكـرـ الـمـقـامـ كـلـ مـجـيبـ ، يـسـعـهـ سـحـاـ كـانـاـ كـانـ يـحـفـظـهـ قـبـلـ ذـكـرـ بـمـدـةـ ، وـبـدـأـ مـنـ الـمـكـانـ الـذـيـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ أـبـوـ عـلـيـ قـالـ^(٣) :

(١) أصل الدرج : السـيـطـ الصـغـيرـ تـضـعـ فـيـ الـمـرـأـةـ مـنـاعـهاـ وـطـيـبـهاـ (٢) كان إـمامـاـ فـقـيـهـاـ خـطـيـباـ شـاعـرـاـ فـصـيـحاـ ، وـلـيـ القـضـاءـ بـقـرـطـبةـ أـيـامـ عـبـدـ الرـحـنـ ، وـتـوـقـ بـقـرـطـبةـ سـنـةـ ٢٣٥ـ هـ (٣) الـخـطـبـةـ بـهـامـهـاـ فـنـحـ الطـيـبـ جـ ١ـ صـ ١٧٢ـ ١٧٣ـ طـبـ المـطـبـةـ الـأـزـهـرـيـةـ .

أما بعدَ حمد الله والثناء عليه والتعداد لآياته ، والشكر لنعمائه ، والصلاه
والسلام على محمد صفيه وختام نبيائه، فإن لكل حادثة مقاماً، ولكل مقاماً مقالاً،
وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإن قلت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم ،
فأصغوا إلى عشر الملايين بأسماعكم ، وأنقوا إلى بأنفسكم ، إن من الحق أن يُقال
للمُحق صدق ، وللمبطل كذبت ، وإن الجليل تعالى في سماهه وتقديس بصفاته
وأنسانه أمر كلِّيه موسى أن يُذكَّر قومه بأيام الله عزوجل عندهم ، وفيه وفي رسول
الله أسوة حسنة ، وإن أذْكُركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ،
التي لم تُشَعَّ لكم وأمنت بربكم ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثُرْتُم ،
ومستضعفين فقوأْتُم ، ومستذلين فنصرتُم . . .

واستمر كذلك بكلام عجيب بغير العقول جزالة ، وملا الأسماع جلاة ؛ فخرج
الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه ، وبلاهة إنسانه ؛ وكان الناصر أشدَّهم
تعجباً منه ؛ فاقبل على ابنه الحكم ؛ فسألَه عنه ؛ فقال له : هذا منذر بن سعيد
البلوطي ! فقال : والله لقد أحسن ما شاء ، ولئن أخْرَنَي الله بعد لا رفعنَ من ذكره ،
فضع يدك يا حكم عاليه واستخاصه وذكْرِني بشأنه ، فما لاصنيعة مذهب عنه .
ثم ولأه الصلاه والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء .

* ٢٢ — ليلة بالقلة

قال أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد التَّاجِيِّي : كُنْتُ بِمَدِينَةِ مَالَقَة^(١) مِنْ بَلَادِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةِ سَوْتَ وَأَرْبَعَائِةِ ، فَاعْتَلَتْ بِهَا مَدَّةً افْطَعَتْ فِيهَا عَنِ التَّصْرِفِ ، وَلَزِمَتْ الْمَنْزِلَ ، وَكَانَ يَرْضَنِي^(٢) حِينَشِدْ رَفِيقَانِ كَانَا مَعِيْ ، يَلْمَانَ مِنْ شَمَائِيْ ، وَيَرْفَقَانَ بِيْ . وَكُنْتُ إِذَا جَنَّى اللَّيلَ اشْتَدَّ سَهْرِيْ ، وَخَفَقَتْ حَولَ أُوتَارِ الْعِيدَانِ وَالظَّنَابِيرِ وَالْمَاعِزِ فِيْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَاخْتَلَطَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْغَنَاءِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ شَدِيداً عَلَيْ ، وَزَائِدًا فِي قَلْقِ وَتَأْلِمِي ، فَكَانَتْ نَفْسِي تَعَافُّ تَلْكَ الضَّرُوبَ طَبِيعاً ، وَتَكَرَّهَ تَلْكَ الْأَصْوَاتَ جِبْلَةً ، وَأَوْدَ لَوْ أَجَدْ مَسْكَنًا لَا أَسْعَمُ فِيهِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْ وجودُهُ لِغَلَبَةِ ذَلِكَ الشَّأْنِ عَلَى أَهْلِ تَلْكَ النَّاحِيَةِ وَكَثْرَتْهُ عِنْدَهُ .

وَإِنِّي لِسَاهِرٌ لِيَلَةً بَعْدَ إِغْفَاءِ فِيْ أَوْلَى لِيَلَى ، وَقَدْ سَكَنَتْ تَلْكَ الْأَفْاظَ الْمُكْرُوهَةَ ، وَهَدَأَتْ تَلْكَ الضَّرُوبَ الْمُضْطَرِبَةَ ، وَإِذَا ضَرَبَ خَفِيْ مُعْتَدِلُ حَسَنَ لَا أَسْعَمُ غَيْرَهُ ، فَكَانَ نَفْسِي أَنِسَتْ بِهِ ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تَنْفِرْ مِنْهُ نَفَارَهَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ أَسْعَمْ مَعَهُ صَوْتاً ، وَجَعَلَ الضَّرُوبَ يَرْتَقِعُ شَيْئاً فَشَيْئاً ، وَنَفْسِي تَتَبَعُهُ ، وَسَمِعَ يُصْغِي إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ فِي الْأَرْتَقَاعِ إِلَى مَالَاغِيَةِ وَرَاءَهُ ؛ فَارْتَحَتْ لَهُ ، وَنَسِيَتْ الْأَلْمَ ، وَتَدَخَّلَتْ سَرُورُ وَطَرَابَ ، وَخَيَّلَ إِلَى أَنْ أَرْضَ الْمَنْزِلَ ارْتَقَعَتْ بِيْ ،

* شرح المختار من شعر بشار ص ١٤

(١) مَدِينَةُ بِالْأَنْدَلُسِ كَانَتْ ثَغْرَا حَصِينَا عَلَى بَحْرِ الرُّومِ ، أَسَسَهَا الْفَيْنِيَّيُونَ ، وَكَانَ لَهَا شَهْرَةُ أَيَامِ الرُّومَانِ وَالْفَرْطَاجِيِّينَ ، وَكَانَ بِهَا بُنُوْدُ مِنْ مُلُوكِ الْطَّوَافَنَ (٢) مَرْضٌ : قَامَ عَلَيْهِ فِيْ مَرْضِهِ .

وأن حيطانه تمور^(١) حولي ، وأناني كل ذلك لا أسمع صوتاً .

فقلتُ في نفسي : أمّا هذا الضرب فلا زيادة عليه ؛ فليت شعرى كيف صوتُ
الضارب ! وأين يقع من ضربه ؟ ولم ألبث أن اندفعت جارية تغنى في هذا الشعر
بصوتِ أندى من النوار ، غَبَّ الْقِطَار^(٢) ، وأحلَّ من البارد العذب ، على كبدِ
الهائم الصب ؛ فلم أملك نفسي أن قمتُ ورفقاي نامان ، ففتحت الباب ، وتبعَتْ
الصوتُ ، وكان قريباً مني ، فاطلعت من وسط منزلِي على دار فسيحة ، وفي وسطِ
الدار بستانٌ كبير ، وفي وسطِ البستان شرَب^(٣) نحو من عشرين رجالاً ، قد
اصطفوا وبين أيديهم شراب وفاكة ، وجوارِ قيامٌ يعيدان وطنابير وآلات
لهُو ، ومزامير لا يحرّكُنها ، وجاريةٌ جالسةٌ ناحية ، وعودُها في حجرٍها ، وكلُّ
يرمقها بيصره ، ويُوعِيَها سمعه ، وهي تغنى وتضرب ، وأننا قائم بحيث أراهم
ولا يرونني ، وكلَّاغفت بيتأ حفظته إلى أن غنت عدة أبيات وقطعت ؛ فعدتُ
إلى موضعِي ، يشهدُ الله وكأنما أنشطت^(٤) من عقال ، وكانت لم يكن بي ألم ، وقد
وعيتُ الأبيات وهي :

مَبَالٌ أَنْجَمٌ هَذَا اللَّيلٌ حَائِرٌ أَضَلَّتِ الْقَصْدُ؟ أَمْ لَيْسَتْ عَلَى فَلَاكَ ؟
عَادَتْ سَوَارِيهِ^(٥) وَقَفَّا لَاهِرَالَّهَبَهَا كَأَنَّمَا جَهَتْ صَرْعِي بَعْتَرَكِ
هَلْ مِنْ بَشِيرٍ بِنُورِ الصَّبَحِ ، تَنْقِذَنِي بُشْرَاهُ مِنْ طُولِ وَجْدٍ غَيْرِ مَرَكِ

(١) تمور : تحرك وتحدب وتحبب . (٢) القطار : جمع قطر . (٣) جمع شارب . (٤) أنشط
من عقال : حل (٥) ججم سار .

فَقَدْ أَجَدَ التِّوَاءُ الْيَلَلِ لِ شَجَنَّا
وَأَضْجَعَنِي تَبَارِيْحِي^(١) عَلَى الْحَسَكِ^(٢)
خَذْ يَاشْمُول^(٣) كَثُوسَ الْرَّاحِ مُتَرَعِّهَ فَسَقَنِيْهَا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الدَّرَكِ
وَهِيَجْ بِالْحَانَكَ الْطَّنْبُورَ إِنَّهَ عَلَى شُجُونِ الْمَعْنَى سَطْوَةَ الْمَلِكِ
شَمْ انْصَرَفَتْ فِي صَبَّاحِ تِلْكَ الْأَيَّلَةِ ، فَلَقِيتُ صَدِيقًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَرْطَبِيًّا
سَكَنَ مَالَقَةَ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، وَأَنْشَدَهُ الشِّعْرَ ، وَوَصَّفَتْ لَهُ الدَّارُ ؛ فَاغْرَوْقَتْ عَيْنَاهُ
وَقَالَ : الدَّارُ لِلْوَزِيرِ فَلَانَ ، وَالْجَارِيَةُ فَلَانَةُ الْبَغْدَادِيَّةُ إِحْدَى الْمَسَنَاتِ مِنْ جَوَارِيِّ
الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ؛ وَصَارَتْ إِلَى هَذَا الْوَزِيرِ بَعْدَ مَوْتِ الْمَنْصُورِ ، وَتَعَزَّزَ
مَلَكَهُ !

(١) تَبَارِيْحُ الشُّوقِ : تَوْهِيجُهُ ، وَالتَّبَارِيْحُ : الشَّدَائِدُ (٢) الْحَسَكَ : نَاتِ وَرْقَهُ كَوْرَقَ الرَّجْلَةِ
وَأَدَقَ وَعَدَ وَرْقَهُ شُوكَ صَلْبَ ذُو ثَلَاثَ شَعْبَ (٣) شَمُولُ : امْ غَلامَ صَقَلِيَّ مِنْ صَقَالَةِ الْمَنْصُورِ .

الباب الثاني

في القصص التي تتضمن معتقداتهم ، وأخبار كهانهم
وكواهفهم ، وتبسط ما كانوا يعرفون من حقائق التوحيد ،
والبعث ، والدار الآخرة ، وما كانوا يتولون به من إقامة
الأوثان ، وتعهدوها باللوان الزلفي والقربان .

٢٣ — قومُ عادٍ يستسقون بِعَكَةَ *

لَا كَذَّبَتْ عَادٌ هُودًا — عَلَيْهِ السَّلَامُ — تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ ، لَمْ يَرُوا
فِيهَا مَطَرًا ؛ فَبَعَثُوا مِنْ قَوْمِهِمْ وَفَدًّا إِلَى مَكَّةَ ؛ لِيَسْتَسْقُوا لَهُمْ ، وَرَأَوْا^(١) عَلَيْهِمْ
قَيْلَ بْنَ عُنْقٍ ، وَلُقَيمَ بْنَ هَزَّالٍ ، وَلَقَانَ بْنَ عَادٍ ، وَكَانَ أَهْلَ مَكَّةَ إِذْ ذَاكُ الْعَالِيَقِ ،
وَكَانَ سَيِّدَهُمْ بِعَكَةَ مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ .

فَلَمَا قَدِمُوا نَزَلُوا عَلَيْهِ ، لَأْتَهُمْ كَانُوا أَخْوَاهُ وَأَصْهَارُهُ ؛ فَأَقْامَوْا عِنْدَهُ شَهْرًا ، وَكَانَ
يَكْرِمُهُمْ ، وَالْجَرَادَتَانِ^(٢) تُغْنِيَاهُمْ ؛ فَنَسُوا قَوْمَهُمْ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَلَكَ أَخْوَالِي ،
وَلَوْقَلَتْ لَهُؤُلَاءِ شَيْئًا ظَنَنُوا بِي بَخْلًا ، فَقَالَ شَعْرًا ، وَأَلْقَاهُ إِلَى الْجَرَادَتَيْنِ ، فَأَنْشَدَتَاهُ ،
وَهُوَ :

الأَيَّالِيلُ وَيَحْكُ ! قَمْ فَاهِيجَ ^(٣) فِيسْقِي أَرْضَ عَادٍ ؛ إِنْ عَادَ	لَعَلَّ اللَّهَ يَعْشُهَا غَمَامًا قَدْ امْسَوْا لَابِيَنُونَ الْكَلَامَا
مِنَ الْعَطْشِ الشَّدِيدِ فَلِيُسْرِجُو وَقَدْ كَانَتْ نَسَوْهُمْ بَخِيرٌ	بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرِ وَلَا الْغَلامَا وَلَا يَخْشَى لَعَادِي سَهَاما
وَإِنَّ الْوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جَهَارًا وَأَنْتُمْ هُنَّا فِيهَا اشْتَهِيَمُ	نَهَارَكُمْ وَلِيَلَّكُمْ الْعَامَا ^(٤) فَقَبَحَ وَفَدَكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ وَالسَّلَامَا

* الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ لَابْنِ كَثِيرٍ ص ١٢٦ ج ١ ، الْأَمْثَالُ مِن ١١٥ ج ١ ، الْمَسْعُودِيُّ ص ٣٢١ ج ١
وَص ٤٥٦ ج ٢

(١) رَأْسُوهُ : جَمْلَوْهُ رَئِيْسًا (٢) الْجَرَادَتَانِ : مَغَنِيَتَانِ لَمَاعَوِيَّةٌ كَاتِبَةُ بِعَكَةَ (٣) الْهَيْنَةُ : الصَّوْتُ
الْخَفْيُ وَالْمَرَادُ الدُّعَاءُ (٤) الْأَيَّامِيُّ : جَمْعُ الْأَيَّامِ : وَهِيَ مِنْ لَازِوجِ الْهَا (٥) الْأَنْمُ : نَزَلُ .

فَلَمَا غَنَّتْهُمُ الْجَرَادُتَانِ بِهَذَا ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يَا قَوْمٌ ؛ إِنَّا بَعْشَكُمْ قَوْمُكُمْ
يَنْغُثُونَ ^(١) بِكُمْ !

فَقَامُوا لِيَدْعُوا ، وَخَلَّفَ لَقَانٌ ؛ وَكَانُوا إِذَا دَعَوْا جَاءَهُمْ نَدَانٌ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ
سَلُّوا مَا شِئْتُمْ ! فَتَعْطُونَ مَا سَأَلْتُمْ ! فَدَعَوْا رَبَّهُمْ ، وَاسْتَسْقُوا لِقَوْمِهِمْ ؛ فَأَنْشَأَ اللَّهُ ثَلَاثَ
سَحَابَاتٍ : بَيْضَاءَ وَحْمَرَاءَ وَسُودَاءَ ؛ ثُمَّ نَادَى مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا قَيْلُ^(٢) ؛ اخْتَرْ لِقَوْمِكَ
وَلِنَفْسِكَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ السَّحَابَاتِ !

فَقَالَ : أَمَا الْبَيْضَاءَ فَجَفَّلُ ^(٣) ، وَأَمَا الْحَمَرَاءَ فَعَارَضَ ^(٤) ، وَأَمَا السُّودَاءَ فَهُطِّلَ ،
وَهِيَ أَكْثَرُ مَاءٍ ؛ فَاخْتَارَهَا !

فَنَادَى مَنَادٌ : قَدْ اخْتَرْتَ لِقَوْمِكَ رَمَادًا ^(٤) رِمْدِدًا ، لَا تَنْدَرْ مِنْ عَادَ أَحَدًا ،
لَا وَالَّدًا وَلَا وَلَدًا !

وَسَيَّرَ اللَّهُ السَّحَابَةَ الَّتِي اخْتَارَهَا إِلَى عَادَ ، وَنَوَّدَى لَقَانٌ : سَلَلٌ ، فَسَأْلَ عُمْرٌ
ثَلَاثَةَ ^(٥) أَنْسَرٌ ؛ فَأَعْطَى ذَلِكَ !

وَكَانَ يَأْخُذُ فَرَخَ النَّسْرِ مِنْ وَكْرَهٖ ؛ فَلَا يَرْزَالُ عَنْدَهُ حَتَّى يَمُوتُ ! وَكَانَ آخْرَهَا
لُبْدَ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ النَّابِغَةُ :

أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلَهُ احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

(١) غوث الرجل واستغاثة : صاح واغوثاه (٢) الجفل : السحاب هراق ماءه ومضى (٣) العارض :
السحابة المعرضة في الأفق (٤) الرمدد بالكسر : المتأهي في الدقة (٥) يقال سبعة .

* ٢٤ — زيد بن عمرو يتامس الدين الصحيح

خرج زيد^(١) بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فاتَّى عالماً من اليهود ، فسألَه عن دِينِهم فقال : لعلَّ أدين بدينكم فأخبرْنِي به ؛ فقال اليهودي : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذَ بنصيبيك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : لا أفرُ إلا من غضب الله ، وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ؛ فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلم إلا أن يكون حنيفاً ؛ قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ فخرج من عنده وتركه .

فاتَّى عالماً من علماء الفصارى . فقال له نحواً ممَا قال لليهودي ؛ فقال له النصراني : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذَ بنصيبيك من لعنة الله ، فقال : إنِّي لا أحمل من لعنة ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ؛ فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً ممَا قال اليهودي : لا أعلم إلا أن يكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما ، وقد رضى بما أخبرَاه واتفقا عليه من دين إبراهيم ؛ فلما بَرَزَ رفع يده وقال : اللهم إني على دين إبراهيم .

* الأغاني ص ١٢٦ ج ٣

(١) كان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحها ، وكان يقول : يا عشر قريش ، أرسل الله قفار السماء ، وينبت بقل الأرض وبخاق الساعفة فترعى فيه ، وتذبحوها لغيره ! توفي سنة ١٧٠ ق . هـ .

* ٢٥ — النعسان بن المنذر يتنصر

خرج النعسان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدى بن زيد، فهرا بشجرة، فقال له
عدي بن زيد: أيها الملكُ، أتدرى ما تقولُ هذه الشجرة؟ قال: لا، قال تقول:
رَبَّ رَكْبٍ قد أanaxوا عندنا يشربون الماء بالماء الزلالي
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال
ثم جاوز الشجرة فرققببرة، فقال له عدي: أيها الملك؟ أتدرى ما تقول هذه
المقبرة؟ قال: لا، قال تقول:

أيها الركبُ المحبُّ نَ على الأرضِ الجدُونْ
~~فَكَانَتْ كَلَّا لَهَا~~ فَكَانَتْ كَلَّا لَهَا مَكَا نَحْنُ تَكُونُونْ
 فقال له النعسان: إن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان، وقد علمت أنك إنما أردتَ
عطائي، فالسبيل التي تدرك بها النجاة؟ قال: تدع عبادة الأواثان، وتعبد الله،
وتدين بدين المسيح عيسى بن مريم، قال: أو في هذا النجاة؟ قال: نعم،
فتنهض يومئذ!

* الأغاني ص ٩٦ ج ٢

(١) جاء في الأغاني أن الشعر من مجموع الرمل المسيح وتطبعه:
فاعلاتن فاعلاتن، فيكون على هذا غير موزون.

٢٦ - طَرِيْفَةُ الْكَاهِنَةُ *

كانت العارة في أرض سباً أزيد من مسيرة شهرين للراكب المجد ، وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر ؛ ثم مُزقوا كلَّ مُمْزق . وكان أولَ من خرجَ من اليمن في أول الأمر عَمَرُ بْنُ عَامِرٍ مُزِيقِيَّاً^(١)؛ وكان سبب خروجه أنه كانت له زوجة كاهنة ، يقال لها طَرِيْفَةُ الْخَيْر ، وكانت رأت في منامها : أنَّ سحابةً غَشَيَتْ أرْضَهُمْ ، فَأَرْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ^(٢) فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ؛ فَقَزَعَتْ طَرِيْفَةُ الْخَيْر فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَتَتِ الْمَالِكُ عَمَرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالِيلَوْمَ ، أَزَالَ عَنِ النَّوْمَ ، رَأَيْتُ غَيْرًا أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ ، وَزَجَّمَرَ وَأَصْعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَ . فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا .

ثُمَّ إِنْ عَمَرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيَاتٌ مِنْ جَوَارِيهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيْفَةُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ ، وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ^(٣) لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ؛ فَلَمَّا بَرَزَتْ مِنْ يَدِهَا عَرْضٌ لَهَا ثَلَاثٌ مَنَاجِدٌ^(٤) مُنْتَصِبَاتٌ عَلَى أَرْجَانِهِنَّ ، وَاضْعَافَتْ أَيْدِيهِنَّ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ ، فَقَعَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْعَفَتْ يَدِيهَا عَلَى عَيْنِهَا ، وَقَالَتْ لَوَصِيفِهَا : إِذَا ذَهَبَتْ هَذِهِ الْمَنَاجِدُ فَأَخْبِرْنِي . فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَخْبِرْهَا ، فَانْطَلَقَتْ مُسْرَعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا الْخَلِيجُ الَّذِي فِي

* شرح مقامات الحريري ص ٢٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٢٨٣ ج ٣ ، بجمع الامثال ص ٢٥٢ ج ١ ، النسعودي ص ٣٤٤ ج ١ ، معجم البلدان (ما رب) .

(١) ملك اليمن ، ومزيقياء : لقبه ، فقد كان يلبس كل يوم حلبين ويقرئهما بالعشى ، يكره العود فيهما ، ويأنف أن يلبسهما غيরه (٢) أصابت بصاعقة : وهي نار تسقط من السماء مع الرعد الشديد (٣) الوصيف : الخادم ، غلاماً كان أو جارية (٤) هي دواب تشبه البرائين ، والبرائين : دوبية نحو الفأرة ، لكن ذنبه وأذنيه أطول منها ، ورجليه أطول من يديه .

حديقة عمرو وثبتت من الماء سلحفاة ، فو قفت في الطريق على ظهرها ، وجعلت ترُوم
الانقلاب فلا تستطيع ، وتسقط عن بذنبها فتحثُ الترابَ على بطنها من جنباً ،
ونفذ بالبول قدفاً .

فلا رأتها طريقة جاست إلى الأرض ، فلما عادت الساحفة إلى الماء مضت
طريقة إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين اتصف النهار في ساعة شديدة حرّها ؛
فإذا الشجر يتكلّفَ^(١) من غير ريح ، فلما رأها استحيى منها ، وأمر الجاريتين
بالانصراف إلى ناحية ؛ ثم قال لها : هلمي يا طريقة ، فكَبَّنتَ^(٢) له ، وقالت :
والنور والعلماء ، والأرض والسماء ؛ إن الشجر لها ألاك ، وليعودنَ الماء كما كان في
الزمن السالك .

قال عمرو : من أخبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجد ، بسنين شدائداً ، يقطع
فيها الولد الوالد . قال : ما تقوين ؟ قالت : أقول قول النَّدْ مان لَهُفَا ، لقد رأيت
سَاحِفَا^(٣) ، تجرفُ الترابَ جرفاً ، وننفذُ بالبول قدفاً ؛ فدخلتُ الحديقة ؛ فإذا
الشجر من غير ريح يتكلّفَ !

قال : ما ترَينَ في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهباء^(٤) من أمور جسيمة ،
ومصائب عظيمة ! قال : وما هو ؟ ويلاك ! قالت : أجل ! إن فيه الويل ! وما ألاك
فيه من قيل^(٥) ، وإن الويل فيما يجيء به السيل !
فالقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريقة ؟ قالت : خطب جليل ،

(١) يَعْلَم (٢) كَبَّنَ لَهُ : قضى له بالغيب (٣) السَّاحِفَة (٤) داهية دهباء : شديدة

(٥) قال قيلا : نام في القائلة ، وهي نصف النهار ، والمراد الإقامة والمسك .

وَحْزُنٌ طَوِيلٌ، وَخَلْفٌ^(١) قَلِيلٌ ! قَالَ : وَمَا عَلَمَةُ مَا تَذَكَّرِينَ ؟ قَالَتْ : اذْهَبْ إِلَى السَّدَّ ، فَإِذَا رَأَيْتَ جُرَدًا^(٢) ، يُكْثِرُ يَدِيهِ فِي السَّدَّ الْحَفْرِ ، وَيَقْلَبُ بِرْجِلِيهِ مِنْ أَجْلِ الصَّخْرِ ، فَاعْلَمْ أَنْ غَمَرَ الْغَمَرَ^(٣) ، وَأَنْ قَدْ وَقَعَ الْأَمْرُ .

قَالَ : وَمَا النَّذِي تَذَكَّرِينَ أَنْهُ يَقْعُ ؟ قَالَتْ : وَعْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَزَلَ ، وَبَاطِلٌ بَطْلٌ ، وَنَسْكَلٌ بَنَا نَسْكَلٌ ؛ فَبَغَيْرِكَ يَأْمُرُونَ الشَّكَلَ^(٤) !

فَانْطَلَقَ عُمَرُ وَإِذَا الْجَرَذُ يَقْلَبُ بِرْجِلِيهِ صَخْرَةً مَا يَقْلِبُهَا خَمْسُونَ رِجَالًا ، فَرَجَعَ إِلَى طَرِيقَةِ فَأَخْبَرَهَا الْخَبْرُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَبْصَرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمْ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلَهُ بَرْجَ^(٥) السَّقْمَ
مِنْ جُرَدٍ كَفَعَلَ خَنْزِيرَ الْأَجْمَ^(٦) أَوْ كَبْشَ صَرْمَ^(٧) مِنْ أَفَارِيقَ^(٨) الْقَمَ
يَسْحَبُ^(٩) صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدَ الْعَرَمَ لَهُ مَخَالِبُ وَأَنيابُ قَضْمَ^(١٠)
مَا فَاتَهُ سَحَلًا^(١١) مِنَ الصَّخْرِ قَضْمَ^(١٢)

فَقَالَتْ طَرِيقَةٌ : وَإِنْ عَلَمَةً ذَلِكَ النَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمِرَ بِزَجاْجَةَ
فَتَوَضَعَ بَيْنَ يَدِيكَ فَإِنَّ الرِّيحَ تَمْلُؤُهَا مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ مِنْ سَهْلَةِ^(١٢) الْوَادِي وَرَمْلَهُ ،
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْجَنَانَ مُظْلَلَةٌ لَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ .

فَأَمَرَ عُمَرُ بِزَجاْجَةَ فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَلَمْ تَمْكُثْ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى امْتَلَأَتْ
مِنَ التَّرَابِ ، فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهَا : مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ الْخَرَابُ الَّذِي يَحْدُثُ

(١) الْخَلْفُ : مَا اسْتَخْلَفْتَهُ مِنْ شَيْءٍ (٢) ضَرَبَ مِنَ الْقَبْرَانَ (٣) الْغَمَرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ

(٤) النَّسْكَلُ : كَبَبُ وَقْلَلُ : الْمَوْتُ وَالْمَلَكُ (٥) الْبَرْجُ : الشَّدَّةُ (٦) الْأَجْمُ : جَمْ جَمْ ،
وَهُى الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُنْتَفُ (٧) الصَّرْمُ : الْجَمَاعَةُ (٨) الْأَفَارِيقُ : الْفَرَقَةُ تَجْمَعُ عَلَى فَرَقٍ وَجِمِيعُ
فِي الشِّعْرِ عَلَى أَفَارِقٍ وَجِمِيعُ الْجُمُعِ أَفَارِقٍ وَجِمِيعُهُ أَفَارِيقٌ (٩) قَضْمٌ قَضْمًا : أَكْلُ باطِرَافِ أَسْنَاهِ
(١٠) سَحَلٌ : قَشْرَهُ وَنَحْتَهُ (١١) قَضْمٌ : كَسْرٌ (١٢) السَّهْلَةُ : تَرَابٌ كَالْمَلْ بَحْرِيٍّ

بِهِ الْمَاءُ .

فِي السَّدِ؟ قَالَتْ : فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَبْعُ سَنِينَ ! قَالَ : فَفِي أَيْمَانِهَا يَكُونُ ؟ قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَوْ عِلْمَهُ أَحَدٌ لَعْلَمَهُ ، وَإِنَّهُ لَا تَأْتِي عَلَيْهِ لَيْلَةٌ فِيمَا بَيْنِي
وَبَيْنِ سَبْعِ السَّنِينِ إِلَّا ظَنِنتُ هَلَاكَهُ فِي غَدَرِهِ أَوْ فِي مَسَائِهِ !

ثُمَّ رَأَى عُمَرَ فِي مَنَامِهِ سَيْلَ الْعَرَمِ^(١) ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ آيَةَ ذَلِكَ أَنْ تَرَى
الْحَصَبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِي سَعْفِ النَّخْلِ ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوُجِدَ الْحَصَبَاءُ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهَا ،
فَعْلَمَ أَنَّهُ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ بِلَادِهِ سَتَّمْ خَرَبَ .

فَكَمْ ذَلِكَ ، وَأَجْمَعَ عَلَى بَيْعٍ كُلِّ شَيْءٍ لِهِ بِأَرْضِ مَأْرِبِ ، وَأَنَّ يَخْرُجَ مِنْهَا
هُوَ وَوْلَدُهُ ؛ ثُمَّ خَشِيَ أَنْ تُنْكَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَأَمْرَأَ أَحَدَ أُولَادِهِ إِذَا دَعَاهُ
لِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَابَ إِلَيْهِ^(٢) ، وَأَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ بِهِ فِي الْمَلَأِ مِنَ النَّاسِ ؛ وَإِذَا اطْمَأَنَّ
يَرْفَعُ هُوَ يَدَهُ ، وَيَلْطِمُهُ .

ثُمَّ صَنَعَ عُمَرُ طَعَاماً ، وَبَعْثَ إِلَى أَهْلِ مَأْرِبِ : إِنَّ عَمَراً قدْ صَنَعَ طَعَاماً يَوْمَ
مِجْدٍ وَذَكْرٍ ، فَاحْضُرُوا طَعَامَهُ !

فَلَمَّا جَاءَ النَّاسُ لِلطَّعَامِ جَاءَ عِنْدَهُ أَبْنَاءُ الَّذِي أَمْرَهُ بِمَا قَدْ أَمْرَهُ ، فَجَعَلَ يَأْمُرُهُ
فِي تَابَّابِيٍّ عَلَيْهِ ؛ فَرَفَعَ عُمَرُ يَدَهُ فَلَطَمَهُ ، فَلَطَمَهُ أَبْنُهُ فَصَاحَ عُمَرُ : وَإِذْلَاهٌ يَوْمَ فَخْرِ عُمَرٍ
يَهِيجُهُ صَرِيْحٌ وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ ! وَحَلَفَ لِيَقْتَلَنَّهُ ، فَلَمْ يَرَالَوْهُ بَهْتَى تَرَكَهُ ، وَقَالَ :
وَاللَّهِ لَا أَقِيمُ بِمَوْضِعِ صُنْعِ هَذَا بَنِي فِيهِ ! وَلَا يَبْعَدُهُ أَمْوَالِي ، حَتَّى لَا يَرِثَ
مِنْهَا شَيْئاً !

(١) العرم : السيل الذي لا يطاق ، وقيل هو المطر الشديد ، وقيل هو امم واد (٢) تاب عليه : امتنم .

قال الناسُ بعضهم لبعض : اغتنموا غَصْبَةَ عمرو ، واشتَرُوا منه أمواله قبل أن يَرَضَى ؛ فابتَاعَ الناسُ منه كُلَّ ماله بِأَرْضِ مَأْرُوبٍ ، وفَشَا بَعْضُ حَدِيثِه فِيهَا بَلَغَهُ من شَأْنٍ سِيلُ العَرَمِ ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَزْدِ فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَكْثَرُوا الْبَيعَ اسْتَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ فَأَمْسَكُوا عَنِ الشَّرَاءِ ! فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ عمرو أَمْوَالُهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِشَأْنِ السِّيلِ وَخَرْجِهِ ، فَخَرَجَ لِخَرْجِهِ مِنْهَا بَشَرٌ كَثِيرٌ.

* ٢٧ - عَفِيراءُ وَصَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ *

قُفلَ مَرْنَدُ^(١) بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ مِنْ غَزَّةٍ غَزَّاهَا بِغَنَائِمٍ كَثِيرَةً ؛ فَوَفَدَ عَلَيْهِ زُعمَاءُ الْعَرَبِ وَشَعَرَاؤُهَا وَخَطَبَاؤُهَا يَهْتَشُونَهُ ؛ فَرَفَعَ الْحِجَابَ عَنِ الْوَافِدِينَ ، وَأَوْسَعَهُمْ عَطَاءً ، وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ بِهِمْ .

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَامَ يَوْمًا ؛ فَرَأَى رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ أَخْفَافَهُ وَأَذْعَرَتْهُ ؛ فَلَمَّا أَنْتَبَهَ أَنْسَيَهَا ، حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَثَبَّتَ فِي نَفْسِهِ ارْتِيَاعُهُ بِهَا ، فَانْقَلَبَ سُرُورُهُ حَزَنًا ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الْوَفُودِ ، حَتَّى أَسَاءَ وَبَهِ الظَّنِّ .

ثُمَّ إِنَّهُ حَسَرَ السَّكَاهَنَ ؛ فَجَعَلَ يَخْلُو بِكَاهِنٍ بَعْدِ كَاهِنٍ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُ عَنْهُ ! فَيَجِيبُهُ السَّكَاهَنُ : بَأْنَ لَا عَلَمَ عَنِّي ! حَتَّى لَمْ يَدْعُ كَاهِنًا عَلَمَهُ إِلَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنْهُ ذَلِكَ ! فَتَضَاعَفَ قَلْقُهُ ، وَطَالَ أَرْقُهُ ، وَكَانَ أَمْهُ

* بِلُوغِ الْأَرْبَعِ مِنْ ٢٩٦ ج ٣ ، الْأَغْنَى مِنْ ٢١ ج ١٠ .

(١) هُوَ أَخُو تَبَعَ بْنَ حَمَانَ لِأَمْهِ ، وَكَانَ ذَارِيًّا وَبَأْسَ وَجُودَ وَمَلَكَ إِحدَى وَأَرْبَعينَ سَنَةً .

قد تكبتَ^(١) ؛ فقلت له : أبْيَتَ اللَّعْنَ أَيْهَا الْمَلَكُ ! إِنَّ الْكَوَافِنَ^(٢) أَهْدَى إِلَى
مَا تَسْأَلُ عَنْهُ ؛ لَأَنَّ أَتْبَاعَ الْكَوَافِنَ مِنَ الْجَاهِلَةِ أَطْفَلُ وَأَنْظَرَ فِي مِنْ أَتْبَاعِ
الْكَهَانِ .

فَأَمْرَ بِحُشْرِ الْكَوَافِنِ إِلَيْهِ ، وَسَأَلْهُنَّ كَمَا سَأَلَ الْكَهَانِ ؛ فَلَمْ يَمْجُدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ عَلَمًا مَا أَرَادَ عَلَمَهُ ؛ وَلَا يَئُسَّ مِنْ طَلَبَتِهِ سَلَامًا عَنْهُنَّ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ
يَتَصَيَّدُ^(٣) ؛ فَأَوْغَلَ^(٤) فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، وَانْفَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَرُفِعَتْ لَهُ أَبْيَاتٌ مِنْ
ذَرَا^(٤) جَبَلٍ ، وَكَانَ قَدْ لَفَجَهَ^(٥) الْمُجِيرَ ؛ فَعَدَلَ إِلَى الْأَبْيَاتِ ، وَقَدِدَ بِيَتًا مِنْهَا
مَنْفَرِدًا عَنْهَا ؛ فَبَرَزَتْ إِلَيْهِ مِنْهُ عَجُوزٌ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : انْزِلْ بِالرْحْبِ وَالسَّعْمَةِ ، وَالْأَمْنِ
وَالدَّاعَةِ ، وَالْجَفْنَةِ^(٦) الْمُدَدَّعَةِ ، وَالْعُلْبَةِ^(٧) الْمُتَرَعَّةِ .

فَانْزَلَ عَنْ جَوَادِهِ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ ؛ فَلَمَّا احْتَجَبَ عَنِ الشَّمْسِ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهِ
الْأَرْوَاحُ^(٨) ، نَامَ فَلَمْ يَسْتِيقِظْ حَتَّى تَصْرَمَ الْمُجِيرُ ؛ فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَيْنِيهِ ؛ فَإِذَا بَيْنَ
يَدِيهِ فِتَّاهُ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَوَاماً وَلَا جَهَالاً ؛ فَقَالَتْ : أَبْيَتَ اللَّعْنَ ! أَيْهَا الْمَلَكُ الْهَمَامُ !
هَلْ لَكَ فِي الْعَطَاءِ ؟ فَاشْتَدَ إِشْفَاقُهُ ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهَا عَرَفَتْهُ ، وَتَصَامَ
عَنْ كَلْمَهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : لَا حَدَّرَ ، فِدَاكَ الْبَشَرُ ، فَبِجَدْكَ الْأَكْبَرُ ، وَحَظَّنَا بِكَ الْأَوْفُرُ ،
ثُمَّ قَرَبَتْ إِلَيْهِ ثَرِيدًا وَقَدِيدًا وَحِينًا^(٩) ، وَقَامَتْ تَذَبَّعَ عَنْهُ حَتَّى انْتَهَى أَكْلُهُ ،

(١) تَكَبَّتْ : قَضَتْ بِالْغَيْبِ (٢) الْكَوَافِنُ : جَمْعُ كَاهِنَةٍ (٣) أَوْغَلَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ :
بَالْعُ في ذَلِكَ وَأَمْنَهُ (٤) ذَرَا الْجَبَلُ : كَنْفَهُ وَسَرْهُ (٥) لَفَجَهَ : أَحْرَقَهُ ، وَالْمُجِيرُ نَصْفُ النَّهَارِ ،
وَشَدَّةُ الْحَرَّ (٦) الْجَفْنَةُ : الْقَصْمَةُ ، وَالْمُدَدَّعَةُ : الْقَيْمَاثُ بَقْوَةٌ حَتَّى حَرَكَتْ حَتَّى تَرَاصَ مَافِيهَا ،
ثُمَّ مَلَثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ (٧) الْعُلْبَةُ : إِنَاءُ مِنْ جَلْدِ الْإِبْلِ أَوْ مِنْ خَبْرَ يَحْلَبُ فِيهَا . وَالْمُتَرَعَّةُ : الْمَلَوَّةُ
(٨) الْأَرْوَاحُ : جَمْعُ رَعْ (٩) الْقَدِيدُ : الْلَّعْنُ الْمَقْدُدُ ، وَالْحِينُ : تَمَّ وَأَفْطَطَ وَسَمَنَ .

ثم سقطه لبناً صريفاً^(١) وضر يماً؛ فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلةً مدبرة ؛
فلا تعيشه حسناً ، وقلبه هوئي ؛ فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي
عفيرة ! فقال لها : ياعفيرة من الذى دعوه بالملك الهمم ؟ قالت : مرشد العظيم الشان !
حاشر الكواهن والكهان ، لم يغسله^(٢) بعد عنها الجان !

قال ياعفيرة : أتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت : أجل أهلا الملك ! إنها رؤيا منام ،
ليست بأضغاث أحلام !

قال الملك : أصبت ياعفيرة ! ما تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاشير^(٣) زوابع ،
بعضها بعض تابع ، فيها أهاب لامع ، ولها دخان ساطع^(٤) ، يعقوها نهر متدافع ،
وسمعت فيها أنت سامع دعاء ذى جرس^(٥) صادع : هاموا إلى المشارع^(٦) ؛ فروي
جارع^(٧) ، وغرق كارع^(٨) !

قال الملك : أجل ! هذه رؤياى ! فما تأول لها ياعفيرة ؟ قالت : الأعاشير
الزوابع : ملوك تابع^(٩) ، والنهر : علم واسع ، والداعى : نبي شافع ، والجارع : ولی
تابع ، والكارع : عدو منازع !

قال الملك : ياعفيرة ؛ أسلم هذا النبي أم حرب ؟ قالت : أقسم برافع السماء ،
ومنزل الماء من السماء^(١٠) ؛ إنه لم يُعط^(١١) الدماء ، ومنطق^(١٢) العقائل نطق الإماماء .

(١) الصريف : اللبن آن الحلب يصرف عن الصرع إلى الشارب ، والضرير : اللبن الذى يخلب من عدة لفاح فى إثاء واحد فيضرب بعنه بعض (٢) المضلالات : الشدائى ، وبعد عنها الجان : لم يطقوها (٣) الأعاشير الزوابع : هي من الرياح ما يثير التراب فيعليه في الجو ويدبره .
(٤) ساطع : مرتفع (٥) الجرس : الصوت (٦) المشارع : جمع مشرعة وهي التي ينحدر إليها الماء (٧) أى من شرب جرعا روى (٨) أى ومن أمن في الشرب غرق (٩) التابع :
جمع تبع ، وهو لقب ملوك اليمن (١٠) العاء : السحاب الكثيف (١١) حل دمه : هدر ،
أو ألا يثار به (١٢) منطق العقائل : العقائل الكرام من النساء : أى يسيئون فيشددون النطق
على أوساطهن كالإماء للهينة والخدمة .

قال الملك : إِلَمْ يَدْعُو يَاعَفِيراء ؟ قَالَتْ : إِلَى صَلَاتَهِ وَصِيَامِهِ ، وَصَلَةِ أَرْحَامِهِ ، وَكَشْرِ أَصْنَامِهِ ، وَتَعْطِيلِ أَزْلَامِهِ^(١) ، وَاجْتِنَابِ آثَامِهِ !

قال الملك : ياعَفِيراء ؛ إِذَا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَمِنْ أَعْضَادِهِ^(٢) ؟ قَالَتْ : أَعْضَادُهُ غَطَارِيفُ^(٣) يَمَانُونَ ، طَائِرُهُمْ بِهِ مِيمُونَ ، يُغَزِّيَهُمْ فِيغَزُونَ ، وَيُدَمِّثُ^(٤) بِهِمُ الْحَزُونَ وَإِلَى نَصْرِهِ يَمْتَزُونَ .

فَأَطْرَقَ الْمَلَكُ يُؤْمِرُ^(٥) نَفْسَهُ فِي خَطْبَتِهِ ؛ قَالَتْ : أَبْيَتِ الْأَمْنُ أَيْهَا الْمَلَكُ ! إِنْ تَابَعِي غَيْورَ ، وَلَا مُرْسِيَ صَبُورَ ، وَالْكَافُ^(٦) فِي ثُبورِ^(٧) .

فَنَهَضَ الْمَلَكُ ، وَحَالَ^(٨) فِي صَهْوَةِ جَوَادِهِ وَانطَّلَقَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهَا بِمَائَةِ نَاقَةٍ كَوْمَاءَ^(٩) !

(١) الأَزْلَامُ : سَهَامٌ كَانُوا يَدْعُونَ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَيْ يَطْلَبُونَ مَعْرِفَةً مَا قَسِمَ لَهُمْ

(٢) الْأَعْضَادُ : الْأَنْصَارُ أَيْ إِذَا قَاتَلُوهُ وَتَرَكُوا نَصْرَتَهُ (٣) الْغَطَارِيفُ : السَّادَةُ وَتَرِيدُ الْأَنْصَارُ

وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ (٤) يُدَمِّثُ : يَسْهِلُ (٥) يُؤْمِرُ نَفْسَهُ : يَشَوِّرُ (٦) ثُبورُ : هَلَكَ

(٧) حَالُ : أَيْ وَتَبَ وَاسْتَوَى ، وَالصَّهْوَةُ : مَقْعَدُ الْفَارِسِ مِنْ ظَهَرِ فَرْسِهِ (٨) الْكَوْمَاءُ :

النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ .

* ٢٨ — كاهنة بنى سعد

نذر عبد المطلب بن هاشم أنه متى رُزق عشرة أولاد ذكوراً، ورآهم بين يديه رجالاً أن ينحر أحدهم عند الكعبة شكرأً لربه !
 فلما استكمل ولاده العدد ، وصاروا له مِنْ أَظْهَرِ الْعَدْدِ ، قال لهم: يا بني ؟ كنْتُ نذرتُ نذراً علّمتهُمُوه قبل اليوم ، فما تقولون ؟
 قالوا : الأمر لك و إليك ! ونحن بين يديك ! فقال لينطلق كل واحد منكم إلى قِدْحِه^(١) ، وليكتب عليه اسمه ، ففعلوا ؛ ثم أتوه بالقدح فأخذها .
 ثم دعا بالأمين الذي يضرِب بالقدح ، فدفع إليه قداحم ، وقال : حرك
 ولا تعجل .

وكان أحبَّ ولد عبد المطلب إليه عبد الله . فضرب صاحبُ القدح السهم فخرج على عبد الله ؛ فأخذ عبد المطلب الشفرة^(٢) ، وأتى عبد الله وأضجه بين إساف^(٣) ونائلة .
 وهم بذبحه ، فوثب إليه ابنه أبو طالب ، وكان أخا عبد الله لأبيه وأمه ، وأمسك بيده عن أخيه .

فلا سمعت بنو مخزوم بذلك - وكأنوا أخواه - وثبوا إلى عبد المطلب ، فقالوا : يا بني الحارث ؟ إننا لا نسل إليك ابن اختنا للذبح ، فاذبح منْ شئتَ من ولدك غيره !

* بلوغ الأربع ص ٤٦ ج ثالث ، ابن هشام ص ١٠٣ ج ١ ، الطبرى ص ١٧٤ ج ٢

(١) القدح : السهم (٢) الشفرة : السكين العظيم (٣) اساف ونائلة : صنان كانوا لغريش ، وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة ، وكان يذبح عليهمما تجاه الكعبة .

فقال : إن ندرت ندرًا ، وقد خرج القدح ، ولا بد من ذبحه ! قالوا : كلا !
لا يكون ذلك أبداً ، وفيينا روح ، وإننا لنفديه بجميع أموالنا من طارف وتالد .
ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب ، فقالوا : يا أبا الحارث ؟ إن هذا
الذى عزمت عليه لعظيم ، وإنك إن ذبحت ابنك لم تنهنا بالعيش من بعده ، ولكن
تبثت حتى نصیر معك إلى كاهنة بني سعد ، فما أمرتك من شيء فامتنع .
فقال عبد المطلب : لكم ذاك .

ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام ^(١) إلى السakahنة ، فلما دخلوا عليها
أخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده . فقالت السakahنة : انصرفوا عنى
اليوم ؛ فانصرفوا .

وعادوا من الغد ، فقالت : كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا : عشر من الإبل .
قالت : فارجعوا إلى بلدكم ، وقربوا هذا الغلام الذي عزم على ذبحه ، وقدموا معه
عشرا من الإبل ، ثم اضرموا عليه وعلى الإبل القدح ، فإن خرج القدح على
الإبل فانحروها ، وإن خرج على صاحبكم فزيدوا على الإبل عشراء حتى يرثي
رثيكم .

فانصرف القوم إلى مكة ، وأقبلوا عليه يقولون : يا أبا الحارث ؟ إن لك في
ابراهيم أسوة حسنة ، فقد علمنا ما كان في عزمه من ذبح ابنه اسماعيل وأنت
سيد ولد اسماعيل ، فقدم مالك دون ولدك !

فاما أصبح عبد المطلب قرب عبد الله وعشرا من الإبل ، ثم دعا بأمين القدح

(١) في سيرة ابن هشام والطبرى : فانطلقوا حتى قدموا المدينة .

وَجَعَلَ لَابْنَهُ قِدْحًا ، وَقَالَ : أَضْرِبْ وَلَا تَعْجَلْ ، فَخَرْجُ الْقِدْحِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ؛
فَجَعَلَهَا عَشْرَيْنَ فَضَرَبَ فَخَرْجُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَجَعَلَهَا ثَلَاثَيْنَ فَضَرَبَ فَخَرْجُ الْقِدْحِ عَلَى
عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَجَعَلَهَا أَرْبَعَيْنَ ، وَكَلَمَا خَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى ابْنِهِ زَادَهَا عَشْرًا ، حَتَّى
جَعَلَهَا مائَةً ، فَضَرَبَ فَخَرْجُ الْقِدْحِ عَلَى الإِبَلِ ، فَكَبَرَ عَبْدُ اللَّهِ وَكَبَرَتْ قَرِيشُ ،
وَقَالَتْ : يَا أَبَا الْحَارَثَ ؟ إِنَّهُ قَدْ رَضِيَ رَبُّكَ ، وَقَدْ نَجَّا ابْنَكَ مِنَ الذِّبْحِ .
فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ حَتَّى أَضْرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَخَرْجُ عَلَى الإِبَلِ ،
فَضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَخَرْجُ عَلَى الإِبَلِ ؛ فَعْلَمَ عَبْدُ الْمَطَلَبَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ رَضَا رَبِّهِ فِي
غَدَاءِ ابْنِهِ .

فَقَرَبَتِ الإِبَلُ ، وَهِيَ مائَةٌ مِنْ جَلَّ إِبَلِ عَبْدِ الْمَطَلَبِ ؛ فَنُجِرَتْ كُلُّهَا ؛ فَدَاءٌ
لِعَبْدِ اللَّهِ ، وَتُرْكَتِ فِي مَوَاضِعِهَا ، لَا يُصَدِّعُ عَنْهَا أَحَدٌ يَنْتَابُهَا مِنْ دَبٍ^(١) وَدَرَاجٍ ،
وَانْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطَلَبَ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ فَرَحًا .

(١) درج : مشى ، ودب : مشى على هيئته ، والمقصود كل واحد .

٢٩ - كهانة سطح*

لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ارتَجَس^(١) إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شُرفة، وخدَّت نارُ فارس؛ ولم تحمدُ قبل ذلك بألف عام، وغضبت بحيرة ساوة، ورأى الموبدان إبلاصعايا^(٢)، تقد خيلا عرائبا^(٣)، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها.

فلا أصبح كسرى أفعـعـه مارأـيـ ، فصبر تشجـعاـ ، ثم رأـيـ أـلـ يـكـمـ ذلك عن وزرائه ومرآـزـته^(٤)؛ فلبـسـ تاجـهـ ، وقـدـ عـلـىـ سـرـيرـهـ وـجـعـهـ إـلـيـهـ . فـلـماـ اجـتمـعواـ أـخـبـرـهـ بـالـذـىـ بـعـثـ إـلـيـهـ فـيـهـ ، فـبـيـنـهـ كـذـلـكـ إـذـ وـرـدـ عـلـيـهـ كـتـابـ بـخـمـودـ النـارـ؛ فـازـدـادـ غـلـىـ غـمـهـ ، فـقـالـ المـوـبـدانـ^(٥) : وـأـنـاـ أـصـلـحـ اللهـ الـمـلـكـ . قـدـ رـأـيـتـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ رـؤـيـاـ ، وـقـصـ عـلـيـهـ الرـؤـيـاـ فـيـ الـإـبـلـ ؛ فـقـالـ : أـىـ شـىـءـ يـكـونـ هـذـاـ يـاـمـوـ بـذـانـ؟ـ وـكـانـ أـعـاـمـهـ عـنـدـ نـفـسـهـ بـذـلـكـ . فـقـالـ : مـاعـنـدـ فـيـهـ وـلـافـ تـأـوـلـهـاـ شـىـءـ ، وـلـكـنـ أـرـسـلـ إـلـىـ عـامـلـكـ بـالـحـيـرـةـ يـوـجـهـ إـلـيـكـ رـجـلـاـ مـنـ عـلـمـهـ ؛ فـإـنـهـ أـصـحـابـ عـلـمـ بـالـعـدـانـ . فـكـتبـ عـنـدـ ذـلـكـ : «مـنـ كـسـرـىـ مـلـكـ الـمـلـوـكـ إـلـىـ النـعـانـ بـنـ المـنـذـرـ ، أـمـاـ بـعـدـ ، فـوـجـهـ إـلـىـ رـجـلـ عـالـمـ بـأـرـيـدـ أـنـ أـسـأـلـهـ عـنـهـ» . فـوـجـهـ إـلـيـهـ عـبـدـ الـمـسـيـحـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ بـقـيـلـةـ الـفـسـانـيـ .

* السيرة الخليلية ص ٧٠ ج ١ ، بلوغ الأربع ص ٢٨١ ج ٣ ، العقد الفريد ص ١٠٨ ج ٢ ، الطبرى ص ١٣١ ج ٢

(١) ارتَجَسـ : ارتَجَفـ (٢) بـعـيرـ صـعبـ : غـيـرـ مـنـقادـ (٣) خـيلـ عـرـابـ : عـرـيـةـ مـنـسـوـبـةـ إـلـىـ الـعـربـ (٤) المـراـزـبـةـ : جـمـعـ مـرـبـانـ : وـهـ الـفـارـسـ الشـجـاعـ الـقـدـمـ عـلـىـ الـقـوـمـ دـوـنـ الـمـلـكـ (٥) الـمـوـبـدانـ : الـمـجـوسـ : كـفـاضـيـ الـفـضـاءـ لـلـسـلـمـيـنـ .

وَلَمَا قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ: أَعْنَدْتُكُمْ بِمَا أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُ عَنْهُ؟ قَالَ: لِيْخْبَرُونِي الْمَلَكُ، فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ وَإِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِمَا يَعْلَمُهُ لَهُ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى، فَقَالَ: عِلْمٌ ذَلِكَ عِنْدَ خَالِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ، يَقَالُ لَهُ سَطِيعٌ، قَالَ فَأَرَأَهُ فَاسْأَلْهُ عَمَّا سَأَلْتُكَ وَأَتَنِي بِجَوَابِهِ؛ فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَسِيحَ رَاحْلَتَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيعٍ وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحِيَا فَلَمْ يَجْبَهْ، وَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرْدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

أَصَمْ أَمْ يَسْمَعُ غَطَّرِيفُ^(١) الْيَمَنُ يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ

أَنَّاكَ شِيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنَ أَبِيسْ فَضَّافَسُ^(٢) الرِّدَاءُ وَالْبَدَنُ

رَسُولُ قَيْلِ^(٣) الْمُجْمُعُ يَهُوَى الْلَّوْنَ لَايِرَهَ الرَّعْدُ وَلَارِيَبُ الزَّمَنُ

فَلَمَّا سَمِعَ سَطِيعَ شِعْرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحُ، عَلَى جَلِيلِ مُشَيْحٍ^(٤)، جَاءَ إِلَى سَطِيعٍ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الصَّرِيفِ^(٥)، بَعْثَكَ مَلَكُ بْنِ سَاسَانَ، لِأَرْتَجَاسِ الْإِيَّانَ، وَخَمْدُ الْيَهْرَانَ، وَرَؤْيَا الْمُوْبَدَانَ: رَأَى إِبْلًا صِعَابًا، تَقْوَدَ خَيْلًا عَرَابًا، قَدْ اقْتَحَمَتْ فِي الْوَادِي، وَانْتَشَرَتْ فِي الْبَلَادِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدُ الْمَسِيحِ: إِذَا كَثُرَتِ التَّلَاؤَةُ، وَبُعْثَ صَاحِبُ الْهِرَاؤَةِ^(٦)، وَفَاضَ وَادِي السَّهَوَةُ، وَغَاضَتْ بَحِيرَةُ سَاهَوَةُ، وَخَمْدَتْ نَارُ الْفَرْسِ، فَلِيَسْتَ الشَّامُ لِسَطِيعِ شَاماً، يَمْلَكُ مِنْهُمْ مَلُوكُ وَمَلِكَاتُ عَدَدِ الشُّرَفَاتِ، وَكُلُّ مَاهِوَاتِ آتِ، ثُمَّ قَالَ:

شَمَرٌ فَإِنَّكَ ماضِيَ الْهَمُ شَمِيرٌ لَا يَنْزِعُكَ تَفَرِيقٌ وَتَغْيِيرٌ

(١) الغطريف : السيد الشريف (٢) فضافس : واسع (٣) الفيل : الملك أو هو دون الملك الأعلى (٤) مشيخ : جاد مسرع (٥) الصرييف : القبر والمرآء الموت (٦) الهراء : العصا ، وصاحب الهراء هو سيدنا محمد لأنك كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه .

إِن يَكُ مَلِكُ بْنِ سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ
فَإِنَّ ذَا الدَّهْرَ أَطْوَارًا دَهَارِيرٌ^(١)
فَرُبَّمَا أَصْبَحُوا يَوْمًا مَنْزَلَةً
تَهَابُ صَوْلَاهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ^(٢)
مِنْهُمْ بْنُو الصَّرْحَ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ
وَالْهُرُمَّانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أُولَادُ الْعَالَاتُ^(٣) فَنَ عَلِمُوا
أَنْ قَدْ أَقْلَى فَهْجُورٌ وَمَحْمُورٌ
وَهُمْ بْنُو الْأَمْ لَمَّا أَنَّ رَأُوا نَشَابًا
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنِ^(٤) فَالْخَيْرُ مُتَبَعٌ وَالشَّرُّ مَذُورٌ
فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ عَلَى كَسْرَى أَخْبَرَهُ بِقُولِ سَطِيعٍ؛ فَقَالَ: إِنْ يَمْلِكُ مَنَا
أَرْبَعَةُ عَشْرَ مَلَكًا، تَكُونُ أُمُورُ، وَيَدُورُ الزَّمَانُ؛ فَمَلَكُ مِنْهُمْ عَشْرَةُ أَرْبَعَ سَنِينَ،
وَمَلَكُ الْبَاقِفُونَ إِلَى مَلَكِ عَمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أَفْرَطَهُمْ : ترَكُوهُمْ . وَالْدَّهَارِيرُ : تَصَارِيفُ الدَّهْرِ وَنَوَافِيهِ ، مُشَتَّقٌ مِنْ لَفْظِ الدَّهْرِ لِنَسْ لِهِ
وَاحِدٌ مِنْ لَفْظِهِ كَمَا يَأْتِي . (٢) الْمَهَاصِيرُ : جَمِيعُ مَهَاصِرِ أَوْ مَهَاصِيرٍ وَهُوَ الْأَسْدُ (٣) أُولَادُ الْعَالَاتُ :
أُولَادُ أَمَهَاتٍ شَتَى لِرَجُلٍ وَاحِدٍ (٤) الْقَرَنُ : الْجَبَلُ .

٣٠ — مصرع العزى *

كانت العزى شيطانة تأوي ثلات سمرات^(١) يطن نحلاة^(٢). فلما افتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد، فقال له : إيت بطن نحلاة ، فإنك تجده ثلات سمرات ، فاعضد^(٣) الأولى ! فأناها فعضدها. فلما جاء إليه - عليه السلام - قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثانية ! فأناها فعضدها. ثم أتى النبي عليه السلام ، فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثالثة ! فأناها ؛ فإذا هو بخشية نافحة شعرها ، واضمة يديها على عانقها ، تصرف^(٤) بانيابها ، وخلفها دببة بن حرمي الشيباني - وكان سادنها^(٥) - فلما نظر إلى خالد قال : أعزاء شدّى شدة لا تُكذب على خالد ! ألقى الخمار وشمرى ! فإنك إلا تقتللي اليوم خالداً تبؤني بذلك عاجلاً وتنصرى ف قال خالد :

ياعز كفرانك لاسبحانك إني رأيت الله قد أهانك !
ثم ضربها ففاقت رأسها ، فإذا هي حمامة^(٦) . ثم عضد الشجرة ، وقتل دببة السادن . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره . فقال : « تلك العزى ، ولا عزى بعدها للعرب ! أما إنها لن تُعبد بعد اليوم ! » .

* الأصنام لابن الكلبي طبعة دار الكتب من ٢٥

(١) سمرات : جمع سمرة ، وهي نوع من الشجر (٢) بطن نحلاة : قرية قرية من المدينة

(٣) فاعضد : فاقطع (٤) تصرف : تصوت (٥) السادن : خادم الكعبة وبيت الأصنام

(٦) الحم : الفحم ووحدته يهاء .

٣١ — أمية بن أبي الصلت ورؤيا شق الصدر*

دخل يوماً أمية^(١) بن أبي الصلت على أخيه، وهي تحيي أدمًا^(٢) لها، فأدركه النوم ، فنام على سرير في ناحية البيت ، ثم انشقَّ جانبُ من السقف في البيت ؛ وإذا بطايرين قد وقع أحدهما على صدره، ووقف الآخر مكانه ، فشقَّ الواقع صدره ، فأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الواقع للطائر الذي على صدره : أوعى ؟ قال : ووعى ؟ قال : أقبل ؟ قال : أبي ، قال : فرُدَّ قلبه في موضعه ؛ ثم هض فأتبعهما أمية طرفه ، وقال :

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما

لابرىء فأعتذر ، ولا ذو عشيرة فانتصر .

فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ، ثم أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : ووعى ؟ قال : أقبل ؟ قال : أبي ، وهض ؛ فأتبعهما أمية بصره وقال :

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما

لامال يغبني ، ولا عشيرة تحمي . فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ، ثم أخرج

* الأغاني ص ١٢٧ ج ٤

(١) كان أمية قد نظر في الكتب وقرأها قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . وليس المسوح بعيداً ، وحرم الحمر ، وشك في الاوثان . ولا بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما كنت أرجو أن أكونه » ولم يسلم (٢) تبيه وتقدره قبل القطع وتقيسه لقطع منه مزادة أو قربة أو خفأ .

قلبه فشقه ، فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعي ؛ قال : أقبل ؟ قال أبي ،
ونهض فأتبعهما أمية بصره وقال :

لبيكما هاندا لدبكما

محفوظ بالنعم ، محوط من الريب . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ، وأخرج
قلبه فشقه ، فقال الأعلى : أوعى ؟ فقال : وعي ؛ قال : أقبل ؟ قال : أبي . ونهض
فأتبعهما أمية بصره وقال :

لبيكما لبيكما هاندا لدبكما

إِن تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًا وَأَيْ عَبْدٍ لَكَ لَا مَلَأَ^(١)

قالت أخته : ثم انطبق السقف ، وجعل أمية يمسح صدره ، فقلت : يا أخي ،
هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنني أجده حراً في صدري ، ثم أنشأ يقول :
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لي فِي نَان^(٢) الْجَبَالُ أَرْعَى الْوُعُولَةَ
اجعل الموت نصب عينك واحدزَ غَوَّلَةَ الدَّهْرِ إِن لَدَهُرِ غُولَةَ^(٣)

(١) ألم : ارتكب الالم ، وهو صغار الذنوب (٢) الفنان : أعلى الجبال ، واحدها قنة (٣) كل
ما يغناه الانسان فأهلكه .

* ٣٢ — أم العوام !

خرج ركب من ثقيف إلى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصّات ، فلما قفلوا راجمـين نزلوا مهـلاً ليتعـشـوا بـعـشاء ، إذ أقبلت عـطـاـيـة^(١) حتى دـنـتـ مـنـهـم ، فـجـاهـصـبـها بـعـضـهـم بـشـىـءـ في وجـهـهـا ، فـرـجـمـتـ، وـكـفـتـوا^(٢) سـفـرـهـمـ، ثـمـ قـامـوا يـرـحـلـونـ — مـمـدـيـنـ ؟ فـطـلـمـتـ عـلـيـهـمـ عـجـوزـ من وـرـاءـ كـثـيـبـ مـقـابـلـ لـهـمـ تـوـكـأـ على عـصـاـ ، فـقـالـتـ : مـاـمـنـعـكـمـ أـنـ تـعـطـمـوـا رـجـيمـةـ الـجـارـيـةـ الـيـتـيمـةـ ، الـتـيـ جـاءـتـكـمـ عـشـيـةـ ! قـالـواـ : وـمـنـ أـنـتـ ؟ قـالـتـ : أـنـاـ أـمـ الـعـوـامـ ، إـمـتـ^(٣) مـنـذـ أـعـوـامـ ؟ أـمـ وـرـبـ الـعـبـادـ ، لـتـفـرـقـنـ فـيـ الـبـلـادـ ؟ وـضـرـبـتـ بـعـصـاـهـا الـأـرـضـ ، ثـمـ قـالـتـ : بـطـئـيـإـلـيـهـمـ ، وـنـفـرـيـ رـكـابـهـمـ ؛ فـوـبـاثـتـ الإـبـلـ كـأـنـ عـلـىـ ذـرـوـةـ كـلـ بـعـيرـمـنـهاـ شـيـطـانـاـ ، مـاـ يـمـلـكـ مـنـهـاـ شـىـءـ ، حـتـىـ اـفـرـقـتـ فـيـ الـوـادـيـ .

قال الراوى : فـجـمعـنـاـهـاـ فـيـ آـخـرـ النـهـارـ مـنـ الـغـدـ وـلـمـ نـسـكـدـ ، فـلـمـ أـنـخـنـاـهـاـ لـنـرـحـلـهـاـ طـاـمـتـ عـلـيـنـاـ الـعـجـوزـ ، فـضـرـبـتـ الـأـرـضـ بـعـصـاـهـاـ ، ثـمـ قـالـتـ كـقـوـلـهـاـ الـأـولـ ، فـقـعـلـتـ الإـبـلـ كـفـعـلـهـاـ بـالـأـمـسـ ، فـلـمـ تـجـمـعـهـاـ إـلـاـ الـفـدـ عـشـيـةـ ؛ فـلـمـ أـنـخـنـاـهـاـ لـنـرـحـلـهـاـ أـقـبـلـتـ الـعـجـوزـ ، فـقـعـلـتـ كـفـعـلـهـاـ فـيـ الـيـوـمـيـنـ ، وـنـفـرـتـ الإـبـلـ .

* الأغانى من ١٢٥ ج ٤

(١) العطالية : دويبة ملائكة ، تشبه سام أبرص ، من طبعها أنها تمشي مشيا سريعا ثم تقف

(٢) كفت الشيء : ضم بعضه إلى بعض ، والسفرة ما يبسط تحت الحewan من جلد أو غيره

(٣) آمنت المرأة : اذا فقدت زوجها .

فقلنا لأمية : أين ما كفت تُخْبِرُنَا به عن نفسك ؟ فقال : اذْهَبُوا أنت في طلب الإبل ودعوني ؛ فتوجه إلى ذلك السكيني الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاء ، وهبط منه إلى وادٍ فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية ، مضطجع معارض على بابها ؛ فلما رأى أمية قال : إنك لم تَبْرُوْع ، فمن أين يأتيك صاحبُك ؟ قال : من أذني اليسرى ؛ قال فبأى الثياب يأمرك ؟ قال : بالسَّوَاد ؛ قال : هذا خطيب الجن ، كدت والله أن تكونه لم تفعل ؛ إن صاحب النبوة يأتيه صاحبُه من قبْل أذْنِه اليماني ، ويأمره بلباس البياض ، فما حاجتك ؟ فحدَّثه حديث العجوز ؛ فقال : صدقت ؛ وليس بصادقة ، هي امرأة يهودية من الجن ، هلاك زوجُها منذ أعواام ، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهْلِكُكم إن استطاعت .

قال أمية : وما الحيلة ؟ فقال : جمموا ظهركم^(١) ؛ فإذا جاءكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : « سبع من فوق وسبعين من أسفل ، بِاسْمِك اللَّهُم ». فإن تضرَّكم .

فرجع أمية إليهم وقد جمموا الظهر ؛ فلما أقبلت قال لها ما أمرَه به الشيخ ، فلم تضرَّهم ، فلما رأت الإبل لم تتحرَّك قالت : قد عرفت صاحبكم ، ولبيضن أعلاه ، ولسوادن أسفله ؛ فأصبح أمية وقد برص في عذريه واسود أسفله .

فلما قدِّموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث ؛ فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة : « بِاسْمِك اللَّهُم » في كتبهم !

(١) الظهر : الركاب التي تحمل عليها الأقفال في السفر .

* ٣٣ — عمارة بن الوليد والسواحر

كان عمارة^(١) بن الوليد المخزومي - بعد ما مَشَتْ قريش به إلى أبي طالب - قد خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السعدي - وكان كلًا هما تاجرين - إلى النجاشي ، وكانت أرضُ الحبشة لقريش متجرًا ووجهًا ، وكلًا هما مُشْرِك شاعر فاتك وهما في جاهليّتهما ؛ وكان عمارة مُعجِبًا بالنساء صاحبَ مُحادَثَة ، فركبَا في السفينة لياليَ . وحضر عمرُو على زوجته من عمارة ، فجعل إذا شرب معه أقلَّ عمرُو من الشراب ، وأرقَ لنفسه بالماء ؛ مخافةً أن يسُكر فيغلبه عمارة على أهله .

ثم إن عمرًا جلس إلى ناحية السفينة ، فدفعه عمارة في البحر . فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلنس^(٢) ، فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أما والله لو علمتُ يا عمرو أنك تحسِن السباحة ما فعلت : فاضطغَّنَها عمرو وعلم أنه أراد قتله . فضيًّا على وجههما ذلك ، حتى قدِّما أرضَ الحبشة وزلاها ، وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أن أخلعنى^(٣) ، وتبَرَّأ من جريرته إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يُتبعَ بجرينته وهو يَرْصُد^(٤) لعمارة ما يَرْصُد . فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجالٍ من قومه إلى بني المغيرة

* الأغانى من ٥٦ ج ٩

(١) عمارة بن الوليد : هو الذي دفعت به قريش إلى أبي طالب حين طلبوا إليه أن يسلم إلينا محمدًا (ص) وأخذه عوضاعنه . (٢) القلس : حبل غليظ من حبال السفن . (٣) يقولون : إننا خمننا فلانا ، فلا نأخذ أحدًا بمحناته تحيى عليه ، ولا نؤخذ بمحناته التي يحيىها . (٤) رصده رصداً : رقبه .

وغيرهم من بني مخزوم ؛ فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث عالمُ ، وكلاهما فاتكُ صاحبُ شر ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ، ولا ندري ما يكون ؛ وإنى أبراً إليكَ من عمرو ومن جريرته ، وقد خلعته .

فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم : أنت تخاف عمرًا على عمارة ! وقد خلعتنا من حنف عمارة وتبرأنا إليكَ من جريرته ؛ فخلع بين الرجلين .

فقال السهيميون ^(١) : قد قبِلنا ؛ فابعثوا منادِيًّا بمكة : إننا قد خلعتها ، وتبرأ كل قوم من أصحابهم وما جرَّ عليهم ؛ فبعثوا منادِيًّا ينادي بمكة بذلك . فقال الأسود ابن المطلب : بطلَ والله دمُ عمارة بن الوليد آخرَ الدهر !

فلا اطمأننا بأرض الحبشة لم يثبت عمارة أن دبَّ لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلط إليها . وجعل إذا رجع يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أصدقك أنك قدرتَ على هذا الشأن ! إن المرأة أرفعُ من ذلك .

فلا أكثُر على عمرو بما كان يخبره قال له : إن كنتَ صادقًا فقل لها تذهبْنَك من دهن النجاشي الذي لا يدْهِنُ به غيره فإني أعرفه ، لو أتيتني به لصدقتك !

فعمل عمارة فجاء بقارورة من دهنِه : فلما شمَّ عرفه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادق ! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدًا مثله قطُّ من العرب ، ونلت من امرأة الملك شيئاً ! ما سمعنا بمثل هذا - وكانوا أهلَ جاهليَّة - ثم سكت عنده حتى إذا اطمأنَ دخل على النجاشي فقال : أيها الملك ! إن ابنَ عمِي سفيهُ ، وقد خشيتُ أن يَعْرَنِي ^(٢) عندكَ أمره ، وقد أردتُ أن أعلمكَ شأنه . ولم أفعل حتى استثبتَ أنه

(١) السهيميون : قوم عمرو بن العاص (٢) عره : لطخه بعيوب .

قد دخل على بعض نسائه فأكثَرَ . وهذا من دُهْنَكَ قد أُعْطِيَهُ وَدَهْنَتِي منه .
فَلَمَا شَمَ النجاشي الدُّهْنَ قال : صَدَقَتَ . هذا دُهْنِي الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ
نَسَائِي . ثُمَّ دَعَا بِعُمَارَةَ وَدَعَا بِالسَّوَاحِرِ فَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ فَنَفَخْنَاهُ فِيهِ ، ثُمَّ خَلَّ سَبِيلَهِ
فَخَرَجَ هارِبًا .

فَلَمْ يَزِلْ بِأَرْضِ الْجَبَشَةِ حَتَّى كَانَتْ خَلَافَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ ، فَرَصَدَهُ عَلَى مَا يَأْتِي بِأَرْضِ الْجَبَشَةِ ، وَكَانَ يَرِدُهُ مَعَ الْوَحْشِ
فَوَرَدَ ، فَلَمَّا وَجَدْ رِيحَ الْأَنْسِ هَرَبَ ، حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُ الْعَطْشُ وَرَدَ فَشَرِبَ حَتَّى
تَمَلَّأَ^(١) ، وَخَرَجَوْا فِي طَلَبِهِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ : فَسَعَيْتُ إِلَيْهِ فَالْتَّزَمْتُهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : يَا بَحِيرَ^(٢)
أَرْسَلْنِي ! يَا بَحِيرَ أَرْسَلْنِي . إِنِّي أَمُوتُ إِنْ أَمْسَكْتُمُونِي .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَضَعَفَتُهُ فَمَا تَفِي بِي مَكَانَهُ . فَوَارَيْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَكَانَ
شَعَرُهُ قَدْ غَطَّى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ .

(١) امتلاً . (٢) كَانَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَحِيرًا ، وَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ .

* ٣٤ — في حفر زمزم

قال عبد المطلب بن هاشم : إني لنائم في الحجر^(١) إذ أتاني آتٍ ، فقال : احفر طيبة^(٢) ، قلت : وما طيبة ؟ فذهب عنى . فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر برة^(٣) ، فقلت : وما برة ؟ فذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فجاءنى فقال : احفر المضنوة^(٤) ، فقلت : وما المضنوة ؟ فذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه فجاءنى ، فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : لا تزف أبداً ولا تندم^(٥) ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرات والدم^(٦) ، عند نقرة الغراب الأعمى^(٧) ، عند قرية^(٨) النمل .

قال ابن إسحاق : فلما يَبَيِّنَ لَه شَأْمَهَا ، وَدَلَّهُ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّه قد صدق

* سيدة ابن هشام من ٩٨ ج ١ ، البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٤٤ ج ٢

(١) الحجر : ما حواه الحطيم المدار بالكتبة من جانب الشمال (٢) طيبة : اسم زمزم ، قيل سبب ذلك لأنها للطيبين والطيبات من أولاد اسماعيل (٣) برة : اسم لزمزم أيضاً . قال في الروض الأنف : هو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار (٤) المضنوة : سبب المضنوة ، لأنه ضن بها على غير المؤمنين (٥) لا تندم : من قول العرب : بثذمة ، أي قاتلة الماء ، والماء أن ماءها لا يتقطعل أبداً (٦) روى أنه لما قام ليغفر لها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم يرد الفرات والدم ، فبينا هو كذلك ندت بقرة من جازرها ، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام ، فنحرها في الموضع الذي رسم عبد المطلب ، فسأل هناك الفرات والدم ، فعمر عبد المطلب حيث رسم له (٧) الغراب الأعمى : الذي في جناحه يياض (٨) شبه مكان زمزم بقرية النمل ، التي يرد إليها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك وعي لا تحرث ولا تزرع بقرية النمل التي لا تحرث ولا تزرع ولا تذر ، وتحلب إليها الحبوب من كل جانب .

غدا بمعه ابنه الحرش بن عبد المطلب ، ليس معه يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها .
 فلما بدا له الطوّي^(١) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ؛ فقاموا
 إليه ، فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً ؛ فأشركنا
 معك فيها . قال : ما أنا قادر على ذلك ؟ إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم ، وأعطيته من
 بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ؟ فإنّا غير تاركك حتى نخاصلك فيها ، قال : فاجعلوا
 بيني وبينكم من أحاسنكم إليهم . قالوا : كاهنة بني سعد . قال : نعم - وكانت بالشام .
 فركب عبد المطلب ، ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف ، وركب
 من كل قبيلة من قريش نفر - والأرض إذ ذاك مفاوز - فخرجوا حتى إذا كانوا
 بعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنـى عبد المطلب وأصحابه ؛ فظمئوا حتى
 أيقنوا بالهمـكة ، فاستسقـوا من مـعهم من قبائل قريـش ، فأبـوا عليهم وقالـوا : إنا بـنـفـازـة
 ونـحن نـخـشـى عـلـى أـنـفـسـنـا مـثـلـ ما أـصـابـكـمـ .
 فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتـحـوـفـ على نفسه وأصحابه قال :
 ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرأيك ؟ فهـنـا بـمـا شـئـتـ . قال : فإـنـي أـرـى أـنـ
 يـحـفـرـ كـلـ رـجـلـ مـنـكـمـ حـفـرـتـهـ لـنـفـسـهـ بـمـا بـكـمـ الـآنـ مـنـ القـوـةـ ، فـكـلـما مـاتـ رـجـلـ
 دـفـعـهـ أـصـحـابـهـ فـحـفـرـتـهـ ، ثـمـ وـارـوهـ حتـىـ يـكـونـ آخـرـكـمـ رـجـلاـ وـاحـدـاـ ؛ فـضـيـعـةـ رـجـلـ
 وـاحـدـ أـيـسـرـ مـنـ ضـيـعـةـ رـكـبـ جـمـيعـهـ . قالـوا : نـعـ ما أـمـرـتـ بـهـ ! قـفـمـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ
 فـحـفـرـ حـفـرـتـهـ ، ثـمـ قـدـ يـنـتـظـرـ الـمـوـتـ عـطـشاـ .

(١) الطوي : البُر المطوية بالحجارة .

ثُمَّ إِنْ عَبْدَ الْمَطَلَّبَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ إِنْ إِلَقاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكُذَا الْمَوْتُ ،
لَا نَضْرُبُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا نَبْتَغِي لِأَنفُسِنَا لَعْجَزًا ، فَعُسِيَ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَا هُوَ بَعْضُ
الْبَلَادِ ، ارْتَحِلُوا حَتَّى إِذَا فَرَغُوا - وَمَنْ مَعْهُمْ مِنْ قَبَائِلَ قَرِيشٍ يَنْظَرُونَ
إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعْلَوْنَ - تَقدَّمَ عَبْدُ الْمَطَلَّبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا ، فَلَمَّا ابْعَثَتْهُ بِهِ افْجُورَتْ
مِنْ تَحْتِ خُفَيْهَا عَيْنٌ مِنْ مَاءِ عَذْبٍ ، فَكَبَرَ عَبْدُ الْمَطَلَّبَ وَكَبَرَ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ
فَشَرَبَ وَشَرَبَ أَصْحَابُهُ ، وَاسْتَقَوْا حَتَّى مَلَئُوا أَسْقِيمَهُمْ .

ثُمَّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قَرِيشٍ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : هَلُمُوا إِلَى الْمَاءِ فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ ، فَاشْرَبُوا
وَاسْتَقَوا إِفْجَاءً وَافْشَرُوا وَاسْتَقَوا ، ثُمَّ قَالُوا : قَدْ وَاللَّهِ قُضِيَ لَكُمْ عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْمَطَلَّبَ ،
وَاللَّهُ لَا نَخَاصِمُكَ فِي زَمْنٍ أَبْدًا ، إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءُ بِهَذِهِ الْفَلَّةِ لَهُوَ الَّذِي
سَقَاكَ زَمْنًا ! فَازْجَمَ إِلَى سَقَايَاتِكَ رَاشِدًا ، فَرَجَعَ وَرَجَعُوا مَعَهُ ، وَلَمْ يَصْلُوا إِلَى الْكَاهِنَةِ
وَخَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا !

* ٣٥ — سيف بن ذي يزن والبشارية برسول الله

لما ظفِر سيف^(١) بن ذي يزن بالجيشة؛ أتى وفود العرب: خطباؤها وأشرافها وشعراؤها لتهنئته ومدحه، وذكر ما كان من شأنه وطلبه بأثر قومه. وقدم إليه وفدُ قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله ابن جدعان، وأسد بن خوبلد بن عبد العزى في ناس من أشراف قريش. فلما قدموه عليه وجدوه في رأس قصرٍ يقال له (غمدان) فاستأذنوا عليه، فأذن لهم؛ فدخلوا عليه، فإذا الملك مضمخ بالعنبر^(٢)، يُرى ويُبصَر الطيب من مفرقه^(٣)، عليه بردان مؤتر بأحدتها، مرتد بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والقاول^(٤).

فدن عبد المطلب واستأذن في الكلام. فقال: إن كنتَ من يتكلّمُ بين يدي الملك فتكلّم، فقد أذنَ لك، فقال عبد المطلب: إن الله أحلك - أيها الملك - محلار فيعاً صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنتَكَ منيَّتاً طابتْ أرومته^(٥)، وعزَّتْ جرومته^(٦)، وثبتَ أصله، وبسق فرعه^(٧)، في أَكْرم موطنه، وأطيب معدنه، وأنتَ - أيَّتَ اللعن^(٨) - ملِكُ العرب وربُّها الذي به تخصِّب، وأنتَ - أيها الملك - رأسُ العرب

* البداية والنهاية لابن كثير من ٣٢٨ ج ٢، الأغاني من ٧٥ ج ١٦ طبعة بولاق، العدد الفريد من ١٧٥ ج ١، بلوغ الأربع من ٢٦٦ ج ٢، المختار من نوادر الأخبار - مخطوط.

(١) هو ملك اليمن من قبل كسرى أنوشروان، كان يكتبه ويصدر عن رأيه إلى أن قتل يد الأنجاش قبل الإسلام (٢) التضميغ: لفاح الجسم بالطيب حتى كأنه يقطر (٣) الويسن: المعان، ومفرق الرأس حيث يفرق فيه الشعر (٤) المقاول: جمع مقول، وهو الرئيس دون الملك. (٥) الأرومة: الأصل (٦) الجرثومة: الأصل (٧) بسق: طال (٨) من تحيات ملوك العرب في الجاهادية .

الذى إليه تتقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى تاجاً إليه العباد ، سلفك
خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، ولن يَحْمُلَ ذِكْرُ من أنتَ سَلْفُهُ ، ولن
يَهْلِكَ مَنْ أَنْتَ خَلْفُهُ ، ونحن - أَيُّهَا الْمَلَكُ - أَهْلُ حَرَامِ اللَّهِ ، وسَدَّنَةُ بَيْتِهِ ،
أَشْخَصَنَا إِلَيْكَ الذى أَبْهَجَنَا ؛ لِكَشْفِ الْكَرْبَلَةِ الَّتِي فَدَحْنَا ؛ فَنَحْنُ وُدُّ التَّهْمَةِ
لَا وَقْدَ الْمَرْزَةُ^(١) .

فقال ابن ذي يزن : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم .
قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم ابن أختكم . قال : ادْنُ ، فادْنَاه و قال : مرحباً وأهلاً ،
وناقةً ورَحْلًا ، وَمُسْتَنَاخًا سَهْلًا ، وَمَلَكًا رَبْحَلًا^(٢) ، يُعْطَى عطاءً جزلاً ، قد سمع
الملكُ مَقَالَتَكُمْ ، وعرف قرابتكم ، وقبلَ وسيلتكم ، فأنتم أهلُ الليل والنهار ، لكم
الكرامةُ ما أقْتُمْ ، واللحباءُ^(٣) إذا ضغنتم . ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود :
فأقاموا شهراً لا يُؤذن لهم ولا يصلون إليه .

ثم اتبه انتباهةً ؛ فأرسل إلى عبد المطلب فَأَخْلَاه^(٤) وأدى مجلسه ، وقال :
يا عبد المطلب ؛ إنِّي مُفْضٍ إِلَيْكَ مِنْ سَرَّى وعَالَى مَا لَوْكَانَ غَيْرُكَ لَمْ أُبُحْ لَهُ ، ولَكَنِّي
رَأَيْتُكَ مَعْدِنَهُ ، وأطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ ؛ فَلَيَسْكُنْ عَنْدَكَ مَطْوِيًّا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
بِالْعَلْمِ أَعْلَمُ ؛ إِنِّي أَجَدُ فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونَ ، وَالْعِلْمِ الْمَخْزُونَ ، الذِّي اخْتَرْنَاهُ لِنَفْسِنَا ،
وَاحْتَجَنَاهُ دُونَ غَيْرِنَا خَبْرًا عَظِيمًا ، وَخَطْرًا جَسِيمًا ، فِيهِ شَرْفُ الْحَيَاةِ ، وَفَضْيَلَةُ الْوَفَاءِ ،
وَهُوَ لِلنَّاسِ عَامَةٌ ، وَلِرَهْطَكَ كَافَةٌ ، وَلَكَ خَاصَّةٌ .

(١) رَزَأْ مَالَهُ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَرَزَأْ رَزَأْ وَمَرْزَةُ : أَصَابَ مِنْهُ خَيْرًا ، أَيْ لَسْنًا وَأَفْدِينَ
لِلْعَطَاءِ . (٢) الرَّبْعَلُ : الْكَبِيرُ الْعَطَاءِ . (٣) الْحَبَاءُ : الْعَطَاءُ . (٤) أَخْلَاهُ : خَلَاهُ .

قال عبد المطلب : أيها الملك فمثلك من سر وبر ، فما هو ؟ فـذاك أهل الوبر ، زمرة بعد زمرة ؟ قال : إذا ولد بهامة غلام ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولـكم به الزعامة ، إلى يوم القيمة .

فقال له عبد المطلب : أبـيتـ اللـهـنـ - لـقـدـ أـتـيـتـ بـخـبـرـ مـاـ أـتـيـ بـمـثـلـهـ وـافـدـ ، فـلـوـلاـ هـيـبـةـ الـمـلـكـ وـإـجـالـهـ وـإـعـظـامـهـ لـسـأـلـتـهـ مـنـ كـشـفـ بـشارـتـهـ إـيـاـيـ مـاـ أـزـدـادـ بـهـ سـرـورـاـ .
قال ابن ذي يزن : نـبـيـ هـذـاـ حـيـنـهـ الـذـىـ يـوـلـدـ فـيـهـ ، أـوـ قـدـ وـلـدـ ؟ اـسـمـهـ أـحـدـ .
يـوـمـ أـبـوهـ وـأـمـهـ ، وـيـكـفـلـهـ جـدـهـ وـعـمـهـ ، وـالـلـهـ بـاعـثـهـ جـهـارـاـ ، وـجـاعـلـهـ مـنـأـلـهـ أـنـصـارـاـ ،
يـعـزـ بـهـمـ أـوـلـيـاءـهـ ، وـيـذـلـ بـهـمـ أـعـدـاءـهـ ، يـكـسـرـ الـأـوـثـانـ ، وـيـخـمـدـ النـيـرـانـ ، وـيـعـبـدـ الرـحـنـ ،
وـيـزـجـ الشـيـطـانـ . قـوـلـهـ فـحـلـ ، وـحـكـمـهـ عـدـلـ . يـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـيـفـعـلـهـ ، وـيـنـهـيـ عنـ
الـمـنـكـرـ وـيـبـطـلـهـ .

قال عبد المطلب : أيها الملك ! عـزـ جـدـكـ وـعـلـاـ كـعـبـكـ ، وـطـابـ مـلـكـكـ ،
وطـالـ عـمـرـكـ ؟ فـهـلـ الـمـلـكـ سـارـيـ بـإـفـاصـحـ ، فـقـدـ أـوـضـحـ بـعـضـ الـإـيـاضـ ؟
قال ابن ذي يزن : والـبـيـتـ ذـيـ الـحـجـبـ ، وـالـعـلـامـاتـ وـالـنـصـبـ^(١) ، إـنـكـ
يـأـبـدـ الـمـطـلـبـ ، جـلـدـهـ غـيرـ الـكـذـبـ . فـخـرـ عبدـ الـمـطـلـبـ سـاجـداـ ، ثـمـ رـفـعـ رـأـسـهـ ؛
قال له ابن ذي يزن : اـرـفـعـ رـأـسـكـ ، ثـلـجـ صـدـرـكـ ، وـعـلـاـ أـمـرـكـ . فـهـلـ أـحـسـتـ
شـيـئـاـ مـاـ ذـكـرـتـ لـكـ ؟ فـقـالـ : نـمـ أيـهـ الـمـلـكـ ! كـانـ لـيـ اـبـنـ وـكـنـتـ عـلـيـهـ شـفـيـقاـ وـهـ
رـفـيـقاـ ، فـزـوـجـتـهـ كـرـيمـةـ مـنـ كـرـائـمـ قـومـيـ ، وـهـيـ آمـنـةـ بـنـتـ وـهـبـ بـنـ عبدـ منـافـ ؛
فـأـتـتـ بـغـلامـ سـمـيـتـهـ مـحـمـداـ ، مـاتـ أـبـوهـ وـأـمـهـ ، وـكـفـلـتـهـ أـنـاـ وـعـمـهـ ، بـيـنـ كـتـفـيـهـ شـامـةـ ،
وـفـيـهـ كـلـ مـاـ ذـكـرـ الـمـلـكـ مـنـ عـلـامـةـ .

(١) النـصـبـ : كـلـ مـاـ عـبـدـ مـنـ دـونـ اللهـ ، جـمـعـهـ أـنـصـابـ .

قال ابن ذي يزن : إن الذي قلتُ لك لِكَاتٌ^١ ؛ فاحتفظ بابنك ، واحدر عليه من اليهود ؛ فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، والله مظہر دعوته ، وناصر شيعته ؛ فاطو ما ذكرته لك دون هؤلاء الرّهط الذين معك ، فإني لست آمناً أن تدخلهم النّفّاسة^(١) ، من أن تكون لك الرياسة ؛ فيبغون له القوائل ، وينصبون له الحبائل ، وهم فاعلون ذلك ، أو أبناؤهم ، ولو لا أنّي أعلم أنّ الموت يجتاحني قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلي حتى أصيرَ بيترب دارِ ملکه ، فأكون أخاه وزيره ، وصاحبَه وظيفته ؛ فإني أجد في الكتاب المكتون ، والعلم المخزون ، أن في يربَ استحكام أمره ، وأهل نصرته ، وارتفاع ذكره ، وموضع قبره ، ولو لا الدّمامه^(٢) لأنظرتُ أمره ، وأوطأتُ العربَ كعبه ، على حداته سنّه ؛ ولكنني صارف ذلك إليك ، عن غير تقدير بك .

ثم أمر بكل رجل من القوم بعشرة أ عبد وعشرين إماماً سود ، وحُلاتين من حلل اليمن ، وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة ، وكريش ملوحة بالعنبر . ولعبد المطلب بعشرة أمثال ذلك .

وقال له : إذا حال الحول فأتني بأمره ، وما يكون من خبره . فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول !

فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يامعشرَ قريش ؛ لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك ، وإن كان كثيراً ، فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقي ذكره وفخره وشرفه .

فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم بعد حين !

(١) الفاسدة : الحسد ، نفس عليك فلان ينفس نفساً وفناً : حسدك (٢) الدّمامه : كل حرمة تلزمك - اذا ضيعتها - المذمة .

* ٣٦ - بشاره بحيري

خرج أبو طالب^(١) بن عبد المطلب في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تمهيتا للرحيل وأجمع المسير صَبَ^(٢) به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يرجمون، فرق له وقال: والله لأخرجنَ به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبداً، فخرج به *لما نزل الرَّكْبُ بِصَرِيْ(٣)* مروا ببحيري^(٤)، وكانوا كثيراً مائرون به قبل ذلك فلا يكتمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع^(٥) لهم طعاماً كثيراً، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش، فانا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحرثكم. قال له رجل منهم: والله يا بحيري إن لك أشاننا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً! فاشذك اليوم؟ قال له بحيري: صدقت، قد كان ماتقول ولكنكم ضيف^(٦)، وقد أحبيت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً، فتاكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه وتخالف رسول الله من بين القوم لحداثة سنّه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيري في القوم، ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده قال:

* ابن هشام ص ١١٨ ج ١ ، البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٨٣ ج ٢

(١) كان أبو طالب هو الذي ولـ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفـة جـده عبد المطلب (٢) الصـبـابة: رـقةـ الشـوقـ، يـقالـ صـبـيـتـ (ـبـكـسـرـ الـباءـ أـصـبـ)، وـكـانتـ سـنـ رسـولـ اللهـ اـذـ ذـاكـ سـعـ سـيـنـ فـيـهاـ ذـكـرـ بـعـضـ مـنـ أـلـفـ فـيـ السـيرـ، وـقـالـ الطـبـرـيـ: كـانـ سـنـهـ اـثـنـقـ عـشـرـ سـنـةـ (٣) بـصـريـ: مـنـ أـرـضـ الشـامـ (٤) كـانـ بـحـيرـيـ يـقـيمـ فـيـ صـوـمـعـةـ لـهـ هـنـاكـ وـكـانـ إـلـيـهـ عـلـمـ أـهـلـ النـصـرـانـيـةـ (٥) زـعـمـواـ أـنـهـ رـأـيـ رسـولـ اللهـ فـيـ صـوـمـعـةـ فـيـ الرـكـبـ حـينـ أـقـبـلـواـ وـعـامـةـ نـظـالـهـ مـنـ بـيـنـ الـقـوـمـ، مـمـ أـقـبـلـواـ فـنـزـلـواـ فـيـ ظـلـ شـجـرـةـ قـرـيبـاـ مـنـهـ، فـظـارـ إـلـىـ الـفـادـمـةـ حـينـ أـظـلتـ الشـجـرـةـ، وـهـ صـرـتـ أـغـصـانـ الشـجـرـةـ عـلـيـ رسـولـ اللهـ حـتـىـ اـسـتـقـلـ تـحـتـهـ (٦) الضـيـفـ: يـطـلـقـ عـلـيـ الـواـحـدـ وـالـجـمـعـ.

ياء عشر قريش ، لا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عن طعامي ، قالوا له : يا بحيرى ؟ مَا تَخَافُ عَنِكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غَلامًا ، وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ سَدًّا ، فَقَالَ : لَا تَقْعُلُوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من قريش مع القوم : واللاتِ والعزى إنْ كَانَ لِلْوَمِ بَنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَلَّبِ عن طعامِ مِنْ بَيْنِنَا . ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ .

فَلَمَّا رَأَاهُ بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده - وقد كان يجد لها عنده من صفتته - حتى إذا فرغ القومُ من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى ؛ فقال : يا غلام ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الِّلَّاتِ وَالْعَزِيزِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ - وإنما قال له بحيرى ذلك لأنَّه سمع قومَه يختلفون بهما .

قال الراوى : زعموا أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعَزِيزِ شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بِعَذْبِهِمَا ! فَقَالَ لَهُ بحيرى : فَبِاللهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَأْتَكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ أَشْيَاءِ مِنْ حَالِهِ مِنْ نُوْمَهُ وَهِيَتِهِ وَأَمْوَارِهِ ؛ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَخْبِرُهُ فَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عَنِدَ بحيرى مِنْ صفتته ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهِيرَةِ فَرَأَى خَاتِمَ النَّبُوَّةَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صفتته الَّتِي عَنْهُ .

فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِيهِ طَالِبًا ، وَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغَلامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : أَبْنِي . قَالَ لَهُ بحيرى : مَا هُوَ بْنُكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلامِ أَنْ يَكُونَ أَبْوَهُ حَيَاً ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي . قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبْوَهُ ؟ قَالَ : ماتَ وَأَمْهَهُ حُبْلِي بِهِ . قَالَ : صَدِقْتَ ! فَارْجَعْ بَابِنَ أَخِيكَ إِلَى بَلْدِهِ ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودًا ؛ فَوَاللهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعْرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَهُ

شَرَّاً، فَإِنَّهُ لَا بْنَ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَأَسْرَعَ بِهِ إِلَى بَلَادِهِ. فَخَرَجَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ
سَرِيعًا حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَةَ حِينَ فَرَغَ مِنْ تَجَارِهِ بِالشَّامِ!

* ٣٧ — فِي بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ

قال العباس بن عبد المطلب :

خَرَجْتُ فِي تَجَارَةٍ إِلَى الْمَيْنَ، فِي رُكْبِ مِنْهُمْ أَبُو سَفِيَانَ بْنَ حَرْبٍ، فَقَدِمْتُ
الْمَيْنَ فَكَنْتُ أَصْنَعُ يَوْمًا طَعَامًا وَأَنْصَرْفُ بِأَبِي سَفِيَانَ وَالنَّفَرَ، وَيَصْنَعُ أَبُو سَفِيَانَ
يَوْمًا، فَيَفْعَلُ مَثْلَ ذَلِكَ. قَالَ لِي فِي يَوْمِي الَّذِي كَنْتُ أَصْنَعُ فِيهِ : هَلْ لَكَ
يَا أَبا الْفَضْلِ أَنْ تَنْصَرِفَ إِلَى بَيْتِي وَتُرْسِلَ إِلَى غَدَائِكَ؟ فَقَاتَ : نَعَمْ. فَانْصَرَفَتُ
أَنَا وَالنَّفَرُ إِلَى بَيْتِهِ وَأُرْسِلتُ إِلَى الْفَدَاءِ.

فَلَمَّا تَعْدَى الْقَوْمَ قَامُوا وَاحْتَسَنُوا فَقَالَ لِي : هَلْ عَلِمْتَ يَا أَبا الْفَضْلِ أَنَّ ابْنَ أَخِيكَ
يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَاتَ : وَأَيُّ بْنِ أَخِي؟ قَالَ أَبُو سَفِيَانَ : إِيَّاهُ تَكْرُمْ! وَأَيُّ
بْنِ أَخِيكَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ؟ قَاتَ : وَأَيُّهُمْ هُوَ عَلَى ذَلِكَ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَاتَ : مَا فَعَلَ! قَالَ : بَلِي قَدْ فَعَلَ! ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَى كِتَابَهُ
مِنْ ابْنِهِ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَانَ : «إِنِّي أَخْبُرُكَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَامَ بِالْأَبْطَحِ^(١) غُدُوَّةَ» فَقَالَ :
أَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ».

* الْأَغَانِي مِنْ ٣٤٩ ج ٦، الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ مِنْ ٣١٨ ج ٢

(١) أَبْطَحَ مَكَةَ : مَسِيلُ وَادِيهَا.

قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعله صادق ! قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحب
أن تقول مثل هذا ، وإنما لا أخْشى أن تكون على بَصَرٍ من هذا الأمر . ثم قال :
يا بني عبد الطالب ؛ إنه والله ما بِرْتُ قريشاً تزعم أن لكم يُمْنَةً وشُؤْمَةً ، كل واحدة
منهما عامة ، فتشدّتك الله يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت : نعم . قال : فهذه
والله إذا شُؤْمَتْكم . قلت : فعلها يُمْنَنا !

فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو
مؤمن ؛ ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها ، وكان أبو سفيان يجلس
إلى حِبْرٍ من أصحابِ اليمن ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر الذي باقني ؟ قال : هو
ما سمعت . قال : أينَ فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوها
وأنا عمه . قال اليهودي : أخوا أبيه ؟ قال : نعم . قال : حدثني عنه . قال : لاتسألني .
فما كنت أحسب أن يدعى هذا الأمر أبداً ، وما أحب أن أعييه ، وغيره خير
منه . قال اليهودي : فليس به أذى ، ولا بأس على يهود وتوارة موسى منه .
قال العباس : فتَأْدِي إلى الخبر فَحَمِيتُ ، وخرجت حتى أجاس إلى ذلك
المجلس من غَدِير ، وفيه أبو سفيان والجَبَرُ . فقلت للجَبَر : بأغنى أنك سألت ابن عمِي
هذا عن رجلٍ مَنَا يزعم أنه رسول الله ، فأخبرك أنه عمه ، وليس بعم ، ولكنها ابن
عمة ، وأنا عمه أخوا أبيه . فقال : أخوا أبيه ؟ قلت : أخوا أبيه .

فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدق ؟ قال : نَعَمْ صدق . قال : فقلت : سأْنَى
عنه ، فإن كَذَّبتُ فليردَّ على . فـأَقْبَلَ عَلَىَّ فقال : أَنْشُدُكَ الله ، هل فَشَّتْ لابن
أخيك صَبْوَةً أو سَفْهَةً ؟ قال : قلت : لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان ، وكان

اسمه عند قريش الأمين. قال : فهل كتب بيده ؟ قال عباس : فظننت أنه خير له
أن يكتب بيده ، فأردت أن أقو لها ، ثم ذكرت مكان أبي سفيان ، وأنه مكذب
وراد على ، فقالت : لا يكتب . فذهب العبر وترك رداءه وجعل يصيح : ذبحت
يهود ! قتلت يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهودي
لغز من ابن أخيك . قلت : قد رأيت مارأيت ! هل لك يا أبا سفيان أن تؤمن
به ، فإن كان حقاً كنت قد سبقت ، وإن كان باطلًا فمعك غيرك من أكفارك ؟
قال : لا والله ما أؤمن به حتى أرى الخيل تطأ من كداء ^(١) ! فقالت : ما تقول ؟ قال :
كلمة والله جاءت على فمك ما ألقيت لها بالا ، إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطأ
من كداء .

قال العباس : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد
طأمت من كداء ، قات ^١ : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة ؟ قال لي : والله إنني لذا كرها !
فالحمد لله الذي هداني للإسلام !



(١) كداء : جبل بمكة .

* ٣٨ - تطير المنصور

قال الريبع^(١) : نام المنصور^(٢) ليلة - وكان في قصره في بغداد - فانتبهَ مروعًا ، ثم عاوده النوم فانتبهَ كذلك فزعًا مروعًا ، ثم راجع النوم فانتبهَ كذلك ؟ ثم قال : ياربيع ! فقلت : لم يأتك يا أمير المؤمنين ، قال : لقد رأيتُ في منامي عجبًا ، قال : ما رأيتَ ؟ جعلني الله فداءك ! قال : رأيتُ كأنَّ آتني بشيء^(٣) لم أفهمه ، فانتبهت فزعًا ، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني يقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

كأنني بهذا القصر قد باد أهله وعمرى منه أهله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجهة إلى جدث تدبى عليه جنادله
وما أحسبنى ياربيع إلا وقد حانت وفاتي ، وحضر أجلى ، ومالي غير ربى ، قم ،
فاجعل لي غسلًا^(٤) ، ففعلت فاغسلت وصل ركتين ، وقال : أنا عازم على الحج ،
فيه إلى آلة الحج ، فخرج وخرجنا ، حتى إذا انتهى إلى الكوفة ، ونزل

* محاضرات الأبرار ص ١٤ ج ٢

(١) هو الريبع بن يونس ، كان يخدم المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده إلى أن استوزره ، وكان جليلًا نبيلًا عارفاً بخدمة الخليفة ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ثانى خلفاء بنى العباس وأعظمهم شدة وبأساً وبقظة وثباتاً . ترقى سنة ١٥٨ هـ (٣) المئنة : الصوت الخفى (٤) الغسل : الماء الفليل الذى يغسل به .

النجف^(١) أقام أياماً ، ثم أمر بالرحيل ، فتقدمت جنوده ، وبقيت أنا وهو بالقصر ، فقال لي : ياربيع ، جئي بفحمة من المطبخ ، وقال لي : اخرج فكن مع دابتي إلى أن أخرج ، فلما خرج وركب رجعت إلى المكان كأني أطلب شيئاً فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة :

المره يهوي أن يعيش وطول عيش قد يضره
تفني بشاشته ويبيقي بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى مايرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن هاكست وسائل : الله دره !

(١) النجف : الثلث . أو النجفة التي بظهر الكوفة ، وهي تقع السبيل أن يعلو منازل الكوفة وقبورها . والنじفة أيضاً : موضع بين البصرة والبحرين .

٣٩ - المنصور تنهى إليه نفسه*

قال الفضل بن الربع : كُنْتُ مع المنصور في السفر الذي مات فيه؛ فنزل منزلًا من المنازل ، فبعث إلى ، وهو في قبة ، ووجهه إلى الحائط ، فقال لي : ألم أنهك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل ، فيكتبوا مالاً خيراً فيه ؟ !
قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما ترى على الحائط مكتوبًا :
أبا جعفر حانتْ وفاتُك ، وانقضتْ سنُوك ، وأمْرُ الله لا بدَّ نازلُ
أبا جعفر هل كاهنْ أو منجِّمْ يردُّ قضاءَ اللهِ أَمْ أنتَ جاهلُ
فقلت : والله ما أرى على الحائط شيئاً ! وإنْ لئني أبِيض ! قال : إنها والله إذن
نفسى نعيمت إلى ، الرَّحِيلَ ! بادرَ بي إلى حرم ربِّي وأمْنه ، لأهرَبَ من ذنبِي ،
وإمْرَافِي على نفسى . فرَحَلنا وقد ثقل ، حتى إذا بلغنا بئر ميمون تُوفَّ بها !

* ٤٠

رؤيا الرشيد

قال جبريل بن بختيشوع :

كنت مع الرشيد ^(١) بالرقة ^(٢) وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة ، فأتعرف حاله في ليلته ، فإن كان أنكر شيئاً وصفه ، ثم ينبطح فيحدثني بحديث جواريه وما عامل في مجلسه ، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها ؛ فدخلت عليه في غداة يوم ، فسلمت فلم يكدر يرفع طرفه ، ورأيته عابساً مفكراً مهوماً ؛ فوقفت بين يديه مليئاً من النهار ، وهو على تلك الحال .

فلماطال ذلك أقدمت عليه قلت : يا سيدى ، جعلى الله فداك ! ما حالك هكذا ! أعلمه ؟ أخبرني عنها فلعله يكون عندي دواؤها ، أو حادثة في بعض من تحب بذلك ما لا يدفع ، ولا حيلة فيه إلا بالتسليم ، والغم لا درك فيه ؛ أو فتن ورد عليك في ملكك ، فلم تخُل الملاوك من ذلك ، وأنا أولى من أفضي إليه بالخبر ، وترؤحت إليه بالمشورة .

قال : ويحيى يا جبريل ! ليس غمى وكربي شيء مما ذكرت ، ولكن رؤيا رأيتها في لياتي هذه ، وقد أفرزعتنى وملاكت صدرى ، قات : فرجت عن يا أمير المؤمنين ! فدنوت منه قبَّاتُ رجله وقت : أهذا الغم كله ؟ أرؤيا إنما تكون من خاطر أو غيره ؟ وإنما هي أضغاث أحلام !

* الطبرى من ١١٠ ج ١٠

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدى ، كان دينا محافظاً ، كثير الجهاد ، توفي سنة ١٩٣ هـ .
(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر لنهر الفرات بولاية حلب ، وتقع لها : الرقة اليضاء ، وبقربها كانت واقعة صفين المشهورة .

بعد هذا كله قال : فأقصها عليك : رأيت كأنى جاًس على سريري هذا
إذ بدأ من تحت ذراعه أعرّفها ، وكف أعرّفها ، وأفهم اسم صاحبها ، وفي الكف
تُربة حمراء ، فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه : هذه التربة التي تدفن فيها ؛
فقلت : وأين هذه التربة ؟ قال : طوس^(١) . وغابت اليدي وانقطع الكلام وانتهت.
فقلت : يا سيدي هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، أحسبك أخذت مضمونك ، ففكّرت
في خراسان وحرثوها ، وما قد وَرَدَ عليك من انتقاض بعضاها . قال : قد كان ذلك .
قلت : فلذلك الفكر خالطك في منامك ما خالطك ؛ فوَلَدَ هذه الرؤيا ، فلا تحفل
بها - جعلني الله فذاك - وأتبع هذا الغم سروراً يخرج من قلبك حتى لا يولد علته .
وما برح أطيب نفسه بضروب من الحيل حتى سلاً وابسط ، وأمر ياعداد
ما يشتهيه ويزيد في ذلك اليوم من همه .

ومرت الأيام فنسى ونسينا تلك الرؤيا فما خطرت لأحد منها ببال ، ثم قدر
مسيره إلى خراسان حين خرج رافع^(٢) ، فلما صار في بعض الطريق ابتدأت به العلة ، فلم
ترزق تزايداً ، حتى دخلنا طوس؛ فبينما هو يمرض في بستان إذ ذكر تلك الرؤيا؛ فوثب
ـ متحملاً يقوم ويسقط ، فاجتمعا إلينه ، كل يقول : يا سيدي ما حالك ؟ وما دهاك ؟

قال : يا جبريل ، تذكر رؤيائي بالرقة ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ،
قال : جئني من تربة هذا البستان ؛ فمضى مسرور فأنى بالترفة في كفه حاسراً عن
ذراعه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي ، وهذه والله الكف
بعينها ، وهذه والله التربة الحمراء ، ما خرمت شيئاً ، وأقبل على البكاء والتحبيب ،
ثم مات بها - والله - بعد ثلاثة ، ودفن في ذلك البستان !

(١) طوس . مدينة بخراسان ، وبها مات الرشيد (٢) هو رافع بن الليث ، خرج إليه الرشيد
سنة ١٩٢ هـ حينما استفحلا أمره بما وراء الهر .

٤١ - تطير الأمين*

قال إبراهيم بن المهدى : خرج الأمين^(١) ذات ليلة ي يريد أن يتفرج من الضيق الذى هو فيه ، فصار إلى قصر له ، ثم أرسل إلى ، فحضرت عنده ، فقال : ترى طيب هذه الليلة ، وحسن القمر في السماء ، وضوءه في الماء على شاطئ دجلة ! هل لك في الشرب ؟ قلت : شأنك ! فشرب رطلا ، وسقاني آخر ، ثم غنسته ما كنت أعلم أنه يحبه ؟ فقال لي : ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ قلت : ما أحوجنى إلى ذلك !

فدعى بخارية متقدمة عنده اسمها « ضعف »؛ فتطيرت من اسمها ومحن على تلك الحال^(٢) ، فقال لها : غنى ؛ ففنت بشعر الجمدي :

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر جرمًا منك ضرّاج بالدم
فاشتد ذلك عليه ، وتطير منه ، وقال : غنى غير ذلك ، ففنت :

أبكي رفاقهم عني فآرقها إن التفرق للأحباب بـكاء
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تقاموا - ورب الدهر عداء

* الطبرى م ١٩٥ ج ١٠ ، المخاسن والمساوى م ٣٦١ طبع ليفزج ، السعودى م ٣٠١ ج ٢

(١) الأمين : هو محمد بن هارون الرشيد ، اخذه الفضل بن الربيع وزيرًا ، فأغرى الفضل بيته وبين الأمون فنصب محمد ابنه مومى لولاية العهد بعده ، وأخذ له البيعة ، وجعله في حجر على ابن عيسى ، وأمر علياً بالتوجه إلى خراسان لخماربة الأمون سنة ١٩٥ هـ . ووجه الأمون طاهر الأمين قد حاصره طاهر بن الحسين من قبل الأمون . (٢) كان

قال لها : لعنة الله ! أما تعرفين من الغناء غير هذا ؟ فقالت : ما تغنىت
إلا ما ظنت أنك تُحبّه ! ثم غنت :

أما ورب السكون والحرث إن المنايا كثيرة الشراك
ما اختلف الليل والنهر ، وما دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل النعم من ملائكة قد زال سلطانه إلى ملائكة
وملائكة ذي العرش دائمًا ليس بفان ولا بمشاركة
قال لها : قومى غضب الله عليك واعنك !

وكان له قدح من بلور حسن الصنعة ، وكان موضوعاً بين يديه ، فعثرت
الجارية به فكسرته ، فقال : ويحك يا إبراهيم ! أما ترى ما جاءت به هذه الجارية ؟
ثم ما كان من كسر القدح ! والله ما أظن أمرى إلا قد قرب . فقلت : يدِم الله
ملائكة ، ويعز سلطانك ، ويكتب عدوك ! فما استلم الكلام حتى سمعنا صوتاً :
« قُضى الأمر الذي فيه تستفتيان » . فقال : يا إبراهيم : أما سمعت ؟ قلت :
ما سمعت شيئاً ، وكنت قد سمعت ؛ قال : تسمع حسأ ! فدنوت من الشط فلم أر
شيئاً ، ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت بمثله .

فقام من مجلسه مُغتمماً إلى مجلسه بالمدينة . فما مضى إلا ليلة أو ليلتان
حتى قُتل !

٤٢ — ذنب لا يطمع صاحبه في غفرانه*

قال يوسف الكوفي - وكان قد روى الأشعار والأحاديث :
 حبّجت ذات سنّة ؛ فإذا أنا برجل عند البيت ، وهو يقول : اللهم اغفر لي
 وما أراك تفعل ! فقلت : ياهذا ، ما أعجب يا سك من عفو الله ! قال : إن لى ذنبا
 عظيا ! فقلت : أخبرني .

قال : كنت مع يحيى بن محمد بالموصل ، فأمرنا يوم جمعة ، فاعتراضنا المسجد ،
 فقتلنا ثلاثة ألفا ، ثم نادى مناديه : من علق سوطه على دار فالدار وما فيها له ،
 فعلق سوطى على دار ودخلتها ، فإذا فيها رجل وامرأة وابنان لها ، فقدمت
 الرجل فقتلته ، ثم قلت للمرأة : هاتي ما عندك ! وإلا ألحتت ابنيك به ، فجاءتني
 بسبعة دنانير . فقلت : هاتي ما عندك ، فقالت : ما عندي غيرها ، فقدّمت أحد
 ابنيها فقتلته ، ثم قلت : هاتي ما عندك وإلا ألحت الآخر به ، فلما رأت الجد مني
 قالت : ارفق ! فإن عندي شيئاً كان أودعنيه أبوهما ، فجاءتني بدرع مذهبة
 لم أر مثالها في حسنه ، فجعلت أقبلها إذًا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جار الأمير وحاجبه وفاض الأرض أسرف في القضاء
 فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء
 سقط السيف من يدي وارتعدت ، وخرجت من وجهى إلى حيث ترى !

* ٤٣ — طيرة ابن الرومي

قال علي بن ابراهيم : كنت بدارى جالساً ؛ فإذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فبادرت هارباً ، وأمرت الغلام بالصعود إلى السطح ، والنظر إلى كل ناحية ؛ من
أين تأتينا الحجارة ؟ فرجم إلى ، وقال لي : امرأة من دار ابن الرومي ^(١) الشاعر !
قد تشوّفت ^(٢) ، وقالت : اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة من ماء ! وإلا هلكنا ؛
فقد مات من عندنا عطشاً !

فتقدمت إلى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة : أن تصعد إليها وتحاطبها ؛
فعمات بادرت بالجرة ، وأتبعها شيئاً من الطعام ، ثم عادت إلى فقالت : ذكرت
المرأة أن الباب عليها مغلق منذ ثلاثة أيام بسبب تعثير ابن الرومي ، وذلك أنه
يلبس ثيابه كل يوم ويتعود ، ثم يصير إلى الباب ، والمفتاح معه ، فيضع عينه على
ثقب في خشب الباب ، فتفعل على جاري له كان نازلاً بازاته ، وكان أحدب يقعد
كل يوم على بابه ؛ فإذا نظر إليه رجع ، وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحد الباب !
فعجبت لحديثها ، وبعثت بخادم لي كان يعرفه ، فأمرته أن يجلس بازاته -
وكانت العين تميل إليه - وتقدمت إلى بعض أعنانى أن يدعوا الجار

* زهر الآداب ص ١٧٧ ج ٢ ، ذيل زهر الآداب ص ٢٤٣ ، معجم الآداب ص ٢٩٦ ج ١٣

(١) هو أبو الحسن علي بن العباس الرومي ، ولد في بغداد وعاش فيها متأثراً بالأدب اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريقة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنبيك المنطقي
والاستقصاء في أسلوب جزل متبين ، ومات سنة ٢٨٣ هـ (٢) تشوّفت : نظارت وتعاونت .

الأحدب ، فلما حضر عندي أرساتٍ وراء غلامي ؟ لينهضَ إلى ابن الرومي ، ويستدعيه . فإني جالسٌ ، ومعي الأحدب ، إذ وافى أبو حذيفة الطرسُوسِي ، ومعه بِرْدَعَة الموسوس ، صاحبُ المعتقد ، ودخل ابنُ الرومي؛ فلما تخطى عتبةَ باب الصحن عَشَرَ ، فانقطع شِعْرٌ ^(١) نَعْلَه ؛ فدخل مذعوراً ! وكان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدل على تغير حاله .

فدخل ، وهو لا يرى جاره المتطير منه ؛ فقلت له : يا أبا الحسن ؟ أَيْكُون شَيْءٌ في خروجك أَحْسَنَ من مخاطبتك للخادم ، ونظرك إلى وجهه الجميل ؟ فقال : قد لحقني ما رأيتَ من العَثَرَة ؛ لأنَّ فكرتُ أَنَّ به عاهة ! وهي قطع أَنْثِيَةٍ ^(٢) ! قال بِرْدَعَة : وشيشخنا يتطرى ؟ قلت : نعم و يُغْرِط ! قال : ومنْ هو ؟ قلت : على بن العباس ^(٣) . قال : الشاعر ؟ قلت : نعم ! فأقبل عليه وأنشدَه :

وَلَا رَأَيْتُ الدهرَ يُؤْذِنُ صِرْفُهُ
بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنِ الْجَبَائِبِ ^(٤)
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَنْتُهَا عَلَى
وَمَنْ صَاحِبَ الدِّنَيَا عَلَى جَوْزِ حُكْمِهَا
فَجَدْ خَلْصَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ
وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ
وَدُعْ عَنْكَ ذِكْرَ الْفَأْلِ وَالْجَرْوَاطِرِ
فَبَقِيَ ابْنُ الرَّوْمَى بِاهْتَأْ يَنْظَرُ إِلَيْهِ ! وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ قَدْ شَغَلَ قَلْبَه بِحَفْظِ مَا أَنْشَدَه ،
ثُمَّ نَهَضَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبِرْدَعَةَ مَعَهُ .

(١) الشِّعْرُ : أحد سبور النَّعْلِ ، وهو الذي يدخل بين الاصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النَّعْلِ المشدود في الزمام . (٢) يعني أنَّ مجبوب (٣) هو اسم ابن الرومي (٤) الجبائب : مفرد حبيبة .

فحلف ابن الرومي لا يطيير أبداً من هذا ولا من غيره ، وعجب من جودة
الشعر ومعناه ، وحسن مأة ، فقلت له : ليتنا كتبناه ؟ ! قال : اكتبه فقد
حفظته ؛ وأملأه علىَّ !

* ٤٤ — تطير الرشيد بن المعتمد

قال ابن البانة^(١) : كنتُ بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه ، فورد
الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة ، فتفجع وتلهف ، واسترجع^(٢) وتأسف ، وذكر
قصر غرناطة ، فدعونا لقصره بالدوام ، ولما كه بتراخي الأيام ، وأمر عند ذلك أبو بكر
الأشبيلي بالغناء ؛ فغنى :

يا دارمية بالعلية فالسند أقوت^(٣) وطال عليه سالف الأمد
فاستحالات مسرته ، وتحممت أسرته ، وأمر بالغناء من ستارته فغنى :
إن شئت ألا ترى صبرا المصطبر فانظر على أي حال أصبح الطلل
فتأكّد تطيره ، واشتد ازباد وجهه وتغييره ، وأمر مغنية أخرى بالغناء ؛

فغنت :

يالهف نصي على مال أفرقة على المقلين^(٤) من أهل المروءات

* نفح الطيب ص ٣٩٢ ج ٢

(١) هو أبو بكر الداني ، ويعرف بابن البانة ، وقد قال عنه في المطبع ص ٢٥٦ : المدرك
الباع ، الفريد الانطباع ، الذي ملك للحسان مقاداً ، وغدا له البديع مقاداً . . . (٢) استرجع
عند المصيبة : قال : إبانة وإناليه راجعون (٣) أقوت : خات (٤) أقل : افتقر .

إِنْ اعْتَذَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي
مَا لَسْتُ أُمِّلِكُ، مِنْ إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ
فَتَلَاقِيْتُ الْحَالَ بِأَنْ قَلْتَ :

مَحْلُ مَكْرَمَةً لَاهْدَ مَبْنَاهُ
وَشَمْلُ مَأْثَرَةً لَا شَتَّتَ اللَّهُ
الْبَيْتَ كَالْبَيْتِ لَكُنْ زَادَ ذَا شَرْفًا
أَنَّ الرَّشِيدَ مَعَ الْمُعْتَدِ وَكُنَّاهُ
ثَاوٍ عَلَى أَنْجَمِ الْجُوزَاءِ مَقْعُدًا
وَرَاحِلٌ فِي سَبِيلِ السَّعْدِ مَسْرَاهُ
حَتَّمَ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَقُولَ وَقْدُوسَاتٍ
بِالشَّرْقِ وَالغَربِ يَمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ
فَاعْمَرِي لَقَدْ بَسَطْتَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَعْدَاتَ عَلَيْهِ بَعْضَ أَنْسَهِ ، عَلَى أَنِّي وَقَعْتُ فِيمَا
وَقَعُوا فِيهِ لِقَوْلِي : « الْبَيْتَ كَالْبَيْتِ » .

وَأَمْرَ إِثْرَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرَ بِالْفَنَاءِ ، فَغَنِيَ :

وَلَا قَضَيْنَا مِنْ كُلَّ حَاجَةٍ
وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا أَنْ تُزَمَّ (١) الرَّكَابُ
فَأَيْقَنَّا أَنَّ هَذَا التَّطْبِيرُ يَعْقِبُهُ التَّغْيِيرُ !

(١) زم البعير : خطمه .

* ٤٥ — رؤيا

قال عبد الله بن المعلم : خرجنا من المدينة حجاجاً ، فإذا أنا بـرجل من بنـي هاشم من بنـي العباس بن عبد المطلب ، قد رفضـ الدنيا ، وأقبلـ على الآخرة ؛ فجمعتـني وـإيـاهـ الطـريق ؛ فأـنـسـتـ بـهـ ، وـقـلـتـ لـهـ : هلـ لكـ أـنـ تـعـادـ لـنـيـ^(١) ؟ فـإـنـ مـعـيـ فـضـلاـ منـ رـاحـلـتـيـ ؟ فـجـزـأـنـيـ خـيرـاـ ، شـمـ أـنـسـ إـلـىـ ، فـجـعـلـ يـحـدـثـنـيـ ، فـقـالـ :

أـنـاـ رـجـلـ مـنـ وـلـدـ العـبـاسـ ، كـفـتـ أـسـكـنـ الـبـصـرـةـ ، وـكـنـتـ ذـاـ كـبـيرـ شـدـيدـ ، وـنـعـمـ طـائـلـةـ ، وـمـالـ كـثـيرـ ، وـبـذـخـ زـائـدـ . فـأـمـرـتـ يـوـمـاـ خـادـمـاـ لـيـ أـنـ يـحـشـوـ لـيـ فـرـاشـاـ مـنـ حـرـيرـ ، وـمـخـدـدـ بـورـدـ نـثـيرـ ! فـفـعـلـ .

فـإـنـيـ لـنـائـمـ إـذـاـ بـقـمـعـ وـرـدـ قـدـ نـسـيـهـ الـخـادـمـ ؛ فـقـمـتـ إـلـيـهـ ، فـأـلـوـجـمـتـهـ ضـرـبـاـ ، شـمـ عـدـتـ إـلـىـ مـضـجـعـيـ بـعـدـ إـخـرـاجـ الـقـمـعـ مـنـ الـمـخـدـةـ ، فـأـتـانـيـ آتـ فـيـ مـنـامـ فـيـ صـورـةـ فـظـيـعـةـ ، فـهـزـنـيـ ، وـقـالـ : أـفـقـ مـنـ غـشـيـتـكـ ، وـاتـبـهـ مـنـ رـقـدـتـكـ ، شـمـ أـنـشـاـ يـقـولـ :

يـاخـلـ ، إـنـكـ إـنـ تـوـسـدـ لـيـنـاـ وـسـدـتـ بـعـدـ الـيـوـمـ صـمـ الـجـنـدـلـ
فـأـمـهـدـ لـنـفـسـكـ صـالـحـاـ تـسـعـدـ بـهـ فـلـتـنـدـمـنـ غـداـ إـذـاـ لـمـ تـفـعـلـ
فـأـنـتـبـهـتـ مـرـعـوـبـاـ ، وـخـرـجـتـ مـنـ سـاعـتـ هـارـبـاـ إـلـىـ رـبـيـ !

* مـجـانـيـ الأـدـبـ مـنـ ٢٠ جـ ٤

(١) عـادـلـ فـيـ الـخـدـلـ : رـكـبـ مـعـهـ .

الباب الثالث

القصص التي تجلو علومهم ومعارفهم ، وتتوضح منها
ثقافتهم ، وما كان متداولاً بينهم من مسائل العقل والنقل التي
هدتهم إليها فطراً ، أو أنتهتُها إليهم تجارةً .

٤٦ — فراسة أبناء نزار*

لما حضرت نزاراً الوفاة جمعَ بنيه : مُضْرِّ وَإِياداً وَرِبيعة وَأَنْمَاراً ، وقال لهم : يا بَنِيَّ ، هذه القبةُ الحمراء - وكانت من آدم^(١) - لم يُضْرِّ ، وهذا الفرسُ الأدْهَم^(٢) والخِبَاءُ^(٣) الأسود لِرِبيعة ، وهذه الخادم - وكانت شَمَطاً^(٤) - لِإِياد ، وهذه النَّدوة^(٥) والمجلس لِأَنْمَار يجلس فيه : فإنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ كَيْفَ تَقْسِمُونَ فَأَتَوْا الْأَفْعَى الجَرْهَمِيَّ وَمَنْزَلُهُ بِنَجْرَانَ^(٦) ؟ فَلَمَّا مَاتَ تَشَاجَرُوا فِي مِيرَاثِهِ ، فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْأَفْعَى الجَرْهَمِيَّ .

فَبَيْنَا هُمْ فِي مَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ ، إذ رأى مُضْرِّ أَثْرَ كَلَّا قَدْ رُعِيَ ، فقال : إنَّ الْبَعِيرَ الَّذِي رَعَى هَذَا الْأَعْوَرَ ! قال رِبيعة : إِنَّهُ لَأَزْوَرَ^(٧) ! قال إِياد : إِنَّهُ لَأَبْتَرَ^(٨) ! قال أَنْمَار : إِنَّهُ لَشَرُودَ^(٩) !

ثُمَّ ساروا قليلاً فَإِذَا هُمْ بِرَجُلٍ يُنشِدُ^(١٠) جَلَّهُ ، فَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ ، فقال مُضْرِّ : أَهُوَ أَعْوَرَ ؟ قال : نعم ، قال رِبيعة : أَهُوَ أَزْوَرَ ؟ قال : نعم ، قال إِياد : أَهُوَ أَبْتَرَ ؟ قال : نعم ، قال أَنْمَار : أَهُوَ شَرُودَ ؟ قال : نعم ! وَهَذِهِ اللَّهُ صَفَةٌ بَعِيرِي فَدُلُونِي عَلَيْهِ ؛ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا ، قال : هَذَا وَاللَّهِ الْكَذْبُ ! وَتَعَلَّقُ بِهِمْ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَصْدِقُكُمْ وَأَتُمْ تَصْفُونَ بَعِيرِي بِصَفَتِهِ ! فَسَارُوا حَتَّى قَدَمُوا بِنَجْرَانَ ،

* مجمع الأمثال من ١٥ ج ١، بلوغ الأربع من ٢٦٤ ج ٣، المسعودي من ٣٠٢ ج ١

(١) الأَدْمَ : الجلد (٢) الأَدْهَمَ : الأَسْوَد (٣) الْخِبَاءُ : يَكُونُ مِنْ وِبَرٍ أَوْ صَوْفَ أَوْ شَعْرَ

(٤) شَطَاءُ : بِرَأْسِهِ شَبَابٌ يَخَالِطُ السُّوَادَ (٥) النَّدْوَةُ : مَجْلِسُ الْقَوْمِ نَهَارًا (٦) نَجْرَانَ

مَدِينَةٌ شَهِيرَةٌ بِالْيَمِينِ ، جَرَتْ فِيهَا حَوَادِثٌ فَسَدَّةٌ « أَصْحَابُ الْأَخْدُودَ » (٧) الْأَزْوَرُ : مَنْ يَعْشِي

عَلَى شَقٍ (٨) الْأَبْتَرُ : مَقْطُوْعُ الذَّبْنِ (٩) الشَّرُودُ : النَّافِرُ (١٠) أَنْشَدَ الشَّالَةَ : طَلَبَهَا .

فَلَمْ يَرْلُوا نَادِي صَاحِبُ الْبَعِيرِ: هُؤُلَاءِ أَخْذُوا جَلِيلًا، وَوَصَفُوا لِي صَفَّتَهُ، ثُمَّ قَالُوا: لَمْ يَرْلُوا.

فَأَخْتَصَمُوا إِلَى الْأَفْعَى الْجَرْهَمِيِّ - وَهُوَ حَكَمُ الْعَرَبِ - قَالَ الْأَفْعَى: كَيْفَ وَصَفْتُهُمْ وَلَمْ تَرَوهُ؟ قَالَ مَصْرُ: رَأَيْتُهُ رَعَى جَانِبًا وَتَرَكَ جَانِبًا؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أُعُورٌ. وَقَالَ رَبِيعَةُ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدِيهِ ثَابِتَةً الْأَثْرَ وَالْأُخْرَى فَاسِدَتَهُ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَزُورٌ؛ لَأَنَّهُ أَفْسَدَ بَشَدَةٍ وَطَهْرَ لَازُورَارَهُ . وَقَالَ إِيَادٌ: عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبْتَرَ بِالْجَمَاعِ بَعْرَهُ، وَلَوْ كَانَ ذِيَالًا^(١) لَمَّا صَعَ^(٢) بِهِ . وَقَالَ أَنْمَارٌ: عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ؛ لَأَنَّهُ كَانَ يَرْعِي فِي الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ نَبْتَهُ، ثُمَّ يَجْوَزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبِثُ نَبْتَهُ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ . قَالَ لِلْرَّجُلِ: لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ فَاطَّلَبْهُ ^{مُعَصِّبَهُ}

شِمَ سَلَّمٌ: مَنْ أَنْتُ لَا فَأَخْبِرُوهُ؛ فَرَحِبَ بِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُ بِمَا جَاءَ بِهِمْ، قَالَ: أَنْتَمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى وَأَنْتُمْ كَأُرْيَى! ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ، فَذَبَحَ لَهُمْ شَاةً، وَأَتَاهُمْ بَخْمَرٌ، وَجَلَسَ لَهُمْ - نَعْلَوْلَا^(٣) مُكْلِمٌ - كَلْرَكْرَكْ - الْأَفْعَى، حَيْثُ لَا يُرَى وَهُوَ يَسْمَعُ كَلَامَهُ؛ فَقَالَ رَبِيعَةُ: لَمْ أَرَ كَالِيُومَ لَهُمْ أَطْيَبَ رَبِيعَةَ^(٤) حَفَاظَتْ. لَوْلَا أَنْ شَاهَتْ غُذْيَتْ بَابِنِ كَلْبَةَ؛ فَقَالَ مَصْرُ: لَمْ أَرَ كَالِيُومَ خَرَّاً أَطْيَبَ مِنْهُ، لَوْلَا أَنْ جُنْتَلَهَا^(٥) نَيَّقَتْ عَلَى قَرْبٍ؛ فَقَالَ إِيَادٌ: لَمْ أَرَ كَالِيُومَ رَجْلًا أَسْرَى^(٦) مِنْهُ لَوْلَا أَنْ لَيْسَ لِأَيِّهِ الَّذِي يُدْعِي لَهُ؛ فَقَالَ أَنْمَارٌ: لَمْ أَرَ كَالِيُومَ كَلَامًا أَنْفعَ فِي حَاجَتِنَا^(٧) مِنْ كَلَامِنَا، وَكَانَ كَلَامُهُمْ يَأْذِنُهُ، قَالَ: مَا هُؤُلَاءِ إِلَّا شَيَاطِينُ!

شِمَ دُعا الْقَهْرَمَانَ^(٨) فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْخَزْرُ وَمَا أَمْرُهَا؟ قَالَ: مَنْ حُبْلَةَ غَرَسَتْهَا

(١) ذِيَالًا : لَهُ ذِيَلٌ طَوِيلٌ (٢) مَصْعُبُهُ: يَقَالُ مَصْعُبُ الدَّابَّةِ بِذِيَنِهَا أَيْ حَرْكَتِهِ

(٣) الْحَبْلَةُ: الْكَرْمُ أَوْ أَصْلُ مِنْ أَصْوَالِهِ (٤) السَّرْوُ: الْمَرْوَةُ فِي شَرْفٍ (٥) الْقَهْرَمَانُ:

مَرْفَقُ الْأَنْسَابِ

حَمْرَهُ: سَكَنَمُ الْأَنْسَابِ دَارَسَمُ مَرْفَقُهُ لَمْ أَنْمَ دَارَسَمُهُ

أَمْرُهُ: نَرْمَهُ

ضَمْهُ:

على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها ؟ وقال للراعي : ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هي شاة صغيرة أرضعتها بلبن كلبة ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن في القنم شاة ولدلت غيرها . سائل . إبراز ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال ، وكان لا يولد له ، قالت : فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك !

فخرج الأفعى عليهم ، فقص القوم عليه قضمهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم : فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو أحسن ؛ فذهب بالدانير والإبل إلى مصر ، وأما صاحب الفرس الأدهم والخياء الأسود فله كل شيء أسود ؛ فصارت لربيعة الخيل الدائم ؛ فقيل : ربعة الفرس ؛ وما أشبه الخادم الشمطا ؛ فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من العبلق^(١) والنقد^(٢) ؛ فسمى إياد على ذلك !

(١) العبلق : غنم صغار لأن أكبر ، أو قصار العز ودمامها . (٢) النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل .

٤٧ - ارعى وأحدري*

خرج أعرابي مكفوف البصر، ومعه ابنة عم له لرعى غنم لها ، فقال الشيخ:
أجد ريح النسم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظرى ؛ قالت : أراها كأنها زربَ^(١)
معزى هزلٍ ، قال : ازعى وأحدرى .

ثم قال لها بعد ساعة : إني أجد ريح النسم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظرى .
قالت : أراها كأنها بغال ذهم ، تجبر جلاجلها ، قال : ازعى وأحدرى .
ثم مكث ساعة ، ثم قال : إني لأجد ريح النسم قد دنا فانظرى . قالت :
أراها كأنها بطن حمار أصحر^(٢) ، فقال : ارعى وأحدرى ، ثم مكث ساعة ،
قال : إني لأجد ريح النسم فاترين ؟
قالت : أراها كما قال الشاعر :

دان مُسِفٌ^(٣) فويق الأرض هيدب^(٤) يَسْكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بالرَّاحِ
كَانَ^(٥) بَيْنَ أَعْلَاهُ وَاسْفَلِهِ رِيطٌ^(٦) مُنْشَرَّهُ أَوْ ضَوْءٌ مُصْبَحٌ
فَمَنْ يَنْجُونَهُ^(٧) كَمَنْ يَعْقُوْنَهُ^(٨) وَالْمَسْكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرْوَاحٍ
قال : أنجي ، لا أبالك ! لما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهمَا !

* الأغاني من ١٠ ج ٦

(١) الرب : القطب (٢) الصخرة : حجرة في غربة (٣) المسف : الذي قد أسف على
الأرض ، أي دنا منها (٤) الهيدب : السعاب يقرب من الأرض كأنه متسل (٥) الربط :
جمع ربط وهي كل ملاعة غير ذات لففين ، كلها نسج واحد (٦) النجوة : المكان المرتفع الذي
ظن أنه مجاوز (٧) العقوفة : ساحة الدار (٨) الفرواح : أرض فرواح : واسعة ، والفرواح
أيضاً : البازر الذي لا يسره من السماء شيء .

* طب الحارث بن كلدة *

وفد الحارث^(١) بن كلدة الشققي على كسرى أنوشروان ، فأذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة الشققي . قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب ، قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم من صميمها ، وبخوبحة^(٢) دارها ، قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهله ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك : إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يصلح جهله ، ويقيم عوجها ، ويُسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها^(٣) ؛ فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه !

قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحال لم تُنْتَسب إلى الجهل !

فقال : أيها الملك ، العقل من قسم الله تعالى ، قسمه بين عباده كِيْفَسْمَةِ الرزق فيهم ، فكل من قسمته أصاب ، فمنهم مُثْرٌ ومُعَدِّم ، وجاهل عالم ، وعجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العاليم ! فاعجب كسرى من كلامه .

ثم قال : فما الذي تحمد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسبجاها ؟ قال الحارث : أيها الملك : لها نفس سخية ، وقلوب جريئة ، ولغة فصيحة ، وألسن بلية ،

* بلوغ الأربع ص ٣٢٨ ج ٣ ، العقد الفريد ص ٣٤١ ج ٤

١ (١) كان الحارث من الطائف ، وهو طبيب العرب في عصره سافر إلى فارس وتعلم الطب ، وعرف الداء والدواء ، وكان يضرب بالموعد ، تعلم ذلك بفارس واليمن ، وبلغ أيام رسول الله وأبي بكر و عمر وعثمان وعلى وعمرانة توفى نحو سنة ٥٠ هـ (٢) بخوبحة : صميم (٣) الأمشاج : الأختلاط .

وأنساب صحيحة ، وأحساب شريقة ، يُعرق^(١) من أفواههم الكلام مُرْوَقَ السهم
من نبعةِ الرَّام^(٢) ، أُعذَّبَ من هواءِ الربيع ، وألينَ من سلسلةِ المعين^(٣) ؛
مُطْعِمُ الطعام في الجدب ، وضاربو الهمام في الحرب ، لا يُرَامُ عِزْهُم ، ولا يُضَامُ
جارُهُم ، ولا يُسْتَباحُ حَرِيمُهُم ، ولا يُذَلَّ كريئُهُم ، ولا يُقْرَونَ بفضلِ لأنام ،
إلا للملائكةِ الهمام ، الذي لا يقاومُ به أحد ، ولا يوازيه سوقه^(٤) ولا ملك !

فاستوى كسرى جالساً ، وسرر لِمَا سمع من حُكْمَ كلامه ؛ وقال بجلسائه :
إنني وجدته راجحاً ، ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وما يُورِدُهُ من لفظه صادقاً ؛
وكذا العاقل من أحكمة التجارب ! ثم أمره بالجلوس فجلس ، فقال له : كيف
يُصْرُك بالطَّبِّ ؟ قال : ناهيك !

قال : فما أصلُ الطَّبِّ ؟ قال : ضبطُ الشفتين ، والرفق باليدين ، قال : أصبتَ !
فما الداءُ الدَّوِيَّ ؟ قال : إدخالُ الطعام على الطعام ، هو الذي يُفْنِي البرية ،
ويُهْلِكُ السباعَ في جوف البرية ، قال : فما الجمرة التي تلهب منها الأدواء ؟ قال :
هي التخمة ، إن بقيت في الجوف قاتلت ، وإن تحلاَّت أُسْقمت ، قال : صدقت .
فما تقول في الحجامة ؟ قال : في نقصان المصالل ، في يوم صحو لا غيم فيه ،
والنفس طيبة ، والعروق ساكنة ، لسرور يفاجئك ، وهم يباعدك ، قال : فما
تقول في دخولِ الحمام ؟ قال : لا تدخله شبعان ، ولا تقم بالليل عريان ، ولا تقد
على الطعام غضبان ، وارفق بنفسك ، يكنْ أرخي لمالك ، وقلل من طعامك ،
يكنْ أهناً لنومك .

(١) يُعرق : يخرج (٢) الرام : شجر (٣) السلسلة : الابن الذي لا خشونة فيه ،
والمعين : الماء الجارى (٤) السوق : خلاف الملك .

قال : فما تقول في الدواء ؟ قال : ما لزمتك الصحة فاجتنبه ، فإن هاج داء
فاحسنه بما يرده قبل استحكامه ؛ فإن البدن عزلة الأرض : إن أصلحتها عمرت
وإن تركتها خربت .

قال : فما تقول في الشراب ؟ قال : أطبيه أهناه ، وأرقه أمراء ، وأعذبه
أشهان ، لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ، ويشير عليك من الأدواء أنواعاً .

قال : فأى اللحوم أفضل ؟ قال : الصأن الفتي ؛ والقديد الملاع مهلك للآخر كل
واجتنب لحم الجزور والبقر .

قال : فما تقول في الفواكه ؟ قال : كلها في إقبالها وحين اوانها ، واتركها إذا
أدبرت وولدت وانقضى زمانها ؛ وأفضل الفواكه الرمان والأترنج ، وأفضل الرياحين
الورد والبنفسج ، وأفضل البقول الهنديباء^(١) واللحس .

قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن ، وبه قوامه ، ينفع
ما شرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر ، أفضله أمراء ، وأرقه أصحابه .
قال : فما طعمه ؟ قال : شيء لا يوصف ، قال : فما لونه ؟ قال : أشتبه على
الأبصار لونه ، لأنه يحكي لون كل شيء يكون فيه .

قال : فما التور الذي في العينين ؟ قال : مركب من ثلاثة أشياء : فالبياض
شحم ، والسوداء ، والنظر ريح .

قال : فعلى كم جيل وطبع البدن ؟ قال : على أربعة طباع : المرأة السوداء
وهي باردة يابسة ، والمرأة الصفراء وهي حارة يابسة ، والدم وهو حار رطب ،

(١) بقلة نافعة للمعدة والكبد والطحال .

والبلغ وهو بارد رطب ؟ قال : فِيمَ لَمْ يَكُنْ مِنْ طَبِيعَ وَاحِدٍ ؟ قال : لَوْ خُلِقَ مِنْ طَبِيعَ وَاحِدٍ لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرِبْ ؛ وَلَمْ يَمْرُضْ وَلَمْ يَهْلِكْ ! قال : فَمَنْ طَبِيعَيْنِ ؟ لَوْ كَانَ اقْتَصَرَ عَلَيْهِمَا ! قال : لَمْ يَجْزُ لِأَنَّهُمَا ضَدَانٌ يَقْتَلَانَ ! قال : فَمَنْ ثَلَاثَ ؟ قال : لَمْ يَصْلُحْ مُؤْفِقَانِ وَمُخَالِفَ ! فَالْأَرْبَعُ هُوَ الْاعْتِدَالُ .

قال : فَأَجْلَلَ لِي الْحَارُ وَالْبَارِدُ فِي أَحْرَفِ جَامِعَةٍ ؟ قال : كُلُّ حَلوِ حَارٍ ، وَكُلُّ حَامِضٍ بَارِدٍ ، وَكُلُّ حَرِيفٍ حَارٍ ، وَكُلُّ مَرٍّ مُعْتَدِلٍ ، وَفِي الْمَرِّ حَارٌ وَبَارِدٌ ، قال : فَأَفْضَلُ مَا عُولِجَ بِهِ الْمَرَّةُ الصَّفَرَاءُ ؟ قال : كُلُّ بَارِدٍ لِيْنَ ، قال : فَالْمَرْأَةُ السُّودَاءُ ؟ قال : كُلُّ حَارٌ لِيْنَ ، قال : فَالْبَلْغُ ؟ قال : كُلُّ حَارٍ يَابِسٌ ، قال : فَالْأَدَمُ ؟ قال : إِخْرَاجُهُ إِذَا زَادَ ، وَتَطْفُلُهُ إِذَا سُخِنَ بِالْأَشْيَا ، الْبَارِدَةُ الْيَابِسَةُ ^{كَمَا} قال : فَالرِّيَاحُ ؟ قال : بِالْحَقْنَةِ الْلَّيِّنَةِ ، وَالْأَدْهَانُ الْخَارِةُ الْلَّيِّنَةُ ، قال : أَفْتَأْمِنُ بِالْحَقْنَةِ ؟ قال : نَعَمْ ! قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْحَكَمَاءِ أَنَّ الْحَقْنَةَ تُنْفِي الْجَوْفَ ، وَتَكْسُحُ الْأَدْوَاءَ عَنْهُ ، وَالْعَجْبُ لِمَنْ احْتَقَنَ كَيْفَ يَهْرَمُ أَوْ يَعْدَمُ الْوَلَدَ ^{إِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ} أَكَلَ مَا قَدْ عَرَفَ مَضْرِبَتَهُ ، وَيُؤْثِرُ شَهْوَتَهُ عَلَى رَاحَةِ بَدْنِهِ .

قلل : فَمَا الْحِمِّيَّةُ ؟ قال : الْاِقْتَصَادُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِنَّ الْأَكْلَ فَوْقَ الْمَدَارِ يُضِيقُ عَلَى الرُّوحِ سَاحِتَهَا ، وَيُسْدِدُ مَسَامَهَا .

قال : فَمَا تَقُولُ فِي النِّسَاءِ ^(١) ... وَأَيْمَنُ الْقَابِ الَّيْهَا أَمْيَلُ ، وَالْمِينُ بِرْوَيْهَا أَسْرَ ؟
قال : إِذَا أَصْبَتَهَا مَدِيدَةً الْقَامَةَ ، عَظِيمَةً الْهَامَةَ ^(٢) ، وَاسِعَةً الْجَبَنَ ، قَنَوَاءُ الْعِرَنِينَ ^(٣) ،

(١) عبارات نائية في الأصل حذفت هنا (٢) الهامة : الرأس (٣) قنواه : بذنة الفنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحد ديداب وسطه وسبوغ طرفه ، والعرنين : الأنف كاه أو ماصلب منه.

كحلاء^(١) لمساء^(٢) ، صافية اللخد ، عريضة الصدر ، مليحة النحر^(٣) ، في خدّها رقة ،
وفي شفتيها لعس ، مقرونة الحاجبين ، ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر^(٤) والقدمين ،
بيضاء ، فرعاء^(٥) ، جعدة^(٦) ، غضة بضة^(٧) ، تخلها في الظلمة بدرّاً زاهراً ، تبسم عن
أقحوان^(٨) ، وعن مبسم كالأرجوان^(٩) ، كأنها بيضة مكونة ، ألين من الزبد ،
وأحلّى من الشهد ، وأنجزه من الفردوس والخلد ، وأذكي ريحانًا من الياسمين والورد ،
تفرح بقربها ، وترثى الخلوة معها .

فاستضحك كسرى حتى اخليحت كتفاه ! وقال : الله درك من أعرابي !

لقد أعطيت علمًا ، وخصيت فطنة وفهمًا ! وأحسن صلته وأمر بتدوين
(جرو) ما نطق به .

(١) الكحلاء : التي كأنها مكحولة ولم تكحل (٢) لمساء : في شفتها سواد (٣) النحر : أعلى الصدر (٤) الخصر : وسط الإناث (٥) الفرعاء : التامة الشعر (٦) جعدة : غير سبطه الشعر (٧) بضة : ناعمة (٨) الأقحوان : بنت من بنات الرياح ، له نور أبيض ، كأنه ثغر جارية حديثة السن (٩) الأرجوان : صبغ أحمر .

٤٩ — حديث قس بن ساعدة مع ملك الروم *



قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

حضرت مجلس المؤمنين ، فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أحدكم عن الفضل ابن يحيى ؟ قال : بلى ! فقلت : دخلت دار الرشيد ، وإذا الفضل بن يحيى وإسماعيل ابن صبيح ، وعبد الملك بن صالح في بعض تلك الأروقة يتهدّثون ؛ فلما بصر بي الفضل أوّما إلى ، وقال : يا إسحاق : انتظرناك منذ الغدّة ؟ لتساعد على ما نحن فيه من المذكرة ! فقلت : يا سيدي ؟ أنا السكّيت ^(١) إذا أجريت الجياد ، وفاز السابق والمُصلّى ! فقال عبد الملك : مدحت نفسك ، ولما تكذب .

ولما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل : إن لقسى ^(٢) حديثاً سمعته من الخليل بن أحمد ؛ فهل عند واحدٍ منكم له ذكر ؟ فسكت القوم ، فقلت : يا سيدي ؛ ما نعرف له حديثاً إلا حديث خطبته بعكاّظ ! قال : ذاك شيء قد فهمته العامة واختبرته الخاصة . ثم أطّرق ساعة ؛ فقلنا : إن رأيت أن تحدّتنا ؟ فقال :

حدثني الخليل بن أحمد : أن قيسراً ملك الروم بعث إلى قس بن ساعدة أسقف نجوان - وكان حكيمًا طيباً بليغاً في منطقه ؛ فلما دخل عليه ، ومثل بين يديه حمد

* المحسن والماوى طبع ليزج ص ٣٥١

(١) السكّيت : الذي يحيى ، في الحالية آخر الخبر (٢) هو قس بن ساعدة خطيب العرب قاطبة ، والمفروض به المثل في البلاغة والحكمة ، والمواعظ الحسنة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ويدعو العرب إلى بنذ الأوثان ، في المحافل العامة ، ومواسم الأسواق وسممه النبي قبل البعثة يخطب بعكاّظ ، فعجب من حسن كلامه وأثنى عليه وعمر طويلاً ومات قبيل البعثة .

الله وأثني عليه ، فأمره بالجلوس ، فجلس ورحب به ، وأدنى مجلسه ، وقال : مازات مشتاقاً إليك لما سمعت من مُناظرتك في الطب .

فكان أول مأسأله عن الشراب ؟ فقال : أى الأشربة أفضل عاقبة في البدن ؟ قال : ماصفاً في العين ، واشتد على اللسان ، وطابت رائحته في الأنف من شراب الكرم . قال : فما تقول في مطبوخه ؟ قال : مرعى ولا كاسِدَان^(١) ! قال : فما تقول في نبيذ الزبيب ؟ قال : ميت أحى ، وفيه بعض المتعة ، وما كاد يقوى شيء بعد الموت ! قال : فما تقول في نبيذ العسل ؟ قال : نعم شراب الشيخ المعدة الفاسدة ! قال : فما تقول في أنبنة التمر ؟ قال : أوساخ يطيب مذاقها في اللهوات ، وتسوه عاقبتها في البدن ، وتولد الأرواح في البطن لرقها .

قال : فمن أى شيء يكون التمل الذي يذهب الغم ويطيب النفس ؟ قال : زعموا أن العقل تصمد له سورة الشراب إلى الدماغ ؛ فإذا صمدت السورة إلى الدماغ الذي هو أصله ، احتجب البصر بغير عمي ، والسمع بغير صمم ، واللسان بغير حرس ؛ فلا يزال العقل كذلك متحجباً حتى تقشه الطبيعة من إسار السكر ، إما بقوة فيجعل ، وإما بضعف فيبطئ^{*} .

قال : فمن أى شيء الخمار^(٢) من بعد صحو السكران ؟ قال : من إعياه الطبيعة عن مجاهدة السورة في افتراك العقل وتخليصه ، حتى يردها النوم إلى هدوء وما أشهده . قال : الصرف أفضل أم المزوج ؟ قال : الصرف سلطان جائز ، والجائز مذموم . والمزوج سلطان عادل ، والعادل محمود .

(١) كاسِدان : بنت ذو شوك ، وهو من أمنع المرعى ، وهذا مثل يضرب للشيء بفضل على أفرانه وأشكاله . (٢) الخمار : بقية السكر .

قال : فصفْ لى الأطعمة . قال : الأطعمة كثيرة مختلفة . وجملة ما آمرك به الإمساكُ عن غاية الإكتشاف ؟ فإن ذلك من أفضل ما بلوغناه من الأدوية ، ورأس مانامر به من الحِمَيَّة . قال له : عَمَّنْ حَمَّتْ الْحَكْمَة ؟ قال : عن عِدَّةٍ من الفلاسفة . قال : فما أَفْضَلُ الْحَكْمَة ؟ قال : معرفةُ المرء بقدرِه . قال : فما تقولُ في الحلم ؟ قال : حلمُ الإنسان ماءُ وجهه . قال : فما تقولُ في المال وفضله ؟ قال : أَفْضَلُ الْمَالِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْحَقُّ . قال : فما أَفْضَلُ الْعَطْيَة ؟ قال : أَنْ تُعْطَى قَبْلَ السُّؤَالِ . قال : فأخبرني عما بلوتَ من الزمان وتصرفه ، ورأيتَ من أخلاقِ أهله ؟ قال : بَلَوْنَا الزَّمَانَ فوجدناهُ صاحبًا يَنْحُونُ صاحبَه ، ولا يَعْتَبُ من عاتبه ، ووجدنا الإنسان صورةً من صور الحيوان ، يتفاضلون بالعقل ، ووجدنا الأحساب ليست بالآباء والأمهات ، ولكنها في أخلاق محمودة ، وفي ذلك أقول :

لقد حلَّتْ الزَّمَانَ أَشْطَرَهُ ثُمَّ مَحَضَتْ^(١) الصَّرِيحُ^(٢) من حَلَبِ
فَلَمْ أَرِ الْفَضْلَ وَالْمُعَمَّلَيِّ فِي قَوْلِ الْفَتَّىِ : إِنِّي مِنْ الْعَرَبِ
حَتَّى نَرَى سَامِيَاً إِلَى خُلُقِيِّ يَذُودُ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
مَا يَنْفَعُ الْمَرءُ فِي فُكَاهَتِهِ مِنْ عَقْلِ جَدِّيَّ مَفَى وَعَقْلِ أَبِيِّ
مَا الْمَرءُ إِلَّا ابْنُ نَفْسِهِ فَبِهَا يَعْرَفُ عِنْدَ التَّحْصِيلِ لِلنُّوبِ
وَوَجَدْنَا أَبْلَغَ الْعَظَاتِ النَّظرَ إِلَى مَحْلِ الْأَمْوَاتِ ، وَأَحْمَدَ الْبَلَاغَةَ الْصَّمَتَ ،
وَوَجَدْنَا لِأَهْلِ الْحَزْمِ حَذَارًا شَدِيدًا ، وَبِذَلِكَ نَجَّوْنَا مِنَ الْمُكْرَهَ ، وَالْكَرْمُ حَسْنُ
الْأَصْطِبَارِ ، وَالْعَزُّ سَرْعَةُ الْإِنْتَصَارِ ، وَالتَّجْرِيَّةُ طَولُ الاعتبارِ .

(١) مُخْضُ الْبَنْ : أَخْذَ زِبْدَهُ (٢) الْصَّرِيحُ : الْحَالُونَ .

قال : خبرني هل نظرت في النجوم ؟ قال : مانظرت فيها إلا فيما أردت به
المداية ، ولم أنظر فيما أردت به الكهانة ، وقد قلت في النجوم :

علم النجوم على العقول وبأك
طلاب شئ لا ينال ضلال
ما دا طلابك علم شئ أغفلت
من دونه الأدلة ليس ينال
هيئات ما أحده بفامض قدره
يدريكم الأرزاق والأجال
إلا الذي فوق السماء مكانه فلو جه الإكرام والإجلال

قال : فهل نظرت في زجر ^(١) الطير ؟ قال : نحن معاشر العرب مولعون بزجر
الطير . قال : فما عجب مارأيته منه ؟ قال : شخصت أنا وصاحبلى من العرب إلى
بعض الملوك ، فلقيناه يرید غزو قوم كانوا على دين النصرانية ، فخرج حتى إذا كان
على فراسخ من مدینته أمر بضرب فساطيطه وأروقته لتتوافق إليه جنوده ، وضرب
له فساطط على شاطئ نهر ، وأمر بنباء فضرب لى ولصاحبي ، فبينا نحن كذلك
إذ أقبل طائران : أسود وأبيض ، وأنا وصاحبي ترميتما ، حتى إذا كانوا على رأسه
رفقا ، ثم غالبا ، ثم رجعوا أيضا ، حتى إذا كانوا قريبا منه طويلا ، ثم أقبلنا نحوها
فوقما ، ثم رتقا ^(٢) ، فقال صاحبي : ما رأيت كاليلوم طائرين أعجب منهما ،
فأيهمما أنت مختار ؟ فقلت : الأسود . قال : الأبيض أعجبهما إلى ، فما تأوهما ؟
قلت : الليل والنهار يطويان هذا الرجل في سفره فيموت ، وتتأول اختيارك الأبيض
أنك تنصرف بيد بيضاء مخيبة من المال . فإذا هو قد غضب .

فلما جن الليل بعث إلينا الملك لسمير عنده ، فإذا صاحبي قد أخبره بالخبر ،

(١) الزجر : ما يعذث من بعض الناس من التسلام بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان

(٢) الرتق : الأكل والغرب رغدا في الريف .

فَسَأْلِنِي فَأُخْبِرُهُ وَصَدِقْتُهُ . فَعَصِبَ ، وَقَالَ : هَذِهِ حَمِيَّةٌ مِنْكَ لِأَهْلِ دِينِكَ ! فَقَلَتْ : أَمَا أَنَا فَقَدْ صَدَقْتُكَ . فَأَمْرَ بِحَجْسِي وَمُضِي لِوَجْهِهِ . فَلَمْ يَتَجَوَّزْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ ! فَأَوْصَى لِي بِعِشْرِينَ نَاقَةً ، وَقَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ قُسًا ! لَقَدْ مَحْضَنِي النَّصِيحَةِ . فَانْصَرَفَتْ مِنْ سَفَرِي ذَلِكَ بَعْدَةٍ مِنَ الْإِبْلِ ، وَانْصَرَفَ صَاحِبِي مُخْفِقًا مِنَ الْمَالِ .

قَالَ الْمَلَكُ : مَا رَأَيْتَ أَيْضًا مِنَ الزَّجْرِ أَعْجَبَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مَرَّةً عِنْدَ الْمَلَكِ الْهَمَامَ أَبِي قَابُوسَ ، وَقَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ خَارِجٌ مِنْ مَضْرِبِ يَرِيدِ مُلْكِهِ ، وَقَدْ حَشَدَ لَهُ ؛ فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ بَعْضُ عَمَالَهُ فِي تَوْجِيهِ أَرْبَعِمَائَةِ فَارِسٍ ، وَوَجَهَهُ مَعَ الرَّسُولِ ، وَأَمْرَنَا بِالشَّدَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي جَمْعِ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ - وَكَانَ الرَّسُولُ شَاعِرًا - فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذْ سَنَحَتْ لَنَا ظِباءٌ فِيهَا تَيْسٌ ^(١) يَقْدُمُهَا ، وَكَانَ أَبُو قَابُوسَ يَوْمَ الْلَّقَاءِ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، فَنَحْنُ نَقُولُ : إِنْ كَانَ الْمَلَكُ خَرَجَ فِي يَوْمِ كَذَا فَهُوَ الْيَوْمُ فِي مَوْضِعِ كَذَا ، وَقَدْ أَقْبَلَنَا ، وَنَحْنُ نَقُودُ جِيشًا عَرَمَّمَا ، فَأَنْشَأَ الرَّسُولُ يَقُولُ :

الْأَلَيْتَ شِعْرِي مَا تَقُولُ السَّوَاحِنُ أَغَادِي أَبُو قَابُوسَ أَمْ هُوَ رَاجِحٌ ؟

قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَى التَّيْسِ عَنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ دَخَلَ فِي مَكَنْسَهٖ ^(٢) حَتَّى تَوَارَى فِيهِ ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ مَالَمْ أَقْدَرْ عَلَى أَنْ أَمْسِكَ نَفْسِي ، حَتَّى اسْتَرْجَعَتْ ، فَقَالَ لِرَفِيقِهِ : مَالِكٌ ؟ قَالَ : إِنْ حَدَقَ الزَّجْرُ فَصَاحِبُكَ قَدْ ثُوَّرَ فِي التَّرَابِ ، وَتَحْمَقَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ التَّرَى ! قَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَافَقَ فَرَاغَكَ مِنَ الْبَيْتِ دَخُولُ التَّيْسِ فِي مَكَنْسَهٖ ؛ فَأَعْرَضَ عَنِي .

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَاعْدَنَا لِلْلَّقَاءِ لَمْ يُوَافِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَوْشَكِ مِنْ أَنْ أَتَانَا الْخَبْرُ بِهِلَالِ كَهْ وَقَعْدَةِ ابْنِهِ .

(١) التَّيْسُ : الذَّكَرُ مِنَ الظِّباءِ وَالْمَعْزِ وَالْوَعْولُ . (٢) الْمَكَنْسُ : مَوْلَجُ الْوَحْشِ مِنَ الظِّباءِ وَالْبَقَرِ تَسْكِنُ فِيهِ مِنَ الْحَرَ .

فَأَكْرَمَهُ قِيسَرُ وَأَحْسَنَ جَائزَتَهُ .

قلنا : أَيْدِي اللهُ الْوَزِير ! لَقَدْ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ بِاسْتِحْقَاقِ ، وَلَقَدْ حَرَّتَ قَصْبَةَ الرَّهَانِ
فِي كُلِّ مَنْقَبَةٍ ؛ فَقَبَسْتَ وَقَالَ : عَزُّ الشَّرِيفِ أَدْبُهُ ؛ وَإِذَا رَسُولُ الرَّشِيدِ قَدْ وَافَاهُ
فَهُمْ نَحُوهُ ، وَتَصَدَّعَ الْمَحْلُسُ وَانْصَرَفَنَا .

فَلَمَّا مَضَى مِنَ الْلَّيْلِ بَعْضَهُ إِذَا أَنَا بِطَارِقِ قَدْ طَرَقْنِي ، وَبَيْنَ يَدِيهِ غَلَمانُ عَلَى
أَعْنَاقِهِمُ الْبَدَرُ ، وَإِذَا رَسُولُ الْفَضْلِ وَقَدْ حَمَلَ إِلَيَّ مَائَةً أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : الْوَزِيرُ
يَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ ۝ وَيَقُولُ : ضَجَرْتَ بِاسْتِمَاعِ الْأَحَادِيثِ ، وَأَوْجَبْتَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ
مَنَّةً ، وَهَذَا عَطَاءٌ وَرِحْمٌ^(١) فِي جَنْبِ قَدْرَكَ عَنْدِي ، فَخُذْهُ وَلَا تَعْتَدْ بِهِ .

فَقَلَتْ : سَبَحَانَ اللهِ الَّذِي خَلَقَ هَذَا الرَّجُلَ ! وَجَبَلَهُ عَلَى كَرْمِ بَدَرٍ بِهِ مِنْ مَضَى
وَمَنْ غَبَرَ . وَإِذَا هُوَ قَدْ وَجَهَ إِلَى أَصْحَابِي الَّذِينَ كَانُوا مَعِي بِمِثْلِ النَّذِي وَجَهَ بِهِ إِلَيَّ ؛
فَقَدْوَتُ إِلَيْهِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَشْكَرَهُ ؛ فَقَالَ : وَاللهِ لَئِنْ ذَهَبْتَ تَكْشِفُ مَاسَّرَ اللهِ
لِأَجْفُونَكَ ! فَكَأْنَمَا أَقْمَنَ حِجْرًا . وَاحْتَبَسْتَنِي عَنْدَهُ ، فَطَعَمْتَ وَشَرَبْتَ ، وَرُحْتَ وَقَدْ
جَاهَنَى عَلَى عَدَةِ أَفْرَاسٍ سُرُوجٍ وَلِجُمٍ مُذَهَّبٍ ، وَوَجَهَ مَعِي بِعَشْرَةِ تَحْوُتِ ثِيَابٍ
وَعَشْرِ بَدَرٍ .

قال : فقال المؤمنون : وَيُحَكِّ يَا إِسْحَاقَ ! ثَوَابُ حَدِيثِكَ ضَعْفُ مَا أَمْرَكَ بِهِ
الْفَضْلُ ، وَقَدْ أَمْرَتُكَ بِمَائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَقَبَضْتَ ذَلِكَ وَانْصَرَفْتَ !

(١) وَرِحْمٌ : قَلِيلٌ .

* ٥٠ — أَعْرَابِيُّ فِي سَفَرٍ

زعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعةٍ، ومعه سقاء^(١) من لبن، فسار صدر يومه، فلما أتى شرب؛ فإذا غراب ينبع^(٢)؛ فأثار راحلته، ثم سار، فلما أظهر^(٣) أنماخ ليشرب، فنبع الغراب وترعرع في التراب؛ فضرب الرجل السقاء بسيفه؛ فإذا فيه أسود^(٤) ضخمٌ قتله.

ثم سار فإذا غرابٌ واقع على سدرة^(٥)، فصاح به فوق علی سلمة^(٦)، فصاح به، فوق علی صخرة؛ فانتهى إليها، فأثار كنزًا.

فأنا رجع إلى أبيه قال له: إيه ما صنعت؟ قال: سرت صدر يومي، ثم أتيحت لأشرب؛ فنبع الغراب، قال: أثرها، وإلا فلست بابني! قال: أثرها؛ ثم أتيحت لأشرب؛ فنبع الغراب، وترعرع في التراب، قال: اضرب السقاء، وإلا فلست بابني! قال: فعلت، فإذا أسود ضخم، قال: ثم مه! قال: ثم رأيت غرابة على سدرة قال: أطروحه وإلا فلست بابني! قال: فعلت، فوق علی سلمة، قال: أطروحه وإلا فلست بابني! قال: فعلت، فوق علی صخرة، قال: أخبرني بما وجدت فأأخبره.

* نهاية الأربع من ١٤٠ ج ٣، بلوغ الأربع من ٣٠٩ ج ٣

(١) السقاء: ما يوضع فيه اللبن (٢) نبع الغراب: صاح

(٣) أظهر: ظهر من الظاهر (٤) الأسود: العظيم من الحيات (٥) السدرة: شجرة النبق (٦) السلم: شجر من العصايم

الواحدة سلمة.

* ٥١ — في موت رسول الله

قال أبو ذؤيب^(١) المذلي : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ؛ فأوجس أهل الحى خيفة عليه ، فبنت بليلة ثابتة النجوم ، طولة الأناء ، لا ينحاب^{*} ديجورها^(٢) ، ولا يطلع نورها ، حتى إذا قرب السحر غفوت ، فهتفت لي هاتف يقول :

خطب أجل أننا بالإسلام بين التخيل ومعتقد الآطام^(٣)
قبض النبي محمد فعيوننا تدري الدموع عليه بالتسجّام^(٤)

فوثبت من نومي فزعا ؛ فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذاجر ؛ ففأله^{*}
به ذبحا يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، أو هو ميت
من علته .

فركبت نافق وسرت حتى أصبحت فطلبت شيئاً أزجره ، فعن لي شهود^(٥)
قد أرم على صل^(٦) ، وهو يتلوى ، والشيم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك
شيئاً مهما ؛ فقلت : تلوى الصل : انتقال^(٧) الناس عن الحق على القائم بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت كل الشيم إياه : غلبة القائم على الأمر .

* بلوغ الأربع ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأربع ص ١٤٢ ج ٣ ، معاهد التصويم

ص ١٩٣ ج ١

(١) أبو ذؤيب المذلي شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جند عبد الله بن سعد حينما فتح إفريقية وعاد إلى مصر ومات بها (٢) الديجور : الظلم (٣) الأطم : الفخر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطوح جمعه آطام (٤) سجم الدمع : قطر وسال فليلاً أو كثيراً (٥) الشيم : ذكر الفنافذ (٦) أرم عليه : عض (٧) الصل : الحبة (٨) انتقال عن الشيء : المصرف .

فحَثَتْ ناقتي حتى إذا كنتُ ^{بِالْعِلْمِ}^(١) زجرتُ الطير فأخبرني بوفاته .
 ونَعْبُ^(٢) غراب سانحاً مثل ذلك ؛ فتعودت من شرّ ما عنّي في طريقى ، ثم
 قدمتُ المدينة ، ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، أهلاًوا جميعاً بالإحرام ،
 فقلتُ : مه ! قالوا : قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فجئتُ المسجد فأصبهَه
 خالياً ؛ فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأصبتُ بابه مُرْتَجِجاً^(٣) ، وقد خال به
 أهله ؛ فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة . صاروا إلى الأنصار .
 فجئتُ السقيفة فوجدتُ أبو بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالما ،
 وبجماعة من قريش ، ورأيتُ الأنصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم شعراوئهم ،
 وأمامهم حسان بن ثابت ، وكعب : في ملأ منهم ، فأويت إلى الأنصار ؛ فتكلموا
 فأكثروا ، وتكلّم أبو بكر ، فلله من رجل لا يطيل الكلام ، ويعلم مواضع الفصل .
 والله لقد تكلّم بكلام لم يسمعه سامع إلا أتقاد له ، ومال إليه . وتكلّم بعده
 عمر رضى الله عنه بكلام دون كلامه ، ومديده فباعه ، ورجح أبو بكر رضى الله
 عنه ، ورجحت معه ؛ فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدتُ
 دفنه !

(١) علية القوم : حلتهم (٢) نعْب الغراب : صاح . والسانع : ما أناك عن يعينك من ظبي
 أو طائر أو غير ذلك . والعرب تختلف في العيافة ، فنهم من يتيمن بالسانع ويشاءم بالبارح ومنهم
 من يخالف ذلك (٣) أرجح الباب : أغلقه .

* ٥٢ — عيافة لهب

تعشق كثير^(١) امرأة من خزانة يقال لها أم الحويرث ، فشبت بها فكرهت أن يسمع بها ويفضحها كما سمع بعزة ؟ فقالت له : إنك رجل فقير لامال لك فابتغ مالا ، ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام ، قال : فاحلف لي ووئقني أذنك لاتزوجين حتى أؤدم عليك ، فحلفت ووثقت له . فدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي وخرج إليه ؛ فلقى ظباء سوانح^(٢) ، ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه ، فقطير من ذلك ، حتى قدم على حي من لهب^(٣) ، فقال : أعلمكم يزجر^(٤) ؟ قالوا : كلنا ! فمن تزيد ؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحنى الصلب ؛ فأفأته فقص عليه القصبة فكسره ذلك له ، وقال : قد ماتت أو تزوجت رجلاً من بني عمها ؟ فقال كثير :

تيممت لهبأ أبتغي العلم عندهم وقد رد علم العائين إلى لهب !
فيتممت شيخاً منهم ذا بحالة^(٥) بصيراً بزجر الطير منحنى الصلب !

* نهاية الأربع من ١٤٠ ج ٣ ، الأغانى من ٣٤ ج ٩

(١) كثير بن عبد الرحمن من الشعراء الفزليين ولكنـه كان دعياً في الحب غير مرغوب فيه لفجع صورـه وهوـن شخصـيـه فوقـ نـفـاقـه السـيـاسـيـ ، وترـددـه بينـ الشـيعـه وـبـنـ أـمـيهـ . أـخذـ يـثـرـ بـعـزـهـ بـذـنـ حـيدـ الضـمرـيـ حـقـ عـرـفـ بـهـ ، وـكـانـ وـفـانـهـ سنـةـ ١٠٥ـ هـ (٢) السـانـحـ : مـأـنـاكـ عنـ يـعنـكـ منـ ظـيـ أوـ طـائـرـ أوـ غـيرـ ذـلـكـ ، وـبـارـحـ مـأـنـاكـ عنـ يـسـارـكـ (٣) لهـبـ : قـبـيلـةـ منـ أـئـمـ مـعـرـوفـةـ بـالـعيـافـةـ وـزـجـ الطـيرـ (٤) الزـجـ : ضـربـ منـ الشـكـبـنـ ، وـهـوـ الـيـمـنـ وـالـشـاؤـمـ بـالـطـيرـ وـغـيرـهـ (٥) بـحـالـهـ النـاسـ وـيـعـظـمـونـهـ .

ـ قلت له : ماذا ترى في سوانح وصوت غراب يفحص الوجه بالترقب ؟
 فقال : جرى الطير السينيغ ^{يَيْيَنِهَا} ونادي غراب بالفارق وبالسلب
 فإذا تكن ماتت فقد حال دونها سواك خليل باطن من بنى كعب
 ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيراً ، ثم قدم عليها ؛ فوجدها قد تزوجت
 رجلا من بنى عمها ، فأخذته الهلاس ^(١) ، فكُشح ^(٢) جنباه بالنار ، فلما اندمل من
 علته ، ووضع يده على ظهره ، فإذا هو برقمتين ^(٣) ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك
 الهلاس ، وزعم الأطباء ، أنه لا علاج لك إلا بالكشح بالنار ؛ فكُشحت بها
 فأنا يقول :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها علام تعذبني وتسكمي ^(٤) دوائيا
 ولو آذنوني قبل أن يرقصوا بها لقلت لهم : أم الحويرث دائيا

(١) الهلاس : الفمدور ، أو مرض السل (٢) كشح : كوى (٣) المرقوم من الدواب
 الذى يكون على أظافنه كيات صغار ؛ وكل واحدة منها رقة . والمراد أنه وجد أمر كيتين
 (٤) كمي الشيء : ستره وكتنه .

* ٥٣ — أبو النَّشْنَاشِ وَلَهْبٌ

كان أبو النَّشْنَاشُ من لصوص بني تميم، وكان يعترض القوافل في سُذَادٍ^(١)
من العرب بين طريق الحجاز والشام، فيجتاجها، فظفر به بعض عمال مروان
ابن الحكم، فحبسه وقيده مدة، ثم استطاع أن يهرب في وقت غررة، فهرب،
ومر بغراب على بآنة^(٢)، ينتف ريشه وينعَب، فجزع من ذلك، ثم مر بحبي
من لهب، فقال لهم: رجل كان في بلاد وشر، وحبس وضيق، فنجا من ذلك،
ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً، ونظر عن يساره فرأى غرابة على شجرة بآنة، ينتف
ريشه وينعَب! فقال له اللهبي: إن صدقت الطير يُعاد إلى حبسه وقيده، ويطول
ذلك به ويُقتل ويُصلب، فقال له: بِنِيكَ الْحَجَرُ، قال: لا، بل بفيك، وأنشأ
يقول:

وسائلِ أينَ الرِّحْيلُ وسائلِ
ومنْ يسأل الصُّلُوكَ أينَ مذاهبه؟
مذاهبه أن الفجاج عريضة إذا ضنَّ عنه بالنَّوَالِ أقاربَه
إذا المرء لم يسرَح سَوَامِلَم يُرِحُّ
سواماً ولم يُسْطِلْ له الوجه صاحبه
فَأَمَوْتُ خَيْرَ لِفَتَىٰ مِنْ قَوْدَه
عديماً ومن مَوْلَى تَعَافُّ مشاربُه
وَدَوْيَه^(٤) قَفَرْ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا^(٥)
سَرَّتْ بَأْيَ النَّشْنَاشِ فِيهَا رَكَابُهُ

* الأغاني من ج ٤٢ ج ١١، ديوان الحماسة، شرح المرضى من ج ٣١ ج ١

(١) الشناد: الذين لم يكونوا في حيهم ومنازلهم (٢) البان: شجر لب ثمره دهن طيب

(٣) يقال: سرح الماشية سرحا: أخرجها بالغدأة إلى المرعى، والسوام والساقة: الإبل أرسلت لترعى، وأواح الماشية: ردها من العشى إلى مراحها ليلاً (٤) الدوبية: منسوبة إلى الدو وهو الفلاة البعيدة الأطراف (٥) يضرب المثل بالقطا في الهدایة فيقال: أدل من قطة.

ليدرك ثاراً أو ليكسب مغناً ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه
 فلم أر مثل الفقر ضاجعاً الفتى ولا كسود الليل أخفق طالبه
 فعش معدماً^(١) أو مت كريماً فإنني أرى الموت لا يُبقي على من يطالبه

* ٥٤ — غراب يبشر بموت الحجاج *

قال محدث : كنت في حبس الحجاج ؛ فجئت مَعْنَا رجل ، فأقام حيناً
 لا نسمعه يتكلّم بكلمة ، حتى كان في اليوم الذي مات الحجاج في الليلة التي تاليه ،
 أقبل غراب في عشية ذلك اليوم ، فوقع على حائط السجن فنفع^(٢) ، فقال الرجل :
 ومن يقدر على ماتقدر عليه ياغراب ؟ ثم نعم الثانية فقال : مثلك من بشر بخير
 ياغراب ! ثم نعم الثالثة فقال : من فيك إلى السماء ياغراب !

فقلت له : ما سمعناك تكلّمت مذحّبست إلى الساعة ، فما دعاك إلى ما قلت ؟

قال : إنه نعم فقال : إني وقعت على ستر الحجاج ، فقلت : ومن يقدر على ماتقدر
 عليه ؟ ثم نعم الثانية ، فقال : إن الحجاج أصحابه وجع ، فقلت : مثلك من بشر
 بخير ! ثم قال في الثالثة : الليلة يموت ! فقلت : من فيك إلى السماء .

ثم قال الرجل : إن أنساخ الصبح قبل أن أخرج فليس على بأس ، وإن
 دُعيت قبل الصبح فستُضرَب عنقى ، ثم تلبثون ثلاثة لا يدخل عليكم أحد ، ثم
 يُدعى بكم في اليوم الرابع ، فيهتف على رءوسكم بالكفالة ، فمن وجد له كفيلا خلي
 سبيله ، ومن لم يجد له كفيلا فويل له طويلا .

* الفرج بعد الشدة من ١١٤ ج ١

(١) المعدم : الذي افتقر (٢) نعم الغراب : نعم .

فَلَمَّا دَخَلَ الْلَّيْلَ سَمِعْنَا الصِّرَاطَ عَلَى الْحِجَاجِ، ثُمَّ أَخْرَجَ الرَّجُلَ قَبْلَ الصَّبْحِ، فَضُرِّبَ عَنْقَهُ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ ثَلَاثَةً، ثُمَّ دُعِيَ بَنَا وَطَلَبَ مِنَ الْكَفَالَةِ، ثُمَّ صَارَ الْأُمْرُ إِلَيْهِ، فَمَكَثَ طَوِيلًا، حَتَّى خَفِتَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الْحَسْبِ، ثُمَّ تَقْدَمَ رَجُلٌ فَضَمَنَنِي، قَوْلَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَنْ أَنْتَ حَتَّى أَشْكُرَكَ؟ قَوْلَلَيْ: اذْهَبْ، وَلَسْتُ بِمَسْؤُلٍ عَنْكَ أَبْدًا، فَانْطَلَقْتُ!

* ٥٥ - صَدَقَ الزَّاجِرُ^(١)

كَانَ الْمُنْصُورُ أَزْمَ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكَ ثَلَاثَةَ آلَافَ أَلْفَ درَهمَ، وَنَذَرَ دَمَهُ فِيهَا، وَأَجْلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَالَ خَالِدٌ لِيَحِيَ ابْنِهِ: إِنِّي قَدْ طُولَبْتُ بِمَا لَيْسَ عَنِّي، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ دَمِيَ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلَكَ فَمَا كَنْتُ فَاعِلًا بَعْدَ مَوْتِي فَافْعَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنِي؛ وَلَا يَمْنَعَنِكَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَلْقَى إِخْرَانَنَا، فَتُعَلِّمَهُمْ حَانَنا.

قَالَ يَحِيَ: فَأَتَيْتُ إِخْرَانَ وَالَّدِي؛ فَمِنْهُمْ مَنْ جَهَنَّمَ^(٢) بَالِرَدْ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ بَمَالٍ جَلِيلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَأْذُنْ لِي، وَبَعَثَ بَمَالٍ فِي أَثْرِي لِكَيْلَا يُخْبَرَ بِهِ الْمُنْصُورُ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عُمَارَةَ^(٣) بْنَ حَمْزَةَ، وَهُوَ مُتَجَهٌ بِوَجْهِهِ إِلَى الْحَائِطِ، فَسَلَّمَتُ

* الحسن والمساوي من ٣٤٩

(١) الزاجر: العيافة والتکهن (٢) جبهه: رده عن حاجته واستقبله بما يكره (٣) عمارة ابن حمزة: من الولاة الأجواد الشعراة جمع له بين ولایة البصرة وفارس والأهواز والبیامدة والبحرين، وله في السکرم أخبار عجيبة وتوف نحو سنة ١٨٠ هـ.

فرد رداً ضعيفاً ، فضاقت بي الأرض ، ثم كلامته فيها كنت أنتبه فيه ، فقال : إن أمكننا شئ فسيأتيك ، فانصرفت عنه ، وصررت إلى أبي ، فأعلمه ذلك ، وقلت : أراك تشق من معمارة بمالا يوثق به .

فوالله إني لفي ذلك الحديث ، إذ طاع رسول عمارة بمائة ألف درهم ، ورسول صاحب المصلى بمائة ألف درهم ، ورسول مبارك التركي بمائة ألف درهم ، فجمعنا في يومين ألفى ألف درهم ، وبقيت ثلاثة ألف درهم ، فتعذر ذلك ، فوالله إني لمار بالجسر مهموماً ، إذ وَثَبَ إِلَى زاجر ، فقال : قف أخبرك فلم أنتف إليه ، فلحقني وتعلق بي ، فقلت : ويحك ! اذهب عنى ، فإني مشغول عنك ، فقال : أنت والله مهموم ، والله ليُنْرِجَنْ همك ، ويعن باللواء غدا في هذا الموضع بين يديك ؟ فاقبليت أعجب من قوله ، فقال لي : إن كان ذلك فلي عليك خمسة آلاف درهم ! قلت : نعم ! ولو قال حسين ألف درهم لقلت : نعم ؛ لبعد ذلك عنى !

ثم مضيت ؛ فوالله ما انصرفت حتى ورد على المنصور الخبر بانتقاد أمر اللوصل ، وانتشار الأكراد بها ؛ فقال المنصور : ويحكم ! من هما ؟ - وكان المسيب^(١) بن زهير عند المنصور . وكان صديقاً خالد - فقال : عندي - والله - من يكفيكه ، وأنا أعلم أنك ستلقاني بما أكره ، ولكنني لا أدع على حال نصحاك ! فقال المنصور : ويحك ! قل ؛ فلست أردد عليك ، قال : يا أمير المؤمنين ؟ ماترميها بمثل خالد : فقال المنصور : ويحك ! وتراء يصلح لنا بعد ما آتيناه به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، وأنا زعيمه بذلك ، والضامن عليه .

(١) كان المسيب بن زهير على شرط المنصور والمهدى العباسين ، وتوفي ببغداد سنة ١٧٥ هـ .

فتبسمَ المنصورُ ، وقال : صدقت ، والله ما لها غيره ، فليحضر غداً ! فأخضر ،
فضفحَ عما بقي عليه ، وعقد له .

قال يحيى : ففرنا والله بالزاجر ، واللواءُ بين يديّ ، فلما رأني قال : أنا هاهنا
أنتظرك منذ غدوة .

فتقسمَتْ إليه وقتٍ : امضِ ، فمضى معى ، ودفعتْ إليه خمسةَ آلاف
الدرهم !

* ٥٦ - علم المأمون وسعة معارفه*

قال جعفر بن محمد الأنطاطي :

لما دخل المأمون (١) بغداد ، وقرأ بها قرارُه ، أمر أن يدخل عليه من الفقهاء
والمتكلمين وأهل العلم جماعةً يختارهم لجلساته ومحادثته ، وكان يُقعد في صدر نهاره
على لُبُودٍ في الشتاء وعلى حَصِيرٍ في الصيف ، ليس معها شِيءٌ من سائر الفُرُشِ ،
ويُقعد للمظالم في كل جمعة مرتين ، لا يمتنع منه أحد .

واختيرَ له من الفقهاء لجلساته مائةُ رجل ، فما زال يختارهم طبقةً بعد طبقةً بعد طبقةٍ
حتى حصل منهم عشرة ، كان منهم أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادَ ، وَبِشْرُ الْمَرِيسِيَّ ،
وَكَنْتُ أَحَدَهُمْ .

* عصر المأمون من ٣٦٠ ج ١

(١) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بنى العباس وعلمائهم وحكاهم ،
كان وافر الخلق ، عظيم الحكم ، محبًا للعلم ، مؤثرًا للحكمة ، توفي سنة ٢١٨ هـ .

فَنَعْدِيْنَا يَوْمًا عَنْهُ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ وَضَعَ عَلَى الْمَائِدَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ لَوْنَ ، فَكَلَامًا وَضَعَ لَوْنَ نَظَرَ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهِ ، قَالَ : هَذَا يَصْلَحُ لَكُمَا ، وَهَذَا نَافِعٌ لَكُمَا ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ صَاحِبَ بَلْغَمَ وَرَطْبَةٍ فَلَيَجْتَنِبْ هَذَا ، وَمَنْ كَانَ صَاحِبَ صَفَرَاءَ فَلَيَأْكُلْ كُلَّ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءَ فَلَيَأْكُلْ كُلَّ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ أَحَبَ الزِّيَادَةَ فِي لَحْمِهِ فَلَيَأْكُلْ كُلَّ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ قَلَةً لِغَذَاءٍ فَلَيَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا .
فَوَاللهِ إِنْ زَالَتْ تِلْكَ حَالَهُ فِي كُلِّ لَوْنٍ يُقْدَمْ ، حَتَّى رُفِعَتِ الْمَوَانِدِ .

فَقَالَ لِهِ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ خُضْنَا فِي الْطَّبِّ كُنْتَ جَالِيْنِوسَ فِي مَعْرِفَتِهِ ! أَوْ فِي النَّجْوِ كُنْتَ هِرْمِسَ فِي حِسَابِهِ ! أَوْ فِي الْفَقْهِ كُنْتَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي عِلْمِهِ ! أَوْ ذَكَرْنَا السَّخَاءَ فَأَنْتَ فَوْقُ حَاتِمِهِ ! أَوْ ذَكَرْنَا صِدْقَ الْحَدِيثِ كُنْتَ أَبَا ذَرَّ فِي صَدْقِ لِهْجَتِهِ ! أَوْ الْكَرْمَ كُنْتَ كَعبَ بْنَ مَامَةَ فِي إِيْشَارَةِ عَلَى نَفْسِهِ !

فَسَرَّ بِذَلِكَ الْكَلَامُ ، وَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا فُضِّلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُوَامَّ بِفَعْلِهِ وَعَقْلِهِ وَتَمْيِيزِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَحْمُ أَطِيبَ مِنْ لَحْمٍ ، وَلَا دَمٌ أَطِيبَ مِنْ دَمِ .

* ٥٧ — وفود الفارابي على سيف الدولة *

نزل أبو نصر ^(١) الفارابي بدمشق ، ودخل على سيف الدولة بن حمدان ، وهو إذ ذلك سلطانها ، ووقف بين يديه ؛ فقال له سيف الدولة : اجلس ! قال : أجلس حيث أنا أو حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت ! فتختطف رقاب الناس حتى أنهى إلى مُسند ^(٢) سيف الدولة ، وزاجمه فيه ، حتى أخرجه عنه .

وكان على رأس سيف الدولة مماليك ^١ ؛ وله معهم لسان خاص يسارهم به ؛ فقال لهم بذلك اللسان : إن هذا الشیخ قد أساء الأدب ، وإنی سائله عن أشياء ، إن لم يعرفها ، فاخرجوا به !

قال له أبو نصر بتلك اللغة : أيها الأمير ؛ اصبر ؛ فإن الأمور بعواقبها ؛ فوجب سيف الدولة منه ، وعظم عنده .

ثم أخذ يتكلم مع العلامة والحاضرين في كل فن ؛ فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسلل ، حتى صمتوا ، وبقي يتكلماً وحده .

ثم أخذوا يكتبون ما يقول ؛ فصرفهم سيف الدولة ، وخلا به ؛ فقال له :

* ثمرات الأوراق للجموي من ٩٧

(١) نَزَّ الفارابي بالشام واشتغل فيها ، وكان فلسفياً كاملاً ، بارعاً في كل فن ، وألف كتبًا كثيرة في مواضع لم يسبقه إليها أحد ، توفي سنة ٣٣٩ هـ (٢) كل شيء أنسنت إليه شيئاً فهو مسند بالضم . وكذلك ما انسنت إليه يسمى مسندأ بكسر الميم .

لَكْ فِي أَنْ تَأْكُلْ؟ قَالْ : لَا ؛ قَالْ فَهَلْ لَكْ أَنْ تَشْرُبْ؟ قَالْ : لَا . قَالْ : هَلْ تَسْمَعْ؟ قَالْ : نَعَمْ .

فَأَمْرَ سَيْفَ الدُّولَةِ بِإِحْضَارِ الْقِيَانِ ؛ فَحُضِرَ كُلُّ مَاهِرٍ فِي الصُّنْعَةِ ، فَخَطَّ
الْجَمِيعَ ؛ قَالَ لِهِ سَيْفَ الدُّولَةِ : هَلْ تَمْسِحُ هَذِهِ الصُّنْعَةَ؟ قَالْ : نَعَمْ .

ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ وَسْطِهِ خَرِيطَةً^(١) فَتَحَجَّهَا ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا عِيدَانًا وَرَكَبَهَا ، ثُمَّ
لَعَبَ بِهَا ؛ فَضَحَكَ كُلُّ مَنْ فِي الْجَلْسِ ؛ ثُمَّ فَكَّهَا وَرَكَبَهَا تَرْكِيَّا آخِرَ ؛ فَبَكَى
كُلُّ مَنْ فِي الْجَلْسِ ؛ ثُمَّ فَكَّهَا وَغَيْرَ تَرْكِيَّا ؛ فَنَامَ كُلُّ مَنْ فِي الْجَلْسِ ؛ فَتَرَكَمْ
نِيَاماً وَخَرَجَ !

(١) الخريطة : مثل السكين تَكُونُ مِنَ الْخُرُقِ وَالْأَدْمِ تَشَدُّ عَلَى مَا فِيهَا بِالْعِرَا .

يَا إِنَّمَا لَهُ مَا كَانَ يَرَى فَلَمْ يَرِدْ فَلَمْ يَأْتِهِ مَا
لَمْ يَكُنْ يَطْمَئِنُ بِهِ إِنَّمَا يَأْتِهِ مَا يَسْأَلُ

الْعَصَمَةُ تَعْصَمُ إِنَّمَا يَأْتِهِ مَا يَسْأَلُ
إِنَّمَا يَأْتِهِ مَا يَسْأَلُ إِنَّمَا يَأْتِهِ مَا يَسْأَلُ
وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ هُنَّا وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ هُنَّا
وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ هُنَّا وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ هُنَّا
وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ هُنَّا وَمَا يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ هُنَّا

الباب الرابع

القصص التي يرى بها ما كانوا يتغرون به من المكارم
والمفاحر ، وما كانوا يتذمرون به من المناقص والمعرات ؛
سواء كان ذلك فيما يتعلق بكل منهم في نفسه ، أم فيما يتصل
بالأقربين من ذويه ، أم فيما يضم أهل قبيلته ، أم فيما يشمل الناس
جيعاً .

* — سبق السيفُ العَذَلَ ٥٨

كان للنعمان بن ثواب العبدى بنون ثلاثة : سعد وسعيد وساعدة ، وكان ذا
شرف وحكمة ، يوصى بنيه ، ويحملهم على أدبه .
أما ابنه سعد فكان شجاعاً بطلاً من شياطين العرب ، لم تُمْتَه طَلِبَتْهُ فقط ،
ولم يفر عن قرْنَ .

وأما سعيد فكان يُشَبَّهُ أباه في شرفه وسوداته .
وأما ساعدة فكان صاحب شراب وندائي وإخوان .
فـلما رأى الشـيخُ حالـ بنـيه دـعا سـعدـاً . وـكان صـاحـبـ حـربـ . فـقـالـ : يـابـنـيـ ؛
إـنـ الصـارـمـ يـنـبـوـ ، وـالـجـوـادـ يـكـبـوـ ، وـالـأـثـرـ يـعـفـوـ ؟ فـإـذـا شـهـدـتـ حـرـبـاـ ، فـرـأـيـتـ نـارـهـاـ
تـسـتـعـرـ ، وـبـطـلـهـاـ يـخـطـرـ ، وـبـحـرـهـاـ يـزـخـرـ ، وـضـعـيـفـهـاـ يـنـصـرـ ، وـجـانـبـهـاـ يـجـسـرـ ؟ فـأـقـلـلـ
الـمـكـثـ وـالـانتـظـارـ ؟ فـإـنـ الـفـرـارـ غـيرـ عـارـ إـذـ لـمـ تـكـنـ طـالـبـ ثـأـرـ ؟ وـإـلـاـكـ أـنـ تـكـونـ
صـيـدـ رـمـاحـهـ ، وـنـطـيـحـ نـطـاحـهـ .

وقـالـ لـابـنـهـ سـعـيدـ . وـكـانـ جـوـادـاـ : يـابـنـيـ ؟ لـاـ يـخـلـ الجـوـادـ ؟ فـأـبـذـلـ الطـارـفـ
وـالـتـلـادـ ، وـأـقـلـ التـلـاحـ ^(١) ، تـذـكـرـ عـنـدـ السـماـحـ ، وـأـبـلـ إـخـوـانـكـ ؟ فـإـنـ وـفـيـهـمـ
قـلـيلـ ؛ وـاصـنـعـ المـعـرـوفـ عـنـدـ مـحـمـلـهـ .

* الأمثال من ٦٤ ج ١

(١) التلاحى : النشامى .

وقال لابنه ساعدة . وكان صاحب شراب : يابني ؟ إن كثرة الشراب تفسد القلب ، وقلل الكسب ، فأبصر نديمك ، وأحم حريمك ، وأعن غريمك ، واعلم أن الظمة القامح^(١) خير من الرى الفاضح ، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغا . ثم إن أباهم النعمان بن ثواب توفى ؛ فقال ابنه سعيد . وكان جواداً سيداً : لاحدن بوصية أبي ، ولا بلون إخوانى وشقيقى .

فعمد إلى كبس فذبحه ، ثم وضعه في ناحية خباءه ، وغشاء ثوباً ، ثم دعا بعض شفاته ؛ فقال : يا فلان ؟ إن أخاك من وفي لك بعهده ، وحاطك برفده ، ونصرك بوذه . قال : صدقت ! فهل حدث أمر ؟ قال : نعم ! إنني قتلت فلاناً - وهو الذي تراه في ناحية الخباء - ولا بد من التعاون عليه ، حتى يُوازى ! فما عندك ؟ قال : يا لها سوأة وقعت فيها ! قال : فإني أريد أن تعيّنى عليه حتى أغيبه ! قال : لست لك في هذا بصاحب ! فتركه وخرج . فبعث إلى آخر من شفاته ؛ فأخبره بذلك ، وسألته معاونته ، فرد عليه مثل ذلك ! حتى بعث إلى عدد منهم ، كلهم يريد عليه مثل جواب الأول .

ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال له خزيم بن نوبل ، فلما أتاه ، قال له : يا خزيم ؛ مالي عندك ؟ قال : ما يسرك ، وما ذاك ؟ قال : إنني قتلت فلانا ، وهو الذي تراه مسجى ! قال : أيسر خطب ! فترى ماذا ؟ قال : أريد أن تعيّنى حتى أغيبه ! قال : ها مافزعت فيه إلى أخيك !

(١) الظمة القامح : الشديد ، والمعنى : العطش الشاق خير من رى يفصح صاحبه (المسان ، مادة فمح) .

وكان غلام سعيد قاتماً بينهما ، فقال خزيم : هل اطلع على هذا الأمر أحد غير غلامك هذا ؟ قال : لا ! قال : انظر ما تقول ! قال : ما قلت إلا حقاً ! فأهوى خزيم إلى غلامه ، فضر به بالسيف فقتله ، وقال : ليس عبداً
بأنج ^(١) لك .

فارتاع سعيد ، وفرع لقتل غلامه ؛ فقال : ويحك ! ما صنعت ! وجعل
يلومه ؛ فقال خزيم : إن أخاك من واساك ^(١) !
قال سعيد : فإني أردت تخبر بتلك ! ثم كشف له عن الكبس ، وخبره بما
لقي من إخوانه وشقيقه ، وما ردوا به عليه ، فقال خزيم : سبق السيوف
العدل ^(١) !

(١) ذهب أملا .

* ٥٩ — إيثار ابن ماممة الإيادي

خرج كعب^(١) بن ماممة الإيادي في قفل^{*}، معهم رجل من بنى النمر بن قاسط، وكان ذلك في حر الصيف ؛ فضلوا وشح ماؤهم ، فكانوا يتصافون^(٢) الماء — وذلك أن يُطرَح في القعْب^(٣) حصاة ، ثم يُصب فيه من الماء يَقْدِر ما يَغْمُرُ الحصاة ؛ فيشرب كل واحد منهم قدر ما يشرب الآخر .

ولما نزلوا للشرب ، ودار القعْب بينهم ، حتى انتهى إلى كعب ، رأى الرجل النَّمَرِي يُحدِّ النَّظَرَ إليه ؛ فآخره بمانه على نفسه ، وقال لأساق : اسْقِ أخاك النَّمَرِي ؛ فشرب النَّمَرِي نصيب كعب من الماء ذلك اليوم !

ثم نزلوا من الغد متزَّلهم الآخر ، فتصافنو بقية ما هم : فنظر إليه كنظره أمس ، وقال كعب كقوله أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : يا كعب ؟ ارتحل ؟ فلم يكن له قوة للنهوض ، وكانوا قد فربوا من الماء ، فقالوا له : رد يا كعب ؟ إنك وارد ، فعجز عن الجواب ، ولما أيسوا منه خيموا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله ، وتركتوه مكانه ؛ هات ونجا رفيقه !

* بلوغ الأربع من ٨١ ج ، الحسان والمساوي ٢٠٥ طبعة ليزج ، الأمثال من ١٦٧ ج ١

(١) هو كعب بن مامدة بن عمر بن ثعلبة الإيادي ، الذي يضرب المثل بعوده ، وكان أبوه

ملك إيلاد (٢) تصفنا الماء : اقتسموه بالحصص (٣) القعْب : الفدح يروي الرجل .

* ٦٠ وفاة السموأل *

لما أراد امرؤُ القيس المفیَّ إلى قیصر ملك الروم ، أودع عند السموأل ^(١)
دروعاً وسلاحاً وأمتعة ، تساوى جملة كثيرة ؛ فلما مات امرؤُ القيس ، أرسل ملك
كمندة يطلب الدروع والأسلحة المُوَدعة عند السموأل ؛ فقال السموأل : لا أدفعها
إلى مستحقها ، وأبى أن يدفع إليه منها شيئاً ؛ فعاوده ، فأبى ؛ وقال : لا أغدر
بخدمتِي ، ولا أخونُ أمانتي ، ولا أترك الوفاة والواجب علىَّ .

فقصده ذلك الملك من كمندة بعسكره ، فدخل السموأل في حصنه ^(٢) ، وامتنع
به ؛ فبحاصره ذلك الملك ، وكان ولدُ السموأل خارج الحصن ؛ فظفر به الملك ، وأخذه
أسيراً ، ثم طاف حول الحصن ، وصاح بالسموأل ، فأشرف عليه من أعلى الحصن ؛
فلما رأه ، قال له : إن ولدك قد أسرته ، وهاهو ذا معى ، فإن سلمتَ إلى الدروع
والسلاح ، رحلتُ عنك ، وسلمتَ إليك ولدك ؛ وإن امتنعتَ من ذلك ذبحتُ
ولدك وأنت تنظرُ ! فاخترَّ أيهما شئتْ .

المطرد

* المستطرف ص ٢٠١ ج ١ ، الفرق ص ١٩ ، بلوغ الأرب ص ١٣٦ ج ١

(١) هو السموأل بن غريض بن عاديه شاعر جاهلي حكيم أشهر شعره لامته التي مطلعها :
إذا الماء لم يدنس من اللؤم عرضه فشكل رداء يرتديه جبيل

ويضرب مثل بوقائه . توفي نحو سنة ٦٥ ق . ه (٢) هذا الحصن يسمى الأبلق الفرد ، وقد بناه
أبوه بنبيه وفيه يقول السموأل :

لنا جبل يختله من نجساته منبع يرد الطرف وهو كليل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يمسح على من رامه ويطهول
رسا أصله تحت الترى وسمابه إلى النجم فرع لainal طوبيل

قال له السموأل : ما كنت لأنخِرَ ذمami وأُبطل وفاني ؟ فاصنعت ماشت !
 فذبح ولده ، وهو ينظر . ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً ، واحتسب السموأل
 ذبح ولده ، وصبر محافظه على وفائه ؛ فلما جاء الموسم ، وحضر ورثة أمرى القيس ،
 سالم إليهم الدروع والسلاح ، ورأى حفظاً ذمامه ، ورعايه وفائه أحب إليه من حياة
 ولده وبقائه ! وقال في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكَنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

* ٦١ - لاحر بوادي عوف

لما مات ليث بن مالك أخذت بنو عبس فرسه وسلبه ^(١) ، ثم مالوا إلى خياباته
 فأخذوا أهله ، وسلبوا امرأته خماعة بنت عوف بن محلم ، وكان الذي أصابها
 عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء ؛ فسألها مروان ^(٢) القرطبي بن زنباع : من أنت ؟
 فقالت : أنا خماعة بنت عوف بن محلم ، فانتزعها من عمرو وذؤاب ؛ لأنها كان رئيس
 القوم ، وقال لها : غطى وجهك ، والله لا ينظر إليه عربي حتى أرددك إلى أبيك ،
 وضمها إلى أهلها ! حتى إذا دخل الشهـر الحرام أحسن كسوتها ، وأخدمها وأكرمتها
 وحملها إلى عسكـاظ .

* الأمثال من ٢٩٩ ج ٢ ، بلوغ الأربع من ١٢٥ ج ١

(١) السب : ما يأخذ أحد الفريدين في الحرب من قرنـه مما يكون معه وعليه من سلاح ودابة

(٢) سمي مروان القرطبي : لأنـه كان يغزو اليمن وهي منابت القرطـبي ، ويضرب به المثل في العز ،
 فيقال : أعز من مروان القرطـبي .

فَلَمَّا أَتَهُ بِهَا إِلَى مَنَازِلِ بَنِي شَيْبَانَ قَالَ لَهَا : هَلْ تَعْرِفُ فِينَ مَنَازِلِ قَوْمِكَ وَمَنْزِلَ أَبِيكَ ؟ قَالَتْ : هَذِهِ مَنَازِلُ قَوْمِي ، وَهَذِهِ قَبْبَةُ أَبِي ! قَالَ : فَانطَقْ بِإِلَى أَبِيكَ ؛ فَانطَقَتْ فَخَبَرَتْ بِصُنْعِ مَرْوَانَ .

ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ غَرَّاً بَكَرَ بْنَ وَائِلَ فَقَصَّوْا أَثْرَ جَيْشَهُ ؛ فَأَسْرَهُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ؟ فَأَتَى بِهِ أَمَّهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَتْ لَهُ أَمَّهُ : إِنَّكَ لَتَخْتَالُ بِأَسْيرِكَ كَأَنَّكَ جَيْشَ بَنِي مَرْوَانَ الْقَرْظَ ! قَالَ لَهَا : وَمَا تَرْتَجِينَ مِنْ مَرْوَانَ ؟ قَالَتْ : عِظَمَ فِدَائِهِ . قَالَ : وَمَمْ تَرْتَجِينَ مِنْ فِدَائِهِ ؟ قَالَتْ : مَائَةَ بَعْيرَ ! قَالَ مَرْوَانَ : ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَنْ تَؤْدِينِي إِلَى خُمَاعَةِ بَنْتِ عَوْفَ بْنِ مَحْلِمَ !

فَمَضَتْ بِهِ إِلَى عَوْفَ^(١) بْنِ مَحْلِمَ ، فَبَعْثَ إِلَيْهِ عَمَرُ بْنُ هَنْدَ أَنْ يَأْتِيهِ بِهِ - وَكَانَ عَمَرُ وَجَدَ عَلَى مَرْوَانَ فِي أَمْرٍ ، فَآتَى أَلَا يَغْفُو عَنْهُ حَتَّى يَضْعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ - قَالَ عَوْفَ - حِينَ جَاءَهُ الرَّسُولُ : قَدْ أَجَارْتَهُ أَبْنَى ! وَلَيْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ؛ فَقَالَ عَمَرُ بْنُ هَنْدَ : قَدْ آتَيْتُ أَلَا أَغْفُو عَنْهُ أَوْ يَضْعَ يَدَهُ فِي يَدِي . قَالَ عَوْفَ : يَضْعَ يَدَهُ فِي يَدِكَ عَلَى أَنْ تَكُونَ يَدِي بِيْنَهُمَا ! فَأَجَابَهُ عَمَرُ بْنُ هَنْدَ إِلَى ذَلِكَ .

فِجَاءَ عَوْفَ بَنِي مَرْوَانَ فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ بِيْنَهُمَا ؛ فَعَفَا عَنْهُ . وَقَالَ عَمَرُ : لَاحِرَّ بَوَادِي^(٢) عَوْفَ .

(١) مِنْ أُشْرَافِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ مَطَاعِنِي فِي قَوْمِهِ ، فَوِيَّا فِي عَصَبَتِهِ ، وَكَانَ تَضَرِّبُ لَهُ قَبْبَةُ فِي عَكَاظِ تَوْفِيقِ نَمْوَةِ سَنَةِ ٤٤ ق.ھ.ھ. (٢) أَيْ لَاسِيدَ بِهِ بِنَاؤِهِ.

* ٦٢ — مروءة حاتم

كان عبد قيس بن خفاف البرجوي أتى حاتم طيء^(١) في دماء حملها عن قومه، فأسلموه فيها، وعجز عنها؛ فقال : والله لا تين من يحملها عنى ، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً .

فلما قدم عليه قال : إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتوا كلوها^(٢) ، وإن حملها في مالي وأهلي ؛ فقد مرت مالي وأخرت أهلي ، و كنت أمني ، فإن تحملتها فرب حق قد قضيتها ، وهم قد كفأته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ، ولم أياس من غدك ، ثم أنشأ يقول :

فجئتك لما أسلمتني البراجم	حملت دماء للبراجم جمة
فقلت لهم : يكفي الحمالة حاتم	وقالوا سفاها : لم حملت دماءنا
وأهلاؤهلاً خطأتك الأشام ^(٣)	متى آتيه فيها يُقل لي مرجحاً
زيادةً من حلت عليه المكارم	في حماليه عنى ، وإن شئت زادني
فإن مات قامت لاسخاء ماتتم	يعيش الندى معاش حاتم طيء ^(٤)
مجيئاً له ما حام في الجو حاتم	ينادي بن ممات الجود مثك فلا ترى

* الأغاني من ٢٤٦ ج ٨ ، ذيل الأمالى من ٢٢ ، السمعط من ١٢

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد العائنى من أشهر أجواد العرب فى الجاهلية ، مات نحو سنة ٤٥ ق. هـ (٢) توسلوا : اتكل بعضهم على بعض (٣) أسلمه : خذله ، والبراجم : قوم من أولاد حنطة بن مالك (٤) الأشام : ضد الميامن .

وقال رجاله : أتَهُبَ الْعَامَ مَالَهُ
فَقَلَتْ لَهُمْ : إِنِّي بِذَلِكَ عَالِمٌ
وَلَكُنَّهُ يُعْطِي مِنْ أَمْوَالِ طَيِّبٍ
إِذَا جَافَ ^(١) الْمَالُ الْحَقُوقُ الْلَّوازِمُ
فَيُعْطِي الَّتِي فِيهَا الْغَيْرُ وَكَانَهُ
لِتَصْغِيرِهِ تَلَكَ الْعَطْيَةَ جَارِمٌ ^(٢)
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ عَدِيٌّ وَحَسْرَجٌ
وَسَعْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ تَلَكَ الْقَمَاقُ ^(٣)
فَقَالَ لِهَا حَاتِمٌ : إِنِّي كَنْتُ لَا أُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي مَثَلُكَ مِنْ قَوْمِكَ ، هَذَا مِنْ بَاعِي ^(٤)
مِنَ الْفَارَةِ عَلَى بَنِي نَعِيمٍ فَخَذَهُ وَافِرًا ؛ فَإِنَّ وَفَيَ بِالْحَمَالَةِ ، وَإِلَّا أَكْمَلْتُهَا لَكَ ، وَهُوَ
مَا يَنْتَأْ سُوَى زَرِيْهَا وَفِصَالِهَا ، مَعَ أَنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تُؤْبَسَ ^(٥) قَوْمَكَ بِأَمْوَالِهِمْ .
فَضَحِّكَ أَبُو جَبَيلُ ، وَقَالَ : أَيْ بَعِيرٌ دَفَعْتَهُ إِلَيَّ ، وَلَيْسَ ذَنْبُهُ فِي يَدِ صَاحِبِهِ
فَأَنْتَ مِنْهُ بَرِيٌّ ، فَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ وَزَادَهُ مَا يَنْتَأْ بَعِيرٌ ، فَأَخْذَهَا وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ ؛
فَقَالَ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ :

أَتَانِي الْبُرْجُوعِيُّ أَبُو جَبَيلٍ
لَهُمْ فِي حَمَالَةٍ طَوِيلٍ
فَقَلَتْ لَهُ : خَذِ الْمِرْبَاعَ مِنْهَا
فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالقلِيلِ
عَلَى حَالٍ وَلَا عَوْدَتُ نَفْسِي
عَلَى عِلَالِهَا عِكَلَ الْبَخِيلِ
سُوَى النَّابِ الرَّازِيَّةِ ^(٦) وَالْفَصِيلِ ^(٧)
فَلَا مَنْ عَلِيكَ بِهَا ، فَإِنِّي
رَأَيْتُ الْمَنَّ يُزْرِي بِالْجَمِيلِ
فَآبَ الْبُرْجُوعِيُّ وَمَا عَلِمَهُ
مِنْ أَعْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ فَتِيلٍ
يَحْرُثُ الذَّيْلَ يَنْفَضُ ^(٨) مِذْرَوِيَّهُ
خَنِيفُ الظَّهَرِ مِنْ حَمَلٍ ثَقِيلٍ !

(١) جَافَ : ذَهَبَ بِهِ وَاسْتَأْصلَهُ (٢) جَارِمٌ : مَذْنَبٌ (٣) الْفَقَامُ : جَمْعُ قَفَامٍ وَهُوَ السِّيدُ
الْعَظِيمُ ، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرَدُوا فِي الْبَيْتِ هُمْ أَجْدَادُ حَاتِمٍ (٤) الْمِرْبَاعُ : مَا يَأْخُذُهُ الرَّئِيسُ مِنَ الْفَقِيمَةِ
خَاصَّةً دُونَ أَصْحَابِهِ وَهُوَ رَعْيُ الْفَقِيمَةِ (٥) تُؤْبَسُ : تَرُوعُ (٦) الرَّازِيَّةُ : الْهَزِيلَةُ الضَّعِيفَةُ
(٧) الْفَصِيلُ : وَلَدُ النَّاتَةِ إِذَا فَصَلَ عَنْ أَمْهَهِ (٨) قَالَ فِي الْفَارَةِ جَاءَ يَنْفَضُ مِذْرَوِيَّهُ :
بَاغِيًّا مَتَهَدِّدًا . وَالْمِذْرَوَانُ : نَاحِيَتَا الرَّأْسِ مُثْلِفُ الْفَوْدَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَعْيَدَ لِلْمُنْكَبَيْنِ وَالْأَيْتَيْنِ وَالْطَّرْفَيْنِ .

٦٣ — مأوية تتحدث عن كرم حاتم *

قالت مأوية امرأة حاتم :

أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض ، واغبر أفق السماء ، وراح الإبل
 حُدَبًا ^(١) حداير ، وضنت المراضع على أولادها ، فما تبَضَّ ^(٢) بقطرة ،
 وحلفت ^(٣) السنة المال ، وأيقنا بالهلاك . فوالله إنا لفينا ليلة صنبر ^(٤) ، بعيدة
 ما بين الطرفين ، إذ تصَاغِي ^(٥) صبيتنا جوعاً : عبد الله وعدى وسفانا . فقام
 حاتم إلى الصَّابِين ، وقت أنا إلى الصَّابِيَّة . وأقبل يعلاني بالحديث . فعرفت
 ما يريد ، فتناومنا ^(٦) .

فلم تَهُورْت ^(٧) النجوم ، اذا شئت قد رفع كسرَ البيت ^(٨) ثم عاد . فقال
 حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتكم فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاونون عواء
 الذئاب ، فما وجدت معمولاً إلا عليك يا أبي اعدى . فقال : أتعجبهم فقد أشبعك
 الله !

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رئالها ^(٩) .

* العقد الفريد ص ١٠٨ ج ١ ، أمثال الميداني ص ١٢٣ ج ١

(١) الحدب : جمع أحدب وهو صفة لاجمل عند الجموع ، والحدابر : جمع حدبار وهي الناقة الضامرة

(٢) تبضن : تسيل قليلاً قليلاً (٣) التعليق : وجمع تصيب الحلق وهو كثناية عن الفقر

والسلبة (٤) صنبر : باردة (٥) تصَاغِي : تصاعدوا (٦) تهُورْت : انحدرت إلى المغرب

(٧) الكسر : الشقة السفل من الخباء (٨) الرئال : أولاد النعام .

فقام حاتم^١ إلى فرسه فوجاً^(١) لبته^٢ بمدينه فخر^٣. ثم كشطه ودفع المدية^٤
إلى المرأة ، فقال لها : شأنك ! فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل . ثم جعل
يمشي في الحى يأتهم بيتاً بيتاً فيقول : هُبُوا أَيُّهَا القوم ، عليكم بالنار ! فاجتمعوا .
وائتفع وجلس في ناحية ينظر إلينا . فوالله إن ذاق منه مُزْعَة^(٢) وإنه لأحوج
إليه منا ! فأصبحنا وما على ظهر الأرض إلا عظم وحافر ؛ فأنشا حاتم
يقول :

مهلاً نوار أَقْلَى اللومَ والعذَلَا ولا تقولي لشيء فاتَ : ما فعلاً
مهلاً و إن كنتُ مُهْلِكَه ولا تقولي لسالٍ كنتُ مُهْلِكَه
يرى البخيلُ سبيلاً المالِ واحدةً إن الجودَ يرى في مالِه سُبْلاً

(١) وجأ : طعن (٢) مزعة : القطعة من اللحم ، وان نافية ، يعني ما .

٦٤ — **بين حاتم وماوية***

لما تزوج حاتم ماوية ، وكانت من أحسن النساء ، لبست عنده زماناً ، ثم إن ابن عم له – يقال له مالك – قال لماوية :

ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلقنه ، ولئن لم يجد ليتكلفنه ، ولئن مات ليتركن ولدَه عيالاً على قومه ؛ طلقني حاتماً وأنا أنزوج بك ، فأنا خير لك منه وأكثر مالاً ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك ؛ فقالت ماوية : صدقتك ؛ إنه كذلك ؛ فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً .

وكان النساء أو بعضهن يطلقن الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهن أهون يحوالن أبواب بيومهن ، إن كان الباب إلى المشرق جعلته إلى المغرب ، وإن كان الباب قبل المين جعلته قبل الشام ؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأبهها .

فأتى حاتم فوجدها قد حوتت باب الخباء ، فقال لابنه : ياعدي ، ما ترى أمك ؟ ماعدا عليها ؟ قال : لا أدرى ! غير أنها غيرت باب الخباء – وكأنه لم يكن حنوناً قال : فدعاه فهبط به بطن واد .

وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء ، كما كانوا ينزلون فتوافى خمسون رجلاً ، فنافت بهم ماوية ذرعاً ؛ فقالت لجارتها : اذهب إلى مالك ، فقولي له : إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً ، فأرسل إلينا بناب نغيرهم ولبن نغيثهم .^(١)

* ذيل الأمالى ص ١٥٣

(١) لم يحنن : لم يقطن (٢) الغبوق : الشرب بالعشى ، وغبقة : سقاء إيه فى هذا الوقت .

وقالت الجاريتها : انظري إلى جَيْبِنِه وفه ؛ فإن شافهَكِ بالمعروف فاقبلي منه ،
وإن ضربَ بالحَيَّةِ على زَوْرِه ، فارجعِي ودَعِيه .

فَلَمَّا أَتَتْ مَالِكًا وَجَدَتْهُ مَتْوَسِدًا وَطَبَّامًا مِنْ لَبَن ؛ فَأَيْقَظَتْهُ وَأَبْلَغَتْهُ الرِّسَالَةَ ،
وَقَالَتْ : إِنَّمَا هِيَ الْلَّيْلَةَ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ مَكَانَهُ ؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي رَأْسِهِ ، وَضَرَبَ
بِالْحَيَّةِ عَلَى زَوْرِهِ ؛ فَقَالَ لَهَا : أَقْرِئِي عَلَيْهَا السَّلَامَ ، وَقَوْلِي لَهَا : هَذَا الَّذِي أَمْرَتُكِ أَنْ
تُطْلَقَى حَاتَّمًا مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَمَا عَنْدِي مِنْ كَبِيرَةِ ، قَدْ تَرَكَتِ الْعَمَلَ ، وَمَا كَنْتُ
لَأَنْجُرَ صَفِيَّةَ^(١) غَزِيرَةَ بِشْجُونَ كَلَاهَا ، وَمَا عَنْدِي لَبَنٌ يَكْفِي أَضِيافَ حَاتَّمَ !

فَرَجَعَتِ الْجَارِيَّةُ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا رَأَتْ مِنْهُ ، وَأَعْلَمَتْهَا بِمَقَاتِلَتِهِ ؛ فَقَالَتْ لَهَا : وَيْلَكَ !
إِنِّي حَاتَّمًا قَوْلِي لَهُ : إِنْ أَضِيافَكَ قَدْ نَزَلُوا الْلَّيْلَةَ بَنَا ؛ وَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَكَانِكَ ؛ فَأَرْسَلَ
إِلَيْنَا بَنَابَ نَنْحَرُهَا وَنَقْرُهُمْ ، وَبَابَنِ نَسْقُهُمْ ؛ إِنَّمَا هِيَ الْلَّيْلَةَ حَتَّى يَعْرُفُوا مَكَانَكَ .

فَأَتَتِ الْجَارِيَّةُ حَاتَّمًا فَصَرَخَتْ بِهِ ؛ فَقَالَ حَاتَّمَ : لَبِيكِ ! قَرِيبًا دُعُوتِ ! فَقَالَتْ :
إِنْ مَاوِيَّةَ تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَتَقُولُ لَكَ : إِنْ أَضِيافَكَ قَدْ نَزَلُوا بَنَانِ الْلَّيْلَةَ ؛ فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِمْ بَنَابَ نَنْحَرُهَا لَهُمْ وَلَبَنَ نَسْقُهُمْ . فَقَالَ : نَعَمْ وَأَبِي ! شَمْ قَامَ إِلَى الْإِبَلِ فَأَطَّافَ
ثَنَيَتَيْنِ^(٢) مِنْ عَقَالِيهِمَا ، ثُمَّ صَاحَ بِهِمَا حَتَّى أَتَى إِنْجِباءَ ؛ فَضَرَبَ عِرَاقِيهِمَا ، فَطَفَقَتْ
مَاوِيَّةُ تَصْبِحُ وَتَقُولُ : هَذَا الَّذِي طَلَقْتَ فِيهِ ! تَرَكَ وَلَدَكَ وَلَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ !

(١) الصَّفِيَّةُ : النَّاقَةُ الْغَزِيرَةُ (٢) الثَّنَيَةُ : النَّاقَةُ الْعَاعِنَةُ فِي السَّادِسَةِ .

٦٥ مروءة ووفاء *

خرج النعمان^(١) بن المنذر يوماً يتضيّد على فرسه اليحوم^(٢)، فأجراه على
أثر عَيْر^(٣) ، فذهب به الفرس في الأرض ، ولم يقدر عليه ، وانفرد عن أصحابه ،
وأخذته السماء ؛ فطلب ملجأ يلجأ إليه ، فدفع إلى بناء ، فإذا فيه رجل من طيء^(٤) ،
يقال له حَنْظَلَة ، ومعه امرأة له ؛ فقال لها : هل من مأوى ؟ فقال حَنْظَلَة : نعم !
فخرج إليه ، فأنزله ، ولم يكن للطائى غير شاة ، وهو لا يعرف النعمان ؛ فقال لأمرأته :
أرى رجالاً ذا هيبة ، وما أخلفه أن يكون شريفاً خطيراً ، فما الحيلة ؟ قالت : عندي
شيء من طحين كنت أدخله ، فاذبح الشاة لاتخذه من الطحين خبز^(٥) ملة .
وأخرجت المرأة الدقيق ، فخبزت منه ، وقام الطائى إلى شاته فاحتلبها ،
ثم ذبحها ؛ فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة^(٦) ، وأطعمه من لحمها ، وسقاه من لبنها ،
واحتال حتى وجد له شرابة فسقاء ، وجعل يحدّثه بقية ليلته .

* أمثال الميداني ص ٤٦ ج ١ ، المستطرف ص ١٩٩ ج ١ ، الأغاني ص ٨٨ ج ١٩ ، معجم البلدان
ص ٢٨٥ ج ٦ ، المحسن والاضداد ص ٥٨ ، بلوغ الأربع ص ١٢٧ ج ١ ، المحسن والمساوي
ص ١١٧ طبعة ليزج .

(١) من ملوك الحمير ، تولى الملك بعد عمرو بن هند ، ويكنى أبا قابوس ، وهو مدحوج التائفة
الذبياني ، وحسان بن ثابت ، وحاتم الطائي ؛ ومات نحو سنة ٨٨ ق . م (٢) اليحوم : الأسود ،
وهو اسم فرس كان لنعمان (٣) العبر : الحمار الوحشى (٤) الملة : الرماد الحار وخنزير الملة : ما يصنع
فيها (٥) المضيرة : أن يطيخ اللحم باللين البحت الصريح حتى يتضاعف اللحم ، وتختبر المضيرة .

فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّعَانُ لِنِسْتَابَةً ، وَرَكِبَ فَرْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا طَيْفَ ، اطْلُبْ
ثَوَابَكَ ؛ أَنَا الْمَلِكُ النَّعَانُ ! قَالَ : أَفْعُلُ إِنْ شاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ لَقَ الْخَيلَ ، فَضَى نَحْوَ الْجِيرَةِ ، وَمَكَثَ الطَّائِفُ بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانًا حَتَّى أَصَابَتْهُ
نَسْكَبَةُ وَجَهْدُ ، وَسَاءَتْ حَالُهُ ؛ فَقَاتَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لَوْ أَتَيْتَ الْمَلِكَ لِأَحْسَنَ إِلَيْكَ ؟
فَأَقْبَلَ حَتَّى اتَّهَى إِلَى الْجِيرَةِ ، فَوَافَقَ يَوْمَ قَابُوسَ النَّعَانَ ، فَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ فِي خَيْلِهِ
فِي السَّلَاحِ .

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ النَّعَانُ عَرَفَهُ ، وَسَاءَهُ مَكَانُهُ ، فَوَقَفَ الطَّائِفُ - الْمَنْزُولُ بِهِ - بَيْنَ
يَدِي النَّعَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الطَّائِفُ الْمَنْزُولُ بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَا جَهَنَّمَ فِي
غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ ؟ قَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ؟ وَمَا كَانَ عِلْمِي بِهَذَا الْيَوْمِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ
سَنَحَ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ قَابُوسُ ^(١) لَمْ أَجِدْ بَدَأَ مِنْ قَتْلِهِ ، فَاطَّلَبَ حَاجَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَسَلَّمَ مَابَدَأَ لَكَ فَإِنَّكَ مَفْتُولٌ ! قَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ؟ وَمَا أَصْنَعْ بِالدُّنْيَا بَعْدَ نَفْسِي ؟
قَالَ النَّعَانُ : إِنَّهُ لَا سَبِيلٌ إِلَيْهَا . قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَابْدَ فَأَجِلْنِي حَتَّى أَلْيَمَ بِأَهْلِي ،
فَأُوصِي إِلَيْهِمْ ، وَأَهْيَ حَالَمِي ، ثُمَّ أَنْصَرْفُ إِلَيْكَ . قَالَ النَّعَانُ : فَاقْمِ لِي كَفِيلًا
بِمُوافَاتِكَ ، فَالْتَّفَتَ الطَّائِفُ إِلَى شَرِيكَ ^(٢) بْنِ عُمَرَ ، وَهُوَ وَاقِفٌ بِجَنْبِ النَّعَانَ ،
فَقَالَ لَهُ :

يَا شَرِيكُ يَا بْنَ عَمِّي
هَلْ مِنَ الْمَوْتِ حَالَهُ
يَا أَخَا كُلُّ مُصَابٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَهُ

(١) قَابُوسٌ : أَبْنَ النَّعَانَ (٢) كَانَ شَرِيكُ هَذَا دِيرَ النَّعَانَ ، يَجِلسُ عَنْ يَمِينِهِ وَيَشْرُبُ بَعْدَهُ وَمُخْلِفِهِ
إِذَا غَرَّا .

يا أخَا النعمان فُكَ الْيَوْمَ ضَيِّقًا قَدْ أَتَى لَهُ
 فأَنِي شرِيك أَنْ يَتَكَفَّلَ بِهِ ، فَوَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كُلْبٍ يَقَالُ لَهُ قُرَادُ بْنُ
 أَجْدَعَ ، فَقَالَ لِلنِّعْمَانَ : أَيْدِتَ اللَّاعِنَ ! هُوَ عَلَيْهِ ! قَالَ النِّعْمَانَ : أَفْعَلْتَ ! قَالَ : نَعَمْ !
 فَضَمَّنَهُ إِيَاهُ ، ثُمَّ أَمْرَ لِلطَّائِنِ بِنِ خَمْسَائِةِ نَاقَةٍ ، فَضَى الطَّائِنُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ الْأَجْلَ
 حَوْلًا مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ قَابِلٍ ؛ فَلَمَّا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ، وَبَقَى مِنْ
 الْأَجْلِ يَوْمٌ ، قَالَ النِّعْمَانُ لِقُرَادَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا ، فَقَالَ قُرَادَ :
 إِنْ يَكُونَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّا إِنْ غَدًا لِتَأْتِيرِهِ قَرِيبٌ
 لَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النِّعْمَانُ رَكِبَ فِي خَيْلِهِ وَرَجَلِهِ مُسَسَّاحًا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ حَتَّى أَتَى الْغَرِيَّبِينَ^(١) ؛
 فَوَقَفَ بَيْنَهُمَا ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ قُرَادًا ، وَأَمْرَ بَقْتَلِهِ ، فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ
 تَقْتَلَهُ حَتَّى يَسْتَوِي يَوْمَهُ ؟ فَتَرَكَهُ ؛ وَكَانَ النِّعْمَانُ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتَلْ قُرَادًا لِيُقْتَلَ الطَّائِنُ
 مِنَ الْفَتْلُ ؛ فَلَمَّا كَادَتِ الشَّمْسُ تَحْبَبَ^(٢) وَقُرَادُ قَاتِمٌ عَلَى النَّطْعَمِ^(٣) ، وَالسَّيَافُ إِلَى
 جَنْبِهِ أَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ وَهِيَ تَقُولُ :
 أَيَا عَيْنُ بَكَّى لِي قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَ رَهِيَّتَا لَقْتُلِ لَارْهِينَا مُوَدَّعًا
 فِيمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ رُفِعَ لَهُمْ شَخْصٌ مِنْ بَعِيدٍ ، وَقَدْ أَمْرَ النِّعْمَانَ بَقْتَلِ قُرَادَ ،
 فَقَيْلَ لَهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتَلَهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ الشَّخْصُ فَتَعْلَمَ مَنْ هُوَ ؟ فَكَفَ حَتَّى
 اتَّهَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَإِذَا هُوَ الطَّائِنُ !

(١) الغريبان : مثنى غري ، سينا بذلك ، لأن النعسان بن المنذر كان يغيرهما يوم من يقتله يوم

بؤسه (٢) تحب الشمس : تغيب (٣) النطع : بساط من جلد .

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ شَقَّ عَلَيْهِ مَجْبُ�َهُ ، قَالَ لَهُ : مَا حَمَلْتَ عَلَى الرَّجُوعِ بَعْدَ
إِفْلَاتِكَ مِنَ الْقَتْلِ ؟ قَالَ : الْوَفَاءُ ، قَالَ : وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ ؟ قَالَ : دِينِي [قال
النَّعْمَانُ : وَمَا دِينُكَ ؟ قَالَ : النَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ النَّعْمَانُ : فَاعْرِضْهَا عَلَيَّ ؛ فَعَرَضَهَا
عَلَيْهِ ، فَتَنَصَّرَ النَّعْمَانُ وَأَهْلُ الْحِرَةِ أَجْمَعُونَ [وَتَرَكَ الْقَتْلَ مِنْذَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَبْطَلَ
تَلْكَ السَّنَةَ ، وَأَمْرَ بِهَدْمِ الْفَرِيَّينَ ، وَعَفَّا عَنْ قُرَادَ وَالْطَّائِيَّ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْمَامًا
أَوْ فَوْزًا وَأَكْرَمًا ؟ أَهْذَا الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ فَعَادَ ، أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمَّنَهُ ؟ وَاللَّهُ لَا يَكُونُ
الْأَمَّ الْثَّلَاثَةَ ، فَأَنْشَأَ الطَّائِيَّ يَقُولُ :

مَا كُنْتُ أَخْافَ خَلْفَهُ بَعْدَ الَّذِي أَسْدَى إِلَيَّ مِنَ الْفَعَالِ الْعَالِيِّ
وَلَقَدْ دَعْتُ لِلخَلَافَ ضَلَالَتِي فَأَبَيْتُ غَيْرَ تَمْجِدِي وَفَمَالِي !

* مكرمة * (٢٦)

حدَثْ عمرو بن العلاء فقال :

جلس النعمان بن المنذر ، وعليه حلة مرصعة بالدر ، لم ير مثلها قبل ذلك اليوم ، وأذن للعرب في الدخول عليه ، وكان فيهم أوس بن حرثة^(١) ، فجعلت العرب تنظر إلى الحلة ، وكل منهم يقول لصاحبه : مارأيت مثل هذه الحلة قط ، ولا سمعت أن أحداً من الملوك قدر على مثلها - وأوس بن حرثة مطرق لا ينظر إليها - فقال له النعمان : ما رأي كل من دخل على إلا استحسن هذه الحلة ، وتحدث مع صاحبه في أمرها إلا أنت ، مارأيت استحسنتها ولا نظرتها .

قال أوس : أسعد الله الملائكة : إنما تستحسن الحلة إذا كانت في يد التاجر ، وأما إذا كانت على الملك ، وأشرق فيها وجهه فنظرى مقصور عليه لاعليها ! فاسترجع عقله . فلما عزموا على الانصراف قال لهم النعمان : اجتمعوا إلى في غد فإني مُليسُ هذه الحلة لسيد العرب منكم ؛ فانصرف العرب عنه ، وكل يزعم أنه لا يرى الحلة . فلما أصبحوا تزيينا بأفخر الملابس ، وتقلدوا بأحسن السيوف ، وركبوا أجود الخيل ، وحضروا إلى النعمان ، وتأنّر عنده أوس بن حرثة ؛ فقال له أصحابه : مالك لا تغدو مع الناس إلى مجلس الملك ، فلما ت تكون صاحب الحلة ، فقال أوس : إن كنت سيد قومي فيما أنا سيد العرب عند نفسي ، وإن حضرت ولم

* المختار من نوادر الأخبار مخطوط .

(١) أوس بن حرثة : من أجداد العرب في الجاهلية ، بنوه بطن من بنى مزقياء ، وهم إحدى قبيلتي الأوس والمخزرج ، أصلهم من اليمن ، ونزلوا يترب وجاه الاسلام وهم بها .

آخذها انصرف متفوّصاً؛ وإن كنت المطلوب لها فسيُعرَف مكانه، فامسّكوا عنه.
ونظر النعمان في وجوه القوم، فلم ير أوس بن حارثة؛ فاستدعي بعض خاصته،
وقال: اذهب لتعرف خبر أوس؟ فمضى رسول النعمان، واستخبر بعض أصحابه
فأخبره بمقاتله؛ فعاد إلى النعمان، فأخبره بذلك، فبعث النعمان إليه رسولًا، وقال:
حضر آمناً مما خفت عليه؛ فحضر أوس بثيابه التي حضر بها بالأمس، وكانت
العرب قد استبشرت بتأخره خوفاً من أن يكون هو الآخر للحيلة.

فلا حضر وأخذ مجلسه، قال له النعمان: إن لم أرك غيرك ثيابك في
يومك، فالبس هذه الحلة لتتحمل بها، ثم خلعها وألبسها إياه؛ فاشتد ذلك على العرب
وحذروه، وقالوا: لاحيلة لنا فيها، إلا أن نرغب إلى الشعراً أن يهجوه بقبيح
ال فعل؛ فإنه لا يخفي رفته إلا الشعر؛ فجمعوا فيما بينهم خمسة ناقه، وأتوا بها
إلى رجل يقال له جرول^(١)، وقالوا له: خذ هذه، واهج لنا أوس بن حارثة.

وكان جرول يومئذ أشعر العرب وأقواهم هجاء؛ فقال لهم: يا قوم كيف أهجو
رجالاً حسيباً لا ينْهِي كر بيته، كريماً لا ينقطع عطاوه، فيصلأ لا يطعن على رأيه،
شجاعاً لا يُضَام نزيله، محسناً لا أرى في بيتي شيئاً إلا من فضله!

فسمع بذلك بشر بن أبي حازم - وكان شاعراً - فرغب في البذل، وأخذ الإبل
وهجاه، وذكر أمه سعدى؛ فسمع أوس بذلك، فوجّه في طلبه، فهرب وترك الإبل،
فأتوا بها إلى أوس بن حارثة، فأخذها وشدّ في طلبه؛ وجعل بشر بن أبي حازم
يطوف في أحياط العرب يتّمس عزيزاً يجبره على أوس، وكل من قصده يقول: قد
أجرتك إلا من أوس بن حارثة؛ فإني لا أقدر أن أجبر عليه - وكان أوس قد أدى

(١) هو الخطيبة.

عليه العيون ؛ فرأه بعضُ من كان يرصدُه ، فقبض عليه ، وأتى به إلى أوس ؛ فلما
مثَّلَ بين يديه قال له : ويلك ! أتذَّكر أمي وليس في عصرنا مثلها ؟ ! قال : قد كان
ذلك أمِّها الأَمِير ؛ فقال : والله لا قُتْلَنِك قتلة تحيي بها سعدى - يعني أمِّه .

ثم دخل أوس إلى أمِّه سعدى ، وقال : قد أتَيْتُك بالشاعر الذي هجاك ، وقد
آلمتُ لقتلته قتلة تحيي بها ! قالت : يابني أُوْخِيرُ من ذلك ! قال : وما هو ؟ قالت :
إنه لم يَجِدْ ناصراً منك ، ولا مُجِيراً عليك ، وإنما قوم لازرى في اصطناع المعروف
من بأس ؛ فبحقّ عليك إلا أطلقته ، ورددت عليه إبله ، وأعطيته من مالك مثل
ذلك ، ومن مالى مثله ، وأرجعه إلى أهله سالماً ؛ فانهم أَيْسُوا منه !
فخرج له أوس ، وقال : ما تقول إني فاعل بك ؟ قال : تَقْتُلُنى لامحالة ؛ قال :
أَفْتَحْقُ ذلك ؟ قال : نعم ؟ قال : إن سعدى التي هجوتها قد أشارت بـكذا وكذا ،
وأمر بـ محل كـ تـ اـ فـه ، وقال له : انصرف إلى أهلك سالماً ، وخذ ما أـ مـ رـ تـ لكـ بهـ !
فرفع بـ شـ رـ يـ دـهـ إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهـ دـ علىـ أـ لـاـ أـ عـ وـ دـ إلىـ شـ عـ رـ إـ لـاـ
أن يكون مدحـ اـ فـ أـ وـ سـ بنـ حـ اـ رـ ثـةـ !

* ٦٧ — أَجَارُهُ مِنَ الْمَوْتِ !

أَتَى الأَعْشَى الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ (١)، وَقَدْ امْتَدَحَهُ فَاسْتَبْطَأْ جَائزَتِهِ . قَالَ الْأَسْوَدُ : لَيْسَ عِنْدَنَا عَيْنُ ، وَلَكِنْ نُعْطِيكَ عَرَضًا ، فَاعْطِاهُ بِخَمْسِيَّةٍ مُتَقَالِدُهُنَا ، وَبِخَمْسِيَّةٍ حُلَالًا وَعَبْرًا .

فَلَمَّا مَرَّ بِبِلَادِ بْنِ عَامِرٍ خَافَهُمْ عَلَيْهِ مَامَعَهُ ، فَأَتَى عَلْقَمَةَ بْنَ عَلَانَةَ قَالَ لَهُ : أَجَرِنِي ؟ فَقَالَ قَدْ أَجَرَتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ وَالإِنْسُ ؟ قَالَ نَعَمْ ! قَالَ : وَمِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ لَا !

فَأَتَى عَامِرَ بْنَ الطَّفِيلَ ، قَالَ : أَجَرِنِي ؟ قَالَ : قَدْ أَجَرَتُكَ . قَالَ : مِنَ الْجَنِّ وَالإِنْسُ ؟ قَالَ نَعَمْ ! قَالَ : وَمِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : وَكَيْفَ تُجِيرُنِي مِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَ : إِنْ مَتَّ وَأَنْتَ فِي جَوَارِي بَعْثَتُ إِلَيْ أَهْلَكَ الدِّيَّةَ . قَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ أَجَرَتَنِي مِنَ الْمَوْتِ . ثُمَّ مَدَحَ عَامِرًا وَهَجَّا عَلْقَمَةَ . قَالَ عَلْقَمَةَ : لَوْ عَلِمْتُ الَّذِي أَرَادَ ، كُنْتُ أَعْطِيهِ إِلَيْاهُ !

* الأغاني ص ١٢٠ ج ٩

(١) الأسود العنسي : هو عبالة بن كعب بن غوث ، خرج بعد حجة الوداع في عامة مذحج ، وادعى النبوة وكان كاهناً قتلته فیروز وداذوه وقس غيلة . والأعشى : هو ميمون بن قيس من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، عاش عمرًا طويلاً ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات في أيامه سنة ٧ هـ .

* ٦٨ — يزيد بن عبد المدان عند الحارث بن جفنة *

قدم يزيد^(١) بن عبد المدان وعمرو بن معد يكرب ومكشوح المرادي على ابن جفنة^(٢) زواراً، وعند وجوه قيس: ملاعب الأسنة، ويزيد بن عمرو، وذريد بن الصمة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان: ماذا كان يقول الديان^(٣) إذا أصبح؟ فقال: كان يقول: آمنت بالذي رفع هذه (يعني السماء)، ووضع هذه (يعني الأرض) وشق هذه (يعني أصابعه) ثم يخسر ساجداً فإذا رفع رأسه قال: إن تغفر اللهم تغفر جماً وأي عبد لك ما أنتا

قال ابن جفنة: إن هذا الذرين، ثم مال على القيسين وقال: ألا تحدثوني عن هذه الرياح: الجنوب والشمال والذبور والصبا والركباء، لم سميت بهذه الأسماء؟ فإنه قد أعياني علماً؟ فقال القوم: هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غيرها! فضحك يزيد، ثم قال لابن جفنة: يا خير القيان؛ ما كنت أحسب أن هذا يسقط علماً عن هؤلاء، وهم أهل الخبر! إن العرب تغرب أحياناً في القبلة مطلع الشمس لتدعفهم في الشتاء، وتزول عنهم في الصيف؛ فما هي من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب، وما هي عن شماله فهي الشمال، وما هي عن أمامه

* الأغاني من ١٣٩ ج ١٠ ، مذهب الأغاني من ٥٧ ج ١

(١) كان يزيد سيد مذحج شاعراً من أشراف اليمن وشجاعتها، وفُدّ على بني جفنة - أمراء بادية الشام، وعاد إلى اليمن فأقام بنجران إلى أن كان يوم كلاب الثاني فقتل فيه نحو سنة ٨ ق. هـ

(٢) كان بني جفنة يقيمون بالشام ملوكاً عليهم وعلى ماليه من بادية العرب ولكنهم كانوا عمالاً لملوك الروم، وظلوا حتى أهاد آخر ملوكهم جبلة بن الأبيه إلى الإسلام في عهد عمر بن الخطاب

(٣) الديان: جد يزيد.

فِي الصَّبَأَ ، وَمَا هَبَّ مِنْ خَلْفِهِ فِي الدَّبَورِ ، وَمَا اسْتَدَارَ مِنْ الرِّيَاحِ بَيْنَ هَذِهِ الْجَهَاتِ
فِي النَّكْبَاءِ . . .

فَقَالَ أَبْنُ جَفْنَةَ : إِنْ هَذَا لَعْنُ يَا بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ !
وَأَقْبَلَ أَبْنُ جَفْنَةَ عَلَى الْقِيسِيَّينَ يَسْأَلُهُمْ عَنِ النَّعْنَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، فَعَابُوهُ وَصَغَرُوهُ :
فَنَظَرَ أَبْنُ جَفْنَةَ إِلَى يَزِيدَ وَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ يَا بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ ؟ فَقَالَ : يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ ،
لَيْسَ صَغِيرًا مِنْ مَنْعِكَ الْعَرَاقُ ، وَشَرِّكَ فِي الشَّامِ ، وَقِيلَ لَهُ : أَبْيَتِ اللَّعْنَ ! وَقِيلَ
لَكَ : يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ ! وَأَلْقَى أَيَاهُ مَلِكًا كَمَا أَلْقَيْتَ أَبَاكَ مَلِكًا ؟ فَلَا يُسْرِكُ مَنْ
يَعْرُكُ ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَوْسَالْمُ عنْكَ النَّعْنَانَ لَقَالُوا فِيكَ مُشَلَّ مَا قَالُوا فِيهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ
مَا فِيهِمْ رَجُلٌ إِلَّا وَنِعْمَةُ النَّعْنَانَ عِنْدَهُ عَظِيمَةٌ . . .

فَغَضِبَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ : يَا بْنَ الدَّيَّانَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَنْ تَحْتَاجَنَّ بِهِادِمًا ! فَضَحِكَ
يَزِيدُ وَقَالَ : مَا لَهُمْ وَاللَّهُ جُرُوْهُ بْنِ الْحَارِثَ ، وَلَا فَتْكُ مُرَادٍ ، وَلَا بَأْسُ زُبِيدٍ ، وَلَا مُغَازَّ
طِيٌّ ، وَمَا هُمْ وَنَحْنُ - يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ - بِسَوَاءٍ : مَا قَتَلْنَا أَسِيرًا قَطُّ ، وَلَا اشْتَهَيْنَا حَرَّةً
قَطُّ ، وَلَا بَكَيْنَا قَتِيلًا نُبُّيَّ بِهِ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَعْجِزُونَ عَنْ ثَأْرِهِمْ حَتَّى يُقْتَلَ السَّمَىُّ
بِالسَّمَىِّ وَالْجَارُ بِالْجَارِ . . . ثُمَّ قَالَ :

تَمَالَى عَلَى النَّعْنَانَ قَوْمٌ إِلَيْهِمْ مَوَارِدُهُ فِي مَلَكَهِ وَمَصَادِرِهِ
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ سُوَى أَنَّهُ جَادَتْ عَلَيْهِمْ مَوَاطِرُهِ
فَبَاعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍ يَخْافُهُ وَقَرَبَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يَبَادِرُهُ
فَظَنُوا، وَأَعْرَاضُ الْمُنْوَنَ كَثِيرَةٌ، بِأَنَّ الذِّي قَالُوا مِنَ الْأَمْرِ ضَائِرٌ

فلم ينفعه بالذى قيل شعرة ولا قلت أنيابه وأظافره
 وللخارث الجفني أعلم بالذى يوم به النعمان إن حف^(١) طائره
 فيحاركم فيهم لنعمان نعمة من الفضل والمن الذى أنا ذاكرا
 ذنو با عفأ عنها ، وما لا أفاده ، وعظمًا كسيرًا قومته جوابره
 ولوسال عنك العائدين ابن منذر لقالوا له القول الذى لا يحاذره

فلا مسع ابن جفنة هذا القول عظم يزيد في عينه ، وأجلسه معه على سريره ،
 وسقاوه بيده ، وأعطاه عطية لم يعطها أحداً ممن وفد عليه قط : ولما قرب يزيد
 ركبته ليتحلل سمع صوتاً إلى جانبه وإذا هو رجل يقول :

أما من شفيع من الزائرين يحب الشنا زنده ثاقب
 يزيد ابن جفنة إكرامه وقد يمسح الضرة^(٢) الحال
 فينقذني من أظافره وإلا فإني غداً ذاهب
 فقد قلت يوماً على كربة وفي الشرب فيثرب غالب :
 إلا ليت غسان في ملوكها كلخم وقد يخطى الشارب
 وما في ابن جفنة من سبة وقد حف حمل بها الغارب
 كأنى قريب من الأبعدين وفي الحال من شجى ناشب

فقال يزيد : على بالرجل ، فأتى به ، فقال : ما خطبك ! أنت تقول هذا الشعر !

قال : بل قاله رجل من جذام جفنه ابن جفنة ، وكانت له عند النعمان منزلة ،

(١) حف : طار (٢) الضرة : الضرع .

فشرب ، فقال له على شرابه شيئاً أنسكه عليه ابن جفنة ، فجسسه ، وهو مُخرجه
غداً فقاتله . فقال يزيد : أنا أغثشك ، فقال له : ومن أنت حتى أعرفك ؟ فقال :
أنا يزيد بن عبد الم丹 ، فقال : أنت لها وأبيك ! قال : أجل ؟ فقد كفيتك أمره ،
فلا يسعننك أحدٌ تنشد هذا الشعر .

وغداً يزيد على ابن جفنة ليودعه فقال له : حيَاكَ الله يا بن الديان ، حاجتك :
قال : تلحق قضاة بالشام ، وتوثر من أتاك من وفود مذحج ، وتهب لى العذامى
الذى لا شفيع له إلا كرمك ، قال : قد فعلت ، أما انى جبسته لأهله سيد ناحيتك ،
وكنت ذلك السيد ؛ ووهبه له ، فاحتمله يزيد معه !

* إغاثة — ٦٩

جاور^(١) رجالن من هوازن في بني مرّة بن عوف ، وكانا قد أصابا دمّاً في قومهما ؛ ثم إن قيس بن عاصم المُنقرى^(٢) أغار على بني مرّة ، فأصاب واحداً منهمما في عدة أسرى كانوا عندهم ؛ ففدى كل قوم أسييرهم من قيس بن عاصم ، وتركوا الهوازني ، فاستغاث أخوه بوجوهه بني مرّة : سنان بن أبي حارثة ، والحارث بن عوف ، والحارث بن ظالم ، وهاشم بن حرملة ، والحسين بن الحمام فلم يغيشه .

فركب إلى موسم عُكاظ ، فاتى منازل مَدْرِج لِيَلَّا ، ونادى :

دعوت سناناً وأبنَ عوفِ وحارثاً وعاليت دعوى بالحصين وهاشم
أعيدهم في كل يوم وليلة بترك أسيير عند قيس بن عاصم
حليفهم الأدنى ، وجارٌ بيتهم ومن كان عما سرّهم غير نائم
فصموا ، وأحداث الزمان كثيرة وكم في بني العلات^(٣) من مُتصاصم
فياليت شعرى من لإطلاق غلبة ومن ذا الذي يحظى به في الموسام
فسمع صوتاً من الوادي ينادى بهذه الأبيات :
الا أيهذا الذى لم يحب عليك بمحى يجلى الكرب

* مهذب الأغانى ص ٦٠ ج ٥

(١) جاوره مجاورة وجواراً : صار جاره (٢) منقر : بطن من تم ، وقيس بن عاصم : كان سيد تم ، ولما وفدى على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال : هذا سيد الور ، ولما توفي سنة ٢٠ هـ ، قال فيه الشاعر :

واما كان قيس هلك هلك واحد ولكنك بنيان قوم تهدما

(٣) بني العلات : هم بنو رجل واحد من أمراء شرقى .

عليكَ بِذَا الْحَيِّ مِنْ مَذْحَجٍ فَإِنْهُمْ لِرَضَا وَالغَضْبُ
 فَنَادَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ، وَقِيسًا، وَعَمْرَوْ بْنَ مَعْدِيَكَرْبَ
 يَفْكُوا أَخْلَاكَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَقْلَانْ بَعْثَمِ الْعَرَبِ
 أُولَئِكَ الرَّءُوسُ فَلَا تَعْدُهُمْ وَمَنْ يَجْعَلِ الرَّأْسَ مِثْلَ الذَّنْبِ !
 فَاتَّبَعَ الصَّوْتَ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا ! فَغَدَا عَلَى الْمَكْشُوفِ قَيْسَ بْنَ عَبْدِ يَغْوَثِ الْمُرَادِيِّ
 فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ مَا قَارَضَتُهُ مَعْرُوفًا قَطًّا ، وَلَا هُوَ لِ
 بَجَارٍ ، وَلَكِنْ اشْتَرَ أَخْلَاكَ مِنْهُ وَعَلَى الثَّمَنِ ، وَلَا يَمْنَعُكَ غَلَاؤُهُ .

ثُمَّ أَتَى عُمَرُو بْنَ مَعْدِيَكَرْبَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُو : هَلْ بَدَأْتَ بِأَحَدٍ قَبْلِي؟ فَقَالَ :
 نَعَمْ ، بَعْدِيْسَ بْنَ عَبْدِ يَغْوَثَ ، قَالَ : عَلَيْكَ بَنْ بَدَأْتَ بِهِ ، فَتَرَكَهُ وَأَتَى يَزِيدَ بْنَ
 عَبْدِ الْمَدَانِ فَأَخْبَرَهُ بِقَصْتِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلَكَ ، أَبْعَثْتُ إِلَى قَيْسَ بْنَ
 عَاصِمَ ، فَإِنْ هُوَ وَهُبْ لِأَخْلَاكَ شَكْرَتُهُ وَإِلَّا أَغْرَتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَقَبَّلَ بِأَخْلَيكَ ،
 فَإِنْ نَلَهَا وَإِلَّا دَفَعْتُ إِلَيْكَ كُلَّ أَسِيرٍ مِنْ بَنِي تَمِيمَ بِنْ جَرَانَ ، فَاشْتَرَيْتَ بِهِ أَخْلَاكَ!

فَقَالَ : هَذَا الرَّضا . فَأَرْسَلَ يَزِيدَ إِلَى قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :
 يَا قَيْسُ أَرْسَلْ أَسِيرًا مِنْ بَنِي جُهْمَ (١) إِنِّي بِكُلِّ الَّذِي تَأْتِيَ بِهِ جَازِي
 لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَنْ تَشْجَعَ بُغْصَتِهِ فَاخْتَرْ لَنْفَسَكَ إِحْدَادِي وَإِعْزَازِي
 فَافْكَكْ ، أَخَا مُنْقَرِّ ، عَنْهُ وَقْلُ حَسَنًا فِيهَا سُلْتَ وَعَقْبَةُ بِإِنْجَازِي
 وَبَعْثَ بِالْأَبْيَاتِ رَسُولًا إِلَى قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ ، فَأَنْشَدَهُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 يَا أَبَا عَلَيَّ ، إِنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : « إِنَّ الْمَعْرُوفَ
 قُرُوضٌ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، فَأَطْلُقْ لِي هَذَا الْجُلْشَمِيٌّ ; فَقَدْ اسْتَعَنَ بِأَشْرَافِ بَنِي مَرَّةٍ ،

(١) جَهْمٌ : بَطْنٌ مِنْ هَوَازِنَ .

وَبِمُرْوَةِ بْنِ مُعَاذِ كَرْبَلَةِ ، وَبِمَكْشُوفِ الْمُرَادِيِّ ، فَلَمْ يُصِبْ عِنْدَهُمْ حَاجَتَهُ ، فَاسْتَجَارَ بْنِي ؛
وَلَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَسَارِي مَضْرُبَ بَنِي جَرَانَ لِقَضِيتُ حَاجَتَكَ » .

فَقَالَ قَيْسَ بْنُ عَاصِمَ لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ : هَذَا رَسُولُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ .
سَيِّدُ مَذْحِجَ وَابْنِ سَيِّدِهَا ، وَمَنْ لَا يَرَأُ لَهُ فِيكُمْ يَدُ ، وَهَذِهِ فَرْصَةٌ لَكُمْ فَاتَّرَوْنَ ،
قَالُوا : نَرَى أَنْ نَعْلَمَ عَلَيْهِ وَنَحْكُمُ فِيهِ شَطَطاً ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْذُلَهُ أَبْدَاً ، وَلَوْ أَتَى ثُمَّنَهُ عَلَى
مَالِهِ . فَقَالَ قَيْسٌ : بَئْسَمَا رَأَيْتُمْ ! أَمَا تَخَافُونَ سِبَّالَ الْمَحْرُوبَ ، وَدُولَ الْأَيَامَ ، وَمَجَازَةَ
الْفَرْوَضِ !

فَلَمَّا أَبْوَأَ عَلَيْهِ قَالَ : بِيَعْوِنِيهِ ، فَأَغْلَوْهُ عَلَيْهِ ؛ فَتَرَكَهُ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَكَانَ أَسِيرًا فِي
يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ^(١) ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ يَزِيدَ فَأَعْلَمَهُ بِمَا جَرَى ، وَأَنَّ الْأَسِيرَ لَوْ كَانَ
فِي يَدِهِ أَوْ فِي يَدِ مِنْقَرٍ لَأَخْذَهُ وَبَعْثَ بِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ .
فَأَرْسَلَ يَزِيدَ إِلَى السَّعْدِيِّ : أَنْ سِرْ إِلَيْهِ بَأْسِيرِكَ وَلَكَ فِيهِ حَكْمُكَ ، فَأَتَى
السَّعْدِيُّ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : احْتَكِمْ ، فَقَالَ : مائةٌ ناقَةٌ وَرَعَاعُهَا ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ :
إِنَّكَ لَقَصِيرُ الْهَمَّةِ ، قَرِيبُ الْفَنِيِّ ، جَاهِلٌ بِأَخْطَارِ بَنِي الْحَارِثِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ غَبَّنَتْكَ
يَا خَآ بَنِي سَعْدٍ ! وَلَقَدْ كُنْتُ أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ ثُمَّنُهُ عَلَى جُلُّ أَمْوَالِنَا ؛ وَلَكِنَّكُمْ
يَا بَنِي تَمِيمٍ قَوْمٌ قِصَارُ الْهَمَّمِ ؛ وَأَعْطَاهُمْ مَا احْتَكِمْ ، فَجَاءُوهُمْ الْأَسِيرُ وَأَخْوَهُ حَتَّى مَا تَأَ
عْنَدَهُ بَنِي جَرَانَ !

(١) سَعْدٌ : بَطْنُ مِنْ تَمِيمٍ .

٧٠ — سفانة بنت حاتم الطائني*

وَجَهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَيْ فَرِيقًا مِنْ جَنْدِهِ ، يَقْدُمُهُمْ عَلَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَفَرَغَ عَدَى^(١) بْنُ حَاتِمَ الطَّائِنِيَ - وَكَانَ مِنْ أَشَدِ النَّاسِ عِذَاءً لِرَسُولِ
اللَّهِ - إِلَى الشَّامِ فَصَبَرَ عَلَى الْقَوْمَ ، وَاسْتَأْفَ خَيْلَهُمْ وَنَعَمَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ .

فَلَمَّا عُرِضَ عَلَيْهِ الْأَسْرَى نَهَضَتْ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ سَفَانَةُ بَنْتُ حَاتِمٍ ؛ فَقَالَتْ :
يَا مُحَمَّدُ ؟ هَلَّكَ الْوَالَدُ ، وَغَابَ الْوَافِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخْلُنِي عَنِّي ، وَلَا تُشْتَمِّ بِي
أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ! فَإِنْ أَبِي كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، يَفْكُثُ الْعَانِي^(٢) ، وَيَقْتَلُ الْجَانِي ، وَيَحْفَظُ
الْجَارَ ، وَيَحْمِي الْذَّمَارَ ، وَيُفْرِجُ عَنِ الْمُكْرُوبِ ، وَيَطْعَمُ الْطَّعَامَ ، وَيُفْسِي السَّلَامَ ،
وَيَحْمِلُ السَّكَلَ^(٣) ، وَيَعِينُ عَلَى نَوَابِ الدَّهْرِ ، وَمَا أَتَاهُ أَحَدٌ فِي حَاجَةٍ فَرَدَهُ خَائِبًا .
أَنَا بَنْتُ حَاتِمَ الطَّائِنِي !

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَارِيَةٌ ، هَذِهِ صَفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا ، لَوْكَانَ
أَبُوكَ مُسْلِمًا لَتَرْحَمَنَا عَلَيْهِ . خُلُوا عَنْهَا ؛ فَإِنْ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارَمَ الْأَخْلَاقِ .
ثُمَّ قَالَ : « ارْحُوا عَزِيزًا ذَلِّ ، وَغَنِيًّا افْتَقِرْ ، وَعَالَمًا ضَاعَ بَيْنَ جَهَالٍ ».
وَامْتَنَّ عَلَيْهَا بِقَوْمِهَا فَأَطْلَقُهُمْ تَكْرِيمًا لَهَا !

* الأغاني ص ٩٣ ج ١٦ ، انسان العيون ص ٢٨٥ ج ٢ ، غرر الخصائص ص ١٢

(١) عَدَى بْنُ حَاتِمٍ : صَاحِبُ الْأَجْوَادِ الْمُقْلَدَةِ كَانَ رَئِيسَ قَوْمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَكَانَ
إِسْلَامَهُ سَنَةٌ ٩ هـ ، وَشَهَدَ فَتحَ الْمَرْسَى ، وَالْجَلْلَى ، وَصَفَّيْنِ ، وَالنَّبْرَوَانِ مَعَ عَلِيٍّ^(٢) الْعَانِي :
الْأَسْرَى . (٣) السَّكَلُ : الْعَائِلَةُ وَالْيَتَمُّ .

فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الدُّعَاءِ لَهُ ، فَأَذْنَنَّهَا ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : اسْمُعوا وَعُوْا . فَقَالَتْ :
أَصَابَ اللَّهَ بِرَبِّكَ مَوَاقِعَهُ ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَى لَئِمٍ حَاجَةً ؛ وَلَا سَلَبَ نِعْمَةً عن
كَرِيمِ قَوْمٍ إِلَّا جَعَلَكَ سَبِيلًا فِي رَدِّهَا عَلَيْهِ .

فَلَمَّا أَطْلَقَهَا رَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا عَدِيٌّ وَهُوَ بَدُوْمَةُ الْجَنَدْلِ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَخِي
إِيَّتِي هَذَا الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ تَعْلَمَكَ حَبَائِلُهُ ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذِيَا وَرَأَيَا سَيْغَلْبُ أَهْلَ
الْغَلْبَةِ ، وَرَأَيْتُ خِصَالًا تَعْجِبُنِي : رَأَيْتَهُ يُحِبُّ الْفَقِيرَ ، وَيُفَكِّ الْأَسِيرَ ، وَيَرْحَمُ
الصَّغِيرَ ، وَيَعْرِفُ قَدْرَ الْكَبِيرِ . وَمَا رَأَيْتُ أَجْوَدَ وَلَا أَكْرَمَ مِنْهُ ، فَإِنْ يَكُنْ نَبِيًّا
فَلِلسَّابِقِ فَضْلَهُ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلَكًا فَلَنْ تَزَالْ فِي عَزٍّ مَلَكَهُ . فَقَدِمَ عَدِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
فَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَتْ سَفَانَةً !

* ٧١ - زعيم العجم وعمر بن الخطاب

لما أتى بالهرم مزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قيل له :
 يا أمير المؤمنين ، هذا زعيم العجم ، وصاحب رسم^(١) ؛ فقال له عمر رضي
 الله عنه :

أعرِضْ عليك الإسلام نصْحَّاك في عاجلك وأجلك ؟ فقال : إنما أعتقد ما أنا
 عليه ، ولا أرْغبُ في الإسلام رهبة ؟ فدعا عمر بالسيف ، فلما هم بقتله ، قال :
 يا أمير المؤمنين ؟ شربة من ماء هي أفضل من قتلى على الظمة ؟ فأمر له بشربة
 من ماء ؛ فلما أخذَها المهرم زان قال : يا أمير المؤمنين ، أنا آمن حتى أشربها ؟ قال :
 نعم ؛ فرمى بها ، وقال : الوفاة يا أمير المؤمنين نور أبلغ ؛ قال : صدقت ! لك
 التوقف عنك ، والنظر فيك ، ارفعوا عنه السيف !

قال : يا أمير المؤمنين ، الآن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُه
 ورسوله ، وما جاء به حق من عنده ؛ فقال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخرَك ؟
 قال : كرهتُ أن يُظنَّ بي أنني إنما أسلمتُ خوفاً من السيف ؛ فقال عمر : ألا إن
 لأهل فارس عقولاً استحقوا بها ما كانوا فيه من الملائكة ، ثم أمر ببره وإكرامه !

* نهاية الارب ص ١٧٧ ج ٦

(١) رسم : كان من أعظم رجال فارس ، وقائد جيوش وقادة الفadasية التي انتصر فيها المسلمون
 أيام عمر بن الخطاب . وقتل رسم في هذه الموقعة .

٧٢ — أبو سفيان عند هرقل *

قال أبو سفيان^(١) بن حرب :

كُنَّا قوماً بِجَاراً ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَصَرَ تَنَاهِتَنِ هَكَّةَتْ أَمْوَالَنَا . فَلَمَّا كَانَتِ الْمَدْنَةُ ، هَدَنَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ ، بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَرَجْتُ فِي نَفْرٍ مِنْ قَرْيَشَ إِلَى الشَّامَ ، وَكَانَ وَجْهُ مَتَجَرَّنَا مِنْهُ غَزَّةً ، فَقَدِّمَنَا هَا حِينَ ظَهَرَ هِرَقْلُ عَلَى مَنْ كَانَ بِأَرْضِهِ مِنَ الْفَرْسِ ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهَا ، وَأَنْزَعُوهُمْ صَلَبِيهِ الْأَعْظَمَ ، وَكَانُوا قَدْ اسْتَلْبَوْهُ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكُّ مِنْهُمْ وَبَاهَهُ أَنْ صَلَبِيهِ قَدْ اسْتَنْقِذَهُمْ ، وَكَانَ حِصْ مِنْزَلَهُ ، خَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي عَلَى قَدَمِيهِ شَكْرَأَ لِلَّهِ حِينَ رُدَّ عَلَيْهِ مَارِدٌ ؛ لِيَصْلَى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، تُبَسِّطُ لَهُ الْبُسْطُ وَتُلْقِي عَلَيْهَا الرِّيَاحِينَ .

فَلَمَّا انْهَى إِلَى إِيلِيَّا فَقْضَى فِيهَا صَلَاتَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ بَطَارْقَتُهُ وَأَشْرَافُ الرُّومِ ، أَصْبَحَ ذَاتَ غُدُوَّةِ مَهْمُومًا يَقْلِبُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ . فَقَالَ لَهُ بَطَارْقَتُهُ : وَاللَّهِ لَكَأَنْكَ أَصْبَحْتَ الْغَدَةَ مَهْمُومًا .

فَقَالَ : أَجَل ! رَأَيْتُ الْبَارِحةَ أَنْ مَلْكَ الْخَتَانَ ظَاهِرٌ . فَقَالُوا : أَيْهَا الْمَلَكُ ، مَا نَعْلَمُ أَمَّةً تَخْتَنُ إِلَّا يَهُودٌ ؛ وَهُمْ فِي سُلْطَانِكَ وَتَحْتَ يَدِكَ ، فَابْعَثْ إِلَى كُلِّ مَنْ

* الأغانى من ٣٤٥ ج ٦

(١) هو صخر بن حرب ، من سادات قريش في الجاهلية ، كان من رؤساء المشركين يوم الأحزاب وبوم أحد ، وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ . وتوفي سنة ٣١ هـ .

لَكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فِي بَلَادِكَ فَمَرُّوهُ فَإِنْ يُضْرِبَ أَعْنَاقَ مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْهُمْ مِنْ يَهُودٍ
وَاسْتَرِحْ مِنْ هَذَا الْمَمَّ .

فَوَاللهِ إِنَّهُمْ لَفِي ذَلِكَ مِنْ رَأِيهِمْ يَدْبِرُونَهُ إِذَا تَاهَ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَى^(١) بِرْجُلٍ
مِنَ الْعَرَبِ يَقُودُهُ - وَكَانَ الْمَلْكُ تَهَادِي الْأَخْبَارَ بِنَمِيمٍ - فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلْكُ ، إِنَّ
هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الشَّاءِ وَالْإِبْلِ يَحْدُثُ عَنْ أَمْرٍ حَدَثَ فَاسْأَلْهُ .

فَلَمَّا انتَهَى بِهِ إِلَى هَرْقُلَ رَسُولَ صَاحِبِ بُصْرَى ، قَالَ هَرْقُلُ لِمَنْ جَاءَ بِهِ :
سَلْهُ عَنْ هَذَا الْمَدِيدِ الَّذِي كَانَ بِيَلْدِهِ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : خَرَجَ بَيْنَ أَظْهَرِ نَارِ رَجُلٍ
يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ نَاسٌ فَصَدَّقُوهُ وَخَالَفُوهُ آخَرُونَ ، وَقَدْ كَانَ بِنَمِيمِ مَلَاجِمٍ
فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَتَرَكُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبَرَ قَالَ : جَرَّدُوهُ فَإِذَا هُوَ مُخْتَوْنُ ، فَقَالَ : هَذَا وَاللهِ النَّبِيُّ الَّذِي
رَأَيْتُ ، لَامَّا تَقُولُونَ ، أَعْطُوهُ ثِيَابَهُ وَيَنْطَلِقْ . ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ شُرُطَتِهِ فَقَالَ لَهُ : اقْلِبْ
الشَّامَ ظَهِيرًا لِبَطْنَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ .

فَإِنَّا لَبِغَزَّةَ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا صَاحِبُ شُرُطَتِهِ فَقَالَ : أَنْتُمْ مِنْ قَوْمِ الْحِجَازِ؟ قَلَنا
نَعَمْ ! قَالَ : انْطَلِقُوا إِلَى الْمَلْكِ ، فَانْطَلَقُوا بِنَا . فَلَمَّا أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَالَ : أَنْتُمْ مِنْ رَهْطِهِذَا
الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ؟ قَلَنا : نَعَمْ . قَالَ : فَإِيْكُمْ أَمَسَّ بِهِ رَحْمًا ، قَالَ أَبُو سَفِيَانَ :
قَلْتَ : أَنَا - قَالَ : ادْنُ ؟ شَمْ أَقْدَنِي بَيْنَ يَدِيهِ وَأَقْدَ أَصْحَابِي خَلْفِي ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي
سَأْسَأُهُ ، فَإِنْ كَذَبَ فَرَدُوا عَلَيْهِ .

قَالَ : فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَوْ كَذَبْتُ مَا رَدَدْوَا عَلَيَّ ، وَلَكِنِي كَفَتُ أَمْرًا سِيدًا
أَتَبَرَّمْ عَنِ الْكَذْبِ ، وَعَرَفْتُ أَنْ أَيْسَرَ مَا فِي ذَلِكَ إِنْ أَنَا كَذَبْتُهُ أَنْ يَخْفَظُوهُ
عَلَى ، شَمْ يَحْدُثُوا بِهِ عَنِي ، فَلَمْ أَكْذِبْهُ .

(١) بِلَدُ مِنْ أَعْمَالِ دَمْشَقِ .

قال : أَخْبَرْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ يَدْعُى مَا يَدْعُى . فَجَعَلْتُ أَزَهَّدُ لَهُ شَانَهُ وَأَصْغَرُ لَهُ أُمُورَهُ ، وَأَقُولُ لَهُ : أَيْهَا الْمَلَكُ ، مَا يَهْمُكُ مِنْ شَانَهُ ! إِنَّ أُمُرَهُ دُونَ مَا بَلَغَكُ ، فَجَعَلْتُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ مِنِّي . ثُمَّ قَالَ : أَنْبَئْنِي فِيمَا أَسْأَلُكُ عَنْهُ مِنْ شَانَهُ . قَالَ : قَلْتُ : سَلْ عَمَّا بَدَأْتُكُ .

قال : كَيْفَ نَسَبْتُهُ فِيكُمْ ؟ قَلْتُ : مَحْضٌ ، هُوَ أَوْسَطُنَا^(١) نَسَبًا . قال : أَخْبَرْنِي هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ مَا يَقُولُ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ ؟ قَلْتُ : لَا . قَالَ : هَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلَكٌ فَسَلَبَتُمُوهُ إِيَاهُ ، فَجَاءَ بِهِذَا الْحَدِيثِ لَتَرْدَوْا عَلَيْهِ مُلَكَهُ ؟ قَلْتُ : لَا . قَالَ : أَخْبَرْنِي عَنْ أَتَبَاعِهِ مِنْكُمْ مَنْ هُمْ ؟ قَلْتُ : الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ مِنَ الْفِلَمَانِ وَالنِّسَاءِ ، فَأَمَا ذُوو الْأَسْنَانِ مِنَ الْأَشْرَافِ مِنْ قَوْمِهِ فَلَمْ يَتَبَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَخْبَرْنِي عَمَّنْ يَتَبَعُهُ أَيْحَبَهُ وَيَلْزَمُهُ ، أَمْ يَقْلِيهُ وَيُفَارِقهُ ؟ قَلْتُ : قَلَّمَا يَتَبَعُهُ أَحَدٌ فِي فَارِقَهِ . قَالَ : فَأَخْبَرْنِي كَيْفَ الْحَرْبُ يَدْنُكُمْ وَيَدْنُهُمْ ؟ قَلْتُ : سِجَالٌ يُدَالُ عَلَيْنَا وَنُدَالُ عَلَيْهِ .

قال : فَأَخْبَرْنِي هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَغْتَمِرُ فِيهِ غَيْرُهَا وَقَاتَ : لَا . وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ^(٢) وَلَا نَأْمَنُ غَدَرَهُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا التَّفَتَ إِلَيْهَا مِنِّي .

ثُمَّ كَرَرَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ فَقَالَ : سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ مَحْضٌ مِنْ أَوْسَطِكُمْ نَسَبًا ، فَكَذَلِكَ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّبِيُّ لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ نَسَبًا . وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ مَثَلَّ قَوْلِهِ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا . وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ لَهُ مُلَكٌ فِيكُمْ فَسَلَبَتُمُوهُ إِيَاهُ فَجَاءَ بِهِذَا الْحَدِيثِ يَطْلَبُ مُلَكَهُ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ لَا . وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتَبَاعِهِ ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْأَحْدَاثُ وَالْمَسَاكِينُ

(١) أَيْ خَيْرُنَا وَأَفْضَلُنَا نَسَبًا (٢) فِي مُدَّةٍ : يَعْنِي بِهَا مُدَّةً صَلْحَ الْحَدِيثِيَّةَ .

والنساء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان . وسائلك عمن يتبعه أحجمة ويلزمـه
أم يقلـيه ويقارقه ، فزعمـت أنه لا يتبعه أحد فيقارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان
لا تدخل قلبـ رجلـ فتخرج منه .

وسائلك عن الحرب بينكم وبينـه ، فزعمـت أنها سـجالـ تـدونـ عليهـ ويدـالـ
عليـكـ ، وكذلك حربـ الأنـبيـاءـ ، وـلـمـ تكونـ العـاقـبـةـ . وـسـائـلـكـ هـلـ يـغـدرـ ، فـزـعـمـتـ
أنـ لاـ . فـلـاـنـ كـنـتـ صـدـقـتـيـ عـنـهـ فـلـيـغـابـنـ عـلـىـ مـاـ تـحـتـ قـدـمـيـ هـاتـينـ ، وـلـوـدـدـتـ
أـنـ عـنـهـ فـأـغـسـلـ قـدـمـيـهـ ! اـنـطـلـقـ لـشـأـنـكـ .

فـقـمـتـ مـنـ عـنـهـ وـأـنـاـ أـضـرـبـ بـإـحـدـيـ يـدـيـ عـلـىـ الـأـخـرـيـ وـأـقـولـ : يـاـ عـبـادـ اللـهـ !
لـقـدـ أـمـرـ (١)ـ أـمـرـ اـبـنـ أـبـيـ كـبـشـةـ (٢)ـ ! أـصـبـحـتـ مـلـوكـ بـنـيـ الـأـصـفـرـ (٣)ـ يـهـاـبـونـهـ فـيـ
مـلـكـهـ وـسـلـطـانـهـ !

(١)ـ أـمـرـ : عـظـمـ (٢)ـ أـبـيـ كـبـشـةـ : رـجـلـ مـنـ خـزـاعـةـ خـالـفـ قـرـبـاـ فـيـ عـبـادـةـ الـأـوـثـانـ ، وـعـبدـ
الـشـعـرـىـ الـبـورـ ، فـسـمـىـ الـشـرـكـوـنـ الـنـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـبـنـ أـبـيـ كـبـشـةـ خـلـافـهـ إـيـامـ الـهـاـمـ الـلـهـ
عـالـىـ ، تـشـيـبـاـ لـهـ بـأـبـيـ كـبـشـةـ الـنـبـىـ خـالـفـهـ إـلـىـ عـبـادـةـ الـشـعـرـىـ (٣)ـ بـنـوـ الـأـصـفـرـ : لـقـبـ مـلـوكـ الـرـومـ .

إذا هبتْ رياحُ أبي عقيل
دعونا عند هبّتها الوليدا
أشمَّ الأنفِ أصيـدَ عـشمـيـاً^(١)
أعـانَ عـلـى مـرـوـةـتـهـ لـبـيدـا
بـأـمـثـالـ الـهـضـابـ^(٢) كـأـنـ رـكـبـاـ
عـلـيـهاـ مـنـ بـنـيـ حـامـ قـعـودـاـ
نـحـرـنـاـهـاـ وـأـطـعـمـنـاـ الـوـقـدـاـ
فـعـدـ،ـ إـنـ الـكـرـيمـ لـهـ مـعـادـ
وـظـنـيـ بـاـنـ أـرـوـيـ أـنـ يـعـودـاـ

قال لبيد: أَجَبْتِ وأَحَسْتِ؛ لَوْلَا أَنِّكِ سَأَلْتِ فِي شِعْرِكِ ، قَالَتْ : إِنَّهُ أَمِيرٌ
وَلَيْسَ بِسُوقَةٍ ، وَلَا بِأَنَّ بَسْوَالَهُ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ مَاسَأْلَنَا ! قَالَ : أَجْلٌ ، إِنَّهُ عَلَى
مَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتِ يَابْنِيَّةُ فِي هَذَا شِعْرَ !

(١) نسبة إلى عبد شمس (٢) الهضاب: جمع هضبة، وهي ما ارتفع من الأرض، والمعنى:
أعـانَ بـجـمـالـ ضـخـامـ أـمـثـالـ الـهـضـابـ لـضـخـامـتـهـاـ ،ـ وـقـدـ شـبـهـتـ أـسـنـمـهـاـ بـقـومـ سـوـدـ قـاعـدـينـ عـلـيـهـاـ ،ـ وـهـمـ
بـنـوـ حـامـ أـيـ السـوـدـانـ .

٧٦ — الحطية والزبرقان بن بدر *

قدِمَ الزُّبُرْقَانُ عَلَى عُمَرَ فِي سَنَةِ مُجَدِّبَةٍ، لِيؤْدِيَ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ؛ فَلَقِيَهُ الْحَطِيَّةُ
بَقْرَقَى^(١)، وَمَعَهُ ابْنَاهُ أَوْسُ وَسَوَادَةُ وَبَنَاهُ وَامْرَأَتُهُ؛ فَقَالَ لَهُ الْزُّبُرْقَانُ — وَقَدْ
عُرِفَ وَلَمْ يُعْرِفْهُ الْحَطِيَّةُ — أَينْ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْعِرَاقُ، فَقَدْ حَطَمْتَنَا هَذِهِ السَّنَةَ؛
قَالَ: وَتَصْنَعُ مَاذَا؟ قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ أَصَادِفَ بَهَا رَجُلًا يَكْفِيَ مَسْوَنَةَ عِيَالِيِّ،
وَأَصْفِيَهُ مَدْحِيَّا أَبْدَاً.

فَقَالَ لَهُ الْزُّبُرْقَانُ: قَدْ أَصْبَتَهُ؛ فَهَلْ لَكَ فِيهِ يُوسِعُكَ لَبَنًا وَتَمَرًا، وَيَجَاوِرُكَ
أَحْسَنَ جَوَارَ وَأَكْرَمَهُ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَطِيَّةُ: هَذَا وَأَيْكَ الْعِيشُ، وَمَا كُنْتُ أَرْجُو
هَذَا كَلَّهُ، قَالَ: فَقَدْ أَصْبَتَهُ، قَالَ: عِنْدَ مَنْ؟ قَالَ: عِنْدِي؛ قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟
قَالَ: الْزُّبُرْقَانُ بْنُ بَدْرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ مَحْلُكُكَ؟ قَالَ: ارْكَبْ هَذِهِ الإِبْلَ، وَاسْتَقْبِلْ
مَطْلِعَ الشَّمْسِ، وَسِلْ عَنِ الْقَمَرِ^(٢) حَتَّى تَأْتِيَ مَنْزِلِيِّ.
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَمِهِ، وَكَانَ اسْمُهَا أَمْ شَدْرَةٌ: أَنْ أَحْسِنَ إِلَيْهِ، وَأَكْثُرِي لَهُ مِنْ
الْمَرْ وَالْبَنِ. وَكَانَ الْحَطِيَّةُ دَمِيَّاً سَيِّئَ الْخَلْقُ، لَا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ، وَمَعَهُ عِيَالٌ
كَذَلِكَ؛ فَلَمَّا رَأَتْ أَمَّ شَدْرَةَ حَالَهُ هَانَ عَلَيْهَا، وَقَصَرَتْ^(٣) بِهِ.

* الأغاني ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب من ٢٢٧ ، ابن أبي الحديد من ١٠٣ ج ٣ ، الكامل من ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١

(١) قرقى: أرض باليامة فيها قرى وزروع كثيرة ونجيل (٢) الزبرقان: البدر، وسمى به الحصين بن بدر لحسنها، وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر، توف أبا معاوية سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً (٣) قصرت به: لم تكرمها ولم تبلغ ما يرضيه.

ونظر بَعِيش^(١) وبنو أَنْف الناقَة إِلَى مَا صنَعُ بِهِ أُمُّ شَدْرَةٍ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنَّ اتَّنَا؛ فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ: إِنَّمَا شَانِ النَّاسَ التَّقْصِيرُ وَالْفَغْلَةُ؛ وَلَسْتُ^(٢) بِالَّذِي أَحْلَى عَلَى صَاحِبِهَا ذَنْبَهَا؛ فَلَمَّا أَلْحَى عَلَيْهِ بَنُو أَنْف الناقَة قَالَ لَهُمْ: لَسْتُ بِحَامِلٍ عَلَى الرَّجُلِ ذَنْبَ غَيْرِهِ، فَإِنِّي تُرِكْتُ وَجْهِيَتُ تَحْوَاتُ^(٣) إِلَيْكُمْ، فَاطْمَعُوهُ وَوَعْدُوهُ وَعْدًا عَظِيمًا.

فَلَمَّا لَمْ يَجِدُهُمْ دَسْوًا إِلَى هُنْيِدَة زوجة الزبرقان: أَنَّ الزَّبْرَقَانَ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَةً مَلِيْكَةً – وَكَانَتْ جَمِيلَةً كَامِلَةً – فَظَاهَرَتْ مِنَ الْمَرْأَةِ الْحَطِيَّةِ جَهْوَةً، وَهِيَ فِي ذَلِكَ تَدَارِيهِ؛ ثُمَّ أَرَادُوا النُّجُّومَةَ^(٤)، فَقَالَتْ لَهُمْ أُمُّ شَدْرَةَ: قَدْ حَضَرَتِ النُّجُّومَةُ، فَأَرَكَبَ أَنْتَ وَأَهْلُكَ هَذَا الظَّهَرَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ ارْدُدُهُ إِلَيْنَا حَتَّى نَأْلَحَقَنَّكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْعَنَا جَمِيعًا، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا: بَلْ تَقْدِمُ أَنْتَ، فَأَنْتِ أَحْقَى بِذَلِكَ، فَفَعَلَتْ. وَتَشَاقَّتْ عَنْ رَدِّهِ إِلَيْهِ، وَتَرَكَتْهُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ، وَأَلْحَى بَنُو أَنْف الناقَةِ عَلَيْهِ، وَقَالَوْهُ: قَدْ تُرِكْتِ عَصِيَّةً، فَلَمَّا أَلْحَوا عَلَيْهِ أَجَابُوهُمْ؛ فَقَالَ: أَمَا الْآنَ فَنَعَمْ! أَنَا صَائِرٌ مَعَكُمْ، وَتَحْتَمُلُ مَعَهُمْ. فَضَرَبُوا لَهُ قَبَّةً، وَرَبَطُوا بِكُلِّ طَنْبٍ مِنْ أَطْنَابِهَا جُلَّةً^(٥) هَجَرِيَّةً، وَأَرَاحُوا^(٦) عَلَيْهِ إِبْلِهِمْ، وَأَكْثَرُوا لَهُ مِنَ التَّمَرِ وَاللَّبَنِ، وَأَعْطَوْهُ لِقَاحًا وَكُسُوةً.

فَلَمَّا قَدِمَ الزَّبْرَقَانَ سَأَلَ عَنْهُ: فَأَخْبَرَ بِقَصَّتِهِ؛ فَرَكَبَ فَرْسَهُ، وَأَخْذَ رُحْمَهُ،

(١) كَانَ بَعِيشُ وَبَنُو أَنْف الناقَة يَنْازِعُونَ الزَّبْرَقَانَ الْشَّرْفَ، وَكَانُوا أَشْرَفُ مِنَ الزَّبْرَقَانَ: إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ اسْتَعْلَاهُمْ بِنَفْسِهِ (٢) النُّجُّومَةُ: طَلْبُ السَّكَلَةِ فِي مَوْضِعِهِ (٣) الْجَلَّةُ: وَعَاءٌ يَتَحَذَّدُ مِنْهُ الْحَوْسُ بِوَضْعِهِ التَّمَرُ يَكْتُنُ فِيهِ (٤) إِرَاحَةُ الْإِبَلِ: رَدَهَا فِي الْعَشِيِّ (٥) الْفَاجَةُ: جَمْلَةٌ لَفْوحٌ وَهِيَ الناقَةُ الْحَلَوبُ.

وسار حتى وقف على نادي القرىعين ، فقال : رُدوا على جاري ! فقالوا : ما هو لك بجاري ، وقد اطّرت حته وضيّعته ، فالم^(١) أن يكون بين الحيين حرب ؟ فحضرهم أهل الحجا من قومهم ؛ ولاموا بغضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره ، فقال : لست مخْرِجَه وقد آويته ، وهو رجل حرّ مالك لأمّره ، فخيره وه ؛ فإن اختارني لم أخرجه ، وإن اختاره لم أكرهه .

فخيروا الحطيئة فاختار بغضاً ورهطه ، فجاء الزبرقان ووقف عليه ، وقال له : أبا ملِكَة ، أفارقتك جواري عن سخطِ وذم ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . وجعل الحطيئة يدح القرىعين من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويُخْرِضونه فيأبى ويقول : لاذنب للرجل عندى ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمير بن قاسط فهجا بغضاً ؛ فقال :

أرى إيلى بحوف الماء حللت وأغورها به الماء الرواء^(٢)
وقد ورَدت مياه بني قریع
تحلا^(٣) يوم ورد الناس إيلى
فالمرء^(٤) محنقة ظماء
فأسلمتني وقد نزل البلاء^(٥)
فقلت : تحولي يا أم بكر
وجدنا بيت بهذلة بن عوف
تعالي سمه^(٦) كه ودحا الفناء^(٧)
قديم في الفعال^(٨) ولا رباء^(٩)
سوى أن الحطيئة قال قوله جراء
فهذا من مقالته جراء

(١) ألم : قرب (٢) الرواء : السكير المروي (٣) تحلا : قنم (٤) محنقة : ضارة (٥) دحاء : عظم واسع (٦) الفعال : اسم لافعل الحسن من الجود والكرم ونحوه (٧) الرباء : الطول والمنة والفضل .

فحينئذ قال الحطينة يهجو الزبر قان ، ويناضل عن بعفيض قصيده التي
يقول فيها :

والله ما معاشر لاموا امرءا جنباً^(١) فآل لأبي بن شماس يا كياس^(٢)
ما كان ذنب بعفيض ، لا أبالكم ، في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مررتكم^(٣) لو أن درتكم^(٤) يوماً يجيء بها مسحي وإيساري^(٥)
وقد مدحتكم عمداً لارشدكم^(٦) كيما يكون لكم متبعي^(٧) وإيماري^(٨)
لما بداي منكم عيب أنفسكم^(٩) ولم يكن اجراحي فيكم آسي
ازمعت يأساً مبيناً من نوابكم^(١٠) وإن توى طارداً للحر كالياس^(١١)
ما كان ذنب بعفيض ان رأى رجلاً^(١٢) ذا فاقة حل في مستواع شامي^(١٣)
جاراً لقوم أطلوا هون منزله^(١٤) وغادروه مقيناً بين أرماس^(١٥)
ملوا فراغ وهرته^(١٦) كلابهم^(١٧) وجراحوه بانياب وأضراس^(١٨)
دع المكارم لا ترحل^(١٩) لبغيتها^(٢٠) واقعد فإنك أنت الطاعم^(٢١) السكسي^(٢٢)
من يفعل الخير لا يعدم جوازية^(٢٣) لا يذهب العرف بين الله والناس^(٢٤)

(١) الجنب : الفريب (٢) جمع كيس : القيقب الفطن والمراد بالمعشر الزبر قاز وورهطم (٣) مرى
الناقة يمرها : مسح ضرعها ، والمراد مدارتهم ومدحهم ليدوا عليهم بالعظام (٤) الدرة الابن
(٥) الأساس : أن تدعوا الناقة باسمها وتلافتها لندر (٦) المنع : أن يقف الرجل فوق البئر
ليجذب الدلو (٧) الإيماس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن ازلق منها (٨) المستواع :
المكان الوعر ، والثاسي : المكان الغليظ المرتفع (٩) الرمس : الفبر وجمعه أرماس ، والهون :
المذلة : أى تركوه كالملت (١٠) هرته السكلاب : بفتحه . وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطرباً
يسمهم (١١) الطعام : المطعم . والسكامي : المكسو .

ما كان ذنبي أن فلت معاوَلَكُم من آل لائي صفة^(١) أصلها راسى
قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم مجدًا تليداً ونبلاً غير أنكاس^(٢)
فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمر إلى واستند له فأنسده ،
فقال عمر: ما أمنع هجاء ولكنها معايبة ، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن
آكل وألبس ، فقال عمر: على بحسان ، فبجيء به ، فسألها: فقال: أتراه هجاء؟
قال: نعم وسلح عليه ! فحبسه عمر ، فقال في الحبس :

أَعُودُ بِحَدْكِ إِنِّي امْرُؤ سَقْتُنِي الْأَعْدَادِي إِلَيْكَ السُّجَالَا^(٣)
إِنِّي خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَالًا وَأَرْجَى نَوَالًا
تَخْنَنُ عَلَى هَدَاكَ الْمَلِيكُ فَإِنْ لَكَلْ مَقَامٌ مَقَالَا
وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاءِ فَإِنْ لَكَلْ زَمَانٌ رَجَالَا
فَسِيقَتْ إِلَيْكَ نَسَانِي رَجَالَا^(٤) فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا
حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِينَ الْوَجَاجَ^(٥) يُخْفَضُنَ آلاً^(٦) وَيُرْفَعُنَ آلاً
فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَمَرُ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَذِي^(٧) مَرْخِ زُغْبِ الْحَوَالِصِ لَامَاهِ وَلَا شَجَرُ
الْقِيمَتِ كَاسِبِهِمْ فِي قَعْدَ مُظْلِمَةِ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ يَاعْمَرُ

(١) الصفة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت (٢) أنكاس : جمع نكس ، وهو أضعف الشهان ،
ويعني البيت : أن العرب كانوا إذا أسرروا أسيراً خربوه بين التخلية ، وجز الناصية والأسر ، فأن
اختار جز الناصية جزوها له ، وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر في كنائتهم ، فإذا انخرموا
آخر جوه وأرجموا ، فما خرهم (٣) السجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة ملؤه (٤) جم
رجلة ، أى راجلة (٥) الوجاج : المفا وقيل شدته (٦) الآل : عمد الحثمة (٧) ذو مرخ :
واد بالنجاز .

أنتَ الإمامُ الذي من بعْدِ صاحِبِهِ أَلْقَتْ إِلَيْكَ مُقاَلِيدَ النَّهْيِ البَشَرِ
 لَمْ يُؤْثِرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمْتُكَ لَهَا لَكِنْ لِأَنفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأُثْرُ^(١)
 فَامْتَنَ عَلَى صِبَّيَةٍ بِالرَّمْلِ مُسْكِنَهُمْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ تَغْشَاهُمْ بِهَا الْقِرَرُ^(٢)
 أَهْلِي فِدَاؤُكَ كَمْ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرْضٍ دَاوِيَةٌ^(٣) تَعْوَى بِهَا الْغُبْرُ
 فَبَكَى عَمْرُ حِينَ قَالَ : «مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَذِي مَرْخٍ» ؟ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ :
 مَا أَظْلَلَتِ الْخَضْرَاءِ ، وَلَا أَفَّاتِ الْغَبْرَاءَ أَعْدَلَ مِنْ رَجُلٍ يَبْكِي عَلَى تَرْكِهِ الْحَطِيَّةَ ؟ فَقَالَ
 عَمْرٌ : عَلَىٰ بِالْكَرْسِيِّ ، فَأَتَىٰ بِهِ ، فَجَاسَ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَىٰ فِي الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ
 يَقُولُ الْهُجْرَ ، وَيَنْسِبُ بِالْحُرْمَ ، وَيَمْدُحُ النَّاسَ وَيَذْمُمُ بَغْيَرِ مَا فِيهِمْ . مَا أَرَانِي إِلَّا
 قَاطَعاً لِسَانَهُ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَىٰ بِالْطَّسْتَ ، فَأَتَىٰ بِهَا ثُمَّ قَالَ : عَلَىٰ بِالْمِخْصَفِ^(٤) ، عَلَىٰ
 بِالسَّكِينِ ، لَا بَلَى عَلَىٰ بِالْمُوسَى فَهُوَ أُوحِي^(٥) ! فَفَضَّجَ الْحَطِيَّةَ وَقَالَ : إِنِّي وَاللهِ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ هَجَوْتُ أُبِي وَأُمِّي وَأَمْرَأَتِي وَنَفْسِي ؟ فَتَبَسَّمَ عَمْرٌ ، ثُمَّ قَالَ : مَا الَّذِي
 قَلْتَ ؟ قَالَ : قَلْتَ لِأُبِي وَأُمِّي :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكِ فِي النَّاسِ فُسُوْنِي وَأَبَا بَنِيِّكِ فَسَاءَ فِي الْجَاسِ
 وَقَلْتَ لِأُبِي خَاصَّةَ :

فَبَئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَىٰ تَمِيمٍ وَبَئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَىٰ الْمَعَالِيِّ
 وَقَلْتَ لِأُمِّي خَاصَّةَ :

تَنْحَىٰ وَاجْلَسَ مِنِّي بَعِيدًا أَرَاحَ اللَّهُ مِنْكِ الْعَالَمَيْنَا !

(١) الْأُثْرُ : وَاحِدُهَا أُثْرَةٌ ، وَعِنْهَا الْإِسْتِئْرَارُ وَالْكَرْمَةُ (٢) الْقِرَرُ : جَمْ قَرَةٌ ، وَهِيَ الْبَرْدُ

(٣) الدَّاوِيَةُ : الْفَلَةُ الْوَاسِعَةُ (٤) الْمِخْصَفُ : مُخْرُزُ الْأَسْكَافِ (٥) أُوحِي : أَسْرَعُ .

أَغْرِبَالاً^(١) إِذَا اسْتُوِدِعْتِ سَرَّاً وَكَانُونَا^(٢) عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا؟
حَيَانُكِ مَاعْلَمْتُ حَيَاةً سَوْءَ وَمَوْتُكِ قَدْ يَسْرُ الصَّالِحِينَا
وَقَلْتُ لَامْرَأِي:

أَطْوَفْ مَا أَطْوَفْ ثُمَّ آتَى إِلَى بَيْتِ فَعِيدَتِهِ الْكَاعَ
وَقَلْتُ لِنَفْسِي:

أَبْتُ شَفَتَاهُ الْيَوْمَ إِلَاتِكَامَا بَسْوَءَ ، فَمَا أَدْرِي لَمْنَ أَنَا قَائِلُهُ
أَرْيَ لِيَ وَجْهًا شَوَهَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقُبْحَ منْ وَجْهٍ وَقَبْحَ حَامِلِهُ
فَقَالُوا: لَا يَعُودُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارُوا إِلَيْهِ أَنْ قُلْ لَا أَعُودَ ، فَقَالَ: لَا أَعُودَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ: النَّجَاءُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرَ: يَا حُطَيْئَةَ كَأَنِّي بِكَ عَنْدَ فَتَّى مِنْ
قُرْيَاشَ ، قَدْ بَسَطَ لَكَ ثُمُرُقَةً^(٣) ، وَكَسَرَ لَكَ أُخْرَى وَقَالَ: غَنَّنَا يَا حُطَيْئَةَ ، فَطَفِقَتَ
تُغَنِّيَهُ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ^(٤) !

قَالَ ابْنُ أَسْلَمَ: فَإِنْقَضْتِ الدِّنِيَا حَتَّى رَأَيْتِ الْحُطَيْئَةَ عِنْدَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
قَدْ بَسَطَ لَهُ ثُمُرُقَةً ، وَكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وَقَالَ: غَنَّنَا يَا حُطَيْئَةَ ؛ فَجَعَلَ يَغْنِيَهُ ، فَقَلَّتْ لَهُ
يَا حُطَيْئَةَ أَنْذَكَرُ قَوْلَ عُمَرَ؟ فَفَزَعَ وَقَالَ: يَرْحُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَرءُ أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ حِيًّا
مَا فَعَلَتْ!

(١) الغربال : النَّامَ (٢) السَّاكُونُ : التَّقْلِيلُ الْوَخْمُ مِنَ النَّاسِ ، وَقِيلَ السَّاكُونُ : الَّذِي
يَجْلِسُ حَتَّى يَنْحُصُّ الْأَخْبَارُ وَالْأَحَادِيثُ (٣) الثُّرْقَةُ : الْوَسَانَةُ (٤) يَرْوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لَا أَحْلَقَ الْحُطَيْئَةَ أَرَادَ أَنْ يُؤْكِدَ عَلَيْهِ الْحِجَةَ فَاشْتَرَى مِنْهُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا بِثَلَاثَةَ آلَافِ دَرَهمٍ ،
فَقَالَ الْحُطَيْئَةُ فِي ذَلِكَ :

وَأَنْخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَعْدْ شَتَّا بَضْرَ وَلَا مَدِيجًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتْنِي عَرْضُ الْأَثْيَمِ فَلَمْ يَخْفَ ذَنْبِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَفْزَعُ

* قدوم الخطيبة على عتيبة بن النهاس *

بینا سعید بن العاص يعشی الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولاً أولاً ؛
 إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ؛
 فذهب الشرط يقيمه ؛ فأبى أن يقول ؛ وحانَت من سعيد التفاته ، فقال :
 دعوا الرجل ، فتركوه ، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليئا ؛ فقال لهم
 الخطيبة^(١) : والله ما أصبتُ جيدَ الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعید : أتعرف
 من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرَ العرب ؟ قال الذي يقول :
 لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنْ رُزِّقَهُ الْإِعْدَامُ
 وأنشدَ القصيدة حتى أتى عليها .
 فقال له : مَنْ يقوها ؟ قال : أبو دُوادِ الإيادي ؛ قال : ثم مَنْ ؟
 قال الذي يقول :

أَفْلَحَ^(٢) بِمَا شَنَّتَ قَدْ يُدْرِكُ بِالْجَهَلِ وَقَدْ يُخْدَعَ^(٣) الْأَرِيبُ
 ثُمَّ أَنْشَدَهَا حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا ؛ قال : وَمَنْ يقوها ؟ قال عَبَيدُ بْنُ الْأَبْرَصَ ؛ قال :
 ثُمَّ مَنْ ؟ قال : لَحْبُكَ بِعِنْدِ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ إِذَا رَفَعْتُ إِحْدَى رِجْلَيْ^(٤) عَلَى
 الْأُخْرَى ، ثُمَّ عَدَّيْتَ فِي إِثْرِ القَوَافِي عُدَاءَ الْفَصِيلِ الصَّادِي ؛ قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟

* الأغانى ص ١٦٧ ج ٢

(١) الخطيبة : هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك العبسي ، أحد كبار الهجائن والمداحين
 الحبيدين عاش مدة في الجاهلية وجاء الاسلام فأسلم ، ومات سنة ٥٥٩ هـ (٢) أفلح من الفلاح وهو
 البقاء ، أى عاش بما شئت من عقل وحق ، فقد يرزق الحق ، ويحرم العاقل (٣) رجل
 يخدع : خدع مراراً .

قال : الحطينة ؛ فرَّحَ بِه سعيد ، ثم قال : أَسْأَتَ بِكِتْمَانِنَا نَفْسَكَ مِنْذِ الْلَّيْلَةِ ،
ووصلَهُ وَكَاهَ .

ومضى لوجهه إلى عتبة بن التهاس العجلى ؛ فسألَهُ ؛ فقال له : ما أنا على عمل
فأعطيكَ منه ، ولا في مالِي فضلٌ عن قومِي ؛ قال له : فلا عليكَ ! وانصرفَ .
قال له بعضُ قومه : لقد عرَّضْنَا نَفْسَكَ لِلشَّرِ ! قال : وكيف ؟ قالوا : هذا
الحطينة ، وهو هاجينا أَخْبَثَ هجاءً ؛ فقال : رَدْوَهُ ، فردوه إِلَيْهِ ؛ فقال له :
لَمْ كَتَمْنَا نَفْسَكَ ؟ كَأْنَكَ كُنْتَ تَطَابِعُ الْعِلَّا عَلَيْنَا ! اجْلِسْ فَلَكَ عِنْدَنَا مَا يُسْرِكُ ؛
فجلسَ ؛ فقال له : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ قال الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفْزُهُ^(١) وَمَنْ لَا يَتَقَبَّلُ الشَّمْ يُشْتَمِ
قال له عتبة : إن هذا من مقدمات أفاعيك ، ثم قال لوكيه : اذهب معه
إلى السوق فلا يطاب شيئاً إلا اشتريته له ، فجعل يعرض عليه أَلْخَزَ ورققَ الثياب
فلا يردها ، ويُؤْمِنُ إلى السكريais^(٢) والأَكْسِيَةَ الغلاظَ ، فيشتريها له ، حتى
قضى أَرْبَه^(٣) ، ثم مضى .

فلما جلس عتبة في نادى قومه أَقْبَلَ الحطينة ، فلما رأَه عتبة قال : هذا مقامُ
الْعَائِدِ بِكَ يَا أَبَا مُلِيكَةَ مِنْ خِيرِكَ وَشَرِكَ ؛ قال : قدْ كُنْتُ قَاتِلُ بَيْتَيْنِ فَاسْتَعْمَبْتُهُمَا ،
ثُمَّ أَنْشَأْتُهُمَا :

سُئِلَتْ فَلَمْ تَبْخُلْ وَلَمْ تُعْطِ طَائِلًا فَسِيَانٌ لَا ذَمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدٌ

(١) يفڑه : يتمه ولا ينقصه (٢) السكريais : ثياب القطن (٣) الأرب : الحاجة.

وأنت امرؤ لا الجود منك سجية فتعطى، وقد يُعْدِي على النائل الْوَجْد^(١)
ثم رَكْضَ فرسه؛ فذهب!

* ٧٨ — فقير عند سعيد بن العاص

قدِم سعيد^(٢) بن العاص الكوفة عاملًا عليها؛ فـكانت له موائد يغشّها
الأشراف والقراء؛ فـكان فيمن يغشّ موائدَه رجلٌ من القراء فقير؛ فقالت له
امرأته يوماً: ويحك! إنه يبلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود؛ فـاذكر له بعض
ما نحن فيه!

فـتعشى عنده ذات ليلة، فـلما انصرف الناس ثبت الرجل؛ فقال له سعيد: إني
قد أرى جلوسك، وما جلست إلا ولّك حاجة، فـاذكرها - رحمة الله! فـتعتقد
الرجل وتلعم؛ فقال سعيد لـعلمـانه: تـنحو^٠، ثم قال له: قـل - رـحـمـكـ اللهـ - لـمـ يـبـقـ
إلا أنا وأنت، فـاذـكـرـ حاجـتـكـ! فـتعـقـدـ أـيـضاـ وـتـعـصـيـ؛ فـفـنـخـ سـعـيدـ المصـبـاحـ
فـأـطـفـأـهـ، ثم قال له: رـحـمـكـ اللهـ - إـنـكـ لـسـتـ تـرـىـ وـجـهـيـ، فـاذـكـرـ حاجـتـكـ! قالـ:
أـصـلـحـ اللهـ الـأـمـيرـ، أـصـابـنـاـ حاجـةـ فـأـحـبـتـ ذـكـرـهـاـ لـكـ. قالـ لهـ: إـذـاـ أـصـبـحـتـ
فـأـلـقـ فـلـانـاـ وـكـيلـ!

(١) يعنى: يعيـنـ ، والنـائـلـ: ما نـلـهـ من مـعـرـفـ إـنـسـانـ ، الـوـجـدـ: الـيـسارـ وـالـسـعـةـ.

* عـينـ الـأـدـبـ وـالـسـيـاسـةـ مـنـ ١٩٠

(٢) سعيد بن العاص: أحد أجواد العرب وكرمائهم، كان يأتيه الرجل يسأله فلا يكون
عندـهـ ، فيـقولـ: ماـعـنـدـيـ وـلـكـنـ أـكـتـبـ عـلـيـ بهـ ، فـيـكـتـبـ عـلـيـهـ كـتـابـاـ يـدـفعـ لهـ بـعـدـ ذـلـكـ ، تـوـفـيـ
سـنةـ ٥٩ـ هـ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ لِقِيَ الْوَكِيلَ ، قَالَ لَهُ : إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ أَمْرَنِي بِشَيْءٍ ؟ فَهَلْ جَئْتَ
بِمَا يَحْمِلُ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَنْ يَحْمِلُ ! وَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ ، وَجَعَلَ يَعْذِّلُهَا
وَيَلْوَمُهَا ؛ وَقَالَ لَهَا : إِنَّ وَكِيلَهُ قَالَ : جَئْتَ بِمَا يَحْمِلُ ؟ وَمَا هِيَ إِلَّا قَوْصَرَةُ
مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ قَيْزَرٍ مِنْ بَرٍ ، وَلَوْ كَانَتْ دِرَاهَمًا أَوْ دَنَارِيَّاتٍ أَعْطَانَاهَا بِيَدِهِ ! قَالَتْ :
وَيَحْكُمُ ! مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ فَقَوْتَنَا بِهِ . فَسَكَثَ أَيَامًا ، ثُمَّ لَقِيَهُ الْوَكِيلُ ، قَالَ لَهُ :
وَيَحْكُمُ ! أَيْنَ تَكُونُ ؟ أَخْبَرْتُ الْأَمِيرَ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ مَنْ يَحْمِلُ ؟ فَأَمْرَنِي أَنْ أُوجِّهَ
مَعَكَ مَنْ يَحْمِلُ .

فَوَجَّهَ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ مِنَ السُّودَانِ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ بَدْرَةً عَلَى عَرْقَهِ ، حَتَّى
أُورَدَهَا مِنْزَلَهُ .

فَأَطْلَقَ وِكَاءً ^(١) بَدْرَةً مِنْهَا ، وَوَهَبَ لَهُمْ مِنْهَا دَرِيَّهَاتٍ ، وَقَالَ : انْصِرُوهُ !
قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ مَا حَمَلَ لَهُمْ مَلُوكٌ قَطُّ هَدِيَّةً ؟ فَرَجَعَ فِي مَلَكَهُ !

(١) الِوَكَاءُ : الرِّبَاطُ .

* ٧٦ — قصر سعيد بن العاص *

لَا حضرتْ سعيدَ بن العاص الوفاةُ وهو في قَصْرِه قال له ابنهُ عمرو :
لَو نزلتَ إلى المدينة ! فقال : يابني ، إن قومي لَن يَضْبُطُوا عَلَيَّ بَأْن يَحْمِلُونِي عَلَى
رِقَابِهِمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ! وَإِذَا أَنْأَيْتُمْ فَآذَنْتُهُمْ^(١) ، فَإِذَا وَارِيَتَنِي فَانطَقْتُ إِلَى
مَعَاوِيَةَ فَانْعَنَّتِي لَهُ ، وَانظَرْتُ فِي دَيْنِي ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سِعِيرٌ ضَرِبَ عَلَيْكَ قَضَاءَهُ فَلَا تَفْعَلْ ،
وَاعْرِضْ عَلَيْهِ قَسْرِي هَذَا ؛ فَإِنِّي إِنَّمَا أَخْذُتُهُ تُرْزُهَةً وَلَيْسَ بِمَالٍ .

فَلَمَّا ماتَ آذَنَ النَّاسَ بِهِ ؛ فَجَاهُوهُ مِنْ قَصْرِهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَرَوَاحَلُ
عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ مُنَاحَةً ، فَعَزَّاهُ النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ وَوَدَّعُوهُ ؛ وَكَانَ هُوَ أَوْلَمَنْ نَعَاهَ إِلَى
مَعَاوِيَةَ ، فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَمَّلَ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَكَ دِينًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! ثَلَاثَةُ أَلْفَ ،
قَالَ : هَى عَلَيَّ ؟ قَالَ : قَدْ ظَنَّ ذَلِكَ ، وَأَمْرَنِي أَلَا أَقْبَلَهُ مِنْكَ وَأَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ
بَعْضَ مَا لَهُ فَتَبَتَّأَهُ فَيَكُونَ قَضَاءَ دِينِهِ مِنْهُ . قَالَ : فَاعْرِضْ عَلَيَّ ، قَالَ : قَصْرَهُ ،
قَالَ : قَدْ أَخْذُتُهُ بِدِينِهِ ، قَالَ : هُوَ لَكَ عَلَى أَنْ تَحْمِلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجْعَلَهَا
بِالْوَافِيَةِ^(٢) ، قَالَ : نَعَمْ ؛ فَجَاهَاهَا لَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَفَرَقَهَا فِي غَرْمَائِهِ ، وَكَانَ
أَكْثَرُهَا عِدَاتٍ^(٣) .

فَأَتَاهُ شَابٌ مِنْ قَرِيشَ بِصَكٍ فِيهِ عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ بِشَهَادَةِ سَعِيدٍ عَلَى

* الأغانى ص ٣٢ ج ١

(١) آذَنَهُمْ : أَعْلَمُهُمْ (٢) الدِّرْهَمُ الْوَافِي : دِرْهَمٌ وَأَرْبَعَةُ دُوَافِقٍ ، وَالدَّاْتَقُ سَدْسُ الدِّرْهَمِ

(٣) عِدَاتٍ : عَطَايَا وَعَدَبَا .

نفسه ، وشهادة مولى له عليه ؛ فارسل إلى المولى فأقرأه الصك ؛ فلما قرأه بكى ،
وقال : نعم هذا خطأ ! وهذه شهادتي عليه ! فقال له عمرو : من أين يكون لهذا
الفتى عليه عشرون ألف درهم ، وإنما هو صعلوك من صالحيك قريش ؟ قال : أخبرك
عنه : مَرْ سعيد بعد عَزْله ؛ فاعتراض له هذا الفتى ، ومشى معه ، حتى صار إلى
منزله ، فوقف له سعيد ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أنني رأيتك تمشي
وحذرك ؛ فأحببت أن أصل جناحك ؛ فقال له : اثنى بصحيفة ما ، فأتته
بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين ، وقال : إنك لن تصادر عندنا شيئاً
فيخذ هذا فإذا أثانا شئ ، فاتنا !

قال عمرو : لا جرم والله ! لا يأخذها إلا بالوا فيه ، أعطه إياها ، فدفع إليه
عشرين ألف درهم !

* — معاوية وسعید بن العاص — ٨٠

مرض سعید بن العاص وهو بالشام ؛ فعادَ معاوية ، ومعه شرحبيل بن السُّمْطِ ، ومُسْلِمٌ بن عقبة المري ، ويزيد بن شجرة الزهرى ؛ فلما نظر سعید معاوية ، وثبتَ عن صدر مجلسه ؛ إعظاماً له . فقال له معاوية : أقسمتُ عليك أبا عثمانَ ألا تتحرك ؛ فقد ضعفتَ بالعلمة ؟ فسقطَ ؛ فتبارَ معاوية نحوه ، حتى حنا عليه ، وأخذ بيده ، فأعدده على فراشه ، وقعدَ معه ، وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه ، ويصفُ له ما ينبغي أن يتوقأه ، وأطال القعود معه .

فلما خرج التفتَ إلى شرحبيل بن السُّمْطِ ، ويزيد بن شجرة ، فقال : هل رأيْتُ خللاً في مالِ أبي عثمان ؟ فقالا : مارأينا شيئاً نُنْسِكِرُه ؟ ! فقال مسلم بن عقبة : ما نقول ؟ قال : رأيتُ ! قال : وما ذاك ؟ قال : رأيتُ على حشمِه ومواليه ثياباً وسخة ، ورأيتُ صحنَ داره غير مكتнос ، ورأيت التجار يخاصمونَ قهرمانَ^(١) ! قال : صدقتَ ! كلُ ذلك قد رأيته .

فوجَهَ إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف ؛ فسبقَ رسوله يبشره بها ، وينبئه بما كان ؛ فغضِبَ سعید ، وقال للرسول : إنَّ صاحبك ظنَّ أنه أحسن فاساء ، وتأولَ فأخذَ ؛ فاما وسخُ ثيابِ الحشم^(٢) ، فلن كثرةِ حركتهم اتسخت ثيابهم ، وأما كنسُ

^(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ص ١٥٠ ج ١

^(٢) الْقَهْرَمَانُ : هو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل

^(٣) الحشم : خدم الرجل .

الدار، فليست أخلاقُنا أخلاقَ مَنْ جعل دارَه مِرآته ، وزينَتْه بِلبستَه^(١) ، ومعروفةٌ عَطْرَه ، ثم لا يبالي بمن مات هزلاً من ذي لِحْمَة^(٢) أو حُرْمَة ، وأما منازعَةُ التجار قَهْرَمَانِي ، فلن كَثْرَةِ حِوائِجه وبيعِه وشرائِه لم يجُدْ بُدَّا من أن يكون ظالماً أو مَظْلوماً . وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فقد قبلناه ، وأمْرَنَا لصاحبك منه بئانَةً ألف ! ولشُرُحْبَيلَ بِمَثَلِها ، ولإِيزِيدَ بِمَثَلِها ! وفي سَعْةِ اللَّهِ وبسْطِ يَدِ أمير المؤمنين ما عليه مُعَوَّلُنا !

فرَكب مسلم بن عقبة إلى معاوية فأعماه بذلك ، فقال : صدق ابن عمِي فيما قال ، وأخطأتَ فيما اتهيتَ إليه ، فاجعل نصيبكَ من المال روح بن زنباع عقوبةً لك ؟ فإنه من جنى جنایة عوقب بِمَثَلِها ، كما أنه مَنْ فعل خيراً كوفيًّا عليه !

(١) الْبَسْةُ : حالة من حالات الابس . (٢) الْحَمَةُ : الفراقة .

٨١ — كرم معاوية*

قال معاوية يوماً لعَقِيل^(١) بن أبي طالب : هل من حاجةٍ فأقضِها لك؟
 قال : نعم : جاريَةٌ عُرِضَتْ عَلَى وَأَبِي أَصْحَابِهَا أَن يبِيعُوهَا إِلَّا بِأَرْبَعينَ أَلْفًا ! فَأَحَبَّ
 معاويةُ أَن يَمْازِحَهُ فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِجَارِيَةٍ قِيمَتُهَا أَرْبَعونَ أَلْفًا . وَأَنْتَ أَعْمَى
 تَجْزِيْ بِجَارِيَةٍ قِيمَتُهَا خَمْسُونَ دَرْهَمًا ؟

قال : أَرْجُو أَن تَلِدَ لِي غَلَامًا إِذَا أَغْضَبَتْهُ يَضْرِبُ عَنْكَ بِالسِيفِ ! فَضَحِكَ
 معاويةُ ، وَقَالَ : مَا زَحْنَاكَ يَا أَبَا يَزِيدَ ! وَأَمْرَ فَاتَّبَعَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ ; وَوُلِدَتْ لَهُ
 مُسْلِمًا .

فَلَمَّا أَتَتْ عَلَى مُسْلِمٍ ثَمَانِيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَدْ مَاتَ عَقِيلُ أَبُوهُ ، قَالَ معاويةُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ لِي أَرْضًا بِمَكَانِ كَذَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُ
 بَهَا مائَةَ أَلْفٍ ، وَقَدْ أَحَبَّتُ أَن أَبِيعَكَ إِيَّاهَا ؛ فَادْفَعْ إِلَيْنَا ، فَأَمْرَ معاويةُ بِقَبْضِ الْأَرْضِ ،
 وَدَفَعَ الْمَنَى إِلَيْهِ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسِينَ بْنَ عَلَىَّ ؛ فَسَكَتَ إِلَى معاويةَ : أَمَا بَعْدَ فَإِنَّكَ غَرَرْتَ
 غَلَامًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَاتَّبَعْتَ مِنْهُ أَرْضًا لَا يَمْكُهُ ، فَاقْبَضَ مِنَ الْغَلامِ مَادَفَعَتْهُ
 وَارْدَدَ إِلَيْنَا أَرْضَنَا .

* ابن أبي الحديد ص ٨٢ ج ٣

(١) هو أخو على بن أبي طالب ، وأمر يوم بدر فنداء العباس بأربعة آلاف درهم . وأسلم عَقِيل وَلَقِي بِمَا عَوَيْهُ وَتَرَكَ أَخَاهُ عَلِيًّا ، وَمَاتَ بَعْدَ مَا عَمِيَ سَنَةً ٦٠ هـ .

بعث معاوية إلى مسلم ؛ فأخبره بذلك ، وأقرأه كتابَ الحسين ، وقال :
 اردد علينا مالنا ، وخذ أرضك ؛ فإنك بعْتَ مالاً تَمْلِكَ ! فقال مسلم : دون ذلك
 أن أضرب رأسك بالسيف ! فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرِبُ برجليه ، ثم قال :
 يا بني ؟ هذا والله كلامُ قاله لي أبوك حين ابعتُ له أمك !
 ثم كتب إلى الحسين : إني قد رددتُ عليكم الأرضَ وسونَّت مسلماً
 ما أخذ .

فقال الحسين : أبيتم يا آلَ أبي سفيان إلَّا كرماً !

* ٨٢ — معاوية يغفو *

لما استعمل معاوية زِياداً على العراق كتب إليه : أما بعد فانظر عبد الله^(١)
 ابن هاشم بن عتبة ، فشدَّ يده إلى عنقه ، ثم ابْعثَ به إلى .
 فحمله زِياد من البصرة مُقيداً مَغْلُولاً إلى دمشق ، فادْخَلَ على معاوية ،
 وعنده عمرو بن العاص ؛ فقال معاوية لعمرو : هل تعرفُ هذا ؟ قال لا ! قال :
 هذا الذي يقول أبوه^(٢) يوم صفين :
 إني شَرَيتُ^(٣) النفس لِمَا اعْتَلَّا وَأَكْثَرَ اللَّوْمَ وَمَا أَقَلَّا

* المسودي من ٥٧ ج ٢

(١) كانت في نفس معاوية من يوم صفين إحن على هاشم بن عتبة وولده عبد الله بن هاشم

(٢) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعمور - فقال : ياهاشم ؟ أعموراً وجيناً ؟ اركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز : إني شريت النفس

(٣) شريت النفس : بعثها في سبيل الله ، لما اقتل : لما رمانى عمار بالجبن .

أَعُورُ يَبْغِي أَهْلَهُ^(١) مَحَلًا
قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ
لَا بُدَّ أَنْ يَقُلُّ^(٢) أَوْ يُفَلَّا
يَتَلَمَّمُ بِذِي الْكَعْوَبِ^(٣) تَلَّا
لَا خَيْرَ عِنْدِي فِي كَرِيمٍ وَلَّا

فَقَالَ عُمَرُ وَمَقْمِلاً :

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنَ^(٤) التَّرَى
وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا
دُونَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! الضَّبَ^(٥) الضَّبَ ! فَاشْخُبْ أَوْدَاجَهُ^(٦) عَلَى أَسْبَاجِهِ
فَلَا تَرْدَهُ إِلَى الْعَرَاقَ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى النَّفَاقِ ، وَهُمْ أَهْلُ غَدَرٍ وَشَقَاقٍ ، وَإِنَّهُ
هُوَ سَيُودِيهُ ، وَرَأَيْاً سَيْطَعْنِيهُ ، وَبِطَانَةَ سُتْقَوَيْهُ ؛ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُثْلِهَا !
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَا عُمَرُ ؛ إِنْ أُقْتَلَ فَرَجُلٌ أَسْلَمَ قَوْمَهُ وَأَدْرَكَهُ يَوْمَهُ ؛ أَفَلَا كَانَ
هَذَا مِنْكَ إِذْ تَحِيدُ عَنِ الْقَتَالِ ، وَنَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ! فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ
لَقَدْ وَقَعْتَ ، وَلَا أَحْسِبْكَ مُفْلِتًا مِنْ مَخَالِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ !

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَمَا وَاللَّهِ يَا بْنَ الْعَاصِ ؛ إِنَّكَ لَبَطَرْ فِي الرَّخَاءِ ، جَبَانٌ عِنْدَ الْلَّقاءِ ،
غَشُومٌ إِذَا وَلَيْتَ ، هَيَّابٌ إِذَا لَقَيْتَ ؛ أَفَلَا كَانَ هَذَا مِنْكَ ، إِذْ غَرَمَكَ أَقْوَامٌ
لَمْ يُعْنِفُوا صَغَارًا ، وَلَمْ يُمْزِقُوا كَبَارًا ، هُمْ أَيْدِي شِدَادٍ ، وَأَسْنَةٌ حِدَادٌ . . .
فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَبَاكَ يَوْمَئِذٍ تَحْفَقُ أَحْشَاؤُهُ ، وَتَبْقَى^(٧) أَمْعَاوَهُ ! . . .

(١) يَبْغِي أَهْلَهُ : أَيْ مَحْلُ أَهْلَهُ وَمَصِيرُهُمْ وَهُمُ الَّذِينَ اسْتَشَهِدُوا قَبْلَهُ (٢) يَقُلُّ : يَوْمَ

(٣) تَلَّهُ : صَرْعَهُ ، وَذُو الْكَعْوَبِ : الرَّمَحُ (٤) الدَّمَنُ : جَمْعُ دَمَنَةٍ وَهِيَ مَا أَسْوَدَ
مِنْ آنَارِ الدَّارِ (٥) الضَّبُ : حَيْوَانٌ يَضْرِبُ بِخَنَادِعِهِ الْمِثْلَ فَيَقُولُ : أَخْدُعْ مِنْ ضَبٍ (٦) الْأَوْدَاجُ :
عَرُوقٌ فِي الْعَنْقِ ، وَشَخْبُتْ أَوْدَاجُ الْقَتْلِ دَمًا : جَرْيَ دَمَهَا ، وَالْأَسْبَاجُ : جَمِيعُ سَبَّجَةٍ وَهِيَ مِنْ
الْقَمِيسِ بِنْيَقَتِهِ (٧) تَبْقَى : تَخْرُجُ : بَقَ النَّبْتُ بِغُوْقًا : طَلَعَ.

قال عبد الله : يا عمرو ؛ إنما قد بلَّوْناك ومقاتلتك ؛ فوجدنا لسانك كذبًا غادرًا ،
خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يأسمونك ، ولو رُمِتَ المنطق في غير أهل الشام
بلحظة^(١) إليه عقلك ، ولتلجاج لسانك ، ولا ضطراب فخذلَك اضطراب القعود
الذى أثقلَه حمله !

قال معاوية : ليها عنكما ؛ وأمر بإطلاق عبد الله ! قال عمرو معاوية :

أمرتك أمرًا حازماً فعصيَتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه ، يا معاوية ، الذي^(٢)
أعان علياً يوم حز الفلاصم^(٣)
فلم ينتشني حتى جرت من دمائنا
يصفين أمثال البحور الخضارم^(٤)
وهذا ابنه ، والمرءُ يُشَيِّه سُنْخَه
ويُوشك أن يقرع^(٥) به سِنَ نادِم

قال عبد الله يحييه :

معاوى إن المرأة عمرًا أبت له ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلي يابن هندي وإنما
على أنهم لا يقتلوت أسيرواهم^(٦)
عليك جناتها هاشم وابن هاشم
وقد كان منا يوم صفين نعرة^(٧)

(١) بحثت العين : إذا بزت مقلتها ، والمراد اضطراب عقلك وشرد ، ولم يسل لك قياد
التفكير (٢) الفلاصم : رأس الحلقوم (٣) الخضرم : البحر العظيم ، وبقيت الياء في
«يُنشئ» للضرورة (٤) قرع سنه : حرقة ندماً ، أي سحقة حق سمع له صريف ، وسكن
الفعل للضرورة ، والسنخ : الأصل من كل شيء (٥) نعر القوم : هاجوا واجتمعوا في
الحرب .

قضى ما أتفقى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى إلا كأضيقاً حاماً
فإن تعف عن تعف عن ذى قرابة
وإن تر قتلى تستحل محارمي

فقال معاوية :

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
إلى الله في اليوم العصيب القماطير ^(١)
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بادراك ثارى في لوكي وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمته
وزلت به إحدى الجدود العواشر
فكان أبوه يوم صفين مجرمة
عليها فارده رماح نها ببر ^(٢)

(١) كان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية (٢) يوم قيصر : شديد (٣) التهاب : الملاك .

* الوفى ! ٨٣

كان أبو بلال^(١) مرداس بن حذير نظمه الخوارج ، وكان مجتمداً كثيراً
الصواب في لفظه ، فلقيه غيلان بن خرشة الضبي ، فقال : يا أبو بلال ؟ إني سمعتُ
الأمير^(٢) البارحة يذكر البلجاء^(٣) ، وأحسبها سُؤْخَذ ؛ ففني إليها مرداس ؛
قال لها : إن الله قد وسّع على المؤمنين في التّقْيَة^(٤) فاستترى ؛ فإن هذا المسرف
على نفسه الجبار العنيد قد ذَكَرَكِ ! قالت : إن يأخذنى فهو أشْفَقَ بِي ! فاما أنا في
أحب أن يُعْنَتَ^(٥) إنسان بسيط !

فوجّه إليها عبيد الله بن زياد ، فأنى بها ؛ فقطع يديها ورجلتها ، ورمى بها
في السوق ، فمرّ مرداس ، والناس مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البلجاء !
فعرّج عليها ، فنظر ، ثم عض على لحيته ، وقال لنفسه : لهذه أطيب نسماً منك
يا مرداس !

ثم إن عبيد الله تتبع الخوارج فجسّهم ، وجس مرداساً ؛ فرأى صاحب
السجن شدة اجتهاده ، وحلوة مُنْطَقِه ، فقال له : إني أرى لك مذهبًا حسناً ،

* رغبة الآمل ص ١٨٧ ج ٧ ، الكامل ص ١٥٤ ج ٢

- (١) من عظام الأباية وأحد الخطباء الأبطال ، سجنه عبيد الله في السكوفة ، ونجا من السجن
وجمع من قاتل عبيد الله فنشب قتال في يوم الجمعة وتواتر الفريقان إلى ما بعد الصلاة فأحاط بهم جيش
عبيد الله وهم في صلامتهم فقتلوا عن آخرهم ، وحملوا رأس مرداس إلى ابن زياد سنة ٦١ هـ
- (٢) هو عبيد الله بن زياد أمير البصرة ولاه معاوية عليها سنة ٥٥ هـ ، وكان شديداً على الخوارج
(٣) البلجاء : هي امرأة من بنى حرام وكانت من مجتهدات الخوارج (٤) التقية : حفظ النفس
بما يستطيع من المكروه (٥) عنته : ألمعه ما يصعب عليه أدوءه .

وَإِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أُولَئِكَ مَعْرُوفًا ! أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَرَكْتُ تَنْصَرِفُ لِيَلَّا إِلَى بَيْتِكَ
أَنْدَاجٌ^(١) إِلَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ! فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ ! وَلَجَ عَبِيدُ اللَّهِ فِي حَسْنَةِ
الْخَوَارِجَ وَقَتَلَهُمْ ; فَكَلَمٌ فِي بَعْضِ الْخَوَارِجِ ، فَلَجَ وَابْنِهِ ، وَقَالَ : أَقْمَعُ النَّفَاقَ
قَبْلَ أَنْ يَنْجُمَ^(٢) ! لِكَلَامٌ هُؤُلَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْقُلُوبِ مِنَ النَّارِ إِلَى الْيَرَاعِ^(٣) !
فَلَمَّا كَانَ ذَاتُ يَوْمٍ قَتَلَ رَجُلٌ مِّنَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا مِّنَ الشَّرَطِ ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادَ :
مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهُؤُلَاءِ ! كَمَا أَمْرَتُ رَجُلًا بَقْتَلِ رَجُلٍ مِّنْهُمْ فَتَكَوَّا بِقَاتِلِهِ
لَأَقْتَانَ مَنْ فِي حَسْنِي مِنْهُمْ .

فَأَخْرَجَ السَّجَانَ مَرْدَاسًا إِلَى مَنْزِلِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وَأَنِّي مَرْدَاسًا أَنْخَبْرَ ؛ فَلَمَّا
كَانَ السَّعْجَرَ تَهِيَّأً لِلْخُرُوجِ ، قَالَ لِهِ أَهْلَهُ : أَتَقِّيَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ؟ فَإِنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ
قُتِّيَاتِ ! قَالَ : إِنِّي مَا كَنْتُ لِأَقْتَلَ اللَّهَ غَادِرًا ! فَرَجَعَ إِلَى السَّجَانِ ؛ فَقَالَ : أَمَا
عَلِمْتَ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ ؟ قَالَ : أَعْلَمْتَ وَرَجَعْتَ ! قَالَ : نَعَمْ ! وَلَمْ يَكُنْ
جَزَاؤُكَ مَعِ إِحْسَانِكَ أَنْ تُعَاقَبَ بِسُبْبِي !

وَأَصْبَحَ عَبِيدُ اللَّهِ يَقْتَلُ الْخَوَارِجَ ، ثُمَّ دَعَا بِمَرْدَاسِ ، فَلَمَّا حَضَرَ وَثَبَ السَّجَانَ ،
فَقَبَّلَ قَدْمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَبْ لِي هَذَا ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قَصْتَهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ !

(١) أَدَاجٌ : سَارَ آخِرَ الْأَيَّلِ ، وَأَدَاجٌ : سَارَ مِنْ أَوْلَ الْأَيَّلِ (٢) يَنْجُمُ : يَظْهَرُ (٣) الْيَرَاعُ : جَمْ بِرَاعَةٍ : وَهِيَ الْفَصْبَةُ .

* ٨٤ - أَسْخِنِي مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ *

جُبْسٌ معاوِيَةً عَنِ الْحَسِينِ^(١) بْنِ عَلِيٍّ صَلَاتُهُ ، حَتَّىٰ ضَاقَتْ عَلَيْهِ حَالُهُ ،
فَقَيْلَ لَهُ : لَوْ وَجَّهْتَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَاسِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَنَحَوَ مِنْ
أَلْفِ أَلْفِ دَرْهَمٍ !

فَقَالَ الْحَسِينُ : وَأَنْ تَقْعُ أَلْفُ أَلْفٍ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ لَهُ أَجُودُ مِنْ
الرِّيحِ إِذَا عَصَفَتْ ، وَأَسْخِنِي مِنَ الْبَحْرِ إِذَا زَخَرَ ؛ ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولِهِ بَكْتَابٍ ؛
ذَكَرَ فِيهِ جُبْسَ معاوِيَةَ صِلَاتِهِ عَنْهُ وَضِيقَ حَالِهِ ، وَأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَائَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ .
فَلَمَّا قَرَا عَبِيدُ اللَّهِ كِتَابَهُ - وَكَانَ مِنْ أَرْقَ النَّاسِ قَلْبًا ، وَأَلْيَهُمْ عِطْفَةً^(٢) - ،
انْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا معاوِيَةَ مَا اجْتَرَحْتَ يَدَاكَ مِنَ الْإِنْجِمَ ! حَيْنَ
أَصْبَحَتْ لَيْئَنَ الْمِهَادَ ، رَفِيعَ الْعِمَادَ ؛ وَالْحَسِينُ يَشْكُو ضِيقَ الْحَالَ ، وَكَثْرَةَ
الْعِيَالَ !

ثُمَّ قَالَ لَقَهْرَمَانِهِ : أَهْلُ إِلَى الْحَسِينِ نَصْفَ مَا أَمْلَكْتُهُ مِنْ فَضْةٍ وَذَهْبٍ وَثُوبٍ
وَدَابِيَةٍ ! وَأَخْبِرْهُ أَنِّي شَاطَرْتُهُ مَالِي ؛ فَإِنْ أَقْنَعْتَهُ ذَلِكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ وَاحْمِلْ إِلَيْهِ
الشَّطَرُ^(٣) الْآخِرَ . فَقَالَ لَهُ الْقَيْمُ : فَهَذِهِ الْمُؤْنَةُ الَّتِي عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَقْوَمُ بِهَا ؟ قَالَ :
إِذَا بَلَغَنَا ذَلِكَ دَلَّتْكَ عَلَى أَمْرٍ تَقْعِيمُ بِهِ حَالَكَ .

فَلَمَّا أَتَى الرَّسُولُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى الْحَسِينِ ، قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ! حَمَلْتُ وَاللَّهُ عَلَى ابْنِ

* خزانة الأدب من ٢٥٧ ج ٣ ، الطبعة الأميرية .

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولد بالمدينة ، ونشأ في بيت النبوة ، وقتل
بكرلاه سنة ٦١ هـ (٢) أصل العطف : الجائب (٣) الشطر : النصف .

عنى ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله ، فأخذ الشطر من ماله ؛ وهو أول من فعل ذلك في الإسلام !

* ٨٥ - يجود على مقدار نفسه *

خرج عبيد الله^(١) بن العباس مرّة من المدينة يريد معاویة في الشام ، فأصابته سفالة ، فنظر إلى نوره^(٢) عن يمينه ، فقال لغلامه : مل بنا إليها .

فَلَمَّا أَتَيْهَا إِذَا شَيْخُ ذُو هِيَثَةَ رَثَّ ، قَالَ لَهُ : أَنْجِنْ ، ازْلِ ، حَيْدَتْ ! وَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ قَالَ لَأَمْرَأِهِ : هَيَّى شَاتِكَ أَقْفَى بِهَا ذَمَّامَ^(٣) هَذَا الرَّجُلُ ؛ فَقَدْ تَوَسَّمْتُ فِيهِ الْخَيْرَ ؛ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ مُضْرِفٍ فَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْ الَّذِينَ هُوَ مِنْ بَنِي آكْلِ الْمَرَارِ^(٤) . قَالَتْ لَهُ : قَدْ عَرَفْتَ حَالَ صَبِيْتِي ، وَأَنَّ مَعِيشَتَهُمْ مِنْهَا ، وَأَخَافُ الْمَوْتَ عَلَيْهِمْ إِنْ فَقَدُوهَا ، قَالَ : مَوْتُهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الْلَّؤْمِ^(٥) ؛ ثُمَّ قَبضَ عَلَى الشَّاةِ ، فَأَخَذَ الشَّفَرَةَ وَأَنْشَدَ :

فَرَبِّيَ^(٦) لَا تَوْقِظِي بَنِيَّ إِنْ يُوقَظُوا يَنْسِحِبُوا عَلَيْهِ وَيَنْزِعُوا الشَّفَرَةَ مِنْ يَدِيهِ أَبْغُضُ هَذَا أَنْ يُرْسِي لَدِيهِ ثُمَّ ذَبَحَهَا وَكَسَطَ جَلَدَهَا ، وَقَطَعَهَا أَرْبَاعًا ، وَقَذَفَهَا فِي الْقَدْرِ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ ثُرَدَ^(٧) فِي جَفَنَةِ ، فَعَشَاهُمْ ثُمَّ غَدَّاهُمْ .

* خزانة الأدب ص ٥٠٣ ج ٣ طبعة بولاق .

(١) عبيد الله بن العباس : كان مشهوراً بالجود ، معدوداً من الأجواد ، وهو أول من فطر جبرانه في رمضان ، وأول من وضع موائده في الطريق توفى سنة ٨٧ هـ (٢) تصغير نار (٣) الدمام : الحرماء (٤) آكل المرار : جد أمرى القيس ، وبني آكل المرار : هم ملوك اليمين (٥) اللؤم : البخل (٦) القريبة : ذات القرابة (٧) يقال ثرد الحبز : أى فنه .

وأراد عبيد الله الرحيل ؛ فقال لغلامه : ارم للشيخ ماملك من نفقة ، فقال :
 ذبح لك الشاة فككافئه بثمن عشرة أمثالها ، وهو لا يعرفُ ! فقال : ويحک ! إن
 هذا لم يكن يملكُ من الدنيا غيرَ هذه الشاة ، فجادَ لها بها ، وإن كان لا يعرفنا
 فأنا أعرف نفسي ؛ ارم بها إليه ، فرماها إليه فكانتْ خمسة دينار !
 ثم ارتحلَ عبيد الله ، فأتى معاوية ، فقضى حاجته ، ثم أقبلَ راجعاً إلى
 المدينة ، حتى إذا قربَ من ذلك الشيخ قال لغلامه : ملِّينا ننظره في أيَّ حالة
 هو ؟ فانهياً إليه ، فإذا برجل سرى عنده دُخانٌ عالٌ ، ورمادٌ كثير ، وإبلٌ
 وغمٌ ؛ ففرح بذلك ، وقال له الشيخ : انزل بالرُّحب والاسعة ! فقال له عبيد الله :
 أتعرفُني ؟ فقال : لا ، والله ، فمن أنت ؟ فقال : أنا نَزِيلُك ليلةً كذا وكذا ، فقام
 إليه ، فقبلَ رأسه ويديه ورجليه ، وقال : قد قلتُ أبياناً ، أتسمعُها مني ؟ فقال
 هات ، فأنشدَ :

تَوْسِيْتُهُ ^(١) لَمَا رَأَيْتُ مَهَابَةً عَلَيْهِ وَقَلْتُ : الْمَرءُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 وَإِلَّا فَنَّ الْمَرْأَرَ فَإِنَّهُمْ مُلُوكُ عَظَامٍ مِنْ كَرَامٍ أَعَاظِمٍ
 فَقَمَتْ إِلَى عَنْزٍ بَقِيَةً أَعْنَزٍ لِأَذْبَحَهَا فَعَلَّ امْرَى غَيْرِ نَادِمٍ
 فَعَوَضَنِي عَنْهَا غِنَائِي وَلَمْ تَكُنْ تَسَاوِي ^(٢) عَنْزٍ غَيْرَ حَمْسٍ دِرَاهِمٍ
 فَقَاتَ لِأَهْلِي فِي الْخَلَاءَ ^(٣) وَصِبَّيْتُ : أَحَقًا أُرِي أَمْ تَلَكَ أَحَلَامَ نَاثِمٍ !
 فَضَحَّكَ عَبِيدُ اللهِ وَقَالَ : أَعْطَيْنَا أَكْثَرَ مَا أَخْذَتَ مَنَا ، يَا غَلَامَ أَعْطِهِ مَثَلَّهَا !
 وَبَلْغَتْ فَعَلَّتُهُ مَعَاوِيَةً قَالَ : اللَّهُ ذَرْ عَبِيدُ اللهِ ، مَنْ أَيْ بِضَةٍ خَرَجَ ! وَفِي أَيْ
 عُشْرَ دَرَجَ !

(١) توسمته : تفرسته (٢) تساوى : بوضع الضمة على الياء لضرورة (٣) الخلاء : الفضاء .

٨٦ — من حيلِ الكرماء *

أهدي معاویةٌ إلى عبید الله بن العباس حُللاً كثيرة، ومسكاكاً وآنيةً من ذهبٍ
وفضةٍ، ووجهها إليه مع حاجبه؛ فلما وضعاها بين يديه نظر إلى الحاجب - وهو
يُطيلُ النّظرَ فيها - فقال: هل في نفسِك منها شيء؟ قال: نعم، والله إنَّ في نفسِي
مِنْهَا مَا كانَ في نفسِ يعقوبَ من يوسفَ !

فضحَ عبید الله وقال: فشأنكَ بها؟ فهـى لك! قال: جُعلْتُ فداءك! أنا
أخافُ أن يبلغَ ذلكَ معاویة؛ فيغضبَ لذلك . قال: فاختهمَا بخاتِمِك ، وادفعُهـا
إلى الخازن، وهو يحملُهـا إليكَ ليلاً . قال الحاجـب: واللهِ إـنَّ هذهـ الحيلةَ فـي الكرماءِ
أـكثـرـ منـ الـكـرـم؛ وـلـوـ دـدـتـ أـنـيـ لـأـمـوتـ حتـىـ أـرـاكـ مـكـانـهـ. يـعـنـيـ مـعـاوـيـةـ .

فـظـنـ عـبـيـدـ اللهـ أـنـهـ مـكـيـدـةـ مـنـهـ؛ فـقـالـ: دـعـ هـذـاـ الـكـلـامـ؛ إـنـاـ مـنـ قـوـمـ نـفـيـ
بـعـقـدـنـاـ، وـلـاـ نـنـقـضـ مـاـ أـكـدـنـاـ!

* ٨٦ — يَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ

أُتْيَ رَجُلٌ عَبْدَ (١) اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ — وَهُوَ بَنِيَّانَ دَارِهِ — فَقَالَ : يَا بْنَ عَبَّاسَ ؟
 إِنَّ لِي عِنْدِكَ يَدًا وَقَدْ احْتَجْتُ إِلَيْهَا ؛ فَصَعَّدَ فِيهِ بَصَرُهُ وَصَوْبَاهُ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ . ثُمَّ قَالَ
 لَهُ : مَا يَدُكَ عِنْدَنَا ؟ قَالَ : رَأَيْتَكَ وَاقِفًا بِزَمْزُونَ وَغَلَامُكَ يَمْتَحِنُ (٢) لَكَ مِنْ مَائِهَا ،
 وَالشَّمْسُ قَدْ صَهَّرَتْكَ ، فَظَلَّتْكَ بِطْرَفِ كِسَائِيْ حَتَّى شَرَبْتَ !
 قَالَ : إِنِّي لَأَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ يَرْدُدُ فِي خَاطِرِي وَفِكْرِي ! ثُمَّ قَالَ لِقِيمَهِ :
 مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَائِتَةُ دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَدْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَرَاهَا تَقِيْ
 بِحَقِّ يَدِهِ عِنْدَنَا !

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَوْمَ يَكْنِي لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدَ غَيْرِكَ لِكَانَ فِيهِ مَا كَفَاهُ ،
 فَكَيْفَ وَقَدْ وَلَدَ سِيدَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ شَفَعَ بِكَ
 وَبِأَبِيكَ !

* خزانة الأدب ص ٢٥٦ ج ٣ الطبعة الأميرية .

(١) في عبید الله يقول شاعر المدينة :

وَفِي السَّنَةِ الشَّيْءَاءِ أَعْلَمْتُ حَامِضًا وَحَلَوَا وَلَحْماً تَامِكًا وَهَزَّعا
 وَأَنْتَ رَبِيعٌ لَيْتَنِي وَعَصْمَةً إِذَا الْحَلُّ مِنْ جَوِ السَّمَاءِ تَطْلُعَا
 أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ رَحْمَةً وَغَيْثًا وَنُورًا لِلْخَلَاقِ أَجْمَعِيَا
 (٢) مِنْجَ المَاءِ : نَزَعَهُ .

* ٨٨ - لَوْ بَدَأْتِ بِي !

خرج الحسنُ والحسينُ وعبدُ الله بن جعفرٍ حجاجاً ؛ فقاتهم أَقْتالُهُمُ^(١) ؛
فجاءوا وعطشوا ؛ فرّوا بِعِجْزٍ فِي خِيَاءٍ هُنَّا ؛ فقال أحدهُمْ : هل من شراب ؟
قالت : نعم . فأناخوا إِلَيْهَا ، وايس لها إِلَّا شُوَيْهَ^(٢) . قالت : احلبوها فاشربوا
لَبَّهَا ، ففعلاً .

قالوا : هل من طعام ؟ قالت : لا ؛ إِلَّا هذه الشاة ؛ فليذبحُنَا أحدهُمْ كِمْ حتى
أَهْيَّ لَكُمْ مَا تَأْكُلُونَ !

فقام إِلَيْهَا أحدهُمْ فذبحها وَكَسَطَهَا^(٣) ، ثم هَيَّاتْ لَهُمْ طَعَاماً فَأَكَلُوا ، وَأَقْامُوا
حتى أَبْرَدُوا^(٤) .

فَلَمَّا ارْتَحَلُوا قَالُوا : نَحْنُ نَفَرُّ مِنْ قَرِيشٍ نَرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ ؛ فَإِذَا رَجَعْنَا سَالِمِينَ ؛
فَأَلْتَعِي بَنَا ، فَإِنَا صَانُونَ إِلَيْكَ خَيْرًا ! وَارْتَحَلُوا .

وَأَقْبَلَ زوجُهَا ؛ فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبْرِ الْقَوْمِ وَالشَّاةِ ؛ فَفَضَّبَ وَقَالَ : وَيَحْكُ ! تَذَبَّحُينَ
شَانِي لَقَوْمٍ لَا أَعْرِفُهُمْ ، ثُمَّ تَقُولِينَ : نَفَرْ مِنْ قَرِيشِ !

ثُمَّ بَعْدَ مَدَةٍ أَجْأَتْهُمَا الْحَاجَةُ إِلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ فَدَخَلُوهَا ، وَجَعَلُوا يَتَقَطَّانَ
الْبَعْرُ وَيَعِيشَانَ بِشَمْنَهُ . فَمَرَّتِ الْعَجُوزُ بِعَصْبَرِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلَى

* مُنْرَاتُ الْأُورَاقِ لِلْحَمْوَى مِنْ ٢٤

(١) جمع تقل : وهو النَّاعَ (٢) شاة صغيرة (٣) يريد : سلخها (٤) أبدوا : دخلوا
ف آخر النَّهَارَ .

واقف بباب داره ، فعرف العجوز ؛ فبعث إلها غلامه ، فدعا بها ؛ فقال لها : يا أمة الله ؛ أتعرفيني ؟ قالت : لا ! قال : أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا !
قالت : بأبي أنت وأمي !

ثم اشتري لها من شياه الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بالف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ؛ فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألف دينار ، وألفى شاة . فقال لها : لو بدأْت بي لأتعبتهما في العطاء ! أعطوهها عطيةهما .
فرجمت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف درهم ، وأربعة آلاف شاة !

* اختبار الأجواد * ٨٩

تمارى ثلاثة في أجواد الإسلام؛ فقال رجل: أُسخن الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب؛ وقال آخر: أُسخن الناس عَرَابَة^(١) الأولى؛ وقال ثالث: بل قيس بن سعد بن عبادة. وأكثروا الجدال في ذلك، وعلّا ضجيجهم وهم يفتأمرون الكعبة.

قال لهم رجل: قد أكثرتم الجدال في ذلك؛ فما عليكم أن يمضى كل واحد منكم إلى صاحبه يسألُه؛ حتى ننظر ما يعطيه، ونحكم على العيَان؟ ققام صاحب عبد الله إليه؛ فصادفه قد وضع رجله في غَرْز^(٢) ناقته يريد ضيًعة له؛ فقال: يا بنَ عم رسول الله! قال: قل ما تشاء. قال: أنا ابن سبيل ومنقطع به، فأخرج رجله من غَرْز الناقة، وقال له: ضعْ رجلك، وأستو على الراحلة، وخذ ما في الحقيبة، واحتفظ بالسيف؛ فإنه من سيف على بن أبي طالب رضى الله عنه!

في جاء بالناقة، والحقيقة فيها مطارف خَرْز، وأربعة آلاف دينار، وأعظمها وأجلها السيف!

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة، فصادفه ناعماً؛ فقالت الجارية:

* غرر الحصائص من ١٥٥، نمرات الأوراق للجموي من ١٠٢ ج ١

(١) عَرَابَةُ الْأَوَّلِيَّ: من سادات المدينة الأجواد المشهورين أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم صغيراً، وتوفي بالمدينة سنة ٦٠ هـ. (٢) الفرز: ركاب الرحل.

هو نائم؟ فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به؛ قالت: حاجتك أهون من إيقاظه! هذا كيس فيه سبعاً دينار، والله يعلم أن ما في دار قيس غيره؛ خذه، وامض إلى معاطن^(١) الإبل، إلى أموال^(٢) لنا بعلمتنا؛ فخذ راحلة من رواحله، وما يصلحها وعبدًا، وامض لشأنك!

ولما اتبه قيس من رقدته أخبرته بما صنعت، فأعترقها.

ومضى صاحب عرابة الأوسى إلىه؛ فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشي على عبدين، وقد كف بصره؛ فقال: يا عرابة! ابن سبيل ومنقطع به! فخلع العبدان، وصفع بيمناه على يسراه، وقال: أوّاه! أوّاه! ما ترك الحقوق لعرابة مالاً، ولكن خذهما - يعني العبدان - قال: ما كنت بالذى أقص جناحك! قال: إن لم تأخذهما فيما حرّان؛ فإن شئت تأخذ، وإن شئت تعتق! وأقبل يلتمس الحائط، راجعاً إلى منزله.

فأخذها صاحبه، وجاء بهما إلى رفاته؛ فقالوا: إن هؤلاء الثلاثة أجود عصرهم؛ إلا أن عرابة^(٣) أكثرهم جوداً لأنه أعطى جهده!

(١) المعاطن جمع معطن، وهو مبرك الإبل (٢) أموال: تزيد الإبل، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم (٣) وفي عرابة الأوسى يقول الشاعر المري:

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الحدبات منقطع الفربين
إذا ما رأية رفعت لجد تلقاها عرابة باليمين

٩٠ — إن هذا لأسخى مني *

خرج عبد الله ^(١) بن جعفر إلى ضيعة له؛ فنزل على نخيل قوم؛ فيما
غلام أسود يقوم عليها: فأتى بثلاثة أقراص؛ فدخل كلب ^{هـ} فدنا منه، فرمى إليه
بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثانية والثالث فأكلهما، وعبد الله ينظر إليه؛ فقال:
يا غلام؛ كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت! قال: فلما آثرت الكلب؟
قال: لأن أرضنا ليست بأرض كلاب. وإن خاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعاً؛
فكرهت رده!

قال: فما كنت صانعا اليوم؟ قال: أطوي ^(٢) يومي هذا! فقال عبد الله
بن جعفر: والله إن هذا لأسخى مني! فاشترى النخل والعبد؛ وأعتقهما ووهب
ذلك له!

* المستطرف من ٣٦ ج ٢

(١) انظر صفة ١٨ (٢) أطوى: لا آكل شيئاً.

* ٩١ — إِنَّا نُنْزِلُ الضَّيْفَ وَلَا نُرْحِلُهُ

خرج داودُ بن سلمٍ إلى حربِ بن خالد ، فلما قَدِمَ عليه قام غلامُه إلى مَتَاعِه ،
فَأَدْخَلَوهُ وَحَطَّوْا عن راحلته ، فلما دخل أَنْشَدَهُ :

ولَمَّا دُفِعْتُ لِأَبْوَاهِمْ وَلَاقِيتُ حَرْبًا لَقِيتُ النَّجَاحَا
وَجَدْنَاهُ يَحْمَدُهُ الْمُعْتَمِونَ^(١) وَيَابَى عَلَى الْعُسْرِ إِلَّا سَاحَاهَا
وَيُغْشَوْنَ حَتَّى تَرَى كُلَّهُمْ يَهَابُ الْهَرِيرَ^(٢) وَيَنْسِي النَّبَاحَا
فَأَمَرَ لَهُ بِجُوازَرَ كثِيرَةٍ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْاِنْصَارَفِ ؛ فَأَذْنَنَ لَهُ ، وَأَعْطَاهُ
أَلْفَ دِينَارٍ .

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عَنْهُ ، وَغَلَامُهُ جَلَوسٌ ، لَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يُعْنِهِ ؛
فَظَنَّ أَنَّ حَرْبًا سَاخْطٌ عَلَيْهِ ؛ فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَوَاجَدُ^(٣) أَنْتَ عَلَىْ ؟ قَالَ :
لَا ، وَلَمْ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَ الْفِلَمَانِ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَسَلِّهُمْ .
فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَسَلِّهُمْ ، قَالُوكُمْ : إِنَّا نُنْزِلُ الضَّيْفَ وَلَا نُرْحِلُهُ !
فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ سَمِعَ الْفَارِضَيِّ بِحَدِيثِهِ ؛ فَأَتَاهُ ، قَالَ : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُسْمَعَ هَذَا
الْحَدِيثَ مِنْكَ ؛ فَحَدَّثَهُ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ فَعْلَ الْفِلَمَانَ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِكَ !

* الأَمْلَى مِنْ ٢٤٦ ج ١

(١) المَعْتَمِونَ : كُلُّ طَالِبٍ فَضْلٌ أَوْ رِزْقٌ (٢) الْهَرِيرُ : صَوْتُ الْكَلَبِ دُونَ النَّبَاحِ (٣) أَوَاجَدُ : أَغَاضَ .

٩٢ — الأخطل محبوس في كنيسة *

قال إسحق بن عبد الله : قدمت الشام وأنا شاب مع أبي ، فكنت أطوف في كنائسها ومساجدتها ؛ فدخلت كنيسة دمشق ، وإذا الأخطل ^(١) فيها محبوس ، فجعلت أنظر إليه . فسأل عن فاخير بن سبى ، فقال : يافتي ؛ إنك لرجل شريف ، وإنى أسألك حاجة . فقلت : حاجتك مفاضية . قال : إن القس جسني هاهنا فتكلمه ليخلّ عنى .

فأذيت القس فانتسب له ، فرحب وعظم ؛ قلت : إن لي إليك حاجة .
قال : وما حاجتك ؟ قلت : الأخطل تخلّ عنه . قال : أعيذر بالله من هذا ! مثلك لا يتسلّم فيه ، فاسقط ^{يشتم} أعراض الناس وتهجوم ! فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معى متكتئا على عصاه ؛ فوقف عليه ورفع عصاه ، وقال : ياعدو الله ! أتعود تشيم الناس وتهجوم وتقذف المُمحضات ! وهو يقول : لست بعائد ولا أفعل ، ويستخذى له !

فقلت له : يا أبا مالك ، الناس يهابونك ، وال الخليفة يُكرِّمك ، وقدرك في الناس قدرك ، وأنت تخضع لهذا و تستخذى له ! فجعل يقول لي : إنه الدين ! إنه الدين !

* الأغاني من ٢٠٩ ج ٨

(١) هو أبو مالك غيات الأخطل بن غوث التغلبي النصراني شاعر الأمويين . نشأ في قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مصر عامه ، وقبس خاصة ، ولما كان متصلًا بالخلافة ومحروب قومه مع قبس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك وكذلك الحمر لما قرقته إياها ، وكان أخطر الشعراء لدى الأمويين ، اتخذه شاعرهم . ومات في سنة ٨٥ هـ .

٩٣ — عِمَارَةُ الْفَقِيهِ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ *

قال عِمَارَةُ الْفَقِيهِ :

كُنْتُ أُجَالِسُ عَبْدَ الْمَلِكَ ^(١) بْنَ مَرْوَانَ كَثِيرًا فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ، فِينَا أَنْعَمْتُهُ إِذْ قَالَ لِي : يَا عِمَارَةً إِنَّكَ تَعْشُ قَلِيلًا فَسْتَرِي الْأَعْنَاقَ إِلَى مِائَةَ وَالْأَمْلَامَ نَحْوِي سَامِيَّةً؛ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَنِي لِرَجَائِكَ بَابًا وَلِأَمْلَكَ ذَرِيعَةً؟ فَوَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ لِأَمْلَامَنِي يَدِيكَ غِبْطَةً، وَلَا كَسْوَنِكَ نَعْمَةً سَابِعَةً.

ثُمَّ إِنْ عَبْدَ الْمَلِكَ سَارَ إِلَى دِمْشِقَ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ؛ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ زَائِرًا، وَاسْتَأْذَنَتْ فَازِنَ لَيْ، وَدَخَلَتْ فَسْلَمَتْ عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا اقْضَى سَلَامَيْ، قَالَ : مَرْجِبًا بِأَخِي؛ وَنَادَى أَحَدَ غَلَامَاهُ؛ فَقَالَ : بَوْهُ دَارَا وَأَحْسَنْ مِهَادَهُ وَزِرَّهُ، وَأَكْرَهَهُ عَلَى خَاصَتِي.

فَقَعَلَ، وَأَقْفَتْ عَنْهُ عَشِيرَتِنِ لِيَلَّةَ أَحْضَرَ غَدَاءَهُ وَعَشَاءَهُ؛ فَلَمَّا أَرْدَتْ الْانْصَارَفَ وَالْأَوْبَةَ إِلَى أَهْلِي، أَمْرَ لَيْ بِعَشِيرَتِنِ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَةَ أَلْفِ درَهمٍ، وَمِائَةَ نَاقَةَ بِرْقِيقَهَا وَكُسُوهَهَا، وَقَالَ لِي : أَتَرَانِي يَا عِمَارَةَ مُلَائِتُ يَدِيكَ غِبْطَةً؟ فَقَلَتْ : يَا سَبِّحَنَ اللَّهَ، يَا مِنْهُ الرَّحْمَنُ ! وَإِنَّكَ لَذَا كَرِ لَذَلِكَ؟ قَالَ : نَعَمْ ! وَاللَّهِ لَا خَيْرَ فِيمَنْ يَنْسَى مَا وَعَدَ بِهِ وَيَذَكِّرْ مَا أَوْعَدَ ^(٢). كَمْ لَهُذَا الْأَمْرِ يَا عِمَارَةً؟

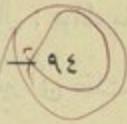
* غُرُّ الْحُصَائِصِ مِنْ ١٥٨

(١) مِنْ أَعْظَامِ الْخُلُفَاءِ وَدَهَاتِمِ ، نَشَأَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ مَعَاوِيَةُ عَلَيْهَا ، وَاتَّقْلَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ سَنَةَ ٦٥ هـ، وَتَوَفَّ بِدِمْشِقَ سَنَةَ ٨٦ هـ (٢) الْوَعْدُ فِي الْخَيْرِ وَالْإِيْمَادُ فِي الشَّرِّ .

قلت : والله لـكـأنـه بالـأـمـس ، وله دـهـر ياـمـيرـالـمـؤـمـنـين ! قال : فـوـالـلـهـ ماـكـانـذـلـكـ
عنـخـبـرـ سـمـعـنـاهـ ، وـلـاـ حـدـيـثـ كـتـبـنـاهـ ، وـلـاـ أـثـرـ رـوـيـنـاهـ ؛ غـيـرـ أـنـيـ عـقـاتـ فـيـ الـحـدـاثـةـ
أـشـيـاءـ رـجـوـتـ أـنـ يـرـفـعـ اللـهـ بـهـ درـجـتـيـ ، وـيـنـشـرـ بـهـ ذـكـرـيـ .

قلـتـ : وـمـاـ هـىـ يـاـ مـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ؟ـ قـالـ :ـ كـنـتـ لـاـ أـشـارـىـ (١)ـ ،ـ وـلـاـ أـمـارـىـ ،ـ
وـلـاـ أـهـتـكـ سـتـرـهـ اللـهـ دـوـنـىـ ،ـ وـلـاـ أـرـتـكـبـ حـرـمـاـ حـظـرـهـ اللـهـ عـلـىـ ،ـ وـلـاـ
حـسـدـتـ ،ـ وـلـاـ بـغـيـتـ ،ـ وـكـنـتـ مـنـ قـوـمـىـ وـاسـطـةـ الـقـلـادـةـ ،ـ وـكـنـتـ أـكـرـمـ جـلـیـسـىـ
وـإـنـ كـانـ ذـمـيـمـاـ ،ـ وـأـرـفـعـ قـدـرـ الـأـدـيـبـ ،ـ وـأـكـرـمـ ذـاـ الثـقـةـ ،ـ وـأـدـارـىـ السـفـيـهـ ،ـ
وـأـرـحـمـ الـضـعـيـفـ ،ـ فـبـذـلـكـ رـفـعـ اللـهـ قـدـرـىـ !ـ يـاـعـمـارـةـ خـذـ أـهـبـةـ السـفـرـ ،ـ وـأـمـضـ
رـأـشـدـاـ !ـ

(١) المـشارـاةـ :ـ الـمـلاـحةـ ،ـ أـوـ لـاـ يـشـارـرـ مـنـ الشـرـ فـقـابـتـ إـحـدـىـ الرـاءـيـنـ يـاهـ ،ـ وـالـمـارـاةـ :ـ الـخـاصـمةـ
فـيـ الشـيـءـ لـيـسـ لـهـ فـيـهـ مـنـفـعـةـ .ـ أـوـلـاـ يـارـىـ :ـ أـىـ لـاـ يـدـفـعـ ذـاـ حـقـ عنـ حـقـهـ .

٩٤  بين الحجاج الثقفي ويزيد بن المهلب*

أخذ الحجاج^(١) يزيد بن المهلب ، وعدّه وقصده ، واستأصل موجوده وسجنه ، فتوصل يزيد بحسن تلقفه ، ودخل فيها جعله الله نجاة من تلقفه ، وأرغبه السجان ، وسمّاه إليه ، وهرّب هو والسجان ؛ وقد الشام إلى سليمان ابن عبد الملك بن مروان - وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك . فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه ، وأقامه عنده ؛ فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن ، وهو عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين ؛ وأمير المؤمنين أشمل رأياً .

فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب سليمان إلى أخيه : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنّه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قدّيماً وحديثاً ، ولم أجره عدواً لأمير المؤمنين ؛ وقد كان الحجاج قصده وعدّه ، وأغرمه^(٢) أربعة آلاف درهم ظلماً ، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف درهم ، وقد سار هذا الرجل إلى مستجيرًا فأجرته ، وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف الدرهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين لا يجزئني في ضيقني فعل ، فإنه أهل الفضل والكرم !

* العقد الفريد للملك السعيد ص ١٠٢ ، تاريخ الطبرى ص ٧٣ ج ٨ ، ثارات الأوراق ص ٢٠٨ ، وفيات الأعيان ص ٢٧٠ ج ٢

(١) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ولد سنة ٤١ هـ ونشأ بالطائف . واتصل عبد الملك بن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولى العراق والشرق ، وطار ذكره ، وعظم سلطانه . وهلك بواسطه سنة ٩٥ هـ (٢) أغرمته غرمه .

فكتب إليه الوليد : « لا والله ، لا أؤمِّنه حتى تبعثَ به إلى في وِتْنَاقٍ ^(١) » .

فكتب إليه سليمان : ولئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنَ معه ؛ فأشدك الله
ألا تفضحني ولا تُخْفِرني . فكتب إليه الوليد : والله لئن جئتني لا أؤمِّنه .

قال يزيدُ : أبعثني إليه ؛ فوالله ما أحب أن أُوقِعَ يَنْكَ و يَنْهَ عداوة و حرَّبًا ،
أبعث إليه بي ، وأرسل معى ابنته ، وكتب إليه بأطفَلِ ما قدرتَ عليه .

فأحضر سليمانُ ولده أيوب ، فقيده ، ودعا يزيد فقيده ، ثم شدَّ قيده هذا إلى
قيده هذا بسلسلة ، وغلَّما بغلَّين ^(٢) ، وحملهما إلى الوليد ، وكتب إليه : أما بعد
يا أمير المؤمنين ، فإني قد وجَّهْتُ إليك يزيدَ وابنَ أخيك أيوبَ بنَ سليمان ، ولقد
همَّمتُ أن أكون ثالثَهَا ، فإنْ همَّتْ يا أمير المؤمنين بقتلِ يزيد ، فبِاللهِ عَلَيْكَ
ابدأْ بأيوب من قبْلِه ، ثم اجعل يزيد ثانيةً ، واجعلني إذا شئت ثالثاً ، والسلام» .
فلا دخلَ يزيدُ بنَ المهلب وأيوبُ بنَ سليمان عليه في سلسلة واحدة أطْرَقَ
استحياء ، وقال : لقد أَسْأَنا إلى سليمانَ إذ بَلَغْنَا به هذا المبلغ . . .

فأراد يزيدُ أن يتكلَّمَ ويحتاجَ عن نفسه ، فقال له الوليد : ما تحتاج إلى كلام
فقد قبلنا عذرَك ، وعلمنا ظلمَ الحجاج ؛ ثم أحضر حَدَّاداً ، وأزالَ عنهمَ الحديد ،
وأحسَّنَ إليهمَا ، ووصلَ أيوبَ ابنَ أخيه بثلاثين ألف درهم ، ووصلَ يزيدَ
ابنَ المهلب بعشرين ألف درهم ؛ وردهما إلى سليمان ، وكتبَ كتاباً إلى الحجاج
يقولُ له : لا سبِيلَ لك على يزيد بن المهلب ، فليأكلَ أنْ تعاودَنِ فيه بعد اليوم .

فصار يزيدُ إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان في أعلى المراتب ، وأفضل
المنازل .

(١) الوِتْنَاقُ : ما يشد به (٢) الغل : جامدة توضع في العنق أو في اليد .

* ٩٥ — زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب

استعمل الحجاج خالد بن عتاب على الرئيسي ، وكانت أمّه أمّ ولد ؛ فكتب إليه الحجاج يسبّ أمّه ، ويقول : أنت الذي هربت عن أبيك حتى قُتِلَ — وقد كان حلف ألا يسبّ أحد أمّه إلا أجابه كائناً من كان .

فكتب إليه خالد : كتبت إلى تشمّ أمّي ، وتزعمُ أنّي فرّتُ عن أبي حتى قُتِلَ . ولم يمرّي لقد فرّت عنه ، ولكن بعد أن قُتِلَ ، وحين لم أجده مُقاتلاً . ولكنْ أخبرني عنك يا شيخ حين فرت أنت وأبوك يوم العرفة^(١) على جمل ثفال^(٢) ، أيّكما كان أمام صاحبه ؟

فقرأ الحجاج الكتاب وقال : صدق !

أنا الذي فرّتُ يوم العرفة ثم ثنيتُ كرّة بغرة

والشيخ لا يفرّ إلا مَرَّة

ثم طلبه فقرّ إلى الشام ، وسلم بيت المآل ، ولم يأخذ منه شيئاً .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه . وقدم خالد الشام فسأل عن خاصة عبد الملك فقيل له : روح بن زنباع . فأتاها حين طلمت الشمس ، فقال : إني جئتُك مستجيراً . فقال : إنّي قد أجرتُك إلا أن تكون خالداً . قال : فإني

* الأغاني من ج ٤٠ ج ١٦

(١) كانت وقعة العرفة أيام يزيد . وهي موضع بظاهر المدينة وقعت في ذي الحجة من سنة ٦٣

(٢) النفال : البطيء من الإبل .

خالد . فتغىّر ، وقال : أَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَّا خَرَجْتَ عَنِي ، فَإِنِّي لَا آمِنُ عَبْدَ الْمَلِكَ .
فقال : أَنْظِرْنِي ^(١) حَتَّى تَغْرِبَ الشَّمْسُ . فَجَعَلَ رَوْحًا يُرَايِهَا حَتَّى خَرَجَ خَالد !
فَأَتَى زُفْرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكَلَابِيَّ ، فَقَالَ : إِنِّي جَئْنُكَ مُسْتَجِيرًا . قَالَ : قَدْ
أَجْرَتْكَ . قَالَ : أَنَا خَالدُ بْنُ عَتَّابَ . قَالَ : وَإِنْ كُنْتَ خَالدًا .
فَلَمَّا أَصْبَحَ دُعا ابْنِيْنِ لَهُ ؛ فَتَهَادَى بَيْنَهُمَا - وَقَدْ أَسَنَ - فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
وَقَدْ أَذِنَ لِلنَّاسِ ؟ فَلَمَّا رَأَاهُ دُعا لَهُ بِكُرْمَى ، فَجَعَلَ عِنْدَ فَرَاسِهِ . فَجَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ ؛ إِنِّي قَدْ أَجْرَتُ عَلَيْكَ رَجْلًا فَأَجْرَهُ . قَالَ : قَدْ أَجْرَتُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
خَالدًا . قَالَ : فَهُوَ خَالدٌ . قَالَ : لَا وَلَا كَرَامَةٌ !
فَقَالَ زُفْرَ لِابْنِيْهِ : أَهْضَبَنِي . فَلَمَّا وَلَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الْمَلِكَ ؛ أَمَّا وَاللهِ لَوْ كُنْتَ
تَعْلَمُ أَنَّ بَدِيْ تُطْبِقَ حَمْلَ الْقَنَاءِ لِأَجْرَتَ مَنْ أَجْرَتُ ! فَضَحِكَ ، وَقَالَ : قَدْ أَجْرَنَا .
وَأُرْسَلَ إِلَى خَالدٍ بِأَلْفِيْ دِرْهَمٍ .

(١) أَمْهَلْنِي .

* ٩٦ - احْتَكِمُوا وَأَكْثِرُوا!

استعمل الوليد^(١) بن عبد الملك عثمان بن حيان المري على المدينة ، وأمره بالغلاظة على أهل الظنة^(٢) ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك أخذه بألف ألف درهم ، فاجتمعت القيسيّة في ذلك ، فتحمّلوا شطرها^(٣) ، وضاقوا ذرعاً بالشطر الثاني ، ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق ، فقال عمر بن هبيرة : عليكم يزيد بن المهلب ، فماها أحد غيره .

فتحمّل إلى يزيد عمر بن هبيرة ، والقعقاع بن حبيب ، والهديل بن زفر بن الحارث ، وسار معهم عثمان ؛ فاستأذن لهم يحيى حاجبه ؛ فخرج يزيد إلى الرواق^(٤) فقرب ورحب ، ثم دعا بالغداء ، فأتوا بطعم ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا . فلما تقدّموا تكلم عثمان بن حيان - وكان لسناً مفوّهاً - فقال : زادك الله في توفيقك ، أيها الأمير ، إن الوليد وجهني إلى المدينة عاملاً عليها ، وأمرني بالغلاظة على أهل الظنة ، وإن سليمان أغرمي^(٥) غرماً - والله - ما يسعه مالي ، ولا تحمله طاقتى ؛ فأتبئناك لتحمل من هذا المال ما خفّ عليك ، وما بقى - والله - ثقيل على .

ثم تكلّم كلّ منهم بما حضره ؛ فقال يزيد بن المهلب : مرحباً بكم

* العقد الفريد ص ١٥٤ ج ١

(١) الوليد بن عبد الملك : من ملوك الدولة الأموية ولـى الخلافة سنة ٨٦ هـ ، وكانت وفاته يدبر مران سنة ٩٦ هـ (٢) التهمة (٣) الشطر : النصف (٤) الرواق : سقف في مقدم البيت أو الفسطاط (٥) أغرمي : غرمي .

وَاهْلًا؛ إِنَّ خَيْرَ الْمَالِ مَا قُضِيَ فِيهِ الْحَقُوقُ، وَسُهْلَاتُ بِهِ الْمَغَارِمُ، وَإِنَّمَا لِي مِنَ الْمَالِ
مَا فَضَلَ عَنِ إِخْرَاجِي، وَإِيمَانُ اللَّهِ لِوَاعِلَتْ أَنْ أَحَدًا أَمْلَأَ بِحَاجَتِكُمْ مِنْ هَدِيقَتِكُمْ
إِلَيْهِ! فَاحْتَسِكُمُوا وَأَكْبِرُوا!

فَقَالَ عَمَّانُ بْنُ حِيَانَ: النَّصْفُ - أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! قَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةً!
أَغْدُوا عَلَى مَالِكُمْ فَخُذُّوهُ؛ فَشَكَرُوا لَهُ، وَقَامُوا فَخَرَجُوا.

فَلَمَّا صَارُوا عَلَى بَابِ السَّرَادِقِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ: قَبَّحَ اللَّهُ رَأِيكُمْ، وَاللَّهُ
مَا يَبْلِي يَزِيدَ؛ أَنْصَفَهَا تَحْمِلَ أَمْ كَلَهَا؟ فَهُنَّ لَكُمْ بِالنَّصْفِ الْبَاقِي؟
قَالَ الْقَوْمُ: هَذَا وَاللَّهُ الرَّأْيُ! وَسَمِعَ يَزِيدُ مُنَاجَاهَمْ، فَقَالَ لِحَاجَبَهُ: انْظُرْ
يَا يَحْيَى، إِنْ كَانَ بِقِيَ عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ فَلْيَرْجِعُوهُ جَمِيعًا!

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ. وَقَالُوا: أَقْلِنَا! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ! قَالُوا: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَهَا
كَلَهَا؛ فَأَنْتَ أَهْلُهَا، وَإِنْ أَبَيْتَ فَهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ! قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

وَغَدَّا يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ إِلَى سَلِيمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَتَانِي عَمَّانُ بْنُ
حِيَانَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: أَمْسَكَ فِي الْمَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ سَلِيمَانَ: وَاللَّهِ لَا يَخْذَلُهُ
مِنْهُمْ! قَالَ يَزِيدُ: إِنِّي قَدْ حَلَّتُهُ! قَالَ: فَآدُهُ! قَالَ يَزِيدُ: وَاللَّهِ مَا حَلَّتُهُ إِلَّا وَدَيْهُ!
ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ^(١) وَإِنْ عَظُمَ خَطْبُهَا، فَحَمَدُهَا
وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهَا، ثُمَّ غَدَا يَزِيدُ بِالْمَالِ عَلَى الْخَزَانَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ.

فَدَخَلُوا عَلَى سَلِيمَانَ فَأَخْبَرُوهُ بِقَبْضِ الْمَالِ؛ فَقَالَ: وَفَتَ مِينُ سَلِيمَانَ؛ احْمِلُوا
إِلَى أَبِي خَالِدِ مَالَهُ!

(١) الْحَالَةُ: الْغَرْمُ يَحْمِلُ عَنِ الْقَوْمِ.

* ٩٧ - أنت أخو الندى وحليفه

قال بعض مشيخة قريش :

أذنَ الوليدُ بنُ عبدِ الملكَ يوماً لِلنَّاسِ ، فدخلوا علَيْهِ ، وأذنَ لِلشُّعراَءِ؛ فكانَ
أولَ مَنْ بَدَرَ بَيْنَ يَدِيهِ عُوَيْفُ^(١) القَوَافِي الفَزَارِي فاستاذَهُ فِي الإِنْشادِ؛ فقَالَ :
مَا بَقَيْتَ لِي بَعْدَ مَا قُلْتَ لِأَخِي بْنِ زَهْرَةَ؟ قَالَ : وَمَا قُلْتُ لَهُ مَعَ مَا قَاتَ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ : أَلْسْتَ الَّذِي تَقُولُ :

ياطلحُ أنتَ أخو الندى وحليفه إنَّ النَّدِي مِنْ بَعْدِ طَلْحَةَ مَا تَأْتِي
إِنَّ الْفَعَالَ^(٢) إِلَيْكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ فَبِحِيثٍ بَتَّ مِنَ الْمَنَازِلِ بَاتَا
أَوْلَسْتَ الَّذِي تَقُولُ :

إِذَا مَا جَاءَ يَوْمُكَ يَا بْنَ عَوْفٍ فَلَا مَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
تَسَاقَ النَّاسُ بَعْدَكَ يَا بْنَ عَوْفٍ ذَرِيعَ^(٣) الْمَوْتِ لِيْسَ لَهُ شَفَاءُ
أَلْقَمْ عَلَيْنَا السَّاعَةُ يَوْمَ قَامَتْ عَلَيْهِ؟ لَا وَاللهِ لَا أَسْمَعُ مِنْكَ شِيئاً ، وَلَا
أَنْقُمْ بِنَافِعَةً أَبْدَأْ . أَخْرِجُوهُ عَنِّي !

* الأغاني من ١٠٨ ج ١٧

(١) هو عويف بن معاوية من قيس عيلان ، كان شاعراً مقللاً من شعراً الدولة الأموية ،
وبنته كان أحد البيوتات المقدمة الفاخرة في العرب (٢) الفعال : الفعل الحسن ، أو الكرم

(٣) موت ذريع : سريح

فَلَمَّا أُخْرِجَ قَالَ لِهِ الْقَرْشِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ : وَمَا النَّذِي أَعْطَاكَ طَلَحَةَ^(١) حِينَ اسْتَخْرَجَ هَذَا مِنْكَ ؟ قَالَ : أَمَّا اللَّهُ لَقَدْ أَعْطَانِي غَيْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَطْيَتِهِ ، وَلَكِنْ لَا وَاللَّهُ مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ قَطُّ أَحَلَّ فِي قَابِي ، وَلَا أَبْقِي شَكْرًا ، وَلَا أَجْدَرَ أَلَا أَنْسَاهَا مِنْ عَطْيَتِهِ ! قَالُوا : وَمَا أَعْطَاكَ ؟ قَالَ :

قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَمَعِي بُضِيعَةَ^(٢) لِي ، لَا تَبْلُغُ عَشْرَةَ دَنَارِيْنَ ، أَرِيدُ أَنْ أَبْتَاعَ قَوْدَأً مِنْ قِعْدَانِ الصَّدَقَةِ . فَإِذَا بِرَجُلٍ فِي صَحْنِ السُّوقِ عَلَى طِنْفِسَةٍ قَدْ طَرِحَتْ لَهُ ، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ ، وَإِذَا بَيْنَ يَدِيهِ إِبْلٌ ؛ فَظَاهَرَتْ أَنَّهُ عَامِلُ السُّوقِ ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَأَثْبَتَنِي^(٣) وَجْهَلَتْهُ ؛ فَقَالَتْ رَجُلُكَ اللَّهُ هَلْ أَنْتَ مُعِينٍ عَلَى قَوْدَأِ مِنْ هَذِهِ الْقِعْدَانِ تَبْتَاعُهُ لِي ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! أَوْمَعَكَ مِنْهُ ؟ فَقَاتَ : نَعَمْ ! فَأَهْوَى بَيْدَهُ إِلَيَّ فَأَعْطَيْتُهُ بُضِيعَتِي ؛ فَرَفَعَ طِنْفِسَتَهُ وَأَلْقَاهَا تَحْتَهَا ، وَمَكَثَ طَوِيلًا ؛ ثُمَّ قَاتَ إِلَيْهِ فَقَالَ : رَجُلُكَ اللَّهُ انْظُرْ فِي حَاجَتِي ! فَقَالَ : مَا مَنْعِنِي مِنْكَ إِلَّا النَّسِيَانُ ، أَمْكُثْ حَبْلَ ؟ قَاتَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفْرِجُوكَ . فَأَفْرَجُوكَ عَنْهُ حَتَّى اسْتَقْبَلَ الْإِبْلَ الَّتِي بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ : اقْرَنْ هَذِهِ وَهَذِهِ ، فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَمْرَلَى بِثَلَاثِينَ بَكْرَةً أَدْنَى بَكْرَةً مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ بِضَاعَتِي ! ثُمَّ رَفَعَ طِنْفِسَتَهُ فَقَالَ : وَشَانِكَ بِبِضَاعَتِكَ فَاسْتَمِنْ بِهَا عَلَى مِنْ تَرْجِعُ عَلَيْهِ !

(١) هو طلحة بن عبد الله بن عوف من بنى زهرة أحد الأجداد القدامى ، كانت عادته إذا أصاب مالاً أن يفتح بابه ليغشأه أصحابه والناس فيطعم ويميز حق ينفرد ماعنته فيفارق الباب فلا يقصده أحد ، توفي سنة ٩٧ هـ (٢) البضاعة ، القطعة من المال الذي يتجر فيه ، والبضاعة تصغرها

(٣) أثبنتني : عرفني حق المعرفة .

فقلتُ : رحمك الله ! أتدرى ما تقول ؟ فما بقى عنده إلا مَنْ نَهَرَتْني وشتموني !
 ثم بعث معى نفراً فأطأطرواها ^(١) حتى أطْلَمْعُوهَا من رأس الشَّنَيَّةِ ، فوالله لا أنساه
 مادمت حياً أبداً .

* ٩٨ - ما كذب مذ شد عليه إزاره *

خرج عمر ^(٢) بن عبد العزيز مع سليمان يريده الصائفة ، فالتقى غلامان
 وغلمان سليمان على الماء فاقتربوا ، فضرب غلامان عمر غلامان سليمان ؛ فشكوا ذلك
 إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر فقال له : ضرب غلامانك غلاماني ، قال : ما علمت ؟
 فقال له سليمان : كذبت ! قال : ما كذبت مذ شدت على إزارى ، وعلمت أن
 الكذب يضر أهله ؛ وإن في الأرض عن مجلسك هذا لسعة .

فتجهز يريده مصر ، فبلغ ذلك سليمان ، فشق عليه ؛ فدخلت فيما بينهما عمة لهم ؟
 فقال لها سليمان : قولى له : يدخل على ولا يعايني ؛ فدخل عليه عمر ، فاعتذر إليه
 سليمان ، وقال له : يا أبا حفص ، ما اغتنمت بأمر ، ولا أكربي هم إلا خطرت
 فيه على بالى ، فأقام ؟

(١) أطردت الإبل : أى أمرت بطردها ، وطرد الإبل : ضمها من نواحيها .

* سيرة عمر بن عبد العزيز من ٢٢

(٢) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الصالح ولد بالمدينة ، ونشأ بها وولى إمارتها لوليد ، وولى
 خلافة سنة ٩٩ هـ وأخباره في عده وحسن سياسته كثيرة توفى سنة ١٠١ هـ

* ٩٩ — أُعطيكِ مالٍ إن شئت !

لما ولَى عمرُ بن عبد العزِيزَ أتَتْ عَمَّةُ لَهُ إِلَى فاطِمَةَ امْرَأَتِهِ ، فَقَالَتْ : إِنِي
أَرِيدُ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَتْ لَهَا : اجْلِسِي حَتَّى يَفْرُغُ ، فَجَلَسَتْ فَإِذَا بِعُلَامَى
قَدْ أتَى فَأَخَذَ سِرَاجًا . قَالَتْ لَهَا فاطِمَةُ : إِنِّي كَفَرْتُ تُرِيدِيهِ فَالآنَ ، فَإِنَّهُ إِذَا
كَانَ فِي حَوَائِجِ الْعَامَةِ كَتَبَ عَلَى الشَّمْعِ ، وَإِذَا صَارَ فِي حَاجَةٍ نَفْسَهُ دَعَا بِسِرَاجِهِ .
فَقَامَتْ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَإِذَا بَيْنِ يَدِيهِ أَفْرَاصٌ وَشَيْءٌ مِنْ مَلْحٍ وَزَيْتٍ وَهُوَ
يَعْشَى ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَيْتُ لَهُ حَاجَةً لِي ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ أَبْدَأَ بِكَ قَبْلَ
حَاجَتِي ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا عَمَّةَ ؟ قَالَتْ : لَوْ أَخْدَتَ لَكَ طَعَامًا أَلَيْنَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ :
لَيْسَ عَنِّي يَا عَمَّةَ ، وَلَوْ كَانَ عَنِّي لَفَعَلْتُ ! قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَانَ عَلَيْكَ
عَبْدُ الْمَلِكِ يُجْرِي عَلَى كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ كَانَ أَخْوَكَ الْوَالِيدَ فَزَادَنِي ، ثُمَّ كَانَ أَخْوَكَ
سَلِيَّانَ فَزَادَنِي ، ثُمَّ وَلِمَتْ أَنْتَ قَطْعَتَهُ عَنِي .

قَالَ : يَا عَمَّةَ ؛ إِنِّي عَمِي عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَخِي الْوَالِيدَ ، وَأَخِي سَلِيَّانَ كَانُوا يَعْطُونِكَ
مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ الْمَالُ لِي فَأُعْطِيكَهُ ، وَلَكِنِي أُعْطِيكِ مَالِ إِنْ
شَئْتَ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : عَطَانِي مَا نَتَّا دِينَارٌ فَهَلْ لَكَ فِيهِ ؟
قَالَتْ : وَمَا يَبْلُغُ مِنِي عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : فَلَمَسْتُ أَمِيلَكَ غَيْرَهُ يَا عَمَّةَ . فَانْصَرَفَتْ عَنِهِ !

* ١٠٠ - الشمعة والسراج

وفد على عمر بن عبد العزيز بريده من بعض الآفاق ، فانتهى إلى باب عمر ليلاً ، فشرع الباب ، فخرج إليه البواب ، فقال : أعلم أمير المؤمنين أنَّ بالباب رسولًا من فلان عامله ؟ ودخل فأعلم عمر - وقد كان أراد أن ينام - فقعد ، وقال : أئذن له !

فدخل الرسول فدعاه عمر بشمعة غليظة فأجبَّت ناراً ، وأجلس الرسول ، وجلس عمر ، فسألَه عن حال أهلِ البلد ومنْ بها من المسلمين وأهلِ العهد ، وكيف سيرة العامل ؟ وكيف الأسعار ؟ وكيف أبناء المهاجرين والأنصار ، وأبناء السبيل والفقرا ؟ وهل أعطى كلَّ ذي حقٍ حقَّه ؟ وهل له شاكٌ ؟ وهل ظلم أحداً .

فأنبأه بجميع ما علم من أمر تلك الماكرة ؛ يسأله فيُحْفَى^(١) السؤال ، حتى إذا فرغَ عمر من مسائلته قال له : يا أمير المؤمنين ؛ كيف حالك في نفسك وبذنك ؟ وكيف عيالك وجميع أهل بيتك ومن تعني بشأنه ؟ فنفع عمر الشمعة فأطأها بفتحته ، وقال : ياغلام على سراج ؛ فأتى بفتيله لاتكاد تُقْبِي ، فقال : سَلْ عما أحببت ، فسألَه عن حاله ؛ فأخبره عن حال ولده وأهل بيته .

فعجب البريد للشمعة وإطفائِه إياها ، وقال : يا أمير المؤمنين رأيتك فعلتَ أمراً مارأيتك فعاتَ مثله ! قال : وما هو ؟ قال : إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك

* سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦١

(١) أحفى سؤاله : ردده .

عن حالك وشأنك . فقال : يا عبد الله ؛ إن الشمعة التي رأيتها أطفأها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حواجهم وأمرهم ؛ فكانت تلك الشمعة تقد بين يدي فيما يصلاحهم ، وهي لهم ؛ فلما صرط لشأنى وأمر عيالى ونفسى أطفأت نار المسلمين !

* ١٠١ - حدثت عمر بن عبد العزيز مع ابنه عبد الملك حين احترض *

كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز من أحب الناس إلى أبيه ؛ ففرض فاشتد مرضه ، فأخبر أبوه بذلك ؛ فأناه فوقف عليه ، وقال : يا بني ! كيف تحدك ؟ قال : أجدني صالحاً - وكتمه ما به كراهة أن يعلمه - قال : يا بني أصدقني عن نفسك ، فإن أحب الأمور إلى فيك لوضع القضاء ، قال : أجدني يا بنت أموت ! فولى عمر إلى قبنته ، فيما هو في صلاته إذ مات عبد الملك ، فأناه مزاجم ، فقال : يا أمير المؤمنين توقي عبد الملك ؛ فخر مغشيا عليه .

فلما ذُفن عبد الملك قال له مزاجم - وكان قد عهد إليه إذا رأى منه أمرين مختلفين أن يخبره بذلك - يا أمير المؤمنين ؛ رأيت منك عجباً ، أتيت عبد الملك فسألته عن حاله فكتئمك ما به فقلت له : يا بني ؛ أصدقني عن نفسك ؛ فإن أحب الأمور إلى فيك لوضع القضاء ، فأخبرك أنه يموت . فلما مات خرت مغشياً عليك . قال : قد كان ذاك يامزاجم ! فقد علمت أنَّ ملكَ الموت قد دخل إلى منزلي ، فأخذ بضمها مني ، فراعنى ذلك فأصابني ما قد رأيت !

١٠٢ — عَفَّةُ جَرِيرٍ^(١) وَفَجُورُ الْفَرَزْدَقَ^{*}

قدم الفرزدق^(٢) على عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة وأليها من قبيل الوليد بن عبد الملك ؛ فأنزله عمر منزلًا قريباً منه وأكرمه ، وأحسن ضيافته ؛ ثم إنَّه بلغه عنه أنه صاحب فجور ؛ فبعث إليه عمر بالطاف مع جارية له ، وقال : أغسلني رأسه وألطفيه جهداك^(٣) — وأراد اختباره بذلك ليعلم حاله .

فأَتَتْهُ الْجَارِيَّةُ ، وَفَعَلَتْ مَا أَمْرَهَا بِهِ مَوْلَاهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَمَاتِيدُ أَنْ تَغْسِلَ رَأْسِكَ ؟ قَالَ : بَلِّ ، فَقَرَبَتْ إِلَيْهِ الْفِسْلُ^(٤) ، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتَغْسِلَ رَأْسَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ؛ وَذَلِكَ بَعْنَعِ عَمْرٍ ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ عَلَيْهِ مِنْ خَوْخَةٍ^(٥) لَهُ .

وَلَمَّا خَرَجَتِ الْجَارِيَّةُ إِلَى عَمْرٍ بَعَثَ إِلَيْهِ : أَنْ اخْرُجْ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَئِنْ أَخْذَتْكُ فِيهَا - مَادَمَ لِي سُلْطَانٌ - لَا عَاقِبَنَّكُ ، وَنَفَاهُ عَمْرُ عَنِ الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا خَرَجَ وَصَارَ عَلَى رَاحِلَتِهِ قَالَ : قَاتِلُ اللَّهِ ابْنَ الْمَرَاغَةِ^(٦) ! كَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ حِيثُ يَقُولُ :

* هَائِنْ جَرِيرُ وَالْفَرَزْدَقُ مِنْ ٣٩٧ ج ١ طبع ليدن .

(١) جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ الْحَطَّافِيِّ : أَحَدُ فَحُولِ الشَّعَرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ ، وَلَدَ بِالْيَمَامَةِ وَنَشَأَ بِالْبَادِيَّةِ وَفِيهَا قَالَ الشِّعْرَ وَنَبَغَ فِيهِ ، وَلَا يَعْظِمُ أَمْرُهُ اتَّصَلَ بِالْحَجَاجِ وَمَدْحُومِهِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِعَدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَعُدَّ مِنْ مَدَاحِ بَنِ أُمَّيَّةَ . مَاتَ سَنَةُ ١١٠ هـ (٢) الْفَرَزْدَقُ : هُوَ أَبُو فَرَاسِ هَمَامُ بْنُ غَالِبٍ ، نَشَأَ بِالْبَصَرَةِ وَأَخْذَهُ أَبُوهُ بِرْوَاهُ الشَّعْرَ وَنَظَمَهُ فِرْوَاهُ وَنَبَغَ فِيهِ ، وَتَعْرَفَ بِوَلَّةِ الْبَصَرَةِ وَمَدْحُومِهِ وَهَبَاهِمَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى خَلْفَاءِ بَنِ أُمَّيَّةِ بِالشَّامِ وَمَدْحُومِهِ وَنَالَ جَوَازِهِمْ . مَاتَ سَنَةُ ١١٠ هـ (٣) الْجَهْدُ : الْطَّافَةُ (٤) الْفِسْلُ : مَا يَغْسِلُ بِهِ الرَّأْسَ (٥) الْخَوْخَةُ : كُوكُبةُ فِي الْجَدَارِ تُؤْدِي الصُّوَرَ (٦) ابْنُ الْمَرَاغَةِ : هُوَ جَرِيرٌ .

وَكُنْتَ إِذَا نَزَلْتَ بَدَارِ قَوْمٍ رَحِلتَ بَخْزَيَّةً وَتَرْكْتَ عَارًّا

ثُمَّ قَدِمْ جَرِيرُ عَلَى عُمَرَ فَأَنْزَلَهُ فِي مَنْزِلِ الْفَرِزَدْقِ ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ بِتْلِكَ الْجَارِيَةَ
عَيْنِهَا ، وَأَمْرَهَا أَنْ تَفْعَلَ بِجَرِيرِ مَا فَعَلَتْ بِالْفَرِزَدْقِ ، فَأَطْفَفَهُ ، وَفَعَلَتْ بِهِ مُشَابِهَةً
مَا فَعَلَتْ بِالْفَرِزَدْقِ ، وَقَالَتْ لَهُ : قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَاغْسِلْ رَأْسَكَ ، فَقَامَ ، وَقَالَ لَهُ :
تَنْعَحْ عَنِّي ، قَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ : سَبَحَانَ اللَّهِ ! إِنَّمَا بَعْثَنِي سَيِّدِي لِأَخْدُمْكَ ، فَقَالَ :
لَا حَاجَةَ لِي فِي خِدْمَتِكَ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنَ الْجُبْرَةِ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَيْهِ وَأَتَرَرَ ،
فَغَسَلَ رَأْسَهُ ، وَعَمِرٌ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ مِنْ حِينِ بَعْثَ الْجَارِيَةِ إِلَى أَنْ خَرَجَتْ مِنْ عَنْدِهِ .

فَلَمَّا رَاحَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى عُمَرَ حَدَّتْهُمْ بِفَعْلِ الْفَرِزَدْقِ وَجَرِيرِ ،
وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَفْضَلُونَ الْفَرِزَدْقَ عَلَى جَرِيرِ مَعْنَى
بَطْنِ جَرِيرِ وَجُجُورِ الْفَرِزَدْقِ ، وَقَلَّهُ وَرَأَعَهُ وَخَوْفُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ !

* ١٠٣ — خالد القسري و زياد بن عبيد الله

قال زياد بن عبيد الله : أتيت الشام ، فبینا أنا يوماً على باب هشام بن عبد الملك إذ خرج على رجل من عنده ، فقال لي : مَنْ أنتَ يافني ؟ قلتُ : يمان ! قال : هنَّ أنتَ ؟ قلتُ : زياد بن عبيـد الله بن عبد المدان ، قال : فتبسم وقال : قم إلى ناحية العسكر ، فقل لأصحابي : ترـحـوا ؛ فإنـ أمـير المؤمنـين قد رضـى عنـي ، وأمرـني بالمسـير .

قلـتُ : مَنْ أنتَ يـرحـكـ الله ؟ قال : خـالـد^(١) بـنـ عـبدـ اللهـ القـسـريـ ، ثمـ قالـ : وـمـرـهـ يـافـنيـ أـنـ يـعـطـوكـ منـدـيلـ ثـيـابـيـ وـبرـذـونـيـ الأـصـفـرـ . قالـ : فـلـمـ جـزـتـ قـلـيلاـ نـادـانـيـ ، فـقـالـ : يـافـنيـ ، وـإـنـ سـمعـتـ بـيـ قـدـ ولـيـتـ العـرـاقـ يـوـمـاـ فـالـحـقـ بـيـ .

قالـ : فـذـهـبـتـ إـلـيـهـمـ ، فـقـلـتـ لـهـمـ : إـنـ الـأـمـيرـ قـدـ أـرـسـلـيـ إـلـيـكـمـ بـأـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ قـدـ رـضـىـ عـنـهـ ، وـأـمـرـهـ بـالـمـسـيرـ ؛ فـجـعـلـ هـذـاـ يـخـتـصـنـيـ ، وـهـذـاـ يـقـبـلـ رـأـسـيـ ؛ فـلـمـ رـأـيـتـ ذـلـكـ مـنـهـمـ قـلـتـ : وـقـدـ أـمـرـنـيـ أـنـ تـعـطـونـيـ مـنـدـيلـ ثـيـابـهـ وـبرـذـونـهـ الأـصـفـرـ . قالـواـ : اـيـ وـالـلـهـ وـكـرـامـةـ ، فـأـعـطـونـيـ مـنـدـيلـ ثـيـابـهـ وـبرـذـونـهـ الأـصـفـرـ .

فـمـ أـمـسـىـ بـالـعـسـكـرـ أـحـدـ أـجـودـ ثـيـابـاـ وـلـاـ مـرـكـبـاـ مـنـيـ .

فـلـمـ أـلـبـثـ إـلـاـ يـسـيرـاـ حـتـىـ قـيـلـ : قـدـ ولـيـ خـالـدـ العـرـاقـ ؟ فـرـكـبـنـيـ مـنـ ذـلـكـ هـمـ ؟

* الطبرى من ١٨١ ج ٨

(١) كان خالد القسري أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك الأموي وولى قبل ذلك مكة ، وكان معذوباً من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، جواداً كثيراً المعطاء ، وتوفي سنة ١٢٠ هـ مقتولاً ودفن بالحيرة .

قال لي عريف لنا : مالى أراك مهموماً ؟ قلت : قد ول خالد كذا وكذا ، وقد أصبت هاهنا رُزِيقاً عشت به ، وأخشى أن أذهب فيتغير على ، فيفوتني هذا وذاك ؛ فلست أدرى كيف أصنع ؟ فقال لي : هل لك في خصلة ؟ قلت : وما هي ؟ قال : توكلني بأرزاقك وتخرج ؟ فإن أصبت ما تحب فلي أرزاقك ، والإرجعت فدفعتها إليك ؟ قلت : نعم ، وخرجت .

فلا قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي ، وأذن للناس فتركتهم حتى أخذوا مجالسهم ، ثم دخلت ، فقمت بالباب ، فسلمت ودعوت وأنثيت ؛ فرفع رأسه فقال : أحسنت ! بالرُّحْب والسعَة ؛ فارجعت إلى منزلي حتى أصبت سبعة دينارين نقد وعرض .

ثم كنت أختلف إليه ؛ فقال لي يوماً : هل تكتب يازيد ؟ قلت : أقرأ ولا أكتب أصلح الله الأمير ! فضرب بيده على جبينه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سقط منك تسعة عشرار ما كنت أريده منك ، وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر .

قالت : أيها الأمير ؟ هل في تلك الواحدة ثمن غلام ؟ قال : وماذا حينئذ ؟ قلت : تشتري غلاماً كتاباً بعث به إلى فيعلمى ، قال : هيهات ! كبرت عن ذلك ! قلت : كلا ؛ فاشترى غلاماً كتاباً حاسباً بستين ديناراً ، بعث به إلى فأكَبَتُ على الكتاب ، وجعلت لا آتية إلا ليلاً ؛ فماضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت ، وقرأت ما شئت !

قال : فإني عنده ليلة إذ قل : ما أدرى هل أنجحت من ذلك شيئاً ؟ قلت : نعم ؛ أكتب ما شئت وأقرأ ما شئت ! قال :

إِنِي أَرَاكَ ظُفْرَتَ مِنْهُ بَشِّيٌّ، يَسِيرٌ فَأَعْجِبُكَ . قَلْتَ: كَلا .

فَقَالَ: أَقْرَأْ هَذَا الطُّومَارَ^(١)؛ فَقَرَأْتُ مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ إِنَّا هُوَ مِنْ عَامِلِهِ عَلَى الرِّزْقِ؛ فَقَالَ: اخْرُجْ فَقَدْ وَلَيْتَكَ عَمِلْهَ .

* ١٠٤ — الْفَقْرُ خَصْمُ لَجْوَجَ

رَكِبَ خَالِدٌ فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ الْبَرَدِ كَثِيرِ الْغَيْمِ، فَتَعَرَّضَ لِهِ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُ: نَاسِدْتُكَ اللَّهُ إِلَّا ضَرَبْتَ عَنْقِي، فَقَالَ لَهُ: أَكَفَرْ بَعْدِ إِيمَانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفْتَرَغْتُ عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: لَا! قَالَ: أَفْقَتَلْتَ نَفْسًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا سبِبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِي خَصْمٌ لَجْوَجٌ قَدْ عَلَقَ بِي، وَلَزَمَنِي وَقَهَرَنِي . قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: الْفَقْرُ! قَالَ: فَكَمْ يَكْفِيكَ لِدَفْعَهِ؟ قَالَ: أَرْبَعَةَ آلَافَ دَرَهمٌ! قَالَ: إِنِي نُمَدِّكَ بِأَرْبَعَةَ آلَافَ دَرَهمٌ!

ثُمَّ قَالَ خَالِدٌ: يَا غَلَامٌ؛ ادْفَعْ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافَ دَرَهمٌ، وَأَلْتَقَتَ وَقَالَ: هَلْ رَبِيعَ أَحَدَّ مِنْ التَّجَارِ كَرِبْحَى الْيَوْمِ؟ قَالُوا: وَكِيفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: عَزَّمْتُ عَلَى أَنْ أَعْطِيَ هَذَا الرَّجُلَ ثَلَاثَيْنِ أَلْفَ دَرَهمٌ، فَلَمَّا طَلَبَ أَرْبَعَةَ آلَافَ دَرَهمٌ وَفَرَّ عَلَى سَتَةِ وَعَشْرَوْنَ أَلْفَ دَرَهمٌ.

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُ، قَالَ: حَاشَاكَ وَأَعِذْكَ بِاللَّهِ أَنْ تَرْبَعَ عَلَى مُؤْمِلِكَ . فَقَالَ: يَا غَلَامٌ؛ أَعْطَهُ ثَلَاثَيْنِ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: أَقْبِضُ الْمَالَ، وَادْهَبْ آمِنًا إِلَى خَصْمِكَ، وَمَنِي رَجْعً يُعَارِضُكَ فَاسْتَنْجِدْ بِنَا عَلَيْهِ!

(١) الطومار: الصحيحة .

* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

* ١٠٥ — يشتكي الفقر

أَتَى رَجُلٌ عَلَىٰ بْنِ سَلَيْمَانَ ؛ فَقَالَ لَهُ : بِالَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْكَ هَذَا النَّعْمَ - مِنْ غَيْرِ
 شَفْعِيْعَ كَانَ لَكَ إِلَيْهِ إِلَّا تَفْضُلًا مِنْهُ عَلَيْكَ - إِلَّا أَنْصَفْتَنِي مِنْ حَصْمِيِّ ، وَأَخْذَتَ
 الْحَقَّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ ظَلَمٌ عَشُومٌ ، لَا يَسْتَحِيْ مِنْ كَبِيرٍ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى صَغِيرٍ !
 فَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُنِي مَنْ هُوَ ؟ فَإِنَّ لَمْ يَنْصُفْكَ ، وَإِلَّا أَخْذَتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ ! مَنْ هُوَ ؟
 فَقَالَ : الْفَقْرُ ! فَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ مَلِيًّا ، يَنْسَكُ^(١) الْأَرْضَ بِأَصْبَعِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ ، فَأَمْرَرَ لَهُ بَعْشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَأَخْذَهَا وَمَضَى ؛ فَلَمَّا سَارَ خَارِجًا ، قَالَ : رُدُوهُ !
 فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنِ يَدَيْهِ قَالَ : يَا ذَا الرَّجُلِ ؛ سَأْتُكَ بِاللَّهِ - مَتَى أَنَا كَخَصْمِكَ مَتَعْسِفًا -
 إِلَّا أَنِيتَ إِلَيْنَا مَتَظَلَّمًا !

* عين الأدب والسياسة ص ١٧٦

(١) النَّسْكُ : أَنْ تَضْرِبَ الْأَرْضَ بِقُضْبَيْ فِيْهَا .

* (١٠٦) — حدثني عن أغرب مامر بك

لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى جميع رجال بني أمية . وكان منهم إبراهيم بن سليمان ، فشفع له عند السفاح^(١) بعض خواصه . فأعطاه الأمان ، ثم أحله مجاسة ، وأكرمه متواه .

وقال له السفاح ذات يوم : يا إبراهيم ؟ حدثني عن أغرب مامر بك أيام اختفائك .

قال : كنت مختفياً في الحيرة ينزل مشرفي على الصحراء . فيينا كنت يوماً على ظهر ذلك البيت أبصرت أعلاماً سوداء قد خرجت من الكوفة تُريد الحيرة ، فأوجست منها خيفة ؛ إذ حسبتها تقصدني .

فخرجت مسرعاً من الدار متسلكاً ، حتى أتيت الكوفة ، وأنا لا أعرف من أختفي عنده ، فبقيت متخيلاً في أمري ؛ فنظرت فإذا أنا بباب كبير فدخلته ؛ فرأيت في الرحبة^(٢) رجلاً وسيا^(٣) لطيف الهيئة ، نظيف البزة^(٤) ، فقال لي : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قلت : رجل خائف على دمه وجاء يستجير بك . فادخلني منزله ، وواراني في حجرة نلى حجرة حرم^(٥) . فاقت عنده ، ول

* بحر الآداب ص ٥٢ ج ٣

(١) هو عبد الله بن محمد أول خلفاء الدولة العباسية بيع له بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢ هـ وتوفي بالأبار سنة ١٣٦ هـ (٢) الرحبة : الشاحة (٣) وسيا : حن الوجه

(٤) البزة : الثياب (٥) حرم : نسائه .

كل ما أحِبُّ من طعام وشراب ولباس ، وهو لا يسألني عن شيء من حالي ؛ إلا أنه كان يركب في كل يوم من الفجر ولا يرجع إلا قبيل الظهر .

فقلت له يوماً : أراك تدمن^(١) الركوب ؟ ففيم ذلك ؟ قال لي : إن إبراهيم ابن سليمان بن عبد الملك قتل أبي ، وقد بلغنى أنه مختفٍ في الحيرة ، فانا أطلبه على أجدده وأدرك منه ثارى . فلما سمعت ذلك - يا أمير المؤمنين - عظُم خوف ، وضاقت الدنيا في عيني ، وقلت : إنني قد سُقْتُ نفسي إلى حتف .

ثم سألت الرجل عن اسمه واسم أبيه ، فأخبرني عن ذلك . فعلمت أن كلامه حق ؛ فقلت له : ياهذا ؟ إنه قد وجَّب على حُكْمك ، وجراه لمعروفك لي أريد أن أدلك على ضالتك .

فقال : وأين هو ؟ قلت : أنا بغيتك إبراهيم بن سليمان ، فأخذ بشأرك . فتبسم وقال : هل أضْجِرك^(٢) الاختفاء والبعد عن دارك وأهلك فأحببت الموت ؟ قلت : لا والله ! ولكنني أقول لك الحق ، وإنني قتلت أباك في يوم كذا من أجل كذا وكذا .

فلما سمع الرجل كلامي هذا ، وعلم صدق ، تغير لونه ، واحمررت عيناه ؛ ثم فكر طويلا ، والتفت إلي ، وقال : أمّا أنت فسوف تلقى أبي عند حاكم عادل فيأخذ بشأره منك ؛ وأمّا أنا فلا أخفر ذمتي^(٣) ، ولكنني أرغب أن تتبعَ عنِّي ؛

(١) تدمن : تدمي . (٢) أضْجِرك : أنبك . (٣) لا أخفر ذمتي : لا أخفى عهدي بك ولا أغدر بك بعد أن أمنتك .

فِإِنِّي لَسْتُ أَمَنْتُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ قَدْمَ لِأَلْفَ دِينَار ، فَأَبْيَتُ أَخْذَهَا ،
وَانْصَرَفَ عَنْهُ !
فَهَذِهِ الْحَادِثَةُ أَغْرِبُ مَامِرَ بِي ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَكْرَمُ مَنْ رَأَيْتُهُ ، وَسَمِعْتُ
عَنْهُ بَعْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

* ١٠٧ — المنصور وأهله

قال أَحْمَدُ بْنُ اسْمَاعِيلَ بْنُ عَلَى :

كَانَ أَبِي وَمَشَايِخُ أَهْلِي يَجْلَسُونَ مَعَ أَبِي جَعْفَرَ^(١) الْمُنْصُورَ ، وَكَانَ أَحْدَاثُنا
يَجْلَسُونَ دُونَ ذَلِكَ . وَكَانَ يَتَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِنَا مَا كَانَ يَتَفَقَّدُهُ مِنْ أُمُورِ وَلَدِهِ ، حَتَّى
يَسْتَقْرِئَ^(٢) أَحْدَانَا ، وَيَسْأَءَ مَا بَلَغَ مِنَ الْقُرْآنَ ، وَكُنَّا نَصِّلُ الْغَدَاءَ^(٣)
وَالْعَشَى^(٤) فَنَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْنَا .

وَإِنَّا صَرَّنَا فِي مَجْلِسِهِ ذَاتَ يَوْمٍ كَمَادَنَا ؛ فَجَلَسْنَا نَنْتَظِرُ خَرْوَجَهُ إِذَا أَفَاضَ
أَبِي وَعَوْمَقِي فِي اسْتِبْطَائِهِ وَاسْتِثَارَهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَأَطْنَبُوا فِي ذَلِكَ ؛ وَكَانَ الْمَوْكِلُ
بِالْبَابِ — سَلِيمُ الْأَسْوَدِ — يَرْفِعُ السِّترَ إِذَا جَاءَ ؛ فَحَانَتْ مِنْ سَلِيمَ غَفَلَةً ، وَجَاءَ
أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ يَتَسْمَعُ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَهْمَ مَاهُمْ فِيهِ ، وَوَبَ سَلِيمٌ لِيَرْفِعَ السِّترَ ؛ فَأَمْسَكَ
بِيَدِهِ وَمِنْعِهِ مِنْ رَفِيعِهِ حَتَّى اسْتَوْعَبَ سَمْعَهُ جَمِيعَ مَا كَانُوا فِيهِ .

* غُرُّ الْخَصَائِصِ ص ١٦٧

(١) انظر صفحة ١٠٤ (٢) استقرى : تابع (٣) الغداء : ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس (٤) العشى : من صلاة المغرب إلى العتمة .

فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامُهُمْ أَمْرَ بِرَفْعِ السِّرِّ وَدَخَلَ ، فَقَامُوا لَهُ كَنْحُو مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ؛ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا هَذَا بِحُضُورِ الْعَامَةِ ؛ لَتَشَدَّدُوا بِذَلِكَ سُلْطَانَكُمْ ؛ فَأَمَا مَجَالِسُ الْخَلَوَةِ فَنَحْنُ فِيهَا إِخْرَوْهُ .

ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِالجلوس ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : يَا عَمَومِي ، وَيَا إِخْرَوْهُ ؛ قَدْ سَمِعْتُ مَا كَنْتُمْ فِيهِ ، وَقَوْلَكُمْ : اسْتَأْثِرُ عَلَيْنَا ؛ وَلِعُمرِي لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ؛ وَمَا اسْتَثَارَيْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا لَكُمْ ، وَإِشْفَاقًا مِنْ ذَهَابِ سُلْطَانَكُمْ ، وَزَوْالِ أَمْوَالِكُمْ ، وَإِنَّمَا أَبْكِي لَكُمْ رِقَّةً عَلَيْكُمْ ؛ فَكَأْنَى بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ وَمِنْ أَبْنَائِكُمْ ، أَوْ مِنْ أَبْنَاءِ أَبْنَائِكُمْ بَيْنَ يَدِي الرَّجُلِ مَنْ وَلَدَ أَوْ وَلَدَ وَلَدِي ؛ يَنْتَسِبُ لَهُ ، فَلَا يَعْرِفُهُ ، بَلْ أَعْلَمُ بِهِ يَبْلُغُ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَاسِ ! فَذَهَبُوا لِيَتَكَلَّمُوا ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا سَكَنْتُمْ ؛ أَفِيَضُوا بِنَافِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ !

قَالَ أَحْمَدُ : وَضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرَبَاتِهِ ، وَمَاتَ الْمَنْصُورُ ، وَوَلَى الْمَهْدِي وَمَاتَ ، وَوَلَى الْمَهْدِي ثُمَّ مَاتَ ، وَوَلَى الرَّشِيدُ ، وَخَرَجَ إِلَى الرِّقَّةِ ، وَنَالَتْنَا جَفْوَةً ، وَلَزِمْنِي دِينٌ ؛ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ؛ فَكَانَ أَوْلُ مَالْقِيتِي مُوكِبًا عَظِيمًا ، فَقَلَتْ : مَا هَذَا ؟ فَقَيْلَ لِي : هَذَا وَلِيَّ الْعَهْدِ : الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ .

فَتَرَجَّلَتْ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَتْ : أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّابِ ، وَبَكَيْتُ ! فَاتَّهَى الْخَبَرُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الرَّشِيدِ ، فَلَمْ أَصْلِ إِلَى مَنْزِلِي حَتَّى لَقِيَنِي رَسُولُهُ يَدْعُونِي .

فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَالَ لِي : مَمَّ بَكَيْتَ ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَانَ مِنَ الْقَصَّةِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَسُقْتَ إِلَيْهِ خَبْرُ الْمَنْصُورِ ، فَبَكَيْتُ إِذْ كَنْتُ الْمُبْتَلَى بِذَلِكَ

دون من حَضْرَه ؟ فقال لِي : هَا ابْنَا أخِيك ، وَهِيَ عَوْرَةٌ فَاسْتُرْهَا ، وَلَنْ تُسْأَلْ عن نَسِيبِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ؟ مَا أَقْدَمْتَ ؟ قَاتَ : دِينُ ازْمَنِي . قَالَ : وَكَمْ هُوَ ؟ قَاتَ : عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ : يَا غَلَامُ ؛ احْمِلْهَا إِلَيْهِ السَّاعَةَ ، وَاجْعُلْهَا مَعَهَا خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِحِفْظِهِ الْحَدِيثَ عَنِ النَّصُورِ ؟ هَلْ مِنْ حَاجَةٍ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَاتَ : أَوْدَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَانْصَرَفَ !

* ١٠٨ — هَذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

أَهَدَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورُ دَمَ رَجُلٍ ، كَانَ يَسْعى بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ ، أَوْ جَاءَ بِهِ ، مَائِةَ أَلْفِ درَهم . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادٍ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَمْشِي مُخْتَفِيًّا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا ، إِذَا بَصَرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ فَرَرَفَهُ ؛ فَأَخْذَهُ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ ، وَقَالَ : هَذَا بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَا الرَّجُلُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِذَا سَمِعَ وَقْعَ حَوَافِرِ الْخَيلِ ؛ فَالْتَّفَتَ فَإِذَا مَعْنَى^(١) ابْنَ زَائِدَةَ ؛ فَاسْتَغَاثَ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَجِرْنِي أَجِزَّكَ اللَّهُ ! فَالْتَّفَتَ مَعْنَى إِلَى الرَّجُلِ الْمُتَعَاقِبِ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بُغْيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَهَدَرَ دَمَهُ ، وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مَائِةَ أَلْفِ درَهم . فَقَالَ : دَعْهُ . وَقَالَ لِغَلَامِهِ : انْزِلْ عَنْ دَابِّتِكَ ، وَاجْهِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا .

* ذِيلُ ثِيرَاتِ الْأَوْرَاقِ لِلْحَمْوَى ص ١٦٧ ، غَرَرُ الْحَصَائِصِ ص ١٧

(١) كَانَ مَعْنَى بْنَ زَائِدَةَ جَوَادًا شَجَاعًا ، جَزِيلَ الْعَطَاءِ ، كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مَدْوَحًا مَصْوُدًا ، وَكَانَ فِي أَيَّامِ بْنِ أُمَيَّةَ مُتَنَقْلًا فِي الْوَلَايَاتِ وَمُنْقَعِلًا إِلَيْيَهِ بِزَيْدِ بْنِ حَمْرَى بْنِ هَبِيرَةِ الْفَزَارِى فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْمُنْصُورِ اتَّصلَ بِهِ بَعْدَ أَحْدَاثِ وَصَارِ مِنْ خَواصِهِ ، وَتَوَفَّ سَنَةُ ١٥٨ هـ .

* — معن بن زائدة والأسود ١٠٩ —

قال معن بن زائدة : لما هربت^(١) من المنصور خرجت من باب حرب ، بعد أن أقتلت في الشمس أيامًا ، وخففتْ لحقي وعارضي ، ولبسْتْ جبة صوف غليظة ، وركبت حلا ، وخرجت عليه لأمضى إلى البادية ؛ فتَبَعَني أسود متقدلاً سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض على ، فقلت : ما شانك ؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين ! فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال : معن بن زائدة . فقلت : ياهذا ! اتق الله ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك . فقلت له : فإن كانت القصة كا تقول ، فهذا جوهر حاته معى بأضعف ماذلة المنصور لمن جاءه بي ؟ فخذله ولا تسفك دمي .

فقال : هاته ، فآخر جته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمتها ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتنى أطلقتك ، فقلت : قل ! فقال : إن الناس وصفوك بالجود ، فأخبرنى : هل وهبت قط مالك كاء ؟ قلت : لا ، قال : فنفسه ؟ قلت : لا ؟ قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ؟ فاستحييت ، وقلت :

* نهاية الأربع من ٢١١ ج ٣ ، عصر المؤمنون ص ٢٩٧ ج ٢

(١) كان سبب غضب المنصور أن معنا كان منقطعًا إلى يزيد بن عمرو بن هيبة في عهد بني أمية ، فلما كان عهد المنصور وجرى الفتال بين المنصور ويزيد انضم معن إلى يزيد وأبلى بلاه حسنا حتى قتل يزيد ، فهرب معن وطلب المنصور ثم عفا عنه بعد ذلك .

أظن أني قد فلتُ هذا ! قال : ماذاك بعظيم ، أنا والله راجل ، ورزق من
أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار ، وقد وهبتُ لك ،
ووهبتُك لنفسك ، ولجودك المأثور بين الناس ! ولتعلم أنَّ في الدنيا من هو أجود
منك ، فلا تعجبك نفسك ، وتتحقق بعد هذا كلَّ شيء تفعله ، ولا تتوقف عن
مكرمة ، ثم رمي بالعقد إلىَّ ، وخلي خطام الجمل وانصرف .

فقلت : ياهذا ! قد والله فضحتني ، ولسفوك دمي أهون علىَّ مما فلتَ ، فخذ
ما دفعته إليك ، فإني عنه في غنى ؛ فضحك ، ثم قال : أردتَ أن تكذبَنِي في
مقامي هذا ؟ فوالله لا آخذُه ، ولا آخذُ معروفاً ثمناً أبداً ، ومضى .

فوالله لقد طلبتُه بعد أنْ أمنتَ ، وبذلتُ لمن يحيى به ماشاء ، فما عرفتُ له
خبرًا ، وكأنَّ الأرض ابتلعته !

* ١١٠ - عقید المجد والجود *

كان لمعن بن زائدة شاعر يغشى مجلسه في كل يوم ، فانقطع عنه أياما ، فلما
دخل عليه قال : مأبلاك ؟ قال : ولد مولود ! قال : فما سميتها ؟ قال :
سميت معناً بمعن ، ثم قلت له : هذا سمى عقید المجد والجود
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتا آخر ؛ فقال :
سما بجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الأجواد
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتا آخر ، فقال :
أنت الجoward ومنك الجoward فإن فقيدت فما جود موجود
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار وقل بيتا آخر ، فقال :
من نور وجهك تصحي الأرض مشرقة ومن بنانك يجري الماء في المهد
قال : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، وقل بيتا آخر ، فقال الغلام : لانقل شيئاً بعد
ذلك ، والله لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت ؟ ثم انصرف !

* ١١١ - مَثَلُكَ يُصْطَنِعُ *

طلب المنصور معن بن زائدة زمناً، وما زال مستتراً حتى كان يوم الهاشمية^(١): فلما وثب القوم على المنصور، وكادوا يقتلونه، وثبت معن وهو مُتَّلِّمٌ، فانتقضَ سيفه وقاتل، فأبلى بلاء حسناً، وذبَّ القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد. ثم جاء والمنصور راكب بغلة، وإنحصارها بيد الريبع، فقال له: تنحْ فإني أحق بالاجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غناه، فقال له المنصور: صدق! فادفعه إليه! فأخذه، ولم يزل يقاتل حتى انسكشت تلك الحال.

قال له المنصور: من أنت؟ الله أبوك! قال: أنا طالبتك يا أمير المؤمنين: معن بن زائدة، قال: قد أمنتك الله على نفسك ومالك، ومَثَلُكَ يُصْطَنِعُ؛ ثم أخذه معه، وخلع عليه وجباه وزينه، ثم دعا به يوماً فقال له: إني قد أمنتك لأمرٍ فكيف تكون فيه؟ قال: كَا يُحِبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قال: قد وليتُك العين فابسطِ السيفَ فيهم حتى ينقض حلف ربيعة والعين، وابلغ من ذلك ما يُحِبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ!

* ١١٢ - نعمة عدوك قلادة في عنقي

أرسل المنصور إلى شيخ من أهل الشام - وكان من بطانة هشام بن عبد الملك ابن مروان - فسأله عن تدبير هشام في حربه مع الخوارج؛ فوصف الشيخ له مادير، فقال : فعل - رحمة الله - كذا ، وصنع - رحمة الله - كذا ! فقال المنصور : قمْ عليك لعنة الله ! تطاً بساطي وتترحم على عدوى ! فقام الرجل ، فقال - وهو مولٍ - إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي .

فقال له المنصور : ارجع ياشيخ فرجع ، فقال : أشهد أنك حر شريف ؛ ارجع إلى حديثك . فعاد الشيخ إلى حديثه ، حتى إذا فرغ دعائه بمال ، فأخذته ، وقال : والله يا أمير المؤمنين ، مالي إليه حاجة ، ولقد ماتت عنى من كنت في ذكره ، فما أحوجني إلى وقوفي على باب أحدٍ بعده ، ولو لا جالة أمير المؤمنين وإشاري طاعته مالبست نعمة أحدٍ بعده .

فقال المنصور : إذا شئت ؟ لله أنت ! فلو لم يكن لقومك غيرك لكتلتَ أبقيتَ لهم مجدًا مخلداً وعزًا باقيا !

١١٣ — جود عبد الواحد بن سليمان *

قال عبد الله بن إبراهيم الجُمَحْيِ: قات لابن ^(١) هرمة: أندح عبد الواحد
ابن سليمان بـشـعـر مـامـدـحت بـه غـيرـه ، فـتـقـول فـيـه هـذـا الـبـيـت:
وـجـدـنـا غالـباً كـانـت جـنـاحـاً وـكـانـ أـبـوكـ قـادـمـةـ الجـنـاحـ
ثـمـ تـقـولـ فـيـهـا:

أـبـدـ الـواـحـدـ الـمـيمـونـ إـلـيـ أـغـصـ حـذـارـ سـخـطـكـ بـالـقـرـاحـ
فـبـأـيـ شـيـءـ اـسـتـوـجـبـ ذـلـكـ مـنـكـ ؟ فـقـالـ: إـلـيـ أـخـبـرـكـ بـالـقـصـةـ لـتـعـذـرـنـيـ:
أـصـابـتـنـيـ أـزـمـةـ بـالـمـدـيـنـةـ ، فـاسـتـهـضـنـيـ بـنـتـ عـمـيـ لـلـخـرـوجـ؛ فـقـلـتـ لـهـاـ: وـيـحـكـ ! إـنـهـ
لـيـسـ عـنـدـيـ مـاـ يـقـلـيـ . فـقـالـ: أـنـأـ هـضـبـ بـمـاـ أـمـكـنـيـ ، وـكـانـتـ عـنـدـيـ نـابـ ^(٢)
لـىـ ، فـهـضـتـ عـلـيـهـاـ نـهـجـ ^(٣) النـوـامـ ، وـنـوـذـىـ السـهـارـ ، وـلـيـسـ مـنـ مـنـزـلـ أـنـزـلـهـ إـلـاـ قـالـ
الـنـاسـ: اـبـنـ هـرـمـةـ ! حـتـىـ دـفـمـتـ إـلـىـ دـمـشـقـ .

فـأـوـيـتـ إـلـىـ مـسـجـدـ عبدـ الـواـحـدـ فـجـوـفـ الـلـيـلـ ، فـجـلـاسـتـ فـيـهـ أـنـتـظـرـهـ إـلـىـ أـنـ
بـرـغـ الـفـجـرـ ، فـإـذـا الـبـابـ يـنـفـاقـ عـنـ رـجـلـ كـأـنـهـ الـبـدـرـ ؛ فـذـنـاـ فـأـذـنـ ، ثـمـ صـلـىـ رـكـعـتـينـ ،
وـتـأـمـلـهـ فـإـذـاـ هوـ عبدـ الـواـحـدـ ، فـقـدـمـتـ فـدـنـوـتـ مـنـهـ وـسـلـمـتـ عـلـيـهـ ؛ فـقـالـ لـىـ :

* الأغانى ص ١٠٧ ج ٦

(١) اسمه إبراهيم بن علي : شاعر قال عنه الأصمى : إنه أحد من ختم به الشعر وكان مدحنا
الشراب مغرما به ، وهو من سكان المدينة ، توفي سنة ١٥٠ هـ (٢) الناب : النافقة المسنة (٣) نهج
النوم : نوقيتهم ، وهو من الأضداد .

أبو إسحق ! أهلاً ومرحباً ؛ فقلتُ : لبيك ، بأبي أنت وأمي ! وحياك الله بالسلام
وقربك من رضوانه ؛ فقال : أما آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد ، واشتدة
الشوق ، فاوراءك ؟ قلت : لاتسلني - بأبي أنت وأمي - فإن الدهر قد أخنى على ؛
فاوجدتُ مستغاثاً غيرك ؛ فقال : لاترُعْ فقد وَرَدْتَ على ماتحبه إن شاء الله .
فوالله إنني لا أخاطبُه ، فإذا بثلاثةٍ فتيةٍ قد خرجوا كأنهم الأشطان^(١) ، فسلموا
عليه ، فاستدلي الأكابر منهم إليه بشيء دوني ودون أخيه ، فمضى إلى
البيت ثم رجع ، فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولّ ، فلم يلبث أن رجع ومعه
عبد ضابط^(٢) ، يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديه ، ثم همس إليه ثانية
فعاد ، وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بين يديه .

قال لي عبد الواحد : ادن يا بني إسحق ، فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تقائم
ضدّك ؟ فخذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سلّمنا لك هذا إلا من أشدّاق
عيالنا ، ودفع إلى ألف دينار وقال لي : قم فارحل فأغاث من وراءك .
فقمت إلى الباب ، فلما نظرت إلى نافتي ضفت ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه
مُبلغتك ، ياغلام ، قدم له جللاً ، فوالله لقد كنت بالجمل أشد سروراً مني بكل
مائته ؟ فهل تلومني أن أغص حذار سخط هذا بالقرابح ! والله ما أشدته لي ليلتين
بيتاً واحداً .

فقال لي إسحق

فقال لي إسحق : يا بني إسحق ، بعد ما سمعت ما ذكرت ، فلما رأيكم

فقال لي إسحق : يا بني إسحق ، بعد ما سمعت ما ذكرت ، فلما رأيكم

(١) الأشطان : جمع شيطان ، وهو الجبل الطويل (٢) ضابط : قوي شديد .

١١٤ — أبو حنيفة يرعى الجوار*

كان لأبي حنيفة^(١) جارٌ بالسکوفة يُغَنِّي في غرفته ، ويسمعُ أبو حنيفة غناه
فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغنى :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا
ليوم كريمة وسداد^(٢) ثغر
فلاقيه العسس^(٣) ليلة فأخذوه وحبس .

فتقى أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدر فأخبره ؛ فدعاه بسواده
وطواباته^(٤) فلبسها ، وركب إلى عيسى بن موسى ، فقال له: إن لي جاراً أخذه عَسْكُ
البارحة فجُبِسَ ، وما علمني منه إلا خيراً ، فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كل
من أخذه العسس البارحة؛ فأطلقوا جميعاً ؛ فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له
سِرْماً: ألسْتَ كنت تغنى يافتي كل ليلة :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا

فهل أضعنك؟ قال: لا والله ، ولكن أحسنت وتركت ، أحسن الله
جزاءك ، قال: فعُدْ إلى ما كنت تغنيه ، فإني كنت آنسُ به ، ولم أر به بأساً ،
قال: أفعل !

* الأغاني من ٤١٤ ج ١

(١) هو النعان بن ثابت من موالي تميم الله بن ثعلبة ، دعاه ابن هبيرة لقضاء فأبى فضربه أيام
كل يوم عشرة أسواط ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ (٢) سداد الثغر : سده بالجبل والرجال
(٣) العسس : جمع عاس وهو الذي يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة (٤) الطويلة :
الفلسفة العالمية المدحمة بعيدان ؟ وكان السواد شعاراً لبني العباس .

١١٥ - يُرْبِي اللَّهُ الصَّدَقَاتِ *

قال سوار : انصرفت يوماً من دار المهدى ^(١) ، فلما دخلت منزل دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي ، فأمرت به فرفع ، ودخلت وقت القائلة فلم يأخذني نوم ؛ فنهضت وأمرت بيعلة لي فاسترجت وأحضرت ، فركبتهما .

فلا مخرجة استقبلنى وكيل لى ، ومعه مال ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : ألفا درهم جبىتها من مستغانم الجديد ، قلت : أمسكها معك واتبعنى .

فخليت رأس البغة حتى عبرت الجسر ، ثم سرت حتى انتهيت إلى الصحراء ، ثم رجعت إلى باب الأنبار ، فانتهيت إلى باب دار لطيف ، عليه شجرة ، وعلى الباب خادم ، فوقفت وقد عطشت ؛ فقات للخادم : عندك ما لا تسقينيه ؟ قال : نعم ! وقام ، فلأخرج قلعة نظيفة طيبة الرائحة ، عليها منديل ، فناولني فشربت ، وحضر وقت العصر فدخلت مسجداً على الباب ، فصليت فيه .

فلا قضيت صلاتي ، إذا أنا بأعمى يتلمس ، فقلت : ما تريدين يا هذا ؟ قال : إياك أريد ! قلت : وما حاجةك ، فجاء حتى قعد إلى وقال : شمت منك رائحة طيبة ، فظننت أنك من أهل النعيم ، فأردت أن ألقى إليك شيئاً . فقلت : قل ، قال :

* العقد الفريد للملك السعيد ص ١٢٣

(١) هو محمد بن عبد الله ولد في بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨ هـ ، وكان محمود السيدة محبًا إلى الرعية جوادًا توفي سنة ١٦٩ هـ

ترى باب هذا القصر؟ قلت : نعم ، قال : هذا قصرٌ كان لأبي فباءَه ، وخرج إلى خراسان وخرجتُ معه ، فزالت عنا النعم التي كنَّا فيها ، وعميتُ ، فقدمت هذه المدينة ؟ فأتيتُ صاحبَ هذه الدار لأسأله شيئاً يصلني به وأتوصل به إلى سوار ؟ فإنه كان صديقاً لأبي . قلت : ومن أبوك ؟ قال : فلان ابن فلان .

قال : فإذا هو أصدق الناس كان لي ، فقلت له : يا هذا ، فإن الله تعالى قد أتاك بسوار ، ومنه النوم والطعام والقرار حتى جاء به ، فأقعده بين يديك . ثم دعوت الوكيل ، فأخذت الدرام منه ، فدفعتها إليه ، وقلت له : إذا كان غد فصر إلى منزلي ؟ ثم مضيت ، فقلت : مأحدثُ أميرَ المؤمنين المهدى بشىء أظرفَ من هذا . فأتته فاستاذتْ عليه فأذن لي ، فلما دخلتْ عليه حدَّته ، فاعجبه ، ثم أمر لي بألف دينار وقال : ادفعها إلى الأعمى . فهمستُ ، فقال : اجلس ، أعليك دين ؟ قلت : نعم ! قال : كم ديناك ؟ قلت : خمسون ألف درهم ! فامسك ، وجعل يحادثني ساعة ، وقال : امض إلى منزلك . وإذا بخادم معه خمسون ألفاً ، وقال : يقول لك أمير المؤمنين : اقض بها ديناك ؛ فقبضتُ ذلك منه .

فلا كان من الغد ، أبطأ على الأعمى ، وأتاني رسولُ المهدى يدعوني ، فجئتُه ، فقال : فكررتُ البارحة في أمرك ، فقلت : يقضى دينه ، ثم يحتاج إلى الفرض أيضاً ؛ فأمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى ، فقبضتها ، ثم انصرفت ! فجاءني الأعمى ، مدفعتُ إليه الألفين ، وقلت له : قد رزق الله تعالى بكرمه - بإسداء المعروف إليك - بأضعف ذلك ، ثم أعطيته شيئاً آخر من مالي ، وجهزته وانصرف !

١١٦ — العرق دسّاس *

قال عثمان بن سليمان :

خرجت في نفر من هذيل من أهل البصرة ، زرید بادیة لهم في أمیر طرفة ، وكان مسيراً إلیه ثلاثة ، فنزلنا في الليلة الأولى على حيٍّ من بنى مازن ، فقصدنا بيته رحباً ، فإذا ببابه رجل وامرأة ، وهما صاحبوا البيت ، فسلمنا فردت المرأة السلام ، وحيث ، وأظهرت بشرأ وبشاشة ، وأعرض الرجل وأظهر تبرئاً وتضجراً .

فقالت لنا المرأة : انزوا بالرحب والسعنة ، فقال الرجل : ما عندنا موضع لنزلوكم ، فقالت المرأة : سبحان الله ! تقول هذا لضييفك قد حلوابنا ، ووجب حقهم علينا ؟ ! انزوا بارك الله فيكم ؛ فظهر منا انقباض ونفور لما سمعنا من إملها ، فقالت لا يخشمنكم ماسمه ثم منه ! فإن له فيها أبداً من ذلك عذرًا !

وأمرت أتباعها فأخذوا بنا وأنزلونا ، وانطلق بعثتها كالحال (٢) وجهه كالغضب ؛ فكثير منه تعجبنا ؛ إذ لا نعرف ذلك من أخلاق العرب !

وبينما ليلتنا خير مبيت ، ماترت المرأة كرامة إلا أكرمتنا بها .

وأصبحنا فأخذنا الطريق حتى أمسينا في حي آخر ؛ فقصدنا بيته صخرا ، فإذا ببابه رجل وامرأة ، وهما صاحبوا البيت ؛ فسلمنا فرد الرجل السلام ، وحيث وأظهر بشاشة وبشرأ . وأعرضت المرأة ، وأظهرت تبرئاً بنا ، وكراهة لـ مكاننا .

فقال لنا الرجل : انزوا بالرحب والسعنة ، فتالت المرأة : وكيف تُنزلهم

* المتفق من أخبار الأصمعي من ٢٨

(١) أحشه : أخجله وأغضبه (٢) كالح : عابس .

وما عندنا ما يُصْنِعُهُمْ ؟ فقال الرجل : سبحان الله ! تقولين هذا لضيوفك قد حلوا بنا ،
ووجب حُقُّهم علينا ؟ ! انزلوا بارك الله فيكم ؛ فإن عندنا الذي يصلحكم !

فظهرَ مِنَ اقْبَاضٍ شَدِيدٍ مَا سَمِعْنَا مِنْ زَوْجِهِ ؛ فَقَالَ : لَا يُحِشِّنَّكُمْ مَا سَمِعْتُمْ
مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ؛ فَإِنْ لَهَا فِيهَا أَبْدَهَ مِنْ ذَلِكَ عَذْرًا ؛ وَأَمْرَ أَتَبَاعَهُ فَأَحْدَقُوهَا بَنَا وَأَنْزَلُونَا ،
وَدَخَلَتِ الْمَرْأَةُ الْبَيْتَ مُعْصِبَةً ، فَأَطْلَانَا الْمُنَاجَاهَ فِيمَا يَدْعُنَا ؛ نَعْجَبٌ مِنَ الْأُولَى وَزَوْجِهِ ،
وَمِنْ هَذَا وَزَوْجِهِ ، وَنَقُولُ : مَا فِي جَمِيعِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ الْبَيْتُ ، وَلَا كَذَا الْبَيْتُ !
وَلَوْلَمْ نَفِدْ فِي وَجْهِنَا هَذَا إِلَّا مَا شَاهَدْنَا مِنْ هَذَا الْأُمْرِ لَكَانَ ذَلِكَ فَائِدَةٌ تُؤْثِرُ وَتُذَكِّرُ .
وَصَاحِبُ الْبَيْتِ يَتَأْمَلُنَا وَيُصْغِي إِلَيْنَا .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : مَنْ أَنْ يَخْرُجُ مِنْهُ ؟ قَلْنَا : مِنَ الْبَصْرَةِ . قَالَ : وَمَنْ قَارَقْتُمُوهَا ؟ قَلْنَا : غَدَةً أَمْ سَنَةً . قَالَ : فِيمَنْ بَمْ الْبَارِحةُ ؟ قَلْنَا : بَيْنَ فَلَانَ . قَالَ : وَفِي
مَنْزِلِ مَنْ ؟ قَلْنَا : فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ يَقَالُ لَهُ فَلَانٌ . قَالَ : فَإِنِّي رَأَيْتُمْ تَحْدِثُونَ
بِيَنِّكُمْ حَدِيثًا تُكْثِرُونَ مِنْهُ التَّعْجُبَ ، فَمَا ذَلِكُؤ ؟

قَالَ : قَلْنَا : إِذَنْ وَاللهِ نَخْبِركَ : إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأُمْرِ كَذَا وَكَانَ كَذَا ، فَقَالَ :
قَدْ ظَنَنتُ ذَلِكَ ، أَفَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مَا تَعْجَبُونَ مِنْهُ ؟ قَلْنَا : بَلِي ! قَالَ :
أَعْلَمُوا - حَيَاكَ الله - أَنَّ ذَلِكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي يَمْبَيِسُهَا أَخْتَي لَأَيِّ وَأَمِي ، وَأَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ
أَخْو زَوْجِي هَذِهِ لَأَيْهَا وَأَمْهَا ، وَالَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ جَمِيعِنَا خُلُقًا جُبِلَنَا عَلَيْهِ ،
لَا تَكْلُفَ فِيهِ !

قَلْنَا : الْحَمْدُ لِللهِ الَّذِي جَبَلَكَ عَلَى أَخْلَاقِ الْكُرَمَاءِ مِنَ الرِّجَالِ !

* (١١٧) — إن بعد العسر يسرأ

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

لما دخل الرشيد^(١) البصرة حاجاً كنت معه ، فقال لي جعفر^(٢) بن يحيى يوماً : يا أبا محمد ، قد وصيّفتْ لى جارية مُغنية حسناء تباع ، وذكروا أن مولاها متمنع من عرضها إلا في داره ، وقد عزّمتْ أنْ أركبَ متخفيًا فاراها ، أقتاعدنى ؟ فقلتْ : السمع والطاعة .

فاما كان في نصف النهار حضر النخاس^(٣) فأعلم بحضوره ؛ فخرج جعفر بعامة وطيسان ونعلٍ عربية ، وأمرني قلبست مثله ، وركبنا حمارين قد أسرجا لنا بسرور التجار ، وركب النخاس معنا ، وخلالنا الطريق ، حتى أتينا داراً ذات باب يدل على نعمة قديمة .

فقرع النخاس الباب ؛ وإذا شاب حسن الوجه عليه آثار ضر باد ، وعليه قيس ، ففتح وقال : انزوا ياسادة ، فدخلنا ، وإذا بدهليز ، ودار قواراء^(٤) خربة ؛ فآخرج لنا الرجل قطعة من حصير كبير خلق ؛ ففرشها لنا ، فجلسنا عليها ، وقال له النخاس : أحضر لنا الجارية فقد حضر المشترى .

* الفرج بعد الشدة من ١٧٣ ج ٢

(١) انظر صفحة ١٠٧ (٢) كان جعفر من علو القدر ، ونفذ الأمر وبعد المهمة وعظم المخل وجلاة المنزلة عند هارون الرشيد بحال انفرد بها ، وكان صاحب الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر ، جوادا سخيا معطاء ، فصيحا لسنا بليغا ، قتله الرشيد في خبر مشهور سنة ١٨٧ هـ (٣) النخاس : بيع الرقيق والدواب (٤) القواراء : الواسعة .

فدخل البيت ، وإذا بجارية قد خرجة في القميص الغليظ الذي كان على الفتى
بعينه ، وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلى والحلال لحسن وجهها ، وفي يدها عود ،
فأمرها جعفر بالغناء فجسته وضررت ضرراً حسناً ، واندفعت تغنى غناء جميلاً . ثم
غلبها البكاء حتى منعها الغناء ، وسمعننا من البيت تحب الفتى ، وقامت الجارية
تتعثّر في قيصها حتى دخلت البيت ، فارتقت لها ضجة بالبكاء والشهيق ، ثم
خفت حتى ظنت أنها قد ماتا ، وهمنا بالانصراف ، فإذا بالفتى قد خرج ، وعليه
ذلك القميص بعينه ، فقال : أينما القوم ، اعدروني فيها أفعله وأقوله ، فقال له جعفر :
قل ، فقال :أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى ، وأسألكم أن
تزوجوني بها !

فتحير جعفر أسفًا على الجارية ، ثم خاطبها ، فقال : أترغبين أن أزوجك من
مولاك ؟ قالت : نعم ، فزوجها به .

وأقبل جعفر على الفتى فقال له : يا هذا ، ما حملك على مافعلت ؟ فقال : أنا
فلان ابن فلان ، وكان أبي من وجوه هذا البلد وميسيره ، وهذا يعرف ذلك - وأشار إلى النخاس - وأنه أسلني إلى المكتب ^(١) . وكانت لأمي صبية وسنها قريب من
سني - وهي جاريقي هذه - وكانت معى في المكتب تعلم ما أعلم ، وتتصرف
معى ، فسكتت ، ثم علمت الغناء ، فكنت أتعلم منها .

ثم خطبني وجده أهل البصرة لبنائهم ، فخيرني أبي ، فأظهرت له الزهد في
الزواج ، ونشأت متوفراً على الأدب ، متنقلباً في نعمة أبي ، غير متعرض لما يتعرّض

(١) المكتب : موضع التعليم .

له الأحداث ؛ ورغبة أهل البلد تزداد في ، وعندهم أن عقلي لصلاح ، وما كانت إلا لأنسى بالجارية ، وأنت رغبي لا تعتدّها . وبافت الجارية في الغناء ما قد سمعتموه ؟ فعزمت أمي على بيعها وهي لا تعلم ما في نفسي منها ؛ فأحسست بالموت ، واضطررت إلى أن صدقت أمي بما في نفسي ، فحدثت أبي ، فأجمع رأيهما على أن وهبها الجارية لي ، وجهزها كا يجهز أهل البيوتات^(١) بناتهم ، وجليت على عمل العرس الحسن ، فنعمت معها دهراً ، ثم مات أبي فلم أحسن أن أرب نعمته ، فأسأت تدييرها ، وأسرعت في الأكل والشرب وغيرهما من المتع ، إلى أن تلقت النعمة ، وأفاقت الحال إلى ما ترؤن ، فأننا على هذا منذ سنين .

فلا كان هذا الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر أهل مملكته بالبصرة ، فقلت لها : يا أختي ، إن شبابك يبلُى ، و عمرك في الدنيا ينقضي ، ووالله ما في نفسي رغبة في بيعك ؛ فإني أعلم أنى تالفت مت فارقتك ، ولكنني أُوشِّرْ تلقي مع وصولك إلى نعمة ورفاهية ؛ فدعيني أعرضك ، فلعله يشتريك بعض هؤلاء الميسير^(٢) ، فتكوني معه في رغد من العيش ، فإن مت بعدك فتلك أمنتي ، ويكون كل واحد منا تخلص من الشقاء ، وإن حكم الله عز وجل على بقاء صبرت لفضل الله ، واضطربت في معاشى بشمنك .

فبكَتْ من ذلك وقلقتْ ثم قالت : افعل ، فخرجت إلى هذا النخاس وأطلعته على أمري ، وقد كان يسمع غناءها في أيام نعمتى ، وعرف حالها وحالى ، وأعلمته أنى لا أعرضها أبداً إلا عندي ، فإنها والله ما تسللت عتبة هذه الدار قط ،

(١) البيوتات : جمع بيت ، وهو جمع بيت (٢) ميسير : جمع موسى ، وهو آنف .

وأردت بذلك أن يراها المشترى وحده ، ولا تنهنَّ بسوق ولا دخول إلى بيوت الناس ؛ وإنَّه لم يكنْ لها ما تلبِّسُه إلا قيمى هذا ، وهو مشترك بيننا ، أَلْبَسْهُ إذا خرجتُ لابتياعِ القوت وتنشحَّ هى بازارها ، فإذا جئتُ إلى البيت أَبْسَطْهَا إِيَاهَا وانشَحْتُ أنا بالإزار .

فَلَمَّا جَئْتُمْ خَرْجَتُ إِلَيْكُمْ فَنَتَّقْمُ ، فَلَحْقَنِي مِنَ الْبَكَاءِ وَالْقَلَقِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي : يَا هَذَا مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ ! أَنْتَ مَلِكِنِي وَأَثْرَتَ فِرَاقِ ، وَتَبَكَّى هَذَا الْبَكَاءُ عَلَىَّ ! فَقَالَتْ : يَا هَذَا ، وَاللَّهُ لِفِرَاقِ نَفْسِي أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ فِرَاقِكَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَتَخلصَّ مِنْ هَذَا الشَّفَاءِ . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا مُولَّاَيِّ ، لَوْ تَمْلَكْتُ مِنْكَ مَا تَمْلَكْتَ مِنِّي مَا بَعْتُكَ أَبْدًا ، وَأَمْوَاتُ جَوْعًا ، فَيَكُونُ الْمَوْتُ هُوَ الَّذِي يَفْرُقُ بَيْنَنَا .

فَقَالَتْ : لَا عَلَيْكَ ! أَتَرِيدِينَ أَنْ تَعْلَمَنِي صِدْقَ قَوْلِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَلَتْ : هَلْ لَكَ أَنْ أَخْرُجَ السَّاعَةَ إِلَىِ الْمَشْتَرِيِّ ، فَأَعْتِقْتُكَ بَيْنَ يَدِيهِ وَأَتْرُوْجَكَ ، ثُمَّ أَصِيرَ مَعْكَ عَلَىِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَىِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ فَرَاجٌ أَوْ مَوْتٌ وَرَاحَةٌ ؟ فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَافْعُلْ هَذَا ، فَهَا أَرِيدُ غَيْرَكَ ، فَخَرْجَتُ إِلَيْكُمْ ، وَكَانَ مِنِّي مَا عَلِمْتُ ، فَاعْذُرُونِي .

قَالَ إِسْحَاقُ : فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَنْتَ مَعْذُورٌ وَنَهْضٌ ، فَهَمْسَتْ مَعَهُ النَّخَاسُ ، فَلَمَّا قَدِمَتِ الْحَمِيرُ لَزَرَ كَبَ دَنُوتُ مِنْهُ فَقَالَتْ : يَا سَبِيعَانَ اللَّهُ ! مَثَلُكَ فِي جُودِكَ تَرِي هَذِهِ الْفَاقَةَ ، وَلَا تَنْهَرْ فَرَصَةً فِيهَا ! وَاللَّهُ لَقَدْ تَقْطَعَ قَلْبِي عَلَىِ الْفَتْيِ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ! وَقَلْبِي وَاللَّهِ ! وَلَكِنْ غَيْظَنِي مِنْ قُوَّتِ الْجَارِيَةِ مَعْنَىٰ مِنَ التَّسْكِيرِ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ : فَإِنِّي الرَّغْبَةُ فِي الثَّوَابِ ؟ فَقَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهُ !

ثم التفت إلى النخاس فقال له : كم كان الخادم سلم إليك عند ركوبنا لئنها ؟
قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : فأين هي ؟ قال : مع غلامي ، فقال لي وللنخاس :
خذها وادفعها إلى الفتى ، وقولا له : يكتسي ويركب ويحيطني لأحسن إليه
وأستخدمه .

فرجعت إلى الفتى وأنا أبكي ، قلت له : قد عجل الله عز وجل لك بالفرج ؟
إن الذي خرج من عندك هو الأمير جعفر بن يحيى البرمكي ، وقد أمر لك بهذا ،
وهو يقول لك كذا وكذا ... فصعق حتى قلت قد تلف ، ثم أفاق فأقبل يدعوه
ويشكريني ، فركبت فلاحقت بجعفر ، فأخبرته ، فحمد الله عز وجل على ما وفقه له ،
وعاد إلى داره وأنا معه .

فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد ، فأخذ يسأل جعفرًا عن حاله في يومه ، وهو
يختبره بالأمور السلطانية ، ثم قص عليه حديث الفتى والجاربة ، فقال له الرشيد :
ما عملت ؟ فأخبره ، فاستصاب ^(١) رأيه وقال : وقع له برق سلطاني في رسم أرباب
النعم ، في كل شهر كذا وكذا ، واعمل بعد ذلك ما شئت .

فلما كان من الغد جاءني الفتى راكبًا بشباب حسنة ، وهيئة جليلة ، فإذا هو
أحلى الناس كلامًا ، وأتمم أدبًا ؛ فحملته معه إلى جعفر ، وأوصلته إلى مجلسه ،
فأمر بتسهيل وصوله إليه وخطأه بخشائه ، ووقع له عن الخليفة بما كان رسما له ،
وعن نفسه بشيء آخر .

وشاع حديثه بالبصرة وفي أهل العسكر ، فلم يبق فيهما متظرف إلا أهدى
إليه شيئاً جليلًا ، فما خرجنَا من البصرة إلا وهو رب نعمة صالحة !

(١) استصاب به : استتصبه .

* ١١٨ - لا أسأل سواك ولو سففتُ التراب

ركب محمد بن إبراهيم الإمام دين ، فركب إلى الفضل^(١) بن يحيى ، ومعه حفة فيها جوهر ؛ فقال له : قصرت بنا غالتنا ، وأغفل أمرنا خليفتنا ، وتزايدت مثونتنا ، ولزمنا دين احتجنا للأدائه إلى ألف درهم ، فكريهْت بذل وجهي للتجار وإذلة^(٢) عرضي بينهم ، ولاك من يعطيك منهم ، ومعي رهن ثقة بذلك ، فإن رأيت أن تأمر ببعضهم بقبضه ، وتحمل المال إلينا !

فدعى الفضل بالحقيقة فرأى ما فيها ، وختّمها بخاتم محمد بن إبراهيم ، ثم قال له : نجح الحاجة أن تقيم عندنا اليوم . فقال له : إن في المقام على مشقة ؟ فقال : ما يشوقك من ذلك ؟ إن رأيت أن تلبس شيئاً من ثيابنا دعوت به ، وإن أمرت بإحضار ثياب من منزلتك . فأقام ، ونهض الفضل ، ودعا بوكيله ، وأمره أن يحمل المال ويسلمه إلى خادم محمد بن إبراهيم ، ويسلمه الحفة بما فيها من الجوهر بخاته ، ويأخذ خطه بذلك . ففعل الوكيل ؛ وأقام محمد عنده إلى المغرب ، وليس عنده شيء من الخبر .

ثم انصرف إلى منزله فرأى المال ، وأحضر له الخادم الحفة فدعا على الفضل ليشكّره ؛ فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد . فوقف متقدراً ، وقيل له :

* الوزراء والكتاب ص ١٩٦

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمه ، كان من أكثر البرامكة كرما وجوداً ، وله في ذلك الأخبار السائرة ، ولأه الرشيد الوزارة قبل أخيه جعفر ثم قلما منه إلى جعفر وقلده بعمل في خراسان . ومات بعد نكبة البرامكة في السجن سنة ١٩٢ هـ . (٢) ذال الشيء : هان .

قد خرج من الباب الآخر قاصداً منزله . فانصرف عنه .

ولما وصل إلى منزله وجد أن الفضل قد وجَّه إِلَيْهِ أَفْ أَلْفَ درهم أُخْرَ ،
فغدا عليه وشكراه وأطاح ؛ فأعلم أنه بات لياته وقد طالت عليه غمَّا بما شكاها ، إلى
أن لقى الرشيدَ فأعلمَه حالَه ؛ فأمرَه بالتقدير له ، ولم يزل يُمَاكِسُه^(١) إلى أن تقرَّ
الأمر له على أَلْفَ أَلْفَ درهم ، وأنه ذَكَرَ أَنَّه لَمْ يَصِلْكَ بِمَثَلِهِ قَطُّ ، ولا زادك على
عشرين أَلْفَ درهم ، فشكراه وسألَه أَنْ يَصِلَكَ بِهَا صَكَّاً بِخَطَّهُ ، ويَجْعَلُنِي الرسُولُ .

فقال له محمد : صدق أمير المؤمنين ، إنَّه لَمْ يَصِلَنِي قَطُّ بِأَكْثَرِ من عشرين
أَلْفَ ، وهذا إِنَّمَا تَهْبِيَ بِكَ ، وَلَكَ ، وَعَلَى يَدِيكَ ، وَمَا أَقْدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَقْضِيَ بِهِ
حَقَّكَ ، وَلَا عَلَى شُكْرٍ أَجَازَى بِهِ مَعْرُوفَكَ ، غَيْرَ أَنَّه « عَلَى وَعْلَى » - وَحَلَفَ أَيْمَانًا
مُوَكَّدَةً - إِنْ وَقَتَ عَلَى بَابِ أَحَدِ سُوَاكَ ، وَلَا سَأْلَتُهُ حَاجَةً أَبْدَأَ ، وَلَوْ سَفَقْتُ
التراب !

فكان لا يركبُ إلى غير الفضل ، إلى أن حدث من أمر البرامكةِ ما حَدَثَ ،
فكان لا يركبُ إلى غير دار الخليفة ، ويعود إلى منزله ، فمُوْتَبَ بعد تقضي
أيامهم في ترك إيتان الفضل بن الريبع ؛ فقال : والله لو عمرتُ أَلْفَ عام ، ثم
مَصْصَتُ الشَّمَاد^(٢) ، ما وَقَتَ بِبَابِ أَحَدِ بَعْدِ الفضلِ بْنِ يَحْيَى ، وَلَا سَأْلَتُهُ حَاجَةً
حتى ألقى الله عزَّ وجلَّ !
ولم يزل على ذلك حتى مات .

(١) تَمَاكِـاً فِي الْبَيْعِ : تَشَاهِـا (٢) الشَّمَادُ : الْمَاءُ الْفَلِيلُ .

* ١١٩ - تيه و كرم

قيل لفضل بن يحيى البرمكي : ما أحسنَ كرمك لولا تيهَ فيك ! فقال : تعلمَ الْكِرْمَ وَالْتِيَهَ مِنْ عَمَارَةٍ^(١) بْنَ حِمْزَةَ ، فَقَيْلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : كَانَ أَبِي عَامِلًا عَلَى بَعْضِ كُورَ^(٢) بَلَادِ فَارِسَ ، فَانْكَسَرَتْ عَلَيْهِ جَلَّةٌ مُسْتَكْثِرَةٌ ، فَخِيلَ إِلَى بَغْدَادَ وَطُولَبَ بِالْمَالِ ، فَدَفَعَ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ ، وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفِ درهم لا يعرف لها وجهاً ، والطلب عليه حيث ، فبقى حائراً في أمره .

وَكَانَتْ يَدِنَهُ وَبَيْنَ عَمَارَةِ بْنِ حِمْزَةِ مُنَافِرَةً وَمُواحِشَةً ؛ لَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ مَا يَقْدِرُ عَلَى مَسَاعِدِهِ إِلَّا هُوَ ، فَقَالَ لِي يَوْمًا وَأَنَا صَبِيٌّ : امْضِ إِلَى عَمَارَةِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ عَنِي ، وَعَرَفْتُهُ الْمُرْضِرُ الَّتِي قَدْ صَرَرْنَا إِلَيْهَا ، وَاطَّلَبَ مِنْهُ هَذَا الْمِلْعَنُ عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ ، إِلَى أَنْ يَسْهُلَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْيُسْرَى . فَقَلَتْ لَهُ : أَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَنْتَكَ ، فَكَيْفَ أَمْضِي إِلَى عَدُوكَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ قَدِرَ عَلَى إِنْلَاقِكَ لَأَنْلَقَكَ ؟ فَقَالَ : لَا بدَّ أَنْ تَخْفِيَ إِلَيْهِ ، لَعْلَّ اللَّهَ يَسْجُرُهُ وَيُوْقَعُ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ !

قال الفضل : فلم تتمكنني معاودته ، وخرجت وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى حتى أتيت داره ، واستأذنت في الدخول عليه ، فأذن لي ، فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه ، متكتئاً على مفارش وثيرة ، وقد غلف شعر رأسه ولحيه بالمسك ، ووجهه إلى الحائط - وكان من شدة تيهه لا يقدر إلا كذلك - فوقفت أسفل

* وفيات الأعيان ص ٤١٠ ج ٢

(١) انظر صفحة ١٤٠ (٢) السكورة : المدينة ، جمعها كور .

الإيوان ، وسلّمت عليه ، فلم يرد السلام ، فسلّمت عليه عن أبي ، وقصصت عليه
القصة ، فسكت ساعة ثم قال : حتى ننظر !

فخرجت من عنده نادماً على نقل خطای إلیه ، وموقناً بالحرمان ، عاتباً على
أبی أن كلفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه ، وعزمت على ألا أعود إلیه غيظاً منه .

فقيمت عنه ساعة ، ثم جئت وقد سكن ما عندي . فلما وصلت إلى الباب
ووجدت أبوالآمّة ؟ فقلت : ما هذه ؟ فقيل : إن عمارة قد سير المال ، فدخلت
على أبي ، ولم أخبره بشيء مما جرى لي معه كي لا أكدر إحسانه عليه .

فسكتنا قليلاً وعاد أبي إلى الولاية ، وحصلت له أموال كثيرة ، فدفع إلى
ذلك المبلغ وقال : أحمله إلیه ، فجئت به ، ودخلت عليه فوجده على الهيئة الأولى ،
فسلمت عليه فلم يرد ، فسلّمت عليه عن أبي وشكّرت إحسانه ، وعرفته بوصول المال ؛
فقال لى بحد (١) : ويحك ! أقسطاراً (٢) كنت لأبيك ؟ اخرج عن لابرك الله
فيك ؟ وهو لك ! فخرجت ورددت المال إلى أبي ، وعجبنا من حاله !

(١) الحرد : الغضب (٢) القسطار : الصيرفي .

* ١٢٠ — لـكل جـديـد لـذـة

قال مخارق :

غدوت يوماً على إبراهيم بن ميمون الموصلى ، وكان يوم دجن^(١) طيب ، فأصبـت بين يديه قدوراً تـغرـرـ (٢) ، وأباريق تـزـهـ (٣) ، وهو كالموم ، فسألـته عن حالـه ؛ فقال : لـى ضـيـعـة ، وـإـلـى جـانـبـها ضـيـعـة يـبـلـغـ ثـمـنـهـا مـائـى أـلـفـ درـهمـ ، وـإـنـ دـخـلـتـهـ يـدـ غـيرـى أـفـسـدـتـ عـلـىـ ضـيـعـىـ ؛ وـمـاـ أـقـولـ إـنـ ثـمـنـهـا لـيـسـ يـكـنـىـ ، وـلـكـنـ لـسـتـ أـسـحـ بـاخـرـاجـ كـلـ مـافـ يـدـىـ .

قال : فـامـسـكـتـ عـنـهـ ، وـاسـتـمـمـتـ يـوـمـيـ عـنـهـ ، وـغـدوـتـ عـلـىـ يـحـيـىـ بـنـ خـالـدـ فـلـقـيـتـهـ ، فـسـأـلـتـهـ عـنـ خـبـرـ فـيـ أـمـسـ ، فـخـبـرـتـهـ الـخـبـرـ فـاضـحـكـهـ .

فـانـصـرـفـتـ إـلـىـ إـبـرـاهـيمـ لـأـعـرـفـهـ الـخـبـرـ ، فـوـجـدـتـ الـمـالـ قـدـ سـبـقـ إـلـيـهـ ، فـقـلـتـ لـهـ : اـشـتـرـ إـلـآنـ الضـيـعـةـ ؟ فـقـالـ : لـكـلـ جـديـدـ لـذـةـ ، وـهـذـاـ مـالـ جـديـدـ ، وـلـسـتـ أـحـبـ إـخـرـاجـهـ !

قال : فـحـدـثـتـ جـعـفـرـاـ بـالـخـبـرـ كـلـهـ فـاضـحـكـهـ ، وـبـعـثـ بـالـمـالـ إـلـيـهـ . قال : فـصـرـتـ إـلـيـهـ ، فـقـلـتـ لـهـ : اـشـتـرـ الضـيـعـةـ إـلـآنـ ، فـقـالـ : الـعـجلـةـ مـنـ عـمـلـ الشـيـطـانـ ، دـعـنـيـ أـسـتـمـعـ بـهـذـاـ مـالـ مـدـةـ .

وـصـرـتـ إـلـىـ الـفـضـلـ بـنـ يـحـيـىـ ، فـحـدـثـتـهـ ، فـابـتـاعـ الضـيـعـةـ ، وـوـزـنـ ثـمـنـهـاـ ، وـوـجـهـ إـلـيـهـ بـمـثـلـ الثـنـ ، وـوـجـهـ إـلـيـهـ بـالـصـلـكـ !

الوزراء ص ٢١٤

(١) الدجن : إلـيـاسـ الـقـيمـ الـأـرـضـ وـإـمـاطـارـ السـماءـ وـإـلـاطـرـ الـكـبـيرـ (٢) الفرغـةـ : صـوتـ الـقـدرـ إـذـاغـلـتـ (٣) زـهـرـ السـرـاجـ وـالـقـبـرـ وـالـوـجـهـ : تـلاـلاـ .

* ١٢١ — جود البرامكة :

قال مخارق :

أَذِنْ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ أَنْ نَقِيمَ فِي مَنَازِلِنَا ثَلَاثَةَ أَبْيَامَ ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ
مُشْغِلٌ فِيهَا ؛ فَضَى الْجَلْسَاءُ أَجْمَعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَأَصْبَحَتِ السَّهَّاءُ مُتَغَيِّمَةً تَطِيشُ^(١)
طَشًا خَفِيفًا ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَأَذْهَنَنَّ إِلَى أَسْتَاذِي إِبْرَاهِيمَ^(٢) فَأَعْرَفُ خَبْرَهُ ثُمَّ أَعُودُ .
فَأَمْرَتْ مَنْ عَنْدَهُ أَنْ يَسُوِّوا مَجْلِسًا لَنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي ؛ فَبَعْثَتْ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصَلِيَّ ، فَإِذَا الْبَابُ مُفْتَوْحٌ ، وَالدَّهْلِيزُ قَدْ كُنِّيَّسُ ، وَالْبَوَّابُ قَاعِدٌ ؛
فَقَالَتْ : مَا خَبْرُ أَسْتَاذِي ؟ فَقَالَ : ادْخُلْ ، فَدَخَلَتْ^{*} فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقٍ لَهُ ،
وَبَيْنِ يَدِيهِ قُدُورٌ تَغْرِيرٌ^(٣) ، وَأَبْارِيقٌ تَزَهَّرُ ، وَالسَّتَّارَةُ مَنْصُوبَةٌ وَالجَوَارِيُّ خَلْفُهَا .
فَدَخَلَتْ أَتَرَنَّمُ بِعِصْمِ الْأَصْوَاتِ ، وَقَالَتْ لَهُ : هَالِلُ السَّتَّارَةُ لَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ
وَرَاهُنَا صَوْتًا ؟ فَقَالَ : اقْعُدْ وَيَمْكُتْ ! إِنِّي أَصْبَحَتُ عَلَى الدِّيْنِ ظَنَنْتَ ، فَأَتَانِي خَبْرُ
ضَيْعَةٍ تَجَاوِرْنِي ، قَدْ وَاللَّهِ طَلَبْتُهَا زَمَانًا وَتَنْذِيَتْهَا فَلَمْ أُمْلِكْهَا ، وَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا صَاحِبُهَا
مَائَةُ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، فَقَالَتْ : وَمَا يَعْنِيُكُمْ مِنْهَا ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ أَضْعَافَ هَذَا
الْمَالُ وَأَكْثَرٌ ؟ قَالَ : صَدِقْتَ ، وَلَكِنْ لَسْتُ أَطِيبُ نَفْسًا أَنْ أُخْرِجَ هَذَا الْمَالَ ؛
فَقَالَتْ : فَمَنْ يُعْطِيكُ السَّاعَةَ مَائَةَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ؟ وَاللَّهِ مَا أَطْمَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ ،

* الأغانى ص ١٧٨ ج ٥

(١) الطش : المطر الضعيف ، وهو فوق الرذاذ (٢) إبراهيم بن إسحق الموصلى

(٣) تغري : تصوت للقليل .

فـكـيف بـمـن دـوـنـه ؟ فـقـال : اـجـلـس ، خـذـهـذـا الصـوت ، وـنـقـرـبـقـضـيـبـ معـهـ عـلـىـ
الـدـوـاـةـ وـأـلـقـىـ عـلـىـ :

نـامـ الـخـلـيـونـ مـنـ هـمـ وـمـنـ سـقـمـ وـبـتـ مـنـ كـثـرـةـ الـأـحـزـانـ لـمـ أـنـمـ
يـاطـالـبـ الـجـودـ وـالـمـعـرـوفـ بـجـهـدـاـ اـعـدـ لـيـحـيـ حـلـيفـ الـجـودـ وـالـكـرـمـ
قـالـ مـخـارـقـ : فـأـخـذـتـهـ فـأـحـكـمـتـهـ ؟ شـمـ قـالـ لـىـ : اـمـضـ السـاعـةـ إـلـىـ بـابـ الـوـزـيرـ
يـحـيـيـ بـنـ خـالـدـ ؟ فـإـنـكـ تـجـدـ النـاسـ عـلـيـهـ ، وـتـجـدـ الـبـابـ فـدـ فـتـحـ ، وـلـمـ يـجـلـسـ بـعـدـ ؛
فـأـسـتـأـذـنـ عـلـيـهـ قـبـلـ أـنـ يـصـلـ إـلـيـهـ أـحـدـ ، فـإـنـهـ سـيـنـكـرـ عـلـيـكـ مـجـيـئـكـ وـيـقـولـ :
مـنـ أـينـ أـقـبـلـ فـيـ هـذـا الـوقـتـ ؟ فـجـدـتـهـ بـقـصـدـكـ إـلـيـاـيـ ، وـمـاـقـيـمـتـ إـلـيـكـ مـنـ
خـبـرـ الضـيـعـةـ ، وـأـعـلـمـ أـنـ صـنـعـتـ هـذـا الصـوـتـ وـأـعـجـبـنـيـ ، وـلـمـ أـرـ أـحـدـ يـسـتـحـقـهـ إـلـاـ
فـلـانـةـ جـارـيـتـهـ ، وـأـنـيـ أـقـيـمـتـ عـلـيـكـ حـتـىـ أـحـكـمـتـهـ لـتـطـرـحـهـ عـلـيـهـ ، فـسـيـدـعـوـ بـهـ ،
وـيـأـمـرـ بـالـسـتـارـةـ أـنـ تـنـصـبـ ، وـيـوـضـعـ لـهـ كـرـسـيـ ، وـيـقـولـ لـكـ : اـطـرـحـهـ عـلـيـهـ
بـحـضـرـتـيـ ؟ فـفـاعـلـ ، وـأـتـنـيـ بـالـخـبـرـ بـعـدـ ذـلـكـ .

قـالـ : فـجـعـلـتـ بـابـ يـحـيـيـ فـوـجـدـتـهـ كـاـوـصـفـ ، وـسـائـلـيـ فـأـعـلـمـتـهـ مـاـأـمـرـيـ بـهـ ؛
فـقـعـلـ كـلـ شـيـ قـالـهـ لـىـ إـبـراهـيمـ ؛ وـأـخـضـرـ الـجـارـيـةـ فـأـقـيـمـتـهـ عـلـيـهـ ، شـمـ قـالـ لـىـ : تـقـيمـ
عـنـدـنـاـ يـاـ أـبـاـ المـهـنـاـ أـوـ تـنـصـرـ ؟ فـقـلـتـ : أـنـصـرـ أـطـالـ اللـهـ بـقـاءـكـ ، فـقـدـ عـلـمـتـ مـاـأـذـنـ
لـنـافـيـهـ ! قـالـ : يـاغـلامـ ، اـحـلـ مـعـ أـبـيـ المـهـنـاـ عـشـرـةـ آلـافـ درـهـمـ ، وـاـحـلـ إـلـىـ أـبـيـ
إـسـحـاقـ مـائـةـ أـلـفـ درـهـمـ تـمـنـ هـذـهـ الضـيـعـةـ ، فـجـعـلـتـ عـشـرـةـ آلـافـ إـلـىـ ، وـأـتـيـتـ
مـنـزـلـيـ ، فـقـلـتـ : أـمـرـ يـوـمـ هـذـاـ ، وـأـسـرـ مـنـ عـنـدـيـ ، وـمـضـيـ الرـسـوـلـ إـلـيـهـ بـالـمـالـ .
فـدـخـلـتـ مـنـزـلـيـ ، وـنـثـرـتـ عـلـىـ مـنـ عـنـدـيـ مـنـ الـجـوارـيـ درـاهـمـ مـنـ تـلـكـ الـبـدـرـةـ ،
وـتـوـسـدـهـاـ وـأـكـاتـ وـشـرـبـتـ وـطـرـبـتـ وـسـرـرـتـ يـوـمـيـ كـلـهـ .

فَلِمَا أَصْبَحَتْ قُلْتَ : وَاللَّهُ لَاتِينَ أَسْتَاذِي وَلَا عُرْفَةَ خَبْرَهُ ، فَأَنْتَمُهُ فُوجِدَتْ
الْبَابَ كَيْنَتْهُ بِالْأَمْسِ ، وَدَخَلْتُ فُوجِدَتْهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَقَرَنْتُ
وَطَرَبْتُ فَلَمْ يَتَاقَ ذَلِكَ بِمَا يَجْبُ ؟ فَقُلْتَ لَهُ : مَا الْخَبْرُ ؟ أَلْمَ يَأْتِكَ الْمَالُ ؟ قَالَ : بَلِي !
فَمَا كَانَ خَبْرُكَ أَنْتَ بِالْأَمْسِ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا وُهِبَ لَيْ ، وَقُلْتَ : مَا يُنْتَظَرُ مِنْ خَلْفِ
السَّتَارِ ؟ فَقَالَ : ارْفِعْ السَّجْفَ ، فَرَفَعَهُ إِذَا عَشَرَ بَدْرَ ، فَقُلْتَ : وَأَيْ شَيْءَ بَقَى
عَلَيْكَ فِي أَمْرِ الضَّيْعَةِ ؟ قَالَ : وَيَحْكُ ! مَا هُوَ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ دَخَلْتُ مَنْزِلِي حَتَّى
شَحَّتْ عَلَيْهَا ، فَصَارَتْ مِثْلَ مَاحْوِيَتْ قَدِيمًا ؛ فَقُلْتَ : سَبِّحَنَ اللَّهَ الْعَظِيمُ !
فَتَصْنَعُ مَاذَا ؟ قَالَ : قَمْ حَتَّى أَلْقَى عَلَيْكَ صَوْتًا صَنْعَتْهُ ، يَفْوَقُ ذَلِكَ الصَّوْتُ .
فَقَمْتُ وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدِيهِ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ :

وَيَغْرِحُ بِالْمَلْوَدِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ بُغَاءُ النَّدَى وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ ذُو النَّصْلِ
وَتَنْبَسْطُ الْآمَالُ فِيْهِ لِفَضْلِهِ وَلَا سِيَّا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ
قَالَ مُخَارِقٌ : فَلَمَّا أَلْقَى عَلَيْهِ الصَّوْتَ سَمِعَتْ مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَصَغْرِ
عَنْدِي الْأَوْلَ فَأَحْكَمْتُهُ ؛ ثُمَّ قَالَ : اهْبِطِ السَّاعَةَ إِلَى الْفَضْلِ بْنَ يَحْيَى ، فَإِنَّكِ
تَجِدُهُ لَمْ يَأْذِنْ لِأَحَدٍ بَعْدِهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ عَلَيْهِ ، وَحَدَّدْتُهُ بِمَا حِدَثْنَا أَمْسِ ، وَمَا كَانَ مِنْ
أَبِيهِ إِلَيْنَا وَإِلَيْكَ ، وَأَعْلَمُهُ أَنِّي قَدْ صَنَعْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَكَانَ عَنْدِي أَرْفَعَ مِنَ الصَّوْتِ
الَّذِي صَنَعْتُهُ بِالْأَمْسِ ، وَأَنِّي أَقْيَتْهُ عَلَيْكَ حَتَّى أَحْكَمْتُهُ ، وَوَجَهْتُكَ قَاصِدًا
لِتُلْقِيَهُ عَلَى فَلَانَةِ جَارِيَتِهِ .

فَصَرَرْتُ إِلَى بَابِ الْفَضْلِ ، فَوُجِدَتْ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذُكِرَ ، فَاسْتَأْذَنْتُ فَوَصَّلْتُ ،
وَسَأَلْتُهُ : مَا الْخَبْرُ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِي فِي الْيَوْمِ الْمَاضِي ، وَمَا وَصَلَ إِلَيَّ وَإِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ ؟

قال : أَخْرَى اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أَنْجَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْمَاء دُعا خَادِمًا ؟ فَقَالَ : اضْرِبِ
السَّتَّارَةَ فَضَرَبَهَا ، فَقَالَ لِي : أَلْقِهِ . فَلَمَّا غَنَّيْتُهُ لَمْ أَتَهُ حَتَّى أَقْبَلَ يَجْرُ مُطْرَفَهُ ، ثُمَّ
قَدَعَ عَلَى وِسَادَةِ دُونِ السَّتَّارَةِ ؛ وَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهُ أَسْتَاذُكَ ، وَأَحْسَنْتَ أَنْتَ يَامْحَارِقَ ،
فَمَا أَخْرَجَ حَتَّى أَخْذَتْهُ الْجَارِيَةُ وَأَحْكَمَتْهُ ؛ فَسُرِّ بِذَلِكَ سَرُورًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أَقِمْ
عَنِّي الْيَوْمَ ؟ فَقَلَّتُ : يَا سَيِّدِي إِنَّمَا بَقِيَ لَنَا يَوْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَحْبَبَ سَرُورَكَ لَمْ
أَخْرُجْ مِنْ مَنْزِلِي ؟ فَقَالَ : يَا غَلامُ ، احْمِلْ مَعَ أَبِي الْمَهَنَّا عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمًا ، وَاحْمِلْ
إِلَى إِبْرَاهِيمَ مَائِيَّةً أَلْفَ دِرْهَمًا .

فَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِي بِالسَّالِ ، فَفَتَحَتْ بَدْرَةً ، فَنَثَرَتْ مِنْهَا عَلَى الْجَوَارِي
وَشَرَبَتْ وَسَرَّتْ أَنَا وَمَنْ عَنِّي يَوْمَنَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكَرَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَتَعْرَفُ خَبَرَهُ وَأَعْرِفُهُ خَبْرِي ؟ فَوُجِدَتْهُ عَلَى
الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَوَّلًا وَآخِرًا ، فَدَخَلَتْ أَتَرَّمْ وَأَصْفَقْ ، فَقَالَ لِي : ادْنُ ، قَلَّتْ :
مَا بَقِيَ ؟ فَقَالَ : اجْلِسْ وَارْفِعْ سَجْفَ هَذَا الْبَابَ ، فَإِذَا عَشْرُونَ بَدْرَةً مَعَ تِلْكَ الْعَشْرِ ،
فَقَلَّتْ : مَا تَنْتَظِرُ إِلَيْنِي ؟ فَقَالَ : وَيَحْكُ ! مَاهُو وَاللَّهُ إِلَّا أَنْ حَصَلَتْ حَتَّى جَرَتْ
مُجْرِي مَا تَقْدِمَ ؟ فَقَلَّتْ : وَاللَّهِ مَا أَظْنَ أَحَدًا نَالَ فِي هَذِهِ الرَّتْبَةِ مَا نَالَهُ ! فَلَمْ تَبْخَلْ
عَلَى نَفْسِكَ بِشَيْءٍ تَمْنَيْتَهُ دَهْرًا ، وَقَدْ مَلَكَكَ اللَّهُ أَضْعَافَهُ !

ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ فَخَذْ هَذَا الصَّوْتَ ، وَأَلْقِى عَلَى صَوْتِي أَنْسَانِي وَاللَّهُ صَوْتِي
الْأَوَّلَيْنَ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ صَبِّ وَلَيْلَةٍ إِلَى أَمْ بَكْرٍ لَا تَقْيِيقُ فَتَقْيِيقُ
أَحِبْ عَلَى الْمَجْرَانِ أَكْنَافَ يَدِهَا فِي الَّذِي مِنْ بَيْتِ يَحْبَبُ وَيَهْجُرُ

إلى جمَرَ سارتْ بنا كلُّ جِمَرَةٍ^(١) طواها سُراها نحوَهُ والتهجَّر
إلى واسعِ الْمُجْتَدِينَ فِي نَاءٍ تَرَوْحُ عطاياهُ عليهم وتبَكُّرٌ
قال مخارق : ثم قال لـ إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هـذا ؟ فـقلـتـ : ما سمعتـ
قطُـلـ مثلـه ؟ فـلمـ يـزـلـ يـرـدـهـ عـلـىـ حـتـىـ أـخـذـتـهـ ، ثمـ قـالـ لـىـ : اـمـضـ إـلـىـ جـعـفـرـ ، فـأـفـعـلـ بـهـ
كـاـ فـعـلـتـ بـأـخـيهـ وـأـبـيهـ .

قال : فـضـيـتـ فـعـلـتـ مـشـلـ ذـلـكـ ، وـخـبـرـتـ مـاـ كـانـ مـنـهـماـ ، وـعـرـضـتـ عـلـيـهـ
الصـوتـ ، فـسـرـرـ بـهـ ، وـدـعـاـ خـادـمـاـ ، فـأـمـرـهـ بـضـرـبـ السـتـارـةـ وـأـحـضـرـ الـجـارـيـةـ ، وـقـعـدـ
عـلـىـ كـرـمـيـ ، ثمـ قـالـ : هـاتـ يـامـخـارـقـ ، فـانـدـفـعـتـ فـأـلـقـيـتـ الصـوتـ عـلـيـهـ حـتـىـ أـخـذـتـهـ ؟
فـقـالـ : أـحـسـنـتـ وـالـلـهـ يـامـخـارـقـ ، وـأـحـسـنـ أـسـتـاذـكـ ، فـهـلـ لـكـ فـيـ الـمـقـامـ عـنـدـنـاـ الـيـوـمـ ؟
فـقـلـتـ : يـاسـيـدـيـ ، هـذـاـ آخـرـ أـيـامـنـاـ ، وـإـنـماـ جـيـثـ لـمـوـقـعـ الصـوتـ مـنـيـ حـتـىـ أـلـقـيـتـهـ
عـلـىـ الـجـارـيـةـ ؟ فـقـالـ : يـاغـلامـ ، اـحـمـلـ مـعـهـ ثـلـاثـيـنـ أـلـفـ دـرـهـمـ وـإـلـىـ الـمـوـصـلـ ثـلـاثـيـةـ
أـلـفـ دـرـهـمـ .

فـصـرـتـ إـلـىـ مـنـزـلـ بـالـمـالـ ، فـأـقـمـتـ وـمـنـ مـعـيـ مـسـرـورـينـ نـشـرـبـ بـقـيـةـ يـوـمـنـاـ
وـنـظـرـبـ ؟ ثمـ بـكـرـتـ إـلـىـ إـبـرـاهـيمـ فـتـلـقـانـيـ قـائـمـاـ ، وـقـالـ لـىـ : أـحـسـنـ يـامـخـارـقـ ،
فـقـلـتـ : مـاـ الـخـبـرـ ؟ فـقـالـ : اـجـلـ ، فـجـلـسـتـ ، فـقـالـ لـمـنـ خـلفـ السـتـارـةـ : خـذـواـ
فـيـاـ أـنـتـ فـيـهـ ، ثمـ رـفـعـ السـجـفـ فـإـذـاـ الـمـالـ ؟ فـقـلـتـ : مـاـ خـبـرـ الضـيـعـةـ ؟ فـأـدـخـلـ
يـدـهـ تـحـتـ مـسـوـرـةـ^(٢) ، وـهـوـ مـتـكـيـ عـلـيـهـ ، فـقـالـ : هـذـاـ صـكـ الضـيـعـةـ ؟ سـُئـلـ عـنـ
صـاحـبـهاـ فـوـجـدـ بـيـغـدـادـ ، فـاشـتـرـاـهـ مـنـ يـحـيـيـ بـنـ خـالـدـ ، وـكـتـبـ إـلـىـ : قـدـ عـلـمـتـ أـنـكـ

(١) الجمرة : النافع العظيمة (٢) المسورة : الواسدة من الجلد .

لا تسخون نفساً بشراء الضياعة من مالٍ يحصل لك ، ولو حيزت لك الدنيا كلها ،
وقد ابتهأ لك من مالي ، ووجهت لك بسكها ؛ ووجه إلى بسكها ، وهذا المال
كما ترى .

ثم بكى ؛ وقال لي : يامخارق ، إذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا
غذيت فنن مثل هؤلاء ؟ هذه ستمائة ألف وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف
درهم لك ، حصلنا ذلك أجمع ، وأنا جالس في مجاري لم أبرج منه ، فتى يدرك
مثل هؤلاء !

* ١٤٢ — حسن العفو

قال محدث :

مدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء ، فأنشأ شعرًا يقول فيه :
 لتنصيفي يا أبا حاتم أو لأصيبي إلى حاكم
 فاحتفظها صاحب الخبر ، ورفها إلى الرشيد^(١) ، فقال : صدق ! لو لا أني
 نائم ما كانت أموري تجري على هذه السبيل ! وأمر بإخراج الجناد من الدار
 إليه ، فأول ما وجد على منصور بن زياد عشرة آلاف درهم !

فحديث صالح صاحب المصلى ، قال : دعاني الرشيد ، وهو على كرسى ، فقال :
 اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف ألف درهم ، فإن
 لم يؤدها إلى المغرب فاضرب عنقه ، وجئني برأسه ، وأنا نفني^(٢) من المهدى لمن
 أنت دافعت عنه لأضر بن عنقل ! قلت : ياسيدى : فإن أعطانى بعضها ، ووقة
 لي في بعضها وقتاً ؟ قال : لا !

فخرجت فأعلمه الخبر ، فأسقط في يده ، وقال : ما أراد إلا قتلى ؛ لأنه يعلم
 أن مقدار مالى لا يبلغ ما به طالبى ، ولكن تاذن لي أن أدخل بيتي فأودع أهلى !
 فأذنت له فدخل ودخلت معه ، وبقيت واقعاً ؛ فبعث إلى أمهات أولاده وبناته
 ونسائه : أن اخرجن إلى كما كنت تخرجن عند موته ، فإن هذا آخر أيامى ،
 ولا ستر لكن بعدى !

* المحسن والماوى ص ٤٣٥ طبع إيزنج .

(١) انظر صفحة ١٠٧ (٢) فلان نفى : دعى قد نفى .

فخرجن إلية مشقات الجيوب ، مخيمشات الوجوه بصراخ شديد ، فبكى
إلينه ، وبكينَ إلية وبكت معهنَ ، ثم ودعُنَ وخرج ، وهُنَّ في أثره واضعاتٍ
التراب على رءوسهن .

ثم قال : يا أبا مقاتل ؟ لواذنتَ لي في المصير إلى أبي على يحيى بن خالد
البرمكي ، فسكتْ أوصيه بولدي وأهلي ! فقلت : امضِ !

وصرنا إليه ، وقد نزل في ساعته ، وهو على كرسي يغسل يديه ، فلما توسلنا
الدار جعل منصور يبكي ويمشي إليه ، حتى دنا منه ، وهو يسأله عن الحال فيمنعه
البكاء من إخباره ؛ فقصصتْ عليه قصته ، فقال : ارجع إلى أمير المؤمنين ، وسله
أن يهببه لي ! قلت : ما إلى ذلك سبيل ، ولا يراني إلا وأما لا معنى أو رأس المنصور ،
كما أمرني !

قال خادم له : أئْتَ فلانة فسألهَا : كم لنا عندها من المال ؟ فانصرف ورجع
فذكر أن عندها خمسة آلاف درهم ! فقال لي : احملها وأبلغ أمير المؤمنين
رسالتى في باقيها . فأعلمه أن لاسبيل إلى حمل بعضها دون بعض . فاطرق ، ثم رفع
رأسه ، ثم قال : ياغلام أئْتَ دنانير فقل لها : تبعث إلى بالجوهر الذى وهبها لها
أمير المؤمنين ؟ فبعثت إلى بحقة ، فقال : هذا جوهر ابتغناه لأمير المؤمنين بما تأتى
ألف دينار ، وهو عارفٌ به ، وقد جعلته له بمائة ألف دينار ، فاحمله إلىه والرسالة ؟
فأبيت !

فوجه إلى الفضل ابنه : إنك كنتَ أعلمتنى أنك على ابتياع ضيعةٍ نقيسة ؟
وقد أصببها ، ولا يوجد مثلاً في كل وقتٍ ، وابتليتها فرصة ، فاحمل إلى مالها ،
فعاد الرسولٌ ومعه ألف ألف درهم !

ووجه إلى جعفر ابنه أن يوجه إليه بـألف ألف درهم ، فأنفذ إليه صـكـاً
إلى الجـهـيز^(١) بها !

فقبضت المال ، ووافت الرشيد قبل المغرب ، وهو على حاته ينتظر رجوعي إليه ،
فأخبرته الخبر ، فلما انتهيت إلى خبر الحـقـة ، قال : صدق ! وقد ظننت أنه
لا ينجيه غيرـهـ ، أحمل هذا المال أجمعـاًـ إلى أبيـهـ علىـهـ ، وارددـهـ عليهـ ، وأعلمـهـ أنـيـ قد
قبلـتـ ذلكـ عنـ منـصـورـ ، ورددـتـهـ عليهـ ! ففعلـتـ ذلكـ .

ولقيـنيـ بعدـ ذلكـ يحيـيـ منـصـرـاًـ منـ الدـارـ ، وـ منـصـورـ معـهـ يـسـاـيرـهـ وـ يـضـاحـكـهـ ،
وـ النـاسـ خـلـفـهـ ، قـلـتـ : وـالـلـهـ لـاـ نـصـحـنـ هـذـاـ الشـيـخـ الـكـرـيمـ ، فـدـخـلتـ معـهـ ،
وـ دـخـلـ المـنـصـورـ وـ دـعـاـ بـغـدـائـهـ ، فـلـمـاـ نـهـضـ المـنـصـورـ قـلـتـ : يـاـ أـبـاـ عـلـىـ ؛ إـنـيـ وـالـلـهـ مـارـجـعـتـ
إـلـاـ لـنـصـحـكـ ! وـ قـدـ رـأـيـتـ مـكـانـ هـذـاـ الرـجـلـ مـنـكـ ؟ وـ كـنـاـ حـينـ حـلـتـ المـالـ أـنـهـ ضـطـعـ
معـيـ ، فـوـالـلـهـ مـاـ قـطـعـ نـصـفـ الصـحنـ مـنـ الدـارـ حـتـىـ تـمـثـلـ بـهـذـاـ الـبـيـتـ :
فـاـ بـعـيـاـ عـلـىـ تـرـكـتـمـانـيـ وـ لـكـنـ خـفـقـتـمـ صـرـدـ^(٢) النـبـالـ
فـعـارـضـ أـكـرـمـ فـعـلـكـ بـأـلـامـ خـصـلـةـ فـيـهـ ؛ فـدـعـانـيـ الـأـمـتـعـاضـ مـنـ ذـكـ إـلـىـ
إـخـبـارـكـ ، فـإـنـيـ مـنـ تـعـلـمـ فـيـ مـوـذـنـكـ وـ طـاعـتـكـ !
فـأـكـبـ عـلـىـ الـأـرـضـ سـاعـةـ ، شـرـمـ رـفـعـ رـأـسـهـ ، قـالـ : اـعـذـرـهـ ، فـقـدـ كـانـ عـقـلـهـ
عـزـبـ عـنـهـ فـذـكـ الـوقـتـ !
قـالـ : فـكـانـ عـذـرـهـ لـهـ أـحـسـنـ مـنـ إـحـيـاـهـ إـيـاهـ !

(١) الجـهـيزـ : النـقـادـ الـخـبـرـ (٢) صـرـدـ الرـمـعـ صـرـدـ : نـفـذـ حـدـهـ ، أـئـ خـفـقـاـنـ تـصـيـبـ نـبـالـ .

* ١٢٣ - واعظ الرشيد

قال الفضل^(١) بن الريبع :

حجّ هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فأتاني فخررت مسرعاً ، قلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى لآتيتك ! فقال : ويحك ! قد حك في نفسى شيء ، فانظر لي رجلاً ! قلت : هاهنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت الباب ، فقال : من ذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى لآتيتك ، فقال له : خذ لما جئناك له . رحمة الله . فجادله ساعة ، ثم قال له : عليك دين ؟ فقال : نعم ، فقال : يابعبيسي أقض دينه . فلما خرجنا قال لي : مأغنى صاحبك عن شيئاً ؟ انظر لي رجلاً أسأله ! قلت : هاهنا عبد الرزاق بن همام ! قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت الباب ، فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو أرسلت إلى لآتيتك ! فقال : خذ لما جئناك له ؛ فجادله ساعة ، ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم : قال : يابعبيسي ؛ أقض دينه .

فلما خرجنا قال : مأغنى صاحبك عن شيئاً ؛ انظر لي رجلاً أسأله ! قلت : هاهنا الفضيل بن عياض ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يصلّى ، ويتلوا آية من القرآن يرددّها ، قال : أقرع الباب فقرعت الباب ، فقال : من هذا ؟

* المختار للطالعة العربية طبع أوربا .

(١) انظر صفحة ٤٩

قلت : أجب أمير المؤمنين ! فقال : مالى ولأمير المؤمنين ! قلت : سبحان الله !
أما عليك طاعته ؟ فنزل وفتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة ، فأطاف السراج ،
ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت
كف هارون قبل إليه .

قال : يالها من كف ! ما ألقيناها ! إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل !
قلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقى ، فقال له : خذ لما جئناك
له - رحمك الله ! فقال له : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة ، دعا سالم بن
عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : إنني قد ابتليت بهذا
البلاء ، فأشيراوا على - فعدوا الخلافة بلاء . وعددهما أنت وأصحابك نعمة .

قال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا ،
وليكن إفطارك منها الموت . وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب
الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً . وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً :
فوق أباك ، وأكروم أخاك ، وتحنن على ولدك .

قال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل
فاحب المسلمين ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مُت إذا
شئت ، وإن أقول لك : إنني أخاف عليك أشد الخوف يوم تَزَلِ الأقدام ، فهل
معك - رحمك الله - مثل هؤلاء ، أو من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء
شديداً ، حتى غشى عليه . قلت له : ارق بأمير المؤمنين - رحمك الله !

قال : يا أمير المؤمنين ؟ بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكِّي إليه ،

فكتب إليه عمر : يا أخى أذكري طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قابي بكتابك ، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل . فبكى هارون بكاء شديداً ؛ ثم قال له : زدني - رحمك الله ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إن العباس عم النبي جاء إليه ، فقال له : يا رسول الله أمرني على إمارة . فقال له النبي : إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيمة ، فإن استطعت إلا تكون أميراً فافعل . فبكى هارون بكاء شديداً ؛ ثم قال : زدني - رحمك الله !

قال : يا حسنَ الوجه ، أنت الذي يسألُك الله عز وجل عن هذا الأخلاق يوم القيمة ، فإن أردت أن تَقْتَلَ هذا الوجه من النار ، فإياك أن تصِّبَّه وَتُعْصِيَه وفي قلبك غِشٌ على أحدٍ من رعيتَك ؛ فإن النبي قال : من أصبح لم غاشياً لم يرَح رائحة الجنة ؛ فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ؟ قال : دين ربِّي لم يحاسبني عليه ! فالويلُ لِي إن ساءلتني ، والويلُ لِي إن لم أُلْهِمْ حُجَّتي ، قال : إنما أعني من دين العباد ! قال : إنَّ ربِّي عز وجل لم يأمرني بهذا ، إنما أمرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره ، فقال : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أُرِيدُ منهم من رِزْقٍ وما أُرِيدُ أن يطعمون إنَّ الله هو الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ المتين .

قال له : هذه ألف دينار ، خذها فانفقها على عيالك ، وتفوَّ بها على عبادة

ربّكَ ! فقال : سبحان الله ! أنا أدلّك على طريق النّجاة ، وأنت تكاريقني بمثل هذا ؟
سلّمَكَ الله ووفقك ! ثم صمتَ فلم يكلّمنا .

فخرجنا من عنده ، فلما صرّنا على الباب ، قال هارون : يا عباسى ؛ إذا دللتى
على رجل دُلْلَنِى على مثل هذا ! هذا سيدُ المسلمين .
فدخلتُ عليه امرأةً من نسائِه ، فقالت : يا هذا قد ترى ما نحنُ فيه من ضيقِ
الحال ، فلو قبّلتَ هذا المال فتغفرَ جنّنا به ، فقال لها : مثلِي ومثلكم كمثلِ قومٍ كان لهم
بعيرٌ يا كلون من كسبِه ، فلما كَبَرَ نحروه ، فأكلوا لحمه .

فلا سمع هارون هذا الكلام قال : نَدْخُلُ فعسى أن يقبل المال ، فلما علم
الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه ،
فجعل يكلّمه فلا يحييه .

قال الفضل : فيينا نحن كذلك إذ خرت جاريَه سوداء ، فقالت : يا هذا ،
قد آذيتَ الشّيخَ منذ الليلة ؟ فانصرفَ رحّك الله ! فانصرفنا !

١٢٤ — أَمْوَىٰ عِنْدَ الرَّشِيدِ *

رُفِعَ إِلَى هارون الرشيد أَنْ رجلاً بِدمشق مِنْ بقِيَا بَنِي أَمِيَة عَظِيمٌ الْمَالُ، كَبِيرٌ
الْجَاهُ، مطاع فِي الْبَلَدِ، لَهُ جَمَاعَةٌ وَأُولَادٌ وَمَالِيْكٌ يَرْكَبُونَ الْخَيلَ، وَيَحْمَلُونَ السَّلاحَ،
وَيَغْزُونَ الرُّومَ، وَأَنَّهُ سَمِيقٌ جَوَادٌ، وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مَنْهُ، فَعَظَمُ ذَلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ.
فَقَالَ خَادِمُهُ مَنَارَةً: اخْرُجْ السَّاعَةَ وَابْدُأْ بِالرَّجُلِ، فَقَيْدَهُ وَجَثَنَّ بِهِ، وَاجْعَلْهُ
فِي مَحْمِلٍ تَقْدُدَ أَنْتَ فِي شَقَّهُ وَهُوَ فِي الْآخِرِ، وَتَفَقَّدَ دَارَهُ، وَاحْفَظْ مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ
حِرْفًا بِحِرْفٍ.

قَالَ مَنَارَةً: فَأَتَيْتُ بِهِ بَيْتَ الرَّجُلِ، وَدَخَلْتُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ
ذَلِكَ سَأَلُوا بَعْضًا مِنْهُ عَنِّي، فَلَمَّا صَرَّتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ، نَزَّلْتُ وَدَخَلْتُ
مَجْلِسًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا جَلُوسًا، فَظَنَّنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ، فَقَامُوا وَرَحَبُوا بِي، فَقُلْتَ:
أَفِيكُمْ فَلَان؟ قَالُوا: نَحْنُ أُولَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَّامِ، فَقُلْتَ: اسْتَعْجِلُوهُ، فَضَى بَعْضُهُمْ
يَسْتَعْجِلُهُ، وَأَنَا أَنْقَدُ الدَّارَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ؛ فَوُجِدَتْهُ مَاجَتْ مُوجًا كَبِيرًا.
فَلَمْ أَزِلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ طَالَ مَكْثُهُ، وَاسْتَرْبَتْ بِهِ، وَاشْتَدَّ خَوْفُ
وَقَلْقَى مِنْ أَنْ يَتَوَارِى، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ شَخْصًا بَرْزِيًّا الْحَمَّامَ يَعْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ،
وَحَوْالِيهِ جَمَاعَةٌ كَهُولٌ وَأَحْدَاثٌ وَصَبِيَانٌ، وَهُمْ أُولَادُهُ وَغَلَمانُهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ الرَّجُلُ.
فَجَاءَ وَسَلَّمَ وَسَأَلَنِي عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَقَامَةِ أَمْرِ حَضُورِهِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا

وجب . وما قضى كلامه حتى جاءوا بأطباق فاكهة ، فقال : تقدم يا منارة وكل معنا ، قلت : مالي إلى ذلك من سبيل ، فلم يعاودني وأكل هو ومنه ، ثم جاءوا بمائدة حسنة ، فقال : يامنارة ، ساعدنا على الأكل ، فامتنعت عنه فما عاودني .

فلا فرغ من أكله قام إلى الصلاة فصلّى وأكثر من الدعا والابتهال ، ثم قال لي : ما أقدمك يامنارة ؟ فأخرجت كتاب أمير المؤمنين فدفعته إليه فقضى وقرأه ، ثم أمر أولاده بالانصراف ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، ولست أقيم بعد نظر في ساعة واحدة ، هات قيودك يامنارة ، فدعوت بها وقيدته وحملته . وركبت في الشق الآخر وسررت بالرجل ، وليس معه أحد حتى صرنا بظاهر دمشق ، فابتداً يحدثنـي بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة ، فقال لي : أترى هذا ؟ قلت : نعم ، قال : إنه لي ، وفيه من غرائب الأشجار كثـر وكيـت ، ثم انتهى إلى آخر ، فقال مثل ذلك ، ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك .

فاشتدَّ غيظي منه وقلت : ألسـت تعلم أن أمير المؤمنين أهمـة أمرـك حتى أرسل إليك منْ انتزـعـك من بين أهـلـك وـمـالـك وـولـدـك ، وأخـرجـك فـريـدـاً مـقيـداً لـاتـدرـى إـلـى مـا يـصـيرـ إـلـيـه أـمـرـك ، وـلـا كـيفـ يـكـونـ ؟ وـأـنـتـ فـارـغـ القـلـبـ منـ هـذـا حـتـى تـصـفـ ضـيـاءـكـ وـبـسـايـنـكـ بـعـدـ أـنـ جـئـنـكـ ؟

فقال لي مجبيـاً : إـنـا لـهـ وـإـنـا إـلـيـهـ رـاجـعـونـ ! أـخـطـأـتـ فـرـاسـتـيـ فـيـكـ . لـقـدـ خـلـنـتـ أـنـكـ رـجـلـ كـامـلـ العـقـلـ ، وـأـنـكـ مـاحـلـتـ مـنـ الـخـلـفـاءـ هـذـا الـخـلـلـ ، إـلـاـ مـاـ عـرـفـوكـ بـذـلـكـ ، فـإـذـا بـكـلـامـكـ يـشـبـهـ كـلـامـ العـوـامـ ، وـالـلـهـ الـمـسـتعـانـ !

أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إباهى إلى باهه على صورتى هذه ، فإنى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصية أمير المؤمنين ، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه فقعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله عز وجل ؛ ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد ، إذا عرف أمير المؤمنين أمري ، وعرف سلامتى ، وصلاح ناحيتي سرّه فنى مكرّماً ؛ فإن الحسدة والأعداء رمّونى عنده بما ليس فى ، وتقولوا على الأقاويل ، فلا يستحل دمى ويردّنى مكرّماً ، ويقيّمى ببلاده معظمًا مبجلاً ؛ وإن كان قد سبقَ في علم الله عز وجل أنه يبدُر إلى منه بادرة سوء ، وقد حضر أجيلى ، وكان سفك دمى على يده ، فإني أحسن الظن بالله الذى خلق ورزق ، وأحيا وأمات ، وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يعلّك الدنيا والآخرة ! وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا ؛ فإذا عرفت مبلغ فهمك فإني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى !

قال منارة : ثم أعرض عنى ما سمعت منه لفظة غير التسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة .

ودخلت على الرشيد وقبلت الأرض بين يديه ، ووقفت ، فقال : هات ما عندك يا منارة ، فسقت الحديث من أوله إلى آخره ، فلما جئت على آخره قال : صدق والله ! ما هذا الرجل إلا محسود النعمة مكذوب عليه ؟ ولعمري لقد أزعجتناه وأذيناها وروأتنا أهلها ؛ فبادر ببزرع قيوده واثنتي به ؛ ففعلت وأدخلته على الرشيد .

فما هو إلا أن رأاه حتى رأيت ماء الحياة يجول في وجه الرشيد ، فدنا الأموى وسلم بالخلافة ووقف ؛ فرد عليه الرشيد ردًا جميلاً ، وأمره بالجلوس فجلس ، فأقبل عليه الرشيد وسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحبيتنا

معها أن تراك ، ونسمع كلامك ، ونجِّسْنَ إِلَيْكَ ؛ فاذْكُر حاجتك ؟ فأجاب الأموي
جواباً جيلاً ، وشكراً ودعا . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أن تردني إلى بلدي وأهلي
وولدي ، قال : نفعل ذلك ، ولكن سلْ ما تحتاج إليه في مصالح جاهك ومعاشك ،
إِنْ مَثَلَكَ لَا يخلو أَنْ يَحْتَاجْ شَيْئاً مِنْ هَذَا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عَمَالُكَ مُنْصَفُونَ ،
وقد استغنىت بعَدْلِهِمْ عن مسألي ، فأمورى مستقيمة ، وكذلك أهلُ بلدى بالعدل
الشامل في ظلِّ أمير المؤمنين .

فقال الرشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك ، وأكتب إلينا بأمرِ إن عرض
لك ، فرَدَّعهُ الأموي .

قال منارة : فلما ولى خارجاً قال الرشيدُ يامنارة ، احمله من وقتك وسرْ به
راجعاً كما جئتَ به ، حتى إذا وصلتَ إلى مجلسه الذي أخذته منه فداءً وانصرف !

١٢٥ — يواسى بعضهم بعضا *

قال الواقدى ^(١) :

كان لي صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة ، فتاتنى ضيقه شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأى : أئنا نحن في أنفسنا فتصبر على المؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قابي رحمة لهم ؛ لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزيّنوا في عيدهم ، وأصلاحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ! فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم !

فكتبت إلى صديق الهاشمى أسأله التوسيعة على ، فوجه إلى كيسا مختوما ، ذكر أن فيه ألف درهم ؛ مما استقر قراري إذ كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبى ؛ فوجئت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد ، فأفاقت فيه ليل مُستَحْيِيَا من امرأى .

فلا دخلت عليها استحسنت ما كان مني ، ولم تعنني عليه .

فيينا أنا كذلك إذ وافى صديق الهاشمى ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي : أصدقنى بما فعلته فيما وجهت إليك ؟ فعرفته الخبر على وجهه ، فقال : إنك وجئت إلى وماملك على الأرض إلا ما بعشت به إليك ، وكتب إلى صديقنا أسأله الموساة ، فوجه إلى بكىسى ! فتواسينا الآلف أثلاثا !

* المعودى من ٣٣٦ ج ٢

(١) الواقدى : هو محمد بن عمر بن واقد من أقدم المؤرخين فى الإسلام ومن أشهرهم ولد بالمدينة وانتقل إلى العراق فولاه المأمون القضاء بالرصافة ، ثم ولى قضاء بغداد ، ومن كتبه « المغازي النبوية » توفى سنة ٢٠٧ هـ .

ثم نهى الخبر إلى المؤمن فدعاني ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لـكل واحد ألف دينار ، ولالمرأة ألف دينار .

* ١٣٦ — وفي للبرامكة

قال عمرو بن مسعدة :

رُفِعْت قصَّةٌ إِلَى الْمُؤْمِنِ مَنْسُوبَةً إِلَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَمُوتُ فِيهَا بِحُرْمَةٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النِّعْمَةِ وَالْقَدْرِ، وَأَنَّهُ مَوْلَى لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَأَنَّهُ كَانَ ذَا ضَيْعَةٍ وَاسْعَةٍ، وَنِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ، وَأَنَّ ضَيْعَةَ قِبْضَتِهِ قِبْضَتِ الْبَرَامِكَةَ، وَزَالَتْ نِعْمَتُهُ بِخَلْوِ الْمَقْمَةِ عَلَيْهِمْ .

فَدَفَعَهُ الْمُؤْمِنُ إِلَى ابْنِ أَبِي (١) خَالِدٍ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَصْمِمَ الرَّجُلَ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَنْ يُجْهِرَ عَلَيْهِ، وَيُخْسِنَ إِلَيْهِ . فَفَعَلَ بِذَلِكَ، وَصَلَحَتْ حَالُهُ، وَصَارَ نَدِيمًا لِابْنِ أَبِي خَالِدٍ لَا يَفْارِقُهُ .

فَتَأْخَرَ عَنْهُ ذَاتُ يَوْمٍ مَلْوُدٍ وُلْدَهُ؛ فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ، فَأَحْتَاجَبَ عَنْهُ؛ فَفُضِّبَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَأَمْرَ بِخَبْسَهِ وَتَقْيِيدهِ، وَإِلَبَاسِهِ جُبَّةَ صَوْفٍ؛ فَكَثُرَ كَذَلِكَ

* الحسان والساوى ص ٢٢٢ طبعة ليزج .

(١) هو أحد بن أبي خالد ، استوزره المؤمن بعد وفاة المنضل بن سهل وقال له : إن كنت عزمت ألا استوزر أحدا بعد ذي الرئستان ، وقد رأيت أن استوزرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل بيدي وبين الغاية منزلة يتأملها صديق فيرجوها لي ، ولا يقول عدوى قد بلغ الغاية وليس إلا الانحطاط . فاستحسن المؤمن كلامه واستوزره . وظل أنيرا عنده حتى مات سنة ٢١١ هـ وصلى عليه المؤمن .

أياماً . فسأله المأمون عنه ؟ فقص عليه قصته ، وعظم جرمـه ، وشكـا ما يراه عليه من التـيه والصـلف والافتخار بالبرامـكة ، والسمـوـ بأهـلـهم .

فأمرـه بإحضارـه ، فأحضرـه في صـوفـه ؛ فأقبلـ عليه المأمونـ بالتـوبـيخ مـصـغـرـاً لـقـدرـه ، مـسـفـهاً لـرأـيه ، وعـظـمـ في عـيـنه إـحـسانـ ابنـ أـبـي خـالـدـ إـلـيـه ، معـ طـعـنـ على البرامـكة ، ووـضـعـ مـنـهـمـ ؛ فـأـطـنـبـ في ذـلـكـ .

قالـ محمدـ : ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ؛ لـقـدـ صـغـرـتـ مـنـ البرـامـكـةـ غـيرـ مـصـغـرـ ، وـذـمـمـتـ مـنـهـمـ غـيرـ مـذـمـومـ ، وـلـقـدـ كـانـواـ شـفـاءـ أـسـقـامـ دـهـرـهـ ، وـغـيـاثـ أـجـادـبـ عـصـرـهـ ، وـكـانـواـ مـفـزـعـاـ لـلـهـلـوـفـينـ ، وـمـلـجـاـ لـلـظـلـوـمـينـ ؛ وـإـنـ أـذـنـ لـيـ أمـيرـ المؤـمنـينـ حـدـثـهـ بـعـضـ أـخـبـارـهـ لـيـسـتـدـلـ بـذـلـكـ عـلـىـ صـدـقـ قولـهـ ، وـيـقـفـ عـلـىـ جـيـلـ أـخـلـقـهـ ، وـمـحـمـودـ مـذـاهـبـهـ فـعـصـرـهـ ، وـالـأـفـالـ الشـرـيفـةـ وـالـأـيـادـ الـنـفـيسـةـ !

قالـ : هـاتـ ! قالـ : لـيـسـ بـإـنـاصـافـ ؟ مـحـدـثـ مـقـيـدـ ، فـيـ جـبـةـ صـوفـ ! فـأـمـرـ فـأـخـذـ قـيـدـهـ . فـقـالـ : ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ؛ أـلـمـ الجـبـةـ يـحـولـ بـيـنيـ وـبـيـنـ الـحـدـيـثـ ، فـأـمـرـ فـخـلـعـ عـلـيـهـ ، ثـمـ قـالـ : هـاتـ حـدـيـثـكـ !

قالـ : نـعـمـ ، ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ؛ كـانـ وـلـائـيـ وـانـقـطـاعـيـ إـلـىـ الفـضـلـ ؛ فـقـالـ لـيـ الفـضـلـ يـوـمـاـ بـمـحـضـ مـنـ أـبـيهـ وـأـخـيهـ جـعـفـرـ ؛ وـيـحـكـ يـاـمـحـمـدـ ؛ إـنـيـ أـحـبـ أـنـ تـدـعـنـيـ دـعـوـةـ كـاـيـدـعـوـ الصـدـيقـ صـدـيقـهـ ، وـالـخـلـيلـ خـلـيلـهـ !

فـقـلتـ : جـعـلـتـ فـدـاكـ ! شـأـنـيـ أـصـغـرـ مـنـ ذـلـكـ ، وـمـأـلـيـ يـعـجزـ عـنـهـ ، وـبـاعـيـ يـقـصـرـ عـنـ ذـلـكـ ، وـدـارـيـ تـضـيـقـ عـنـهـ ، وـمـنـقـىـ^(١) لـاـقـومـ لـهـ ! قـالـ : دـعـ عـنـكـ ذـلـكـ !

(١) المـنـةـ : الـغـوـةـ .

فلا بدّ منه . فأعدتُ عليه الاستئفاء ، فرأيته جاداً في ذلك مقىما عليه ؛ وسأله أبوه وأخوه الإغفاء ، وأعلماه قصور يدي عن بلوغ ما يجب له ويشبهه مثله ؛ فقال لهما : لست بقانع منه دون أن يدعوني وإياك لا رابعاً معنا !

فأقبلَ على يحيى ، وقال : قد أبى أن يُعفيك ، وإن لم يكن غيرنا فاقعدنا على أثاث بيتك فلا حشمة^(١) منا . وأطعمتنا من طعام أهلك فنعن به راضون ، وعليه شاكرؤن .

فقلتُ : جعلتُ فداك ! إن كنتَ قد عرضتَ على ذلك ، وأبى إلهاهتكِ وفضيحتي فأرجو أن تؤجلني حتى أناهب . فقال : استأجل لنفسك . فقلت : سنة ! فقال : ويحك ! أمعنا أمان من الموت إلى سنة ؟ !

قال يحيى : أفرطتَ في الأجل ، ولكنني أحكم بينكما أرجو ألا يرده أبو العباس ، واقبله أنت أيضاً . قلت : أحكم وفقك الله للصواب ، وفضل على بالفسح في المدة . فقال : قد حكمتْ بشهرين .

فخرجتُ من عندهم ، وبدأتُ برم داري ، وإصلاح آلتى ، وشراء ما أتجعل به من فرش وأثاث وغير ذلك ، وهو في ذلك لا يزال يذكرني ، ويعد الأيام على ، حتى إذا كانت الجمعة التي تجبر فيها الدعوة قال لي : يا محمد ؛ قد قرب الوقت ولا أحسب أنه قد بي عليك إلا الطعام ؟ قلت : أجل يا سيدى !

فأمرتُ باتخاذ الطعام على غاية ما انبسطتْ به يدي ومقدري ، وجاءني رسوله عشية اليوم الذى في صبيحته الدعوة ، فقال لي : إلى أين بلغت ؟ وهل تاذن

(١) الحشمة : الاستحياء .

بالركوب ؟ قلت : نعم ، بكر . فبكراً هو ويحيى وجعفر ، ومعهم أولادهم وبناتهم .

فلاما دخلوا أقبل على الفضل ، وقال : يا محمد ؟ إن أول ما أبدأ به النظر إلى
نعتك كلها صغيرها وكبيرها ، فقم بنا إلى الدار حتى أدور فيها ، وأقف عليها !
فقمت معه ، وطاف في المجلس ، ثم خرج إلى الخزان ، وصار إلى الأصطلات ،
ونظر إلى صغير نعمي وكبيرها ، ثم عدَّ إلى المطبخ ، فأمر بكشف القدور كلها ،
وابصر قدرًا منها ، فأقبل على أبيه ، وقال : هذه قدرك التي تعجبك ، ولست أبرح
دون أن تأكل منها ؛ فدعه برغيف فغمسه في القدر ، وتناول أباه ؛ ثم فعل ذلك
بأخيه ، ودعا بخلال ، وخرج إلى الدار ، ووقف في صحنها مسرحًا طرفه في فنائها
وبنائها وسقوها وأزوِّقتها . ثم أقبل على وقال : من جيرانك ؟ قلت : جعلت فداك
عن يميني فلان ابن فلان ، وعن شمالي فلان ابن فلان ، وفي ظهر داري رجل كبير ،
لإفترق بنائهما ولا يقصُّر ، فقال لي : أو تعرفه ؟ قلت : لا ! قال : ما كان ينبغي لك
في قدرك ومحالكَ من هذه الدولة إلا يجترئ أحد أن يشتري شيئاً في جوارك إلا
بأمرك ، وألا ترضى لنفسك إلا بمحارِّ تعرفه !

فقلت : لم يمنعني من ذلك إلا ما كنت فيه من الشغل بهذه الدعوة المباركة .

قال لي : فأين الحائط الذي يتصل بداره ؟ فأومأت إليه ، فقال : على بناء ؟
فأني به ، فقال : أفتح هاهنا باباً ! فأقبل عليه أبوه ، وقال : نشتك الله يابني إلا
تهجم على قوم لا تعرفهم ! وأقبل عليه أخوه بمشل ذلك ، فأبي إلا أن يفتح
الباب .

فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ رَدَّ أَبَاهُ وَأَخَاهُ أَمْسَكْتُ عَنْ مَسَائِلِهِ، فَفَتَحَ الْبَابَ وَدَخَلَ، وَأَدْخَلَنِي
مَعْهُ؛ فَدَخَلْتُ دَارًا حَارَ بَصْرِي فِيهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَانْتَهَيْنَا إِلَى رِوَاقِ فِيهِ مَائَةً مُمْلوكًا
فِي زَيِّ وَاحِدٍ، عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيلَةُ^(١) مِنَ الدِّيَبَاجِ؛ وَإِذَا شَيْخٌ قَدْ خَرَجَ قَبْلِ يَدِهِ؛
فَقَالَ لَهُ: مَرَّ بَنَا نَظَرٌ فِي مَرَافِقِ هَذِهِ الدَّارِ؛ هَمَّ دَخَلْنَا مَجْلِسًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ قَدْ فَرِشَ بِمَا
لَا يَحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ.

ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ: مَرَّ بَنَا إِلَى مَكَانِ الدَّوَابِ، فَدَخَلْنَا اصْطَبْلًا فِيهِ أَرْبَعَمَائِةٍ مِنَ
الْبَغَالِ وَغَيْرِهَا، فَوُجِدَتُ ذَلِكَ الاصْطَبْلُ أَحْسَنَ بَنَاءً مِنْ دَارِي.

ثُمَّ خَرَجَ نَحْوُ دُورِ النِّسَاءِ، وَالشَّيْخُ بَيْنَ يَدِيهِ؛ فَلَمَّا اتَّهَى إِلَى الْبَابِ وَقَفَ
الشَّيْخُ. وَدَخَلَ الْفَضْلُ، وَأَنَا مَعْهُ، حَتَّى دَخَلْتُ بَعْضَ تَلْكَ الدُورِ، فَإِذَا فِيهَا مَائَةُ
وَصِيفَةٍ^(٢)، قَدْ أَقْبَلَنَّ فِي حُلَيْهِنَّ وَحُلَّاهِنَّ؛ فَوَقَفْنَا بَيْنَ يَدِيهِ، فَقَالَ: يَامُحَمَّدُ؛ هَذِهِ
الْدَارُ أَجْلُ أَمْ دَارَكُ؟ فَقَلَّتْ: يَا سَيِّدِي؛ وَمَا أَنَا؟ وَمَا دَارِي؟ هَذِهِ تَصَالُحٌ لِلْأَمْرِ
لِأَغْيَرِهِ! فَقَالَ: يَامُحَمَّدُ؛ هَذِهِ الدَّارُ بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّوَابِ وَالرِّيقَقِ وَالْفُرْشِ وَالْأَوَانِ
لَكُ، وَلَكَ عِنْدِي زِيَادَةٌ!

فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي: يَهْبِطُ لَكَ مِلْكٌ غَيْرِهِ! فَعَلِمْتُ مَا فِي نَفْسِي، فَقَالَ: يَامُحَمَّدُ؛
إِنِّي لَمْ سَأْلَتُكَ هَذِهِ الدُّعْوَةَ تَقْدِيمًا إِلَى الْقَاهْرَةِ مَانِ بِشْرَاءَ هَذَا الْبَرَاحِ، وَأَنْ يَعْجَلَ الْفَرَاغِ
مِنْهُ وَمِنْ بَنَائِهِ، وَحَوَّلَتْ إِلَى الدَّارِ مَاتَرِي؛ فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

وَانْصَرَفَ بِي إِلَى أَبِيهِ وَأَخِيهِ، وَحَدَّهُمَا بِمَا جَرِيَ؛ فَرَأَيْتُ أَخَاهُ جَعْفَراً قَدْ
مَعِضَ^(٣) مِنْ ذَلِكَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ تَغَيِّرًا عَرَفْتُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ يَشْكُوُ الْفَضْلَ،

(١) جَعْ قَبَاءَ (٢) الْوَصِيفَةُ: الْحَادِمُ (٣) مَعِضُ مِنَ الْأَمْرِ كَفَرَ حُجَّ: غَضْبٌ.

ويقول : يَتَفَرَّغُ بِمُشَلْ هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ مِنْ دُونِي ؟ فَلَوْ شَارَكَنِي فِيهَا لَكَانَتْ يَدَا^{أَشْكَرُهَا مِنْهُ} !

فقال : يَا أَخِي بَقِيَ لَكَ مِنْهَا قُطُبُهَا^(١) ! قال : وَمَا هُوَ ؟ قال : إِنَّ مُولَانَا هَذَا لَا يَهِيئُ لَهُ ضَبْطُ هَذِهِ الدَّارِ بِمَا فِيهَا إِلَّا بِدَخْلِ جَلِيلٍ ؛ فَأَعْطَهُ ذَلِكَ !

فقال : فَرَجَتَ عَنِي يَا أَخِي ! فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ ! فَدُعَا مِنْ وَقْتِهِ بِصِّكَاكَ^(٢) لِحَسْ قُرَيَّاتَ ، وَاحْتَمَلَ عَنِي خَرَاجَهَا ، فَخَرَجُوا عَنِي ، وَأَنَا أَيْسَرُ أَهْلَ زَمَانِي !

فهل تلومني يا أمير المؤمنين على ذِكْرِهِ ، والإشادة بفضلهم ؟

فقال المأمون : ذهب القومُ والله بالمسكارم ! ثم أمر لحمد بمائة ألف درهم ، وقد تم إلى ابن أبي خالد برد مَرْتَبَتِهِ ، وتصييره في جملة خواصه !

(١) قطب الشيء : ملاكم ومداره (٢) جمع صك .

* أَفْضَلُ الْأَصْحَابِ * ١٢٧

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ^(١) الطُّوْسِيُّ عَلَى غَدَاءِ يَوْمٍ مَعَ جُلْسَائِهِ، وَإِذَا بِصِحَّةِ
عَظِيمَةٍ عَلَى بَابِ دَارِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ لِبَعْضِ غَلَامَيْهِ: مَا هَذِهِ الضَّبْجَةُ؟ مَنْ كَانَ
عَلَى الْبَابِ فَلَيُدْخِلْ !

فَخَرَجَ الْفَلامُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: إِنْ فَلَاتَ أَخْذَ وَقْدًا ثُقِّيَّ بِالْحَدِيدِ، وَالْغَلَامُ
يَنْتَظِرُونَ أَمْرَكَ فِيهِ؛ فَرَفَعَ يَدَهُ عَنِ الطَّعَمِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ جُلْسَائِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَمْكَنَكَ مِنْ عَدُوكَ، فَسَبَبَ لَهُ أَنْ تَسْقُىَ الْأَرْضَ مِنْ ذِمَّهِ؛ وَأَشَارَ كُلُّ مِنْ جُلْسَائِهِ
عَلَيْهِ بِقُتْلِهِ عَلَى صِفَةِ اخْتَارَهَا، وَهُوَ سَاكِنٌ !

ثُمَّ قَالَ: يَا غَلامُ؛ فُكْ عَنْهُ وَثَاقَهُ، وَيَدْخُلْ إِلَيْنَا مُكَرَّمًا .

فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ رَجُلٌ لَادِمٌ فِيهِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ هَشَّ إِلَيْهِ، وَرَفَعَ مَجِلِسَهُ، وَأَمْرَ بِتَجْدِيدِ
الطَّعَمِ، وَبَسَطَهُ بِالْكَلَامِ، وَأَقْمَهُ^(٢) حَتَّى انتَهَىَ الطَّعَمِ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِكُسُوفَ حَسْنَةِ
وَصِلَةِ، وَأَمْرَ بِرَدَّهِ إِلَى أَهْلِهِ مُكَرَّمًا، وَلَمْ يَعَايِهِ عَلَى جُرْمٍ وَلَا جَنَاحَةً .

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى جُلْسَائِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَفْضَلَ الْأَصْحَابِ مِنْ حُضَّ الصَّاحِبِ
عَلَى الْمُكَارِمِ، وَنِهَاءُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَآسِمِ؛ وَحَسَنَ اصْحَابُهُ أَنْ يَمْجَزِيَ الْإِحْسَانَ
بِضَعْفِهِ، وَالْإِسَاءَةَ بِصَفَّهِ، إِنَّا إِذَا جَازَ يَنْا مِنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا بِمَثَلِ مَا أَسَاءَ فَإِنْ مَوْعِظُ
الشَّكْرِ عَلَى النِّعَمَةِ فِيمَا أُتَيَحَّ مِنَ الظَّافَرِ ! إِنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ حَضَرَ مُجَالِسَ الْمَلُوكِ أَنْ

* نَهَايَةُ الْأَرْبَبِ مِنْ ٦٣ ج ٦، غَرَرُ الْخَصَائِصِ مِنْ ٢٣٩

(١) مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ الطُّوْسِيُّ: وَالَّذِي مِنْ قَوَادِ جَيْشِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَاسِيِّ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمُوْسَلِ، وَكَانَ
شَجَاعًا مَدْوِحًا جَوَادًا وَقُتِلَ سَنَةُ ٢١٢ هـ (٢) أَقْمَهُ: يَرِيدُ أَطْعَمَهُ .

يُمْسِكَ إِلَّا عَنْ قَوْلِ سَدِيدٍ وَأَمْرٍ رَشِيدٍ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ أَدُومُ لِلنِّعْمَةِ ، وَأَجْعَلُ لِلَّائِفَةِ .
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ^(١) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحُ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا » .

١٢٨ — ما ولدتِ العربُ أَكْرَمَ مِنْكَ *

قال الأصمى ^(٢) :

قصدتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلًا كَنْتُ أَغْشَاهُ لِكَرَمِهِ ؛ فَوُجِدْتُ عَلَى بَابِهِ بُوَّابًا ،
شَنَعِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِي مَا أَوْقَنَنِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنِعِ مِثْلَكَ
إِلَّا لِرَفْقَ حَالِهِ ، وَقَصْوَرِ يَدِهِ ؛ فَكَتَبْتُ رُقْعَةً فِيهَا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لِهِ حِجَابٌ فَأَفْضِلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ ^(٣) ؟
ثُمَّ قَاتَ لِهِ : أَوْصِلْ رُقْعَتِي إِلَيْهِ ؛ فَفَعَلَ وَعَادَ بِالرُّقْعَةِ ، وَقَدْ وَقَعَ عَلَى ظَهِيرَهَا :
إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلًا مَلِيْلًا تَحْجَبَ بِالْحِجَابِ عَنِ الْغَرِيمِ
وَمَعَ الرُّقْعَةِ صُرَّةٌ فِيهَا سَمِائَةُ دِينَارٍ .

فَقَاتَ : وَاللَّهِ لَا تَحْفَنْ ^(٤) الْمُؤْمِنَ بِهَذَا الْجَبَرِ ؛ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : مَنْ أَنِّي
يَا أَصْمَعِي ؟ قَلَتْ : مَنْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ الْأَحْيَا ، حَاشَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) قرآن كريم - سورة الأحزاب - آية ٧٠ ، ٧١

* عِرَاتُ الْأُورَاقِ لِلْحَمْوَى ص ٢٢٢ ج ١

(٢) هو أبو سعيد عبد المطلب بن قریب ، ثناً بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن
أئمتها ، وقد اشتهر بالثقة في الرواية والتخلص من اللغة وقد الشعر ، توفي سنة ٢١٦ هـ

(٣) اللئيم : البخيل (٤) التحفة : الطرفة .

قال : ومنْ هو ؟ فدفعتُ إِلَيْهِ الورقةَ والصُّرَّةَ ، وأُعْدَتُ عَلَيْهِ الْخَبْرَ . فَلَمَّا رَأَى الصُّرَّةَ قَالَ : هَذَا مِنْ بَيْتِ مَالِيِّ ، وَلَا بَدْلَى مِنَ الرَّجُلِ ! فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ تُرُوعَهُ^(١) بِرُسُلِكَ ، فَقَالَ لِبَعْضِ خَاصَّتِهِ : أَمْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيِّ ؛ فَإِذَا أَرَاكَ الرَّجُلَ ، فَقُلْ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ إِرْعَاجٍ ! فَلَمَّا حَضَرَ الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُؤْمِنِ قالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي وَقَعَتْ لَنَا بِالْأَمْسِ ، وَشَكَوْتَ رِقَّةَ الْحَالِ ، وَأَنَّ الزَّمَانَ قَدْ أَنْجَعَ عَلَيْكَ بِكَلَّ كَلِيلٍ^(٢) ؛ فَدَفَعْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ الصُّرَّةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ ؟ فَقَدْ صَدَكَ الْأَصْمَعِيُّ بِبَيْتٍ وَاحِدٍ ؛ فَدَفَعْتَهَا إِلَيْهِ ! فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِيمَا شَكَوْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ الْحَالِ ؛ لَكِنِي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُ : اللَّهُ أَنْتَ ؟ فَمَا وَلَدْتِ الْعَربَ أَكْرَمَ مِنْكَ !

(١) رُوعَهُ : أَفْزَعَهُ (٢) السَّكَّلُ : الصِّدْرُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّكَ فِي ضِيقٍ وَشَدَّةٍ .

١٢٩ - الأصمى يطلب القرى *

قال الأصمى :

سرتُ في تطّوافِي في العرب بجبلِ طيءٍ ؛ فدفعتُ إلى قومٍ منهم يَحْتَلِبُونَ
اللبن ، ثم يَصِيحُونَ : الضيفَ الضيف ! فإن جاءَ من يُضيِّفُهُمْ ، وإلا أراقوه ، فلا
يَذُوقُونَ منه شيئاً دون الضيف إلا أن يَجْهَدُهُم الجوع .

ثم دَفَعْتُ إلى رجلٍ من ولد حاتم بن عبد الله ؛ فسأله القرى ، فقال : القرى
والله كثير ، ولكن لا سبيل إليه ، فقلت : ما أحسب عندك شيئاً ؟ فأمرَ
بالحقان ، فأخرِجْتُ مُكَرَّمةً بالثرید ، عليها وذر^(١) الاسم ، وإذا هو جادٌ في
المعنى ؟ فقلت : والله ما أشْبَهْتَ أباك حيث يقول :

وأَبْرُزْ قَدْرِي بالفناء ، قليلُها يُرْسِي غيرَ مَضْنُونٍ به وكثيرُها
فقال : إِلَّا أَشْبَهْهُ في هذا ؟ فقد أشْبَهْتَهُ في قوله :

أَمَاوى إِما مانعْ فَمُبَيِّنْ وَإِما عطاها لَا يَنْهِيهُ^(٢) الزَّجْرُ
فَأَنَا والله مانعْ مُبَيِّنْ . فرحتُ عنه .

ودفعت إلى امرأة من ولد ابن هرمـة فسألهـا القرى ، فقالـتـ: إنـي والله
مُرْمِلـة مُسْلِتـة^(٣) ، ماعندـي شـيءـ ، فـقلـتـ: أـما عندـك جـزـورـ ؟ فـقلـتـ: والله
أـصـابـتها السـنة وـهـيـ الجـدبـ .

* ذيل الأمالي ص ١١١ الطبعة الأميرية .

(١) الوذرة من الاسم : القطامة الصغيرة لا عظم فيها (٢) ينهـيهـ : يـكـفـهـ (٣) أـسـتـنتـ :

ولاشأة ، ولا دجاجة ، ولا بيسة ! قلت : أَمَا أَبْنُ هَرْمَةَ أَبُوكَ ؟ فقلت . بلى
والله ! قلت : قاتلَ اللَّهُ أَبَاكَ ! ما كان أَكْذِبَهُ حَيْثُ يَقُولُ :
لَا أَمْتَعُ الْوَعْدَ^(١) بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ
إِنِّي إِذَا مَا بَخِيلُ أَمَّهَا بَاتَتْ ضَمُورًا^(٢) مِنِّي عَلَى وَجْلِ
وَوَلَيْتُ ، فَنادَتْ : أَرْبَعَ أَيْمَانَ الرَّاكِبِ ؛ فَقُلْهُ وَاللهُ ذَلِكَ أَقْلَمُ
عَنْدَنَا ؛
فقلت : إِلَّا تَكُونُ أَوْسَعَنَا قَرَرِي ، فَقَدْ أَوْسَعْتَنَا جَوَابًا !

*(٣٠) — لقد أمكنك الله من الوفاء *

قال صاحب شرطة المأمون^(٣) :
دخلت يوماً مجلسَ أميرِ المؤمنين ببغداد ، وبين يديه رجلٌ مُسْكِبٌ بالحديد ؛
فلمَّا رأَيْتُه ، قال لى : ياعبَاسَ . قلت : لَبِيكَ يَا أميرَ المؤمنين !
قال : خُذْ هَذَا إِلَيْكَ ، واحتفظْ بِهِ ، وَبَكِّرْ بِهِ إِلَىَّ فِي غَدِّ
فدعوتُ جماعةَ فحملوه ، ولم يقدر أن يتحرّك ! فقلت في نفسي : لِمَ هَذِهِ
الوصيَّةُ التي أوصاني بها أميرُ المؤمنين يجُبُ أن يكونَ معَيْ في بيتي ؟ فأمرتهمُ
فتركتُهُ في مجلسِ لي في داري .

(١) العوذ : الحديثات النتاج (٢) ضمز البير : أمسك جرته في فيه ولم يختز .

* المستطرف من ٢٤٠ ج ١ ، العقد الفريد للملك السعيد من ٨١

(٣) انظر صفحة من ١٤٢

شِمْ أَخْذَتُ أَسَأْلُهُ عَنْ قَضِيَّتِهِ وَعَنْ حَالِهِ ، وَمَنْ أَينْ ؟

فَقَالَ : أَنَا مِنْ دِمَشْقٍ ؛ قَلَتْ : جَرْزِي اللَّهُ دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا خَيْرًا ! فَمَنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلَهَا ؟ قَالَ : وَعَمَّنْ تَسْأَلُ ؟ قَلَتْ : أَتَعْرِفُ فَلَانَا ؟ قَالَ : وَمَنْ أَينْ تَعْرِفُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ؟ قَلَتْ : وَقَعْتُ لِي مَعَهُ قَضِيَّةً . قَالَ : مَا كَنْتُ بِالَّذِي أَعْرَفُكُ خَبِيرًا ، حَتَّى تَعْرِفَنِي قَضِيَّتَكَ مَعَهُ !

فَقَالَ : كَنْتُ مَعَ بَعْضِ الْوَلَاتِ بِدِمَشْقٍ ؛ فَبَغَى أَهْلُهَا ، وَخَرَجُوا عَلَيْنَا ، حَتَّى أَنَّ الْوَالِي تَدَلَّى فِي زِينِيَّل^(١) مِنْ قَصْرِ الْحِجَاجِ ، وَهَرَبَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَهَرَبَتُ فِي جَمْلَةِ الْقَوْمِ .

فَبَيْنَا أَنَا هَارِبٌ فِي بَعْضِ الدُّرُوبِ إِذَا بِجَمِيعَةٍ يَعْدُونَ خَلْفِي ؛ فَمَا زَاتُ أَعْدُو أَمَامَهُمْ ، حَتَّى فَتَّهُمْ ؛ فَرَرْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكُمْ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ ؛ قَلَتْ : أَغِثْنِي أَغِثْنِي اللَّهُ ! قَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ! ادْخُلِ الدَّارَ ؛ فَدَخَلَتْ ، فَقَالَتْ زَوْجُهُ : ادْخُلْ تَلْكَ الْمَقْصُورَةَ^(٢) ؛ فَدَخَلْتُهَا ، وَوَقَفَ الرَّجُلُ عَلَى بَابِ الدَّارِ ؛ فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ ، وَالرَّجُلُ مَعَهُ ، يَقُولُونَ : هُوَ وَاللَّهِ عِنْدَكِ !

فَقَالَ : دُونْكُمُ الدَّارَ ، فَتَشَوَّهَا ؛ فَفَتَّشُوهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ سِوَى تَلْكَ الْمَقْصُورَةِ ، وَأَمْرَأَتُهُ فِيهَا ؛ قَالُوا : هُوَ هَاهُنَا ! فَصَاحَتْ بِهِمُ الْمَرْأَةُ وَنَهَرَتْهُمْ ؛ فَانْصَرَفُوا .

وَخَرَجَ الرَّجُلُ وَجَلَسَ عَلَى بَابِ دَارِهِ سَاعَةً ، وَأَنْتَاقَمْ أَرْجُفُ ، مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَى مِنْ شَدَّةِ الْخُوفِ ؛ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : اجْلِسْ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ! فَجَلَسْتُ فَلِمْ أَلْبَثْ

(١) الزَّئِيلُ : الْفَقَةُ (٢) الْمَقْصُورَةُ : الدَّارُ الْوَاسِعَةُ الْمُحَسَّنَةُ أَوْ هِيَ أَصْغَرُ مِنَ الدَّارِ ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا صَاحْبُهَا .

حتى دخل الرجل، فقال : لا تخففْ؛ قد صرف الله عنك شرّهم ، وصُرِّتَ إلى الأمان والدّعَة .

فقلت له : جزاك الله خيراً. ثم مازال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها ، وأفرَدَ لي مكاناً في داره ، ولم يفتر عن تفقد أحوالى .

فأقامتْ عنده أربعة أشهر في أرغاد عيش وأنهنتْ إلى أن سَكَنَت الفتنة وهدأتْ ، وزال أثرُها ؛ فقلت : أناذنْ لى في الخروج حتى أتفقد حال غلامي ؟ فلعلَّ أقفُ منهم على خبر ؛ فأخذ على المواتيق بالرجوع إليه .

فخرجتْ فطلبتْ غلامي ؛ فلم أرَ لهم أثراً ؛ فرجعتْ إليه وأعلمهُ الخبر ، وهو مع هذا كله لا يعرُفُ ولا يسألني ، ولا يعرفُ اسمِي ، ولا يخاطبني إلا بالكلمة . ثم قال : علام تعزم ؟ فقلتْ : عزمتْ على التوجّه إلى بغداد ؛ فقال : القافلة بعد ثلاثة أيام ؛ وهأنذا قد أعلمتك !

قلت له : إنك تقضي على هذه المدة ، ولات على عهدِ أنا نسي لك هذا الفضل ؛ ولا كافئتك ما استطعت .

ثم دعا غلاماً لهأسود ، وقال له : أسرِج الفرس ، ثم جهز آلة السفر ؛ فقلت في نفسي : أظن أنه يريد أن يخرج إلى ضيقة أو ناحية من النواحي ؛ فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب .

ولما حان يوم خروج القافلة جاءني السحر^(١) ، وقال لي : قم ؛ فإن القافلة تخرج الساعة ، وأكره أن تنفرد عنها ؛ فقلت في نفسي : كيف أصنع ؛ وليس معى ما أنزود به ، ولا ما أكتري به مركوب^(٢) ! ثم قلت ؟ فإذا هو وامرأته

(١) السحر : قبيل الصبح (٢) المركوب : ما يركب .

يحملان أَفْخَرَ الملابس ، وخففين جديدين ، وآلَةِ السفر . ثم جاءه بسيف ومنطقة ؟
فشدَّها في وسطِي ، ثم قدم بغلًا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ، وقدم إلى
الفرس ، وقال : اركب ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ، ويُوسُسُ مركوبك .

وأقبلَ هو وأمرأته يعتذران إلى من التقصير في أمرِي ، وركب معى يشيعني ،
وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقع خبره ؛ لأنَّي بعهدِي له في مجازاته ومكافأته ،
واشتغلتُ مع أمير المؤمنين ؛ فلم أتردغ أن أُرسِلَ إليه من يكشفُ خبره ؛ فلهذا
أسأل عنه !

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ قَالَ : لَقَدْ أَمْسَكَنَكَ اللَّهُ مِنَ الْوَفَاءِ لَهُ ، وَمِكَافَاتِهِ عَلَى
فِعْلِهِ ، وَمِجَازَاتِهِ عَلَى صُنْعِيهِ بِلَا كُفْةٍ عَلَيْكَ ، وَلَا مُثُونَةٍ تَلَزِّمُكَ .

فَقَلَّتْ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَإِنَّمَا الفَرَرُ الَّذِي أَنَا فِيهِ غَيْرُ
عَلَيْكَ حَالٍ ، وَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنِي .

فَقَاتَمَلَكْتُ أَنْ قَتَّ وَقَبَلْتُ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَلَّتْ لَهُ : فَمَا الَّذِي أَصَارَكَ ^(١) إِلَى
مَا أَرَى ؟ قَالَ : هاجَتْ بِدَمْشَقَ فِتْنَةً مُثْلُ الْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَامِكَ ؛ فَنَسِيَتْ
إِلَيْهِ ، وَبَعْثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِحِمْوَشٍ ؛ فَأَصْلَحُوا الْبَلَدَ ، وَأَخْذَتْ أَنَا ، وَضُرِبَتْ إِلَى
أَنْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ ! وَقُيِّدَتْ وَبُعْثِرَتْ بِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمْرِي عَنْدَهُ عَظِيمٌ ،
وَخُطْبَى لَدِيهِ جَسِيمٌ ، وَهُوَ قَاتِلٌ لَا حَمَالَةٌ !

وَقَدْ أَخْرَجْتُ مِنْ عَنْدِ أَهْلِي بِلَا وَصِيَّةٍ ، وَقَدْ تَبَعَّنَى مِنْ غِلْمَانِي مِنْ يَنْصُرُ
إِلَى أَهْلِي بِخْبَرِي ، وَهُوَ نَازِلٌ عَنْدَ فَلَانَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ مِكَافَاتِكَ لِي

(١) أَصَارَكَ : صَبِرَكَ .

أَن تُرْسَلَ مِن يُخْصِرُهُ حَتَّى أَوْصِيهِ بِمَا أَرِيدُ ؟ فَإِن أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ جَاوزْتَ
حَدَّ الْمَكَافَةِ ، وَقَاتَ لَيْ بِوْفَاءِ عَهْدِكَ ! قَالَ : يَصْنَعُ اللَّهُ خَيْرًا !
ثُمَّ أَخْضَرَ الْعَبَاسَ حَدَّادًا فِي الظَّلَلِ فَلَكَ قِيَودُهُ ، وَأَزَالَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ
الْأَنْكَالِ^(١) ، وَأَدْخَلَهُ حَمَامَ دَارِهِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنَ الثِّيَابِ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ سَيَرَ مَنْ
أَخْضَرَ إِلَيْهِ غَلَامَهُ .

فَلَمَّا رَأَاهُ جَعْلَ يَبْكِي وَيُوصِيهِ ؛ فَاسْتَدْعَى الْعَبَاسَ نَائِبَهُ ، وَقَالَ : عَلَىَّ بِالْأَفْرَاسِ
وَالْهَدَآيَا ؛ ثُمَّ أَمْرَهُ أَنْ يَشْيَعَهُ إِلَى حَدَّ الْأَنْبَارِ !

فَقَالَ لَهُ : إِنَّ ذَنْبِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَظِيمٌ ، وَخَطَبِي جَسِيمٌ ، وَإِنَّ أَنْتَ
احْتَجَبْتَ بِأَنِّي هَرَبْتُ بَعْثَ فِي طَلَبِي كُلَّ مَنْ عَلَىٰ بَابِهِ ؛ فَأَرْدَأْتَهُ وَأَقْتَلَهُ .
فَقَالَ الْعَبَاسُ : أَنْجُ بِنَفْسِكَ وَدَعْنِي أَدْبِرَ أَمْرِي ! فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَبْرُحُ بَغْدَادَ
حَتَّى أَعْلَمَ مَا يَكُونُ مِنْ خَبْرِكَ ! فَإِنْ احْتَجَتَ إِلَى حُضُورِي حَضْرَتَ .

فَقَالَ الْعَبَاسُ : إِنَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا تَقُولُ ، فَلَتَكُنْ فِي مَوْضِعِ كَذَا ؛ فَإِنْ أَنَا
سَلِمْتُ فِي غَدَةِ غَدِ أَعْلَمْتُكَ ، وَإِنْ أَنَا قُتْلْتُ فَقَدْ وَقَيَّتُكَ بِنَفْسِي كَمَا وَقَيَّتَنِي !
ثُمَّ تَفَرَّغَ الْعَبَاسُ لِنَفْسِهِ ، وَتَخْنَطَ وَجْهُهُ لِهِ كَفَنًا .

فَقَالَ الْعَبَاسُ : فَلَمْ أَفْرَغْ مِنْ صَلَةِ الصَّبَحِ إِلَّا وَرَسَلْ الْمُأْمَنُ فِي طَلَبِي ، وَهُمْ
يَقُولُونَ : هَاهُ الرَّجُلُ مَعَكُ وَقُمْ .

فَتَوَجَّهَتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ يَنْتَظِرُ . فَقَالَ : أَنْ الرَّجُلُ ؟
فَسَكَتَ ! فَقَالَ : وَيَحْكُ ! أَيْنَ الرَّجُلُ ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ اسْمَعْ مِنِي .
فَقَالَ : اللَّهُ عَلَيْهِ شَهَادَةُ لِئَنْ ذَكَرْتَ أَنَّهُ هَرَبَ لِأَصْرَبِنَّ عَنْقَلَكَ ! قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ

(١) الأَنْكَالُ : جَمْعُ نَكْلٍ : الْقِيدُ الشَّدِيدُ .

يا أمير المؤمنين ما هرب ، ولكن اسمع حديثي وحديثه ، ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري ! قال : قل .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؟ كان من حديثي معه كيت وكيت ، وقصصت عليه القصة جمعها ، وعرّفته أنني أريد أن أفي له ، وأكافئه على فعله معي ، وقلت : أنا وسidi ومولاي أمير المؤمنين بين أمرin : إما أن يصفح عنى ؛ فاكون قد وفيت وكافأت ، وإما أن يقتلني فاقيه بنفسى ، وقد تحننت ، وهذا هو ذاكفى يا أمير المؤمنين !

فلما سمع المأمون الحديث قال : ويلك ! لا جزاك الله عن نفسك خيراً ! إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة ؟ وتكلافته بعد المعرفة ؟ هلا عرّفتني خبره ؟ فكنا نكافئه عنك ، ولا نقصّر في وفالك له ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين إنه هاهنا وقد حلف ألا يربح حتى يعرف سلامتي ؛ فإن احتجبت إلى حضوره حضر .

فقال المأمون : وهذه مِنْهُ أَعْظَمُ من الأولى ، اذهب إليه الآن ، فطليب نفسه وسكن روعه ، واتبني به ، حتى أتوّل مكافأته .

فأتتني إليه وقلت له : ليزُل خوفك ؟ إن أمير المؤمنين قال كذا وكذا !

فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ! ثم قام وركب ، فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه ، وأدناه من مجلسه وحدثه ، حتى حضر الغداء فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه أعمال دمشق ، فاستعفى ، فأمر له بصلة ، وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به !

* ١٣١ - إبراهيم بن المهدى والمأمون *

قال الواقدى :

كان إبراهيم ^(١) بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بارئ ، وأقام مالكًا لها سنة وأحد عشر شهراً وأثنى عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنتها عندي ماحكم له . قال : لما دخل المأمون الرئى في طلبى ، وجعل لمن أتاه بـِ مائة ألف درهم ، خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى ، فخرجت من دارى وقت الظهر ، وكان يوماً صائفًا ، وما أدرى أين أتوّجه ، فوافت فى شارع غير نافذ ، وقت : « إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجُون » إنْ عدْتُ على أثرى يُرتاب فى أمرى .

ثم رأيتُ فى صدر الشارع عبدًا أسود قائمًا على باب دار ، فتقدمتُ إليه وقت : هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار؟ فقال . نعم ، وفتح الباب ، فدخلتُ إلى بيت نظيف فيه حصر وبسط ووسائل جلود إلا أنها نظيفة ، ثم أغلق الباب على ومضى ! فتوهمته قد سمع الجعلاء ^(٢) في ، وأنه خرج ليدلّ على ، فبقيت على مثل النار .

ويبنأ أنا كذلك إذ أقبل و معه حمال عليه كل ما يحتاج إليه من خبز ، و لم ، وقدر جديدة وجرة نظيفة ، وكيزان جدد . فحطّ عن الحمال ، ثم التفت إلى وقال :

* المطالعة العربية ص ٥٦ ج ٤ ، بحافى الأدب ص ٢٣٦ ج ٤

(١) إبراهيم بن المهدى بن المنصور العباسى ، أخوا هارون الرشيد ، كان وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ، سخى الكف ، ولم يرب أولاد الخلفاء قبله أفضح منه لسانا ، ولا أحسن منه شعرا ، مع يد طولى في القناء ، والضرب باللامى وحسن النادمة ، بويع بالخلافة سنة ٢٠١ هـ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٢٤ هـ (٢) الجعلاء : الأجر يعطى على عمل خاص .

جعلني الله فِدَاك ! أنا رجل حَجَّام ، وأنا أعلمُ أنك تَتَقَدَّمُونِي ؛ لما أتولاه من
معيشتي ، فشأنك بِعَالمٍ تقع عليه يد .

وكان بي حاجةٌ إلى الطعام فطبخت لنفسي قِدْرًا ما أذْكُرُ أني أكلت مثلك؟
ولما قضيتُ أربى من الطعام قال : هل لك في شراب فإنه يُسْلِي الْهُم ؟ فقلت :
ما أَكْرَهُ ذلك رغبةً مُنِيَّةً في مُؤَنِّسته . فأتى بقطْرِمِيز^(١) جديده لم تمسسه يد ، وجاءني
بدَسْتُ شراب و قال : روْق لِنفْسِك . فروَّقت شراباً في غَايَةِ الجُودَة ، وأحضر لي
قدَحًا جديداً وفاكهه وأباقلاً مُخْتَلِفةً في طسوت فخار جدد .

ثم قال ~~ذلك~~ : أَتَأذنُ لِي - جعات فِدَاك - أَنْ أَقْدَمَ ناحيَةً وآتَى بشرابي
فأشَرَّبَه سروراً داش ؟ فقلت له : افضل نهر شربت وشرب ، ثم دخل إلى خزانة له
فأخرج عوداً مصْفَحاً ثم قال لي : ياسيدى ! ليس من قدرى أن أسألك الغباء ،
ولكن قد وجبت على مروءتك حُرْمَتى ؛ فإن رأيت أن تُشَرِّفَ عبْدَكَ فلك
علوُّ الرأى ! أفقات : مِنْ أينَ لكَ أَنْ أَحْسِنَ الغباء ؟ فقال : ياصبحان الله ! مولانا
أشهر من ذلك ، أنت إبراهيم بن المهدى خليفةنا بالأُمُّـس ، الذى جعل المأمون لِمَنْ
كَـأَـعْـلـيـهـ مـائـةـ أـلـفـ درـهمـ .

ت عظُمُ في عيني وثبتت مروءة عندى ، فتناولت العود وأصلحته
مناطرى فراق أهلى وولدى :

موسف أهله وأسره في السجن وهو أسير
يجمع شملنا والله رب العالمين قادر

فاستوىَ عليه الطُّرب المفرط ، وطاب عيشه كثيراً ، ومن شدَّة سروره وطربه
قال : ياسيدي ! أتأذنُ لى أن أغنى ماسنَح بخاطري ، وإن كنتُ من غير أهل
هذه الصناعة ؟ فقلت : هذا زِيادة في أدبك ومروءتك ، فأخذ العُود وغنى :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا
فتالوا لنا : ما أقصَرَ الليلَ عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيوبهم
سرعاً ولا يغشى لنا النوم أعيننا
إذا مادنا الليلُ المضرك بذى الهوى
جز علينا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثل ما
فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بي ، وذهب عن
وسائله أن يُغنى مرَّة ثانية فغنى :

تعيرنا أنا قليلٌ عديدُنا
فقلت لها : إنَّ الكرم قليلٌ
وما ضرَّنا أنا قليلٌ وجارُنا
عزيزٌ وجارُ الآكترين مكيلٌ
وإنما لقوم لا نرى القتل سبة
إذا مارأته عمرٌ وشلولٌ
يقرب حبُّ الموت آجالنا لذا وتسكري
فداخلي من الطرب ما لامزيد عاييه ، ثم عاجلني النوم

المغرب .

فماودني فكرى في تقاسة هذا الحجام وحسن أدبها
وجهى وأيقتنه ، وأخذت خريطة^(١) كانت صحبتي ، فإذا
بها إليه ، وقلت له : استودعتك الله ؟ فإنتي ماض من

(١) الخريطة : وعاء من جلد وغيره .

ما في هذه الخريطة في بعض مُهماتك ، ولئن عندي المزيد إن أمنت من خوفي .

فأعادها على منكري وقال : يا سيدى ! إن الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم ، أخذ على ما وَهَبَّنِيهِ الزَّمَانُ من قربك وحلوك عندي ثمناً ؟ والله لئن راجعتني في ذلك لأقتلن نفسي ، فأعدت الخريطة إلى كُمّي وقد أثقلني حملها .

ولما همت بالخروج قال لي : يا سيدى ، إن هذا المكان أخفى لك من غيره ، فـ مـؤـونـكـ عـلـىـ ثـقـلـ ، فـأـقـمـ عـنـدـيـ إـلـىـ أـنـ يـفـرـجـ اللهـ عـنـكـ . فـرجـعـتـ وـسـأـلـهـ أـنـ يـنـفـقـ مـنـ تـلـيـعـدـ لـالـهـ فـلـيـفـعـلـ ، فـأـقـمـتـ عـنـدـهـ أـيـامـاـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـةـ فـيـ الـذـيـ عـيشـ ، ثـمـ تـذـبـبـ مـنـ الإـقـامـةـ عـنـدـهـ ، وـاحـتـشـمـتـ مـنـ التـقـيـلـ عـلـيـهـ ، فـتـرـكـتـهـ - وـقـدـ مـضـيـ يـجـدـدـ لـنـاـ حـالـاـ - وـقـتـ قـتـيـتـ بـزـىـ^(٢) النـسـاءـ وـخـرـجـتـ ، فـلـمـ صـرـتـ فـيـ الطـرـيقـ دـاخـلـيـ مـنـ الـخـوـفـ أـمـرـ شـدـيدـ ، وـجـهـتـ لـأـعـبرـ الـجـسـرـ ، فـإـذـاـ أـنـابـوـضـ مـرـشـوشـ بـيـاءـ ، فـأـبـصـرـنـيـ جـنـدـيـ مـنـ كـانـ يـخـدـمـنـيـ ، فـعـرـفـنـيـ وـقـالـ : هـذـهـ حـاجـةـ الـمـأـمـونـ !

ثـمـ تـعـاقـبـنـيـ ؛ فـدـفـعـتـهـ هـوـ وـفـرـسـهـ ، فـرمـيـتـهـ مـاـ فـيـ ذـلـكـ الزـلـقـ ، فـصـارـ عـبـرـةـ ، وـتـبـادـرـ دـائـسـ إـلـيـهـ ، فـاجـهـتـ فـيـ المـشـىـ حـتـىـ قـطـمـتـ الـجـسـرـ ، وـدـخـلـتـ شـارـعـاـ ، فـوـجـدـتـ بـابـ دـالـيـاـقـالـ ذـلـقاـ دـهـلـيزـ ، فـقـلـتـ يـاسـيـدـةـ النـسـاءـ ! اـحـقـيـ دـمـيـ ، فـإـنـيـ رـجـلـ خـافـ . وـغـذـيـتـ - وـقـدـ مـرـ بـحـ سـعـةـ ، وـأـطـلـعـتـنـيـ إـلـىـ غـرـفـةـ مـفـروـشـةـ ، وـقـدـمـتـ لـيـ طـعـاماـ ، وـعـسـىـ الـذـىـ أـهـدـىـ عـلـمـ بـكـ مـخـلـوقـ . وـإـذـاـ بـالـبـابـ يـدـقـ دـقـاـ عـنـيفـاـ ، فـخـرـجـتـ أـنـ يـسـتـجـيـبـ لـنـاـ فـيـ سـاحـيـ الـذـىـ دـفـعـتـهـ عـلـىـ الـجـسـرـ ، وـهـوـ مـشـدـوـخـ الرـأسـ !

(١) القطر. يز : قلة كبيرة من (٢) النوع : الميضة .

ودمه على ثيابه وليس معه فرس ، فقالت : ياهذا ! مادهاك ؟ فقال : ظفرت بالمعنى^(١) وانفلتَ عَنِّي . ثم أخبرها بما وقع له مني ، فأخرجت خرقاً ، وعصبتْ بها ، وفرشتْ له فنام عليلاً ، ثم طاعت إلى وقالت : أظنك صاحب القصة ، قلت : نعم !

قالت : لا بأس عليك ، ثم جدّدت لى الكرامة ، وأقت عندها ثلاثة ، ثم
قالت لي : إنني خائفة عليك من هذا الرجل ، وأخشى أن يتم بك ، فانج بنفسك .
فسألتها المهلة إلى الليل ففعلت ، فلما دخل الليل لبست زى النساء ، وخرجت من
عندها ، فأتت إلى بيت مولاها كانت لنا ، فلم يأرني بكت وتجوّمت وحمدت الله
على سلامتي ، وخرجت كأنها تريدى السوق للاهرام بالضيافة ، فظننت خيراً : فاشعرت
إلا بأحد رجال المأمون في خيله ورجله ، والمولا معه حتى سلمتني إليه ، فرأيت
الموت عياناً ، وحُمّات بالزى الذى أنا فيه إلى المأمون .

فيجلس مجلساً عاماً ، وأدخلنى إليه ، فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة ،
قال : لا سلم الله عليك ، ولا حياك ولا رعاك ! قلت له : على رسالك
يا أمير المؤمنين ! إن ولـيـ الثـارـ مـحـكـمـ فيـ القـاصـاصـ ، والـعـفـوـ أـقـرـبـ للـتـقـوـيـ ، وـقـدـ جـعـلـكـ
الـلـهـ فـوـقـ كـلـ عـفـوـ ، كـاـجـعـلـ ذـنـبـ فـوـقـ كـلـ ذـنـبـ ؟ إـنـ تـأـخـذـ فـيـ حـقـكـ ، وـإـنـ تـعـفـ
فـيـ فـضـلـكـ ، ثم أـشـدـتـ :

ذنبي إليك عظيمٌ وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولاً فاصفح بحملك عنه
إن لم أكن في فعالٍ من الكرام فكنته
فرفع إلى رأسه فبدرتُه وقالت :

(١) يقصد بالمعنى إبراهيم بن المهدى لشهرته بالقناة ، وكان يعبر بذلك .

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا
وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفْوتَ فَمَنْ
وَإِنْ جَزَيْتَ فَعَدْلٌ

فرق المأمون، واستر وحٍ رواح الرحمة من شهادته ، ثم أقبل على ابني العباس ، وأخيه أبي إسحق ، وجميع من حضر من خاصته ؟ فقال : ماترون في أمره ؟ فكلّ أشار بقتلي إلا أنهم اختلعوا في القتلة كيف تكون ، ثم قال المأمون لأحمد بن أبي خالد : ما نقول يا أَحْمَد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إن تقتله وجدناً مثلك من قتل مثله ، وإن عفوت عنه لم نجد مثلك من عفا عن مثله . فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت في الأرض وأنشد متمثلاً :

قُوِّمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي
فَإِذَا رَمِيتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَكَشَفْتُ الْمِقْنَعَةَ عَنْ رَأْسِي، وَكَبَرَتْ تَكْبِيرَةُ عَظِيمَةٍ، وَقَلَتْ : عَفَا - وَالله -
عَنِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَا يَأْسُ عَلَيْكَ يَاعُمَّ ! قَلْتَ : ذَنْبِي يَا امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْفَوْهُ مَعَهُ بَعْذَرَ ، وَعَفْوُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أُنْفِقَ مَعَهُ بَشْكَرَ ، وَلَكَنِّي
أَقُولُ :

<p>فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَا تَنْتَرِيكَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، قَدْ عَفَوتَ عَنِّي ، وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ مَالِكَ وَضِيَاعِكَ . فَقَلَتْ :</p>	<p>إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا فِي صَلْبِ آدَمَ لِلإِمَامِ السَّابِعِ وَتَظَلُّ تَكَلُّهُمْ بِقَابِ خَائِشَعِ مُلْئَتْ قُلُوبَ النَّاسِ مِنْكِ مَهَابَةً مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْغُواَةُ تَمْدَنِي أَسْبَابُهَا إِلَّا بَنِيَّةُ طَائِعٍ فَعْفَوَتَ عَنِّي لَمْ يَكُنْ عَنِّي مِثْلُهُ وَرَحْمَتْ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَّانِ وَحَنِينَ وَالدَّيَّةَ بِلُبْتِ جَازِعٍ</p>
---	--

رددتَ مالِي وَلَمْ تَبْغُ عَلَىَّ بَعْدِ
وَقَبْلِ رَدْكَ مالِي قَدْ حَفِنْتَ دِمِي
فَلَوْ بَذَلْتَ دِمِيْ - أَبْنَى رِضَاكَ بِهِ -
وَالْمَالِ ، حَتَّى أَسْلَ النَّعْلَ مِنْ قَدِيمِي
مَا كَانَ ذَالِكَ سُوَى عَارِيَةَ رَجَعْتَ
إِلَيْكَ ، لَوْلَمْ تَعْرَهَا كَفْتَ لَمْ تُلْمِ
إِنْ حَجَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ كَرَمِ

فَقَالَ الْمُؤْمِنُ : إِنْ مِنَ الْكَلَامِ لِدَرَّا وَهَذَا مِنْهُ ، وَخَلَعَ عَلَىَّ وَقَالَ : يَا عَمَّ ، إِنْ
أَبَا إِسْحَاقَ وَالْعَبَاسَ أَشَارَا بِفَتْلَكَ ؛ فَقَلَّتْ : إِنَّهُمَا نَصْحَاكَ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ ! وَلَكِنْ
أَتَيْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلَهُ ، وَدَفَعْتَ مَا خَفَتَ بِمَا رَجُوتُ ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُ : أَمْتَ حَقْدِي بِحَيَاةِ
عُذْرُكَ ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ ، وَلَمْ أَجْرِعْكَ مَرَارَةَ امْتِنَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ سَجَدَ طَوِيلًا ،
وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا عَمَّ ، أَتَدْرِي لَمْ سَجَدْتَ ؟ قَاتْ : شَكْرًا لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
دُولَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرْدَتَ هَذَا ، وَلَكِنْ شَكْرًا لِلَّهِ الَّذِي أَهْمَنَى الْعَفْوَ عَنْكَ ، فَخَدَّنَتِي
الآنِ حَدِيثَكَ . فَشَرَحْتَ لَهُ مِنْ أَمْرِي مَا كَانَ ، فَأَمْرَرَ بِإِحْضَارِ امْرَأَةِ الْجَنْدِيِّ وَأَدْخَلَاهُ
إِلَى الْقُصْرِ وَقَالَ : هَذِهِ امْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ تَصْلِحُ الْمُهَمَّاتِ ، وَأَحْضَرَ الْحِجَامَ فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ
ظَهَرَ مِنْ مَرْوِتِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَجْرَى لَهُ أَلْفَ
دِينَارٍ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَمْ يَزُلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

* ١٣٢ — من جود أبي دلف

لما مرض أبو دلف^(١) بالعلة التي مات بها أقام شهرًا ملازمًا الوسادة ، فأفاق يوماً ، فقال خادمه بشر : كم لي على هذه الحال ؟ قال : شهر ، فلما سمع ذلك من بشر بكى كثيراً ، وقال : أيمُرُّ على^{*} من عمرى هذه المدة ، لا أبُرُّ فيها أحداً من الناس ؟ يابشر ؟ اخرج إلى الباب فإن قلبي يشهد أن بالباب قوماً لهم إلينا حواجع . فلا تمنع أحداً من الدخول إلينا .

فخرج بشر فإذا عشرة من أولاد أبي طالب ، فأمرهم بالدخول ، فدخلوا فابتدر رجل منهم ، وقال : أصلحك الله ! نحن قوم من بنى أبي طالب من أهل بيته رسول الله ، وقد أحاطت بنا المصائب ، وأجحافت بنا النوائب ، فإن رأيت أن تجير^{*} كثينا ، وتفنى فقرا ، فجعل^{*} !

قال خادمه : خذ بيدي ، فأجلسني على ذاك الفراش ، ففعل ، ثم قال : ليأخذ كل واحد منكم ورقة ، وليكتب فيها بخطه : إنه قبض مني مائة ألف درهم . فتحيرروا عند قوله ، فلما كتبوا الرقاع وضعوها بين يديه ، فقال خادمه : اتنقى بالمال فأحضره ، فأعطي كل واحد منهم مائة ألف درهم .

فلما تسلموا المال قال رجل منهم : بالآباء نديك ، وبالآمهات نقيك ! والله

بِ الْخَتَارِ مِنْ نَوَافِرِ الْأَخْبَارِ - مخطوط .

(١) هو القاسم بن عيسى ، أحد قواد المؤمنين المعتصم من بعده ، وكان كريماً سرياً جواداً ممدحاً مقدماً ذا وقارٍ مشهورة وصنائع مأثورة ، كما كانت له صنعة في الفناء توفى سنة ٢٢٥ هـ.

مالنا مال ولا عقار ، وخطوطنَا عندك ماذا تصنع بها ؟ فبكى ، وقال لهم : أنتنون
أنها وثائق عليكم ؟ لا والله ، لا والله ! ثم قال خادمه : يا بشر ؛ إذا أنا مت فاجعل
الرفاع في أكفاني ألقى بها مهداً صلى الله عليه وسلم يوم القيمة ؛ ثم قال له : أعط
كلّا منهم ألف دينار لنفقة طريقه . انصرفوا بارك الله فيكم !

* ١٣٣ — عبد الله بن طاهر^(١) والحسني *

قال محمد^(٢) بن الفضل الخراساني :

لما قال عبد الله بن طاهر قصيدة التي يفخر فيها بما ثر أبيه وأهله ويختبر
بقتليهم المخلوع^(٣) عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني^(٤) ، فأفطرت في السب ، وتجاوزَ
الحد في قبْح الرد .

فلما ولّ عبد الله مصر وردد إليه تدبير أمر الشام علم الحصني أنه لا يُقبل منه
إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حل ، فثبتت في موضعه ، وترك أمواله
ودوابه ، وكل ما كان يملأ كه في موضعه ، وفتح باب حصنه وجلس عليه ، ونحن
نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به .

* الأغاني ص ١١ ج ١٢

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاه الأئمون خراسان ، وكان
سيداً نبيلاء على الهمة شهباً وتوفي سنة ٢٣٠ هـ (٢) محمد بن الفضل الخراساني كان من وجوه
قراط طاهر وابنه عبد الله وكان أديباً عاقلاً فاضلاً (٣) المخلوع : الأمين (٤) كان من ولد
مسلمة بن عبد الملك .

فَلَمَّا شَارَفْنَا بَلْدَهُ، وَكَنَا عَلَى أَنْ نُصْبِحَهُ، دَعَانِي عَبْدُ اللَّهِ فِي الْلَّيلِ، فَقَالَ لِي :
بَتْ عَنْدِي الْلَّيْلَةَ وَلِيُسْكِنَ فَرْسُكَ مَعْدًا عَنْدَكَ . فَفَعَلْتُ .

فَلَمَّا كَانَ السَّعْرُ أَمْرَ غَلْمَانَهُ وَأَصْحَابَهُ أَلَا يَرْجِلُوا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَرَكَبَ
وَرَكَبَتْ مَعَهُ أَنَا وَخَمْسَةٌ مِنْ خَوَاصِ غَلْمَانَهُ .

فَسَارَ حَتَّى صَبَحَ الْحَصْنَى، فَرَأَى بَابَهُ مَفْتُوحًا، وَرَأَاهُ جَالِسًا؛ فَقَصَدَهُ، وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَنَزَلَ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ : مَا أَجْلَسْتَ هَا هَنَا وَحْلَكَ عَلَى أَنْ فَتَحَّتَ بَابَكَ، وَلَمْ
تَتَحَصَّنْ مِنْ هَذَا الْجَيْشِ الْمُقْبِلِ، وَلَمْ تَنْتَحِ عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَعَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْكَ
وَمَا بَلَغَهُ عَنْكَ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا قَلَتْ لِمَ يَذْهَبُ عَنِي وَلَكِنِي تَأْمَلْتُ أُمْرِي، وَعَلِمْتُ
أَنِّي أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً حَمَلْنِي عَلَيْهَا نَزْقُ الشَّبَابِ وَغَرَّةُ الْحَدَائِثِ، وَأَنِّي إِنْ هَرَبْتُ مِنْهُ
لَمْ أَفْتَأْمِ، فَبَاعْدَتُ الْبَنَاتِ وَالْحَرَامَ، وَاسْتَسْلَمْتُ بِنَفْسِي وَكُلَّ مَا أُمْلِكَ، وَإِنِّي أَنْقَ
بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَتَنِي، وَأَخْذَ مَا لِي شَفِى غَيْظِهِ، وَلَمْ يَتَجاوزْ ذَلِكَ إِلَى الْحُرْمَ، وَلَا
يُوجَبْ جُرْمِي أَكْثَرَ مَا بِذَلِكَ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا انْتَاهَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا بِدَمْوعِهِ تَجْرِي عَلَى لَحِيَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَعْرِفُنِي؟ قَالَ : لَا وَاللَّهُ، قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ، وَقَدْ أَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَى
رَوْعَتَكَ، وَحَقَنَ دَمَكَ وَصَانَ حِرْمَكَ، وَحَرَسَ رِعْمَتَكَ، وَعَفَا عَنْ ذَنبِكَ،
وَمَا تَعْجَلْتَ إِلَيْكَ وَحْدَى أَلَا لَتَأْمَنْ هَجْوَمَ الْجَيْشِ، وَلَثَلَا يُخَالِطُ عَفْوِي عَنْكَ
رَوْعَةَ تَلْحِقُكَ؛ فَبَكَى الْحَصْنَى وَقَامَ فَقِبْلَ رَأْسِهِ، وَضَمَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَدْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ
لَهُ : أَمَا فَلَا بَدْ مِنْ عَتَابٍ : يَا أَخِي - جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاكَ - قَلْتُ شِعْرًا فِي قَوْمٍ أَفْخَرَهُمْ
لَمْ أَطْعَنْ فِيهِ عَلَى حَسِيبِكَ، وَلَا دَعَيْتُ فَضْلًا عَلَيْكَ، وَفَخَرَتُ بِقَتْلِ رَجُلٍ - وَإِنْ كَانَ
مِنْ قَوْمِكَ - فَهُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ ثَارُوكَ عَنْهُمْ، فَكَانَ يَسْعَكَ السُّكُوتُ !

قال : أَيْهَا الْأَمِير ؟ قَدْ عَفَوْتَ فَاجْعَلْ الْعَفْوَ الَّذِي لَا يُخْلِطُه تَشْرِيفً ، وَلَا يَكْدِرُ
صَفْوَهَ تَأْنِيبً . قَال : قَدْ فَعَلْتَ ، فَقَمْ بِنَا نَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلَكَ حَتَّى نَوْجِبَ عَلَيْكَ حَقًا
بِالضِيَافَةِ . فَقَامَ مَسْرُورًا . فَأَدْخَلَنَا فَأَتَى بِطَعَامٍ كَانَ قَدْ أَعْدَهُ ، فَأَكَلَنَا وَجَلَسَنَا
نَشَرْبُ فِي مَسْتَشْرِفٍ لَهُ .

وَأَقْبَلَ الْجَيْشُ فَأَمْرَنَى عَبْدَ اللَّهِ أَنْ أَنْقَاهُمْ فَأَرْحَلْهُمْ وَلَا يَنْزَلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا فِي
الْمَنْزِلِ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ ، ثُمَّ دَعَا بِدُوَّاْةٍ فَكَتَبَ لَهُ بِتَسْوِيْغِهِ خَرَاجَهُ ثَلَاثَ
سَنَّيْنِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ نَشْطَتْ لَنَا فَالْحَقُّ بِنَا ، وَإِلَّا فَأَقِمْ بِمَكَانِكَ ، فَقَالَ : فَإِنَا
أَتَبْهَزُ وَأَلْحَقُ بِالْأَمِيرِ ، فَفَعَلَ فَلَحِقَ بِنَا بِمَصْرٍ وَلَمْ يَزُلْ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَفَارِقُهُ حَتَّى رَحِلَ
إِلَى الْعَرَاقِ فَوَدَّعَهُ ، وَأَقَامَ بِبَيْلَدَهُ !

* ١٣٤ — حسن المكافأة

حَسْنُ الْحَسْنِ^(١) بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ :

كَنْتُ يَوْمًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدَ الْبَرْمَكِيِّ ، وَقَدْ خَلَى فِي مَجْلِسِهِ لِإِحْكَامِ أَمْرٍ
مِنْ أَمْرِ الرَّشِيدِ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ جَلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمِيعُ اصْحَابِ الْحَوَائِجِ ،
فَقَضَاهَا لَهُمْ ، ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ ؛ فَكَانَ آخَرَهُمْ قِيَامًا أَحَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، فَنَظَرَ يَحْيَى
إِلَيْهِ ، وَالْتَّفَتَ إِلَى الْفَضْلِ ابْنِهِ ، وَقَالَ : يَا بْنَى ، إِنَّ لَأَبِيكَ مَعَ أَبِي هَذَا الْفَتِيْحِ حَدِيثًا ؛
فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْ شُغْلِي هَذَا ، فَذَكَرْتُنِي أَحَدُهُنَّ بِهِ .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شُغْلِهِ وَطَعَمْ^(٢) ، قَالَ لِهِ ابْنُهُ الْفَضْلَ : أَعْزَكَ اللَّهُ يَا أَبَى ، أَمْرَتَنِي
أَنْ أُذْكُرَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ ، قَالَ : نَعَمْ يَا بْنَى :

لَمْ أَقْدِمْ أَبُوكَ مِنْ الْعَرَاقَ أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ ، كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، فَاشْتَدَّ بِي
الْأَمْرُ ، إِلَى أَنْ قَالَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِي : إِنَا قَدْ كَتَمْنَا حَالَنَا ، وَزَادَ ضَرْرُنَا ، وَلَنَا
الْيَوْمَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٌ مَا عَنْدَنَا شَيْءٌ فَنَفَّثَاتَ بِهِ ! فَبَكَيْتُ يَا بْنَى لِذَلِكَ بَكَاءً شَدِيدًا ،
وَبَقِيَتْ وَلَهَانَ حِيرَانَ مَطْرَقًا مَفْكَرًا .

ثُمَّ تَذَكَّرْتُ مِنْ دِبَالًا كَانَ عَنْدِي ؛ فَقَاتَ لَهُمْ : مَا حَالَ الْمَذَلِيلُ ؟ فَقَالُوا : هُوَ
بَاقٍ عَنْدَنَا . فَقَاتُ : أَدْهَمُهُ لِي ، فَأَخْذَتُهُ وَدَفَقْتُهُ إِلَى بَعْضِ اصْحَابِيِّ ، وَقَلَّتْ لَهُ :

* المستطرف من ٢٣٩ ج ١

(١) الحسن بن سهل : هو وزير المؤمنون بعد أخيه الفضل ، كان على الهمة ، كثير العطاء
للسّعرا ، وغيره ، توفي سنة ٢٣٦ هـ (٢) طعم : أكل .

بِعْهُ بِمَا تَدَسَّر ؟ فَبَاعَهُ بِسَبْعَةَ عَشَر درهَا ، فَدَفَعَهَا إِلَى أَهْلِي ؛ وَقَاتُ : أَنْفَقُوهَا إِلَى
أَنْ يَرْزَقَ اللَّهُ غَيْرَهَا !

ثُمَّ بَكَرَتُ مِنَ الْغَدِيرِ إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وزِيرُ الْمُهَدِّى ، فَإِذَا
النَّاسُ وَقَوْفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خَرْجَهُ ؛ فَخَرْجٌ عَلَيْهِمْ رَاكِبًا ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ سَلْمَ
عَلَى ، وَقَالَ : كَيْفَ حَالُكُ ؟ فَقَلَتْ : يَا أَبَا خَالِدٍ ؛ مَا حَالٌ رَجُلٌ يَبْيَعُ مِنْ مَنْزِلِهِ
بِالْأَمْسِ مِنْ دِيَلًا بِسَبْعَةَ عَشَر درهَمًا ؟ فَنَظَرَ إِلَى نَظَرًا شَدِيدًا ، وَمَا أَجَابَنِي .

فَرَجَعَتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ الْقَلْبِ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ مَا اتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ ، قَالُوا :
مَدْسَ وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَ ! تَوَجَّهْتَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَرْتَجِيَكَ لِأَمْرٍ جَلِيلٍ ، فَكَشَفْتَ لَهُ
سِرْكَ، وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى مَكَانِنِ أَمْرِكَ؛ فَأَزَرَيْتَهُ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ ، وَصَغَرَتْ عِنْدَهُ
مَنْزِلَتَكَ ، بَعْدَ أَنْ كَنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا ؛ هَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَيْنِ . فَقَلَتْ :
قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ الْآنَ بِالْآنِ بِالْآنِ لَا يَكُنْ أَسْتِدْرَا كُمُّ !

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِيرِ بَكَرَتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ ؛ فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ ،
فَقَالَ لِي : قَدْ ذَكَرْتَ السَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَمْ أُتَّفِتْ لِقَوْلِهِ ، فَاسْتَقْبَلَنِي
آخَرُ ، فَقَالَ لِي كَفَالَةَ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : أَينَ
تَكُونُ ؟ قَدْ أُمْرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ دُعَانِي ، وَأَمْرَتِي بِدَابَّةٍ ، فَرَكِبْتُ ، وَسَرَّتْ
مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : عَلَى بَفَلَانَ وَفَلَانَ الْحَنَاطَيْنِ^(١) . فَأَخْضَرَ ، فَقَالَ
لَهُ : أَلَمْ تَشْتَرِي مِنِي غَلَّاتَ السَّوَادِ^(٢) بِهَانِيَةٍ عَشَرَ أَلْفَ درهَمٍ ؟ قَالَ : بَلِّي ،

(١) الْحَنَاطُ : باائع الحنطة ، وهي البر (٢) السَّوَادُ : ما حوالى الكوفة من الفري .

قال : ألم أشترط عليك شركتكَ رجل معاكِ ؟ قال : بلى ، قال : هذا هو الرجل الذي اشترطتُ شركته لكما ، ثم قال لي : قم معهما .

فلا خرجنا ، قال لي : ادخل علينا بعض المساجد حتى نكمل في أمر يكون لك فيه الرجاح الهنئ ؛ فدخلنا مسجدًا ، فقال لي : إنك تحتاج في هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء وأعوان ومؤمن ، لا تقدر منها على شيء ، فهل لك أن تبيعنا شركتك بمالي نجعله لك ؟ فتنفع به ، ويسقط عنك التعب والنصب ؟ فقلت لها : وكم تبدلان لي ؟ فقالا : مائة ألف درهم . فقلت : لا أفعل .

فما زال يزدادني وأنا لا أرضي ، إلى أن قال لي : تلهمة ألف درهم ، ولا زيادة عندنا على هذا . فقلت : حتى أشاور أبا خالد . قال : ذلك لك !

فرجعت إليه وأخبرته ، فدعاه بهما ، وقال لها : هل وافقها على ماذكر ؟ قالا : نعم . قال : اذهبا ، فانقداهما المال الساعة ، ثم قال لي : أصلاح أمرك ، وتهيأ . فقد قدّست العمل .

فأصلاحت شأني ، وقدّمت ما وعدني به ، فما زلت في زيادة ، حتى صار أمري إلى مصار .

ثم قال لولده الفضل : يابني ! ما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل ؟ وما جزاوه ؟ قال : حق لعمري وجب عليك له . فقال : والله يا ولدي ما أجد له مكافأة ؟ غير أنني أعز نفسي وأوليه .

١٣٥ — رجوتُك دون الناس *

قال أبو العيناء : حصلت لي ضيقَةٌ^(١) شديدة ، فكتبتُها عن أصدقائي ، فدخلت يوماً على يحيى^(٢) بن أكثم ؛ فقال : إن أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم ؛ فهل لك في الحضور ؟ قلت : نعم ! فضيَّت معه إلى دار أمير المؤمنين ؛ فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ، ثم قال : يا أبو العيناء ؛ مال الذي جاء بك في هذه الساعة ؟ فأنسدته :

لقد رجوتُك دون الناس كلهم وللمرجاء حقوق كلها تَحْبُّ
إن لم تَكُنْ لِي أسبابٌ أعيشُ بها ففي العَلَالِ لَكَ أخلاقٌ هِي السببُ
فقال : ياسلاماً ؛ انظر أى شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين ؟ فقال :
بقية من مال ؛ قال : فادفع إليه مائة ألف درهم ، وابعث له بمثابة في كل شهر !
فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون ؛ فبكى عليه أبو العيناء حتى
تقرَّحت أَجفانُه ؛ فدخل عليه بعض أولاده ؛ فقال : يا أبا تهـا ! بعد ذهاب العين ،
ماذا ينفع البكاء ؟ فأنشأ أبو العيناء يقول :

شيئان لو بكت الدماء عليهم عيناي حتى يُؤذنا بذهاب
لم يبلغ المعشار^(٣) من حقهما قد الشباب وفرقة الأحباب

* نشرات الأوراق للحموي ص ٢٤٥ ج ٢

(١) الضيقـة : الفقر وسوء الحال (٢) يحيى بن أكثم : قاض رفيع القدر ، علي الشهرة ، من بناء الفقهاء ، يتصل اسمه بأكثم بن صبيح حكيم العرب ، ولاه المأمون قضاة البصرة ، ثم ولاه قضاة بغداد ، ثم أضاف إليه تدبير مملكته ؛ فكان وزراء الدولة لا يقدموه ولا يؤذونه في شيء إلا بعد عرضه عليه ، ثم عزله المعتصم فلزم بيته ، ورده المتوكـل إلى عـهـله ، وتوفي بالربـدة سنة ٢٤٢ هـ (٣) معشار الشيء : عشره .

* ١٣٦ — المؤمن يغفو عن الحسين بن الضحاك

قال محمد بن أبي الأزهري :

كنت بين يدي المؤمن واقفاً ، فادخل عليه ابنُ الْبَوَابِ الْحَاجِبُ رقعةً فيها أبيات ، وقال : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يذَنَ لِي في إنشادِها ! فظنَّها له ، فقال : هاتِ ؟ فأنشده :

أَجْرَنِي فَإِنِي قَدْ ظَمِيَتُ إِلَى الْوَعْدِ
مَتَى تُنْجِزُ الْوَعْدَ الْمُؤْكَدَ بِالْعَهْدِ ؟
أَعِيدُكُمْ مِنْ خَلْفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَدَا
نَقْطَعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكُمْ مِنَ الْوَجْدِ
أَيْبُخْلُ فَرْدُ الْحُسْنِ عَنِ بَنَائِلِ
قَلِيلٍ ، وَقَدْ أَفْرَدَهُ بَهْوِي فَرِيدٍ
إِلَى أَنْ يَلْغُ إِلَى قَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عَبَادِهِ
فَلَمْ كُنْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
إِلَّا إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ
مِيَرَةٌ بَيْنَ الضَّلَالِ وَالرُّشْدِ

قال المؤمن : أَحْسَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ! فَقَالَ : يَا مُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بَلْ أَحْسَنَ قَاتِلُهُ !
قال : وَمَنْ هُوَ ! قَالَ : عَبْدُ الْحَسِينِ بْنِ الضَّحَاكِ ^(١) ! فَغَصِّبَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا حَيَّا
اللَّهُ مِنْ ذَكْرِهِ وَلَا بَيَاهُ وَلَا قَرْبَهُ ، وَلَا أَنْعَمَ بِهِ عَيْنَاهُ ! أَلِيسْ هُوَ القَاتِلُ
أَعْيَنِي جُودًا وَابْسِكِيَا لِي مُحَمَّداً وَلَا تَذَخِّرَا دَمْعًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا
فَلَا تَمْتَ الأَشْيَاء بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلَكِ فِيهِ مُبَدِّداً

* عصر المؤمن من ٢٦٧ ج ٣، الأغاني من ١٦٥ ج ٧، الفرج بعد الشدة من ٦٢ ج ١

(١) هو مولى باهله ، ولد بالبصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً فاسداً ، ولكنه كان حسن التصرف في النظم ، واعشره قبول وروتق . مات سنة ٢٥١ هـ .

وَلَا فَرَحُ الْمُؤْمِنِ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرِّدًا
هَذَا بِذَاكِرَةِ ، وَلَا شَيْءٌ لَهُ عِنْدَنَا ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْبَوَّابِ : فَأَيْنَ فَضْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَعَةُ حَامِدَةِ ، وَعَادَتُهُ فِي الْعَفْوِ ؟

فَأَمْرَهُ بِإِحْضارِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ سَلَّمَ فَرِدًا عَلَيْهِ رَدَّا جَافِيَا : شِمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، فَعَزَّزَ
أَخْبَرَنِي عَنْكِ : هَلْ عَرَفْتَ يَوْمَ قُتْلِ أخِي مُحَمَّدٍ - رَحْمَهُ اللَّهُ - هَاشَمِيَّةَ قُتِلَتْ أَوْ
هُتَكَتْ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ :

وَسِرْبٌ ظَبَاءُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشَمٍ هَتَّافَنَ بِدُعَوَى خَيْرِ حَيٍّ وَمِيتِ
أَرْدُ يَدَّاً مِنِي إِذَا مَاذَ كَرَتْهُ عَلَى كَبْدِ حَرَّى وَقَلْبُ مُفَتَّتِ
فَلَا بَاتَ لِيلُ الشَّامَيْنِ بِغَيْطَةٍ وَلَا بَاغَتَ آمَالُهُمْ مَاتَمَّتِ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لَوْعَةُ غَلَبَتْنِي ، وَرُوعَةُ فَاجَأَتْنِي ، وَنَعْمَةُ فَقَدْتُهَا بَعْدَ أَنْ
غَمَرَتْنِي ، وَإِحْسَانُ شَكَرَتْهُ فَأَنْطَقَتِي ؛ وَسَيِّدُ فَقَدْتُهُ فَأَفْلَقَتِي . إِنَّ عَاقِبَتَ فِيْ
وَإِنْ عَفْوَتَ فِيْ فَضْلِكَ .

فَدَمَعَتْ عَيْنَا الْمُؤْمِنِ وَقَالَ : قَدْ عَفَوتُ عَنْكِ ، وَأَمْرَتُ بِرَدَّ أَرْزَاقِكَ وَإِعْطَائِكَ
حَافَاتِهَا ، وَجَعَلْتُ عَقْوَبَةَ ذَنْبِكَ امْتِنَاعِي مِنْ اسْتِخْدَامِكَ !

* ١٣٧ — وفاة كافور

قال أبو الفتح المنطيقى : كنَّا جلوسًا عند كافور الاخشيدى ^(١) وهو يومئذ صاحب مصر والشام ، وله من البسطة وقاذ الأمر وعلو المهمة والقدر وشهرة الذكر ، ما يتجاوز الوصف والحضر ، فحضرت المائدة والطعام ، فلما أكملنا نام وانصرفنا .

فلاما انتبه من نومه طلب جماعةً منا ، وقال : امضوا إلى عقبة النجارين ، وأسألوا عن شيخ منجم أبور كان يقعد هناك ، فإن كان حيًا فأحضروه ، وإن كان قد توفي فاسألوه عن أولاده ، واكشفوا أمره .

فخينا إلى هناك ، وسائلنا عنه ، فوجدناه قد مات وترك بنتين : إحداهما مزوجة والأخرى عاتق ^(٢) ؛ فعدنا إلى كافور وأخبرناه بذلك ، فسير في الحال واشتري لكل واحدة منها داراً ، وأعطي كل واحدة منها ثياباً وكسوةً وذهبها كثيراً ، وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منها رزقاً ، وأشهر أنهما من المتعلقين به ؛ لرعاية أمورها .

فلاما فعل ذلك وبالغ فيه صاحب ، وقال : أتعلمون سبب هذا ؟ قلنا : لانعم ، فقال : أعلموا أنى مررت يوماً بوالدِها المنجم ، وأناني في ملك ابن عباس الساكت

* العقد الغريد للملك السعيد من ٨٥

(١) كافور الإخشيدى : صاحب المنفي ، كان عبداً اشتراه الإخشيد ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه وأعنته ، وما زالت هاته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٣٥٧ هـ (٢) العاتق : الجارية التي لم تتزوج .

بِحَالَةِ رُثَةٍ ، فَوْقَتُ عَلَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَاسْتَجَلَسَنِي ، وَقَالَ : أَنْتَ تَصِيرُ إِلَى رَجُلٍ
جَلِيلٍ الْقَدْرِ ، وَتَبْلُغُ مَعَهُ مَبْلَغاً كَبِيرًا ، وَتَنَالُ خَيْرًا كَثِيرًا ؟ وَطَلَبَ مِنِّي شَيْئاً
فَأُعْطَيْتُهُ دَرَاهِمَيْنِ كَانَا مَعِي ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِي غَيْرُهَا ، فَرَمَى بِهِمَا ، وَقَالَ : أَبْشِرْكَ
بِهِذِهِ الْبَشَارَةِ وَتَعْطِينِي دَرَاهِمَيْنِ ! ثُمَّ قَالَ : وَأَزِيدُكَ ؟ أَنْتَ وَاللَّهِ تَعَالَى هَذَا الْبَلَدُ
وَأَكْثَرَ مِنْهُ ، فَإِذَا كُرِنَتِي إِذَا مَا صَرَّتَ إِلَى مَوْعِدِكَ بِهِ وَلَا تَنْسَنِي ، فَبِذَلِكَ لَهُ
ذَلِكَ ، وَقَلَتْ : نَمْ ! قَالَ : عَاهَدْتِنِي أَنْكَ تَفْنِي لِي ، وَلَا يَشْغَلَكَ الْمَلَكُ عَنِ افْتِنَادِي ،
فَعَاهَدْتُهُ ، وَلَمْ يَأْخُذْ الدَّرَاهِمَيْنِ .

ثُمَّ إِنِّي شُغِلْتُ عَنْهُ بِمَا تَبَدَّلَ مِنِّي مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَحْوَالِ ، وَصَرَّتْ إِلَى هَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ ، وَنَسِيَتْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْلَمْتُ الْيَوْمَ وَنَمَتْ رَأْيُهُ فِي الْمَنَامِ قَدْ دَخَلَ عَلَى
وَقَالَ : أَيْنَ الْوَفَاءُ بِعِهْدِكَ وَإِتَّقَامُ وَعْدِكَ ؟ لَا تَغْدِرْ فَيُغَدِّرْ بِكَ ! فَاسْتَيْقَنَتْ وَفَعَلَتْ
مَارَأِيَمْ .

ثُمَّ اشْتَهَرَ إِحْسَانُهُ إِلَى بَنَاتِ الْمَنْجُومِ لِوفَائِهِ لِوَالدَّهَا ، فَتَضَاعَفَ الدُّعَاءُ لَهُ وَالثَّنَاءُ
عَلَيْهِ .

* ١٣٨ — درس يلقى على حاسد

قال المنصور بن أبي عامر يوماً لأبي عمر يوسف الرمادي : كيف ترى حالك معى ؟ فقال : فوقَ قَدْرِي ودونَ قَدْرِك ؛ فاطرقَ المنصورُ كالفضبان ، فانسل الرمادي ، وخرج وقد ندم على ما بدر منه ، وجمل يقول : أخطأت ، لا والله ما يُفلح مع الملوك من يعاملُهُم بالحق ! ما كان ضرني لوقلت له : إنى بلغت السماء ، وتنقشت بالجوازاء ! وأنشد :

متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةَ لِنَفْسِي إلا قد قضيتُ قضاءها
ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد فرصة ،
فقال : وصل الله مولانا الفخر والسعادة ! إن هذا الصنف صنف زور وهذيان ،
لا يشكون نعمة ، ولا يرعون إلا^(١) ولا ذمة ، كلاب من غلب ، وأصحاب من
أخصب ، وأعداء من أجدب ، وحسبك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم : «والشعراء
يتبعُهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأئمهم يقولون مالا يفعلون ».
والابتعاد منهم أولى من الاقتراب ، وقد قيل فيهم : ما ظلمتك بقوم الصدق يُستحسن
إلا منهم .

رفع المنصور رأسه - وكان محامى أهل الأدب والشعر - وقد اسود وجهه ،
وظهر فيه الغضب المفترط ، ثم قال : ما بال أقوام يُشيرون في شيء لم يُستشاروا
فيه ، ويسيمون الأدب بالحكم فيما لا يدركون ، أيرضى أم يُسخط ؟ وأنت - أينما

المنبعث للشر دون أن يُبْعَث - قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة ،
وحسداً كلهم؛ لأن الناس كما قال القائل :

من رأى الناس له فض لَا عليهم حسدُه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ، ولسنا - إن شاء الله - نبلغ أحداً غرضه
في أحد ؛ وإنك ضربت في حديد بارد ، وأخطأت وجه الصواب ، فزدت بذلك
احتقاراً وصفاراً ، وإنى ما أطربت من كلام الرمادي إنكاراً عليه ، بل رأيت
كلاماً يحمل عن الأقدار الجليلة ، وتعجبت من تهديه له سرعة ، والله لو حكمته في
بيوت الأموال لرأيت أنها لا ترجح ما تكلم به قدر ذرة ، وإياكم أن يعود أحد
منكم إلى الكلام في شخص قبل أن يُؤخذَ معه فيه ، ولا تحكموا علينا في أوليائنا
ولو أبصرتم منا التغيير عليهم ؟ فإننا لا نتغير عليهم ؛ بغضنا لهم ، وإنحرافاً عنهم ،
بل تأديباً وإنكاراً ؛ فإننا من نريد إبعاده لم نُظْهِر له التغيير ؛ بل ننبذه مرة واحدة
والتغيير إنما يكون لمن يُراد استباقه .

ولو كنت مائلاً السمع لكل أحد منكم في صاحبه لتفرقتم أيدي سبا ،
وجُونبت أنا مجانية الأجرب ، وإنى قد أطاعتكم على ما في ضميري ، فلا تَعْدِلُوا
عن مَرْضاتي .

ثم أمر أن يُرَد الرمادي ، وقال له : أَعِدْ على "كلامك ، فارتاع ؛ فقال : الأمر
على خلاف ما قدرت ؛ الثواب أولى بكلامك من العقاب ؛ فسكن لتأنيسه^(١) ،
وأعاد ما تكلم به ، فقال المنصور : باغنا أن النعان بن المنذر حشا فـ النابغة بالدُّر

(١) التأنيس : خلاف الإيمان.

لكلامِ استقلاله منه ، وقد أمرنا لك بما لا يَقْصُرُ عن ذلك وبما هو أَنْوَهُ وأَحْسَن
عائدة .

وكتب له بمال وخلع وموضع يعيش منه ؛ ثم رد رأسه إلى المتكلم في شأن
الرمادي - وقد كاد يغوص في الأرض لو وجد ؛ لشدة ما حلّ به مما رأى وسمع -
وقال : والعجبُ من قوم يقولون : الابتعادُ من الشعراء أولى من الاقتراب ! نعم !
ذلك من ليس له مفاخرٌ يريد تحليدها ، ولا أيةٌ يرغبُ في نشرها ! فأين الذين
قيل فيهم :

على مُكْنَرِيهِمْ رَزْقٌ مِنْ يَعْتَرِيهِمْ وعند المقلَّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ^(١)
وَأَيْنَ الَّذِي قيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدِّنِيَا أَبُو دَلْفٍ بَيْنَ مَبْدَاهُ^(٢) وَمُخْتَضَرِهِ^(٢)

فَإِذَا وَلَى أَبُو دَلْفٍ وَلَّتِ الدِّنِيَا عَلَى أَثْرِهِ^(٣)

أما كان في الجاهلية والإسلام أَكْرَمُ من قيل فيه هذا القول ؟ بل ! ولكن
صُحبةَ الشعراء والإحسان إليهم أَحَيَتْ غابر ذكرهم ، وخصَّتهم مفاخر عصرهم ،
وغيرُهم لم تخلُّد المدايم ما آثَرُهم ، فدَثَرَ ذَكْرُهم ، ودرَسَ فخرُهم !

(١) البيت لزهير بن أبي سامي في مدح آل هرم بن سنان (٢) المبدى : كل منطبع (٣) البستان
لعل بن جبلة في مدح أبي دلف .

* ١٣٩ - عَفَةُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ

حَكَىْ أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِسْفَرِينِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، قَالَ :
 كَنْتُ يَوْمًا عِنْدَ فِخْرِ الْمَلَكِ أَبِي غَالِبِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْفٍ وَزِيرِ بَهَاءِ الدُّولَةِ وَابْنِهِ
 سُلْطَانِ الدُّولَةِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الرَّضِيُّ أَبُو الْحَسْنِ^(١) ، فَأَعْظَمَهُ وَأَجْلَهُ ، وَرُفِعَ مِنْ
 مََنْزِلَتِهِ ، وَخَلَىْ مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنِ الْقِصَصِ وَالرِّفَاعِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَحَادِثُهُ إِلَىْ أَنْ
 انْصَرَفَ .

شَمَ دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَرْتَضِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ، فَلَمْ يُعَظِّمْ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ ، وَلَا أَكْرَمَهُ
 ذَلِكَ الْإِكْرَامَ ، وَتَشَاغَلَ عَنْهُ بِرِقَاعٍ يَقْرُؤُهَا وَتَوْقِيعَاتٍ يُوَقِّعُهَا ، فَجَلَسَ قَلِيلًا ،
 وَسَأَلَهُ أَمْرًا فَقَضَاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

قَالَ أَبُو حَامِدٍ : فَتَقْدَمْتُ إِلَيْهِ ، وَقَلَّتْ لِهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! هَذَا الْمَرْتَضِيُّ
 هُوَ الْفَقِيهُ الْمُتَكَلِّمُ صَاحِبُ الْفَنُونِ ، وَهُوَ الْأَمْثَلُ^(٢) الْأَفْضَلُ مِنْهُمَا ، وَإِنَّمَا أَبُو الْحَسْنِ
 شَاعِرٌ . قَالَ لِي : إِذَا انْصَرَفَ النَّاسُ ، وَخَلَّ الْجَلْسُ أَجْبَتُكَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَأَةِ .
 قَالَ : وَكَنْتُ بِمُجْمَعِ الْاِنْصَارَ ، فَجَاءَنِي أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ، فَدَعَتْ
 الْفَرْوَرَةُ مَلَازِمَةً الْجَلْسِ إِلَىْ أَنْ تَقْوَضَ النَّاسَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا .

فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ إِلَّا غَلَمانُهُ وَحْجَابَهُ دُعا بِالظَّعَامِ ، فَلَمَّا أَكَلْنَا وَغَسَلْنَا يَدَهُ وَانْصَرَفَ
 عَنْهُ أَكْثَرُ غَلَمانِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ عَنْهُ غَيْرِي ، قَالَ خَادِمُهُ لَهُ :

* ابن أبي الحديد ص ١٣ ج ١

(١) هُوَ أَبُو الْحَسْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّاهِرِ ، كَانَ أَبُوهُ تَهِيبُ الطَّالِبِينَ ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ النَّفَاهَةُ وَأَبُوهُ حَسْنٍ ،
 أَجْعَمَ النَّفَادَ عَلَىْ أَنْهُ أُشْعَرَ قَرِيشًا ، وَكَانَ عَالِمًا بِعِلُومِ الْقُرْآنِ وَالْلِّغَةِ وَانْتَهَ ، وَلَهُ فِيهَا الْمُؤَلَّفَاتُ
 الْأَنْعَافُ . تَوْفَىْ سَنَةُ ٤٠٦ هـ (٢) فَلَانُ أَمْثَلُ بْنُ فَلَانٍ : أَيُّ أَدْنَاهُمْ لِلْخِيَرِ .

هات السكتابين الذين دفعتمهما إليك منذ أيام ، وأمرتكَ أن تجعلهما في
(السفّط^(١)) الفلاني ، فأحضرهما فقال : هذا كتاب الرضى ، اتصل بي أنه قد ولد له
ولد ، فانفذتُ إليه ألف دينار ، وقلت : هذه لقابة — فقد جرت العادة أن يحمل
الأصدقاء إلى أخلاقهم ، وذوى مودتهم مثل هذه في مثل الحال ، فردها ،
وكتب إلى هذا الكتاب ، فاقرأه .

قال : فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفي جملته : إننا - أهل بيت - لا يطلع
على أحوالنا قابلةٌ غريبة ، وإنما عجائبنا يتولّن هذا الأمر من نسائنا ، ولسنَ من
يأخذن أجرة ، ولا يقبّلن صلة .

قال : فهذا ، هذا ، وأما المرتضى فإننا كنا قد وزّعنا وفّسّطنا^(٢) على الأملاك
تقسيطاً نصّر فيه في حفرٍ فوهة التهر المعروفة بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف
المرتضى عشرون درهما ، وقد كتب إلىيَّ منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه ،
فقرأته ، وهو كثُر من مائة سطر يتضمن من الخصوص والخشوع والاسئلة والطلاب
والسؤال في إسقاط هذه الدرّاهم عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه .

قال فتخرّ الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتجليل : هذا العالم المتكلّم الفقيه
الاُوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يُشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه تلك
النفس ؟ قلت : وفق الله الوزير ، ها زال موافقاً ، وما وضع الأمر إلا في موضعه ،
ولا أحلَّ إلا في محله .

(١) السفط : الجوالق ، أو كالغنة (٢) قسط الشي' : فرقه .

٢٧٦ - أمين *

قال أحد التجار :

قصدتُ الحج في بعض الأعوام ، وكانت تجاري عظيمةً ، وأموالى كثيرة ،
وكان في وسطى هميان^(١) ، فيه دنانير وجواهر قيمة ، وكان الهميان من دبابس
أسود .

فاما كنت ببعض الطريق نزات لأقضى بعض شأني ، فانخلل الهميان من
وسطى ، وسقط ولم أعلم بذلك إلا بعد أن سرت عن الموضع فراسخ ، ولكن ذلك
لم يكن يؤثر في قلبي لما كنت أحتج فيه من غنى ، واستخلفت ذلك المال عند الله ؛
إذ كنت في طريقى إليه تعالى .

ولما قضيت حجّي^(٢) وعدت تابعت الحن على حتى لم أملك شيئاً ! فهربت
على وجهى من بلدى . ولما كان بعد سنين من فقرى أقضيت إلى مكان وزوجى
معى ، وما أملك في تلك الليلة إلا دانقاً^(٣) ونصفاً ، وكانت الليلة مطيرة ، فأويت
في بعض القرى إلى خان خراب ، فجاء زوجى المخاض فتحيرت ، ثم ولدت ،
فقالت : ياهذا ، الساعة تخرج روحى ، فالمخذلى شيئاً أقوى به ، فخرجت أخطب
في الظلمة والمطر حتى جئت إلى بدان^(٤) فوقفت عليه ، فكلمته بعد جهد ،
فسرحت له حالى ، فرجعني وأعطاني بتلك القطع حلبة وزيتاً وأغلاها ،

* الفرج بعد الشدة ص ١٣٢ ج ٢

(١) الهميان : المنطقة (٢) الحجة (بالكسر) المرة الواحدة وهي من الشواذ (٣) الدائق : سدس الدرهم (٤) البدان : بيع الأطعمة .

وأغارني إناء جعلت ذلك فيه ، وجئت أريد الموضع ، فلما مشيت بعيداً وقربت من الخان زلت رجلي ، وانكسر الإناء وذهب جميع ما فيه ؛ فوراً على قلبي أمر عظيم ماورد على مثلهُ فقط ! فأقبلت أبكي وأصيح . وإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في داره ، وقال : ويلك ! مالك تبكى ؟ ماتدعنا أن ننام !

فشرحت له القصة ، فقال : ياهذا ، البكاء كله بسبب دائق ونصف !

قال : فداخلي من الغمّ أعظم من الغمّ الأول ، قلت : ياهذا ، والله ما عندى شيء لما ذهب مني ، ولكن بكائي رحمة لزوجي ولنفسى ؛ فإن امرأة تموت الآن جوعاً ، ووالله لقد حججت في سنة كذا وكذا وأنا أميك من المال شيئاً كثيراً ، فذهب مفي همياني فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار ، فافكرت فيه ، وأنت تراني الساعة أبكي بسبب دائق ونصف ، فسأل الله السلامة ولا نعما يزرنـي فتبليـ بـ بـيلـ بـلـواـيـ .

قال : فقال لي : بالله يارجل ما كانت صفة هميانيك ، فأقبلت أبكي ، وقلت : ما ينفعني ماخاطبني به ، أو ماتراه من جهدـي^(١) وقيامي في المطر حتى تسهرـيـ بي أيضاً ! وما ينفعني وينفعك من صفة هميانيـ الذي ضاع منذ كذا وكذا !

قال : ومشيت . فإذا الرجل قد خرج وهو يصيح بي : خذ ياهذا ، فظننته يتصدق علىـ ، فجئت وقلت له : أى شيء تريـد ؟ فقال لي : صـفـ هـميـانـكـ وـقـبـضـ علىـ ، فـلمـ أـجدـ لـلـخـلاـصـ سـبـيلـاـ غـيرـ وـصـفـهـ لـهـ ، فـوـصـفـتـهـ وـقـالـ ليـ : اـدـخـلـ ، فـدـخـلـتـ ، فقال : أين امرأتك ؟ قلت : في الخان ، فأنفذ غلامـهـ فـجـاءـواـ بـهـاـ ، وـأـدـخـلـتـ إلىـ

(١) الجهد : المشقة .

حُرَمَه^(١) ، فَأَصْلَحُوا شَانَهَا وَأَطْعَمُوهَا كُلَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَجَاءَوْنِي بِجُبْنَةٍ وَقِيسْ وَعَمَامَةٍ وَسَرَّاً وَيلَ ، وَأَدْخَلْتُ الْحَمَامَ سَعْرَأً ، وَطَرَحْ ذَلِكَ عَلَىٰ ، وَأَصْبَحَتُ فِي عِشْنَةٍ رَاضِيَةٍ . وَقَالَ : أَقْمَعْنِي أَيَّامًا ، فَأَفْقَتُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، كَانَ يَعْطِينِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةَ دَنَارَيْنَ وَأَنَا مَتَحِيرٌ فِي عَظَمَ بَرِهِ بَعْدَ شَدَّةِ جَفَافِهِ !

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِي : فِي أَيِّ شَيْءٍ تَتَصَرَّفُ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَاجِرَأً ، قَالَ : فَلِي غَلَاتٍ وَأَنَا أَعْطِيكَ رَأْسَ مَالٍ تَجَرَّفُ فِيهِ وَتَشْرَكُنِي ، فَقَالَ : أَفْلَ ، فَأَخْرَجَ لِي مائِيَّ دِينَارٍ فَقَالَ : خَذْهَا وَاتَّجَرْ فِيهَا هَاهُنَا ، فَقَالَ : هَذَا مَعَاشٌ قَدْ أَغْنَانِي بِهِ اللَّهُ يَحْبُبُ أَنْ أَزْمِهِ ، فَلَرَمَتْهُ .

٦٤ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ رَبْحَتُ فِجْنَتُهُ وَأَخْذَتُ حَقَّيَ وَأَعْطَيْتُهُ حَقَّهُ ، فَقَالَ : اجْلَسْ ، فَجَلَسْتُ ، فَأَخْرَجَ لِي هِمِيَانِي بِعِينِهِ وَقَالَ : أَتَعْرُفُ هَذَا ؟ فَجِئْنِي رَأْيَتُهُ شَهْقَتَ وَأَغْمَى عَلَىٰ فَأَفْقَتُ إِلَّا بَعْدَ سَاعَةٍ ! ثُمَّ قَاتَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَمْلَاكَ أَنْتَ أَمْ نَبِيٌّ ! فَقَالَ : أَنَا أَحْفَظُهُ مِنْذَ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ ، فَلَمَّا سَمِعْتُكَ تَلَكَ الْلَّيْلَةَ تَقُولُ مَا قَاتَهُ ، وَطَالَبْتُكَ بِالْعَلَامَةِ فَأَعْطَيْتَهَا أَرْدَتُ أَنْ أَعْطِيكَ لِلْوَقْتِ هِمِيَانِكَ ، فَخَفَتْ أَنْ يَغْشِي عَلَيْكَ ، فَأَعْطَيْتَكَ تَلَكَ الدَّنَارِيَّاتِيَّ أَوْهَمْتُكَ أَنَّهَا هَبَةٌ وَإِنَّمَا أَعْطَيْتُكَهَا مِنْ هِمِيَانِكَ ؛ فَخَذْ هِمِيَانِكَ وَاجْعَلْنِي فِي حَلَّ ؛ فَشَكَرْتُهُ وَدَعَوْتُ لَهُ وَأَخْذَتُ الْهِمِيَانَ وَرَجَعْتُ إِلَى بَلْدِي ، فَبَعْتُ الْجَوْهَرَ وَضَمَّنْتُ ثُنْهَ إِلَى مَا مَعِي وَأَتَجَرْتُ ، فَمَضَتْ إِلَّا سَنِيَّاتٍ حَتَّى صَرَتْ صَاحِبَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَصَاحِتْ حَالَى !

(١) حَرَمُ الرَّجُلِ : أَهْلُهُ .

الباب الخامس

القصص التي تعدد غرائزهم وخصائصهم ، فتكشف
ما طبعوا عليه من وفرة العقل ، وحدة الذكاء ، وصدق
الفراسة ، وقوة النفس ، وما أهلتهم له طبيعة بلادهم ، وأسلوب
حياتهم من شريف السجايا ، وممدوح الخصال .

* ١٤١ - غُمَّ مِنْ نَجَا مِنَ الْمَوْتِ

كان عامر^(١) بن الظَّرِب العَدُوانِي يدفعُ بِالنَّاسِ فِي الْحِجَّة؛ فَرَأَهُ مَلَكُ مِنْ
مَلُوكِ غَسَان، فَقَالَ: لَا تُرْكُ هَذَا الْعَدُوانِي أَوْ أَذْلَهُ!
فَلَمَّا رَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى مَنْزِلِهِ أُرْسِلَ إِلَيْهِ: أَحِبُّ أَنْ تَرْزُورَنِي فَأَجْبُوكُ وَأَكْرَمَكُ
وَأَتَخْذَكُ خَلَّا؛ فَأَنَّاهُ قَوْمُهُ؛ فَقَالُوا لَهُ: تَرِندُ وَيَفْدُ مَعَكَ قَوْمُكُ إِلَيْهِ، فَيَصِيبُونَ فِي
جَنْبِكُ وَيُوجَهُونَ^(٢) بِمَجَاهِكُ!

فَخَرَجَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ؛ فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ الْمَلَكِ أَكْرَمَهُ، وَأَكْرَمَ
قَوْمِهِ، ثُمَّ اسْكَنَهُ عَنْ رَأْيِ الْمَلَكِ؛ فَجَمِعَ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: الرَّأْيُ نَائِمٌ،
وَالْمَوْى يَقْطَانُ، وَمَنْ أَجْلَ ذَلِكَ يَغْلِبُ الْمَوْى الرَّأْيَ! عِحَّاتُ بَحِينِ عَجْلَمْ، وَلَنْ
أُعُودَ بَعْدَهَا!

فَقَالَ قَوْمُهُ لَهُ: قَدْ أَكْرَمَنَا الْمَلَكُ كَاتِرِي! وَبَعْدَ هَذَا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ!
قَالَ: لَا تَعْجِلُوا؛ إِنَّ لِكُلِّ عَامٍ طَعَامًا، وَرَبُّ أَكْلَةِ تَمْنَعُ أَكْلَاتَ^(٣)؛
فَسَكَنُوا أَيَّامًا.

* الْإِثْنَانِ ص ٢٧١ ج ١

(١) حَكَيمٌ خَطِيبٌ رَئِيسٌ مِنْ الْجَاهِلِيِّينَ، كَانَ الْعَرَبُ لَا تَعْدِلُ بِنَفْسِهِ فِيهَا، وَلَا يَعْكِمُهُ حَكْمًا،
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَعَتْ لَهُ الْمَصَا، وَكَانَ يَقَالُ لَهُ ذُو الْحَلْمِ (٢) أَوْجَهُهُ: جَعْلَهُ وَجْهًا (٣) سَارَتْ
مِثْلًا.

ثم أرسل إليه الملك ؛ فتحدث عنده ، ثم قال له : قد رأيتُ أن أجعلك
الناظرَ في أموري ! فقال له : إن لي كنزَ علمٍ لستُ أعلمُ إلا به ، تركتهُ في الحى
مدفوناً ؛ وإن قومي أضناءُ بي ؛ فاكتبْ لي بجباية الطريق ، فيرى قومي طمعاً
تطيبُ به أنفسهم ؛ فأستخرجْ كنزِي ، وأرجعُ إليك وافراً .
فكتبَ له بما سأله ، وجاء إلى أصحابه ؛ فقال : ارتحلوا ؛ حتى إذا أذروا
قالوا : لم يُرِكالي يومِ وافدِ أقلَّ ولا أبعد من نوالِ منك ! فقال : مهلا ! فليس على
الرزق فوت ، وغمَّ من نجا من الموت !
فلا قدْم على قومه أقام فلم يَعُدْ !

١٤٢ * وافق شن طبقة

كان شن رجلاً من دهاء العرب وعقلائهم . وقال يوماً : والله لا أطوفن حتى أجده امرأة مثل أتزوجها . فبينما هو في بعض مسيرة إذ وافته رجل في الطريق فسألته شن : أين تريده ؟ فقال : موضع كذا - يريد القرية التي يقصدوها شن - فوافقه ، حتى إذا أخذنا في مسيرها قال له شن : أتحملني أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ؛ أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أو تحملني ؟ ! فسكت عنه شن .
وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصدا^(١) ؛ فقال شن : أترى هذا الزرع كل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ؛ ترى بذاتها مُستحصدا فتقول : كل أم لا ؟ فسكت عنه شن .

حتى إذا دخل القرية لقيهما جنازة^(٢) ، فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حيّا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ما رأيت أحيل منك ! ترى جنازة تأسّل عنها أميّت صاحبها أم حي ؟ !

فسكت شن وأراد مفارقتها ؛ فأبي الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله ، فمضى معه . وكان للرجل بنت يقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سأله عن ضييفه . فأخبرها بمرافقته إياه ، وشكى إليها جهله ، وحدّثها بمحديشه .

فقالت : يا أبا ؛ ما هذا بجاهل ! أما قوله : أتحملني أم أحملك ، فأراد تحدّثني

* مجمع الأمثال من ٢١١ ج ٢

(١) استحصدا : آن أن يحصد (٢) الجنازة : الميت على السرير .

أَمْ أَحْدَثُكْ حَتَّىْ تَقْطَعَ طَرِيقَنَا . وَأَمَا قَوْلَهُ : أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ كُلُّ أُمْ لَا ، فَأَرَادَ
هَلْ بَاعَهُ أَهْلُهُ فَأَكَلَوْهُنَّهُ أَمْ لَا . وَأَمَا قَوْلَهُ فِي الْجِنَازَةِ ، فَأَرَادَ هَلْ تَرَكَ عَقْبَاهُ يَحْيَا
بَعْدَ ذَكْرِهِ أَمْ لَا !

فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَجَلَسَ إِلَى شَنَّ ؛ فَحَادَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَتَحْبُّ أَنْ أَفْسِرَ لَكَ
مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَسَرَهُ . فَقَالَ شَنَّ : مَا هَذَا مِنْ كَلَامِكَ ، فَأَخْبَرَنِي مَنْ
صَاحِبُهُ ؟ قَالَ : ابْنَةُ لِي .

فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ ، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، وَجَمَاهَا إِلَى أَهْلِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا : وَاقِفْ شَنَّ

طَبَقَةُ (١) .

(١) فَذَهَبَتْ مُثْلًا لَكَ اثْنَيْنِ مُتَوَانِقِينَ .

(١٤٣) — لَنْ يَرْحَ الْعَبْدَانَ حَتَّى يُقْتَلَا *

صَحْبُ رَجُلٍ كَثِيرٍ لِلْمَالِ عَبْدَيْنِ فِي سَفَرٍ ؛ فَلَمَّا تَوَسَّطَا الطَّرِيقَ هُمَا بَقْتَلَهُ ، فَلَمَّا
صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ ، قَالَ : أَقْسَمْ عَلَيْكَا - إِذَا كَانَ لَابْدَ لِكَ مِنْ قَتْلِي - أَنْ تَمْضِي
إِلَى دَارِي ، وَتَنْشَدَا بَنْتِي هَذَا الْبَيْتَ : قَالَا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
مِنْ مَبْلُغٍ بَنْتِي أَنْ أَبَاهَا اللَّهُ دُرُّ كَا^(١) وَدُرُّ أَبِيكَا
فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخرَ : مَا زَرَ فِيهِ بَأْسًا !

فَلَمَّا قَتَلَاهُ جَاءَ إِلَى دَارِهِ ، وَقَالَا لِابْنِتِهِ الْكَبِيرِ : إِنَّ أَبَاكَ قدْ لَقِيَهُ مَا يَلْحِقُ
النَّاسَ ، وَآتَى عَلَيْنَا أَنْ خَبَرَ كَمْ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَقَالَتِ الْكَبِيرُ : مَا أَرَى فِيهِ شَيْئًا
خَبَرَنِي بِهِ ، وَلَكِنْ اصْبِرْهَا حَتَّى أَسْتَدِعِي أَخْتِ الصَّفْرِيَ .
فَاسْتَدِعَهَا فَأَنْشَدَهَا الْبَيْتَ : فَجَرَحَتْ حَامِرَةً^(٢) ، وَقَالَتْ : هَذَا قَتْلًا أَبِي
يَامِعْشَرِ الْعَرَبِ ، مَا أَنْتُمْ فَصَحَّاءُ ، قَالُوا : وَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ ؟ قَالَتْ : الْمَرْصَاعُ الْأَوَّلُ
يَحْتَاجُ إِلَى ثَانٍ ، وَالثَّانِي يَحْتَاجُ إِلَى مَا يَكْلُهُ ، لَا يَلِيقُ أَحَدُهُمَا بِالآخِرِ ، قَالُوا : فَمَا يَنْبَغِي
أَنْ يَكُونَ ؟ قَالَتْ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ :

مِنْ خَبِيرٍ بَنْتِي أَنْ أَبَاهُمَا أَمْسَى قَتِيلًا بِالْفَلَّاءِ مَجْنَدِلَا^(٣)
اللَّهُ دُرُّ كَا وَدُرُّ أَبِيكَا لَنْ يَرْحَ الْعَبْدَانَ حَتَّى يُقْتَلَا
فَاسْتَخِبُوهُمَا فَوَجَدُوا الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرْتُ .

* بلوغ الأربع ص ٣٢ ج ١

(١) اللَّهُ دُرُّهُ : أَيْ عَمَلِهِ ، وَلَا دُرُّ دُرُّهُ : لَا زَكَا عَمَلِهِ (٢) حَاسِرَةً : أَيْ كَاشَفَةً يَقَالُ : حَسَرَتِ
الْمَرْأَةُ ذَرَاعَهَا وَخَارَهَا : أَيْ كَشْفَتَهُ (٣) مَجْنَدِلَا : مَصْرُوْعًا عَلَى الْجَدَالَةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ . وَلَيْسَ فِي
كِتَابِ الْلُّغَةِ جَنْدَلُ ، وَإِنَّمَا يَهْرُبُ إِلَيْهِ جَنْدَلُ .

* ١٤٤ — النذير

كان رجل من بني العنبر أسيرا في بكر بن وائل ، وعزموا على غزو قومه ، فسألهم رسولًا إلى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لثلاثة نذيرهم ؟ وجيء بعد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم ، إني لعاقل ! قال : ما أراك عاقلا .

ثم ملأ كفيه من الرمل ، فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدرى ، وإنك لكثير ، قال : أيها كثير ؟ النجوم أم النيران ؟ قال : كل كثير .

فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم : ليسكرمونا فلانا - يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر - فإن قومه لي مكرمون ، وقل لهم : إن العرف ^(١) قد أدى ^(٢) ، وشكّت النساء ، وأمرهم أن يغروا ناقتي الحمراء ؛ فقد أطلاوا ركوبها ، وأن يركبوا جعل الأصحاب ^(٣) ، باية ما أكلت معهم حيًّا ^(٤) ؛ وسألوا عن خبرى أخي الحارث .

فَلَمَا أَدْى الْعَبْدُ الرِّسَالَةَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: قَدْ جَنَّ الْأَعْوَرُ، وَاللَّهُ مَانْعِرَفُ لَهْ نَاقَةً حَرَاءً، وَلَا جَلَّا أَصْهَبَ! ثُمَّ سَرَّحُوا الْعَبْدَ، وَدَعُوا الْحَارِثَ فَقُصُّوا عَلَيْهِ الْقَصَّةَ .

قال : قد أذركم ! أما قوله : قد أدى العرف ، فيزيد : إن الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح ، وقوله : وشكّت النساء : أى الخذن الشكاء ^(٥) للسفر ، وقوله :

* نهاية الأربع ص ١٥٤ ج ٣ ، بلوغ الأربع ص ٣١ ج ١ ، الأمالي ص ٨ ج ١

(١) العرف : نبت (٢) أدى العرف : خرج منه مثل النبي ، والنبي : أصغر الجراد والنمل

(٣) الأصحاب : بغير ليس بشديد البياض (٤) الحيس : تمر يخالط بسمن وإقطاف فيجعل شديداً

(٥) الشكوة : وعاء من أدم يبرد فيه الماء ويحبس فيه جمه شكوك وشقاء ، وشكّت النساء : الخذن الشكاء .

الناقة الحمراء : أى ارتحلوا عن الدهماء ، واركبوا الصممان ، وهو الجمل الأصبه ،
وقوله : بآية ما أكـات مـعكم حـيساً ، يـريـد أـخـلاـطاً من النـاسـ قد غـزوـكم ؛ لأنـ
الـحـيـسـ يـجـمعـ التـمـرـ وـالـسـمـنـ وـالـأـقـطـ ؟ فـامـتـلـواـ مـاـقـالـ ، وـعـرـفـواـ لـعـنـ كـلامـهـ !

١٤٥ — حديث عن امرىء القيس * (١٩٢)

قال عبد الملك بن عمير : (ومنه ٩١٠ سر العبر) الوالم باسم امرء العبر
قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفة ، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه
الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثني كلُّ رجلٍ منكم أخذوه ، وأبداً أنت
ياباً عمرو ^(١) ؟ فقلت : أصلح الله الأمير ! أحاديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال :
بل حديث الحق .

قلت : إن امراً ^(٢) القيس آلى ^(٣) بأليه لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن عيانته
وأربعة وثنتين ؛ فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر .
فيينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، كأنها
البدر ليلة تمامه ، فاعجبته ؛ فقال لها : ياجارية ! ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ فقالت :
اميـانـيـةـ فـاطـبـاءـ ^(٤) الـكـلـبـ ، وـأـمـاـ أـرـبـعـةـ فـاخـلـافـ ^(٥) النـاقـةـ ، وـأـمـاـ اـثـنـتـانـ فـثـدـيـالـمـرأـةـ .

* الأغاني ص ١٠١ ج ٩ ، نهاية الأربع من ١٥٥ ج ٣ ، بلوغ الأربع من ٢٧ ج ١

(١) كنية عبد الملك بن عمير (٢) امرؤ القيس : هو الملك الضليل أبو الحارث حندج بن حجر
الكندي ، شاعر البانية ، ورأس شعراء الجاهلية ، وفائدتهم إلى التفنن في أبواب الشعر وضروريه ،
وقد نشأ بأرض نجد ، وسلك مسلك المترفين من أبناء الملك بهدوء وبابع وعافر الخير وبغازل الحسان
وأنفق وقته في التشديد للنساء والخروج في ذلك إلى حد الصرامة في الفحش ، ففتح أبوه ، ثم طرد
وتوافق سنة ٨٠ ق.هـ (٣) آلى : أقسم (٤) الأطباء : حلمات الفرع لدى خف وظلت وحافر وسبع
(٥) الأخلاف : حلمات ضر ع الناقة .

فيخطبها إلى أبيها ، فزوجه إليها ، وشرطت عليه أن تسألة ليلة بناها عن ثلاثة
حال ؛ فجعل لها ذلك ، وأن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أبُد وعشرين
وصائف وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك .

ثم إنه بعث عبدا له إلى المرأة ، وأهدى إليها نحِيما^(١) من سمن ونحِيما من عسل
وحلة من عَصْب^(٢) ، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها ، فتعلقت بعشرة
فانشقت ، وفتح النحِيدين فطعِمَ أهل الماء منها فنفضا .

ثم قديم على حي المرأة وهم خلوف^(٤) ، فسألها عن أبيها وأمهما وأخيها ودفع
إليها هديتها ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويعود قريباً ،
 وأن أمي ذهبت تشق النفس نسرين ، وأن أخي يراعي الشمس ، وأن سماءكم
انشقت ، وأن وعاءيك نضبا^(٥) .

فقدم الغلام على مولاه فأخبره . فقال : أما قوله : إن أبي ذهب يقرب بعيداً
ويُعدُّ قريباً ، فإن أبيها ذهب يخالف قوماً على قومه ، وأما قوله : ذهبت أمي تشق
النفس نسرين ، فإن أمها ذهبت تقبل^(٦) امرأة نساء . وأما قوله : إن أخي يُرعاي
الشمس ، فإن أخيها في سرُوح^(٧) له يرعاه فهو ينتظر وجوب^(٨) الشمس ليروح^(٩)
به . وأما قوله : إن سماءكم انشقت ، فإن البرد الذي بعثت به انشق . وأما قوله :
إن وعاءيك نضبا ، فإن النحِيدين اللذين بعثت بهما نقصا ، فاصدقني !
فقال : يا مولاي ، إنني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسيجي فأخبرتهم

(١) النحِي : السقاء أو ما كان للسمن خاصة (٢) العصب : نوع من البرود (٣) العشرة : واحدة
العشر وهو من كبار الشجر ، وله صبغ حلو (٤) خلوف : غريب (٥) المراد نقصا (٦) قال :
قبلت الغابلة المرأة إذا ثافت ولدها عند ولادته (٦) السرُوح : الإبل الثانية (٧) وجوب الشمس :
غروها (٨) ليروم .

أني ابن عمك ، ونشرتُ الحلةَ فانشقتَ ، وفتحت النجفَين فأطعمنَتُ منها أهل الماء . فقال : أولَيْ (١) لك !

ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام ، فنزل منزلًا ، فخرج الغلام يسوق الإبل فعجزَ ؛ فأعانه امرأُ القيس ، فرمى به الغلام في البر ، وخرج حتى أتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها ؛ فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدرى أزوجي هوأم لا ! ولكن انحرروا له جَزُوراً (٢) وأطعموه من كرِشها وذنبها ، ففعلوا فأكل ما أطعموه ؛ فقالت : اسقوه لبنا حازراً (٣) ، فسقوه فشرب . فقالت : افرِشو له عند الفَرَثِ (٤) والمدم ، ففرشو له فنام .

فلمَّا أصبحت أرسلت إليه : إني أريدان أسألك ؛ فقال : سلي عما شئت ، فسألَه

فلم يُعْجِبها جوابه ، فقالت : عليكم العبد فشدوا أيديكم به ، ففعلوا .

قال : ومرةً قوم فاستخرجوه امرأً القيس من البر ، فرجع إلى حيثه ، فاستلق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته ، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أهوا زوجي أم لا ، ولكن انحرروا له جَزُوراً فأطعموه من كرِشها وذنبها ففعلوا ، فلما أتَوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملاحاء (٥) ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا حازراً ، فأبى أن يشربه وقال : فأين الصريف (٦) والرَّئيْثة (٧) ؟ فقالت : افرِشو له عند الفَرَث والمدم ، فأبى أن ينام وقال : افرِشو على فوق التلعة (٨) الحراء ، واضربوا عليها خباء .

(١) أولَيْ لك : كلمة يقصد بها التوعيد والتهديد ، أي أقرب إليك (٢) الجرور : البعير يقع على الذكر والأنتي (٣) وهو الخامض (٤) السرجين (٥) لحم في الصلب من الكاحل إلى العجز في البعير (٦) الصريف : الحليب الحار ساعة يحمل (٧) الرئيْثة : اللبن الحليب يصعب عليه الابتن الخامض فيروب من ساعته (٨) التلعة : أرض مرتفعة غالباً يتردد فيها السيل ، ثم يندفع إلى تلعة أُسفل منها .

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ هَلْمٌ شَرْبَطِي عَلَيْكَ فِي الْمَسَائِلِ الْثَلَاثِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا أَنْ سُلِّي
عَمَّا شَدَّتْ . فَسَأَلَتْهُ ؛ فَأَعْجَبَهَا جَوَابُهُ ؛ فَقَالَتْ : هَذَا زَوْجِي لِعُمْرِي ! فَعَلِيهِمْ بِهِ ، وَاقْتَلُوا
الْعَبْدَ ؛ فَقَتَلُوهُ ، وَدَخَلَ امْرَأُ الْقَيْسِ بِالْجَارِيَةِ .

فَقَالَ أَبْنَى هَبِيرَةَ : حَسْبُكُمْ ! فَلَا خَيْرَ فِي الْحَدِيثِ فِي سَائِرِ الْلَّيْلَةِ بَعْدَ حَدِيثِكُمْ
يَا أَبَا عُمَرَ ، وَلَنْ تَأْتِنَا بِأَعْجَبٍ مِنْهُ ؛ فَقَمْنَا وَانْصَرْفْنَا ، وَأَمْرَلَى بِمَحَاجِزَةَ !

١٤٦ — صحيفه المتمس *

وفد المتمس^(١) هو ابن أخته طرفة^(٢) بن العبد على عمرو^(٣) بن هند ، فنزل^(٤)
منه في خاصته ، وكان يركبان معه للصيد ، فيركبان طول النهار ، فيتبعان ، وكان
يشربُ فيقنان على بابه النهار كله لا يصلان إليه ؛ فضجر طرفة فقال فيه :
فليت لنا مكانَ العالِكِ عَمْرِو رَغُوثًا^(٥) حَوْلَ قَبْتَنَا تَحْوُرُ
وكان طرفة عدواً لابن عمده عبد عمرو - وكان كريماً على عمرو بن هند - فهجاه
طرفة فقال :

ولا خيرَ فيه غيرَ أَنَّ لَهْ غَنِيَّةً وَأَنَّ لَهْ كَشْحَانًا^(٦) إِذَا قَامَ أَهْضَمَا
تَظَلَّلَ نَسَاءُ الْحَى يَعْكُفُونَ حَوْلَهُ يَقْلُنَ عَسِيبًا^(٧) مِنْ سَرَارَةِ مَلْهُمَا
فَهُمْ عَمْرُو بَقْتُلَ طَرْفَةً ، وَخَافَ مِنْ هَجَاءِ الْمَتَمَسِ لَهُ ، لَأَنَّهُمَا كَانَا خَلِيلَيْنِ ، فَقَالَ
لَهُمَا : أَعْلَمُكَا قَدْ اشْتَقَنَا لِأَهْلِكُمَا ، وَسَرَكَا أَنْ تَنْصُرَا ! فَقَالَا : نَعَمْ ! فَكَتَبَ
لَهُمَا بِصَحِيفَتَيْنِ وَخَتَمَهُمَا ، وَقَالَ لَهُمَا : اذْهَبَا إِلَى عَامِلِيَّ بِالْبَحْرَيْنِ ، فَقَدْ أَمْرَتُهُ أَنْ
يَصِلَّكَا بِجَوَازِ !

* بلوغ الأربع من ٣٧٤ ج ٣ ، مجمع الأمثال من ٣٦٤ ج ١

(١) المتمس : لقب ثلث عليه ، واسميه جرير ، وهو خال طرفة بن العبد ، من شعراء الجاهلية
المفain وضعه ابن سلام في الطبيعة السابعة من شعراء الجاهلية (٢) طرفة : هو أبو عمرو طرفة بن
العبد البكري ، أحد فحول شعراء الجاهلية . مات أبوه وهو صغير . ورباه أعمامه ، ومال إلى
البطالة وقول الشعر ، ومات ولم تزد سنه على ست وعشرين سنة (٣) عمرو بن هند : آل إليه
الملك بعد قتل أبيه ، وقد ولـى إمارة الحيرة من سنة ٥٦٣ - ٥٧١ م (٤) الرغوث : كل مرضعة .
وتخور : تصريح (٥) الكشح : الخضر ، والأهضم : الدقيق (٦) العسيب : جريدة من التخل
مستقيمة دقيقة يكتظ خوصها ، وسرارة الروضة : خير منابتها . وملهم : موضع كثير التخل ، شبه
كشحه الأهضم بجريدة تخـل من خيار تخـل هذا المـسكن .

فذهبوا فرًا في طريقهما بشيخ لم يرُ قهْمًا أمره ؛ فقال المتس : مارأيت شيخًا كاليم أحقَ من هذا ! فقال الشيخ : مارأيت من حقي ؟ وإن أحقَ مني منْ يحملُ حثنه بيده ، وهو لا يدرى !

فاستَراب المتس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة ، فقال المتس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ! فقضى الصحفة ، وقرأها فإذا فيها :

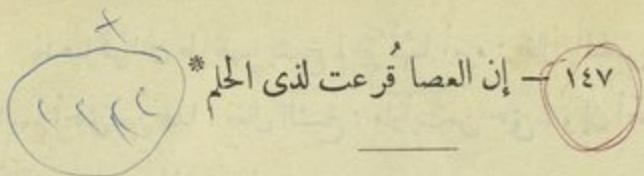
« إذا أتاك كتابي هذا مع المتس فاقطعْ يديه ورجليه وادفعه حيا » !

قال اطرفه : ادفعْ إليه صحفتك ، فإن فيها مثلَ هذا ! فقال : كلا ! لم يكن ليجترى على ! فقدَ المتس بصحفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في اليم من جنبِ كافر^(١) كذلك أفنوا^(٢) كلَّ قطْ مُضَلٌ
رضيتُ لها بالماء لما رأيتها يجولُ بها التيار في كل جدول
ثم مضى المتس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام ؛ وذهب طرفة إلى عامل
البحرين ، فأعطاه صحفته ، فقصده من أكحليه؛ فنرف^(٣) حتى مات !

(١) كافر : نهر بالجزيرة (٢) أفنوا : أجازى وأكاف ، والقط : الصك (لسان العرب - مادة فنا)

(٣) نرف دمه : سال حتى أفرط . والأكحل : عرق في اليد يقصد .



١٤٧ — إن العصا قرعت لذى الحلم*
لقي النعان بن المنذر^(١) سعدَ بن مالك ، ومعه خيل بعضُها يقاد ، وبعضها
أُغْرِأَءَ مهملاً ، فلما انتهى إلى النعان سأله عنها ، فقال سعد: إنِّي لَمْ أُقْدِهْ هَذِهِ لِأَمْنِعَهَا ،
ولَمْ أُغْرِهْ هَذِهِ لِأَضْيِعَهَا^(٢) .

فَسَأَلَهُ النعان عن أرضه: هل أصابها غَيْثٌ يَحْمِدُ أَثْرَهُ ، وَيَرْوِي شَجَرَهُ؟
فَقَالَ سعد: أَمَا الْمَطَرُ فَغَزِيرٌ ، وَأَمَا الْوَرْقُ فَشَكِيرٌ^(٣) ، وَأَمَا النَّافِدَةُ فَنَاهِرَةٌ^(٤) ،
وَأَمَا الْحَازِرَةُ فَشَبَّعِي نَائِمَةٌ .

فَقَالَ النَّعْمَانُ - وَحَسِدَهُ عَلَى مَا رَأَى مِنْ ذَرَبِ لِسانِهِ - وَأَبَيَكَ إِنْكَ لَمْفَوْهُ ،
إِنْ شَدَّتَ أَنْيَتِكَ بِمَا تَعْيَاهُ عَنْ جَوَابِهِ . فَقَالَ: شَدَّتْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِفْرَاطٌ .
فَأَمْرَ النَّعْمَانَ وَصِيفًا فَلَطَمَهُ - وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَدَّ فِي الْقَوْلِ فِي قِتْلَهُ - فَقَالَ:
مَا جَوَابُ هَذِهِ؟ فَقَالَ سعد: سَفِيهٌ مَأْمُورٌ^(٥) . قَالَ النَّعْمَانُ لِلْوَصِيفِ: الْطَمَهُ أُخْرَى
فَلَطَمَهُ . وَقَالَ: مَا جَوَابُ هَذِهِ؟ قَالَ: لَوْ نُهِيَّ عَنِ الْأُولَى لَمْ يَعْدْ لِلْآخِرِيِّ^(٦) .

فَقَالَ النَّعْمَانُ: الْطَمَهُ أُخْرَى فَقَعْلٌ . فَقَالَ: مَا جَوَابُ هَذِهِ؟ فَقَالَ: رَبُّ
يُؤَدَّبُ عِبَدَهُ^(٧) . فَقَالَ: الْطَمَهُ أُخْرَى ، فَقَعْلٌ . فَقَالَ: مَا جَوَابُ هَذِهِ؟ فَقَالَ:
مَلَكَتْ فَأَسْبَحَ^(٨) . فَقَالَ النَّعْمَانُ: أَصْبَتَ فَاقْعَدَ؛ فَكَثُتْ عَنْهُ مَا مَكَثَ .

* الأمثال ص ٣٣ ج ١ ، بلوغ الأربع من ٣٣ ج ١

(١) انظر صفحة ١٦١ (٢) لا يهبهـا (٣) شكيرـ: صغير لم يكبرـ (٤) النافدةـ: القـ
نددتـ من المـزالـ (٥) الحازرةـ: حـزـرةـ المـالـ: خـيـارـهـ (٦) سارتـ أمـثالـ (٧) الإـسـباحـ:
حسنـ العـفوـ .

١٧) ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرتد له السكلاً . فبعث عمرو بن مالك أخاه سعد بن مالك ، فأبطا عليه فأغضبه ذلك . فأقسم لئن جاء حامداً للسكلأ أو ذاماً ليقتلنه .

١٨) فلما قدم عمرو دخل على النعمان ، وعنه الناس وسعد قاعد لديه مع الناس ، وكان قد عرف ما أقسم به النعمان من يمينه ؟ فقال سعد : أتأذن لي فأكلمه ؟ قال : إن كلمتَه قطعتْ لسانك . قال : فأشير إليه ؟ قال : إن أشرتَ إليه قطعتْ يدك . قال : فأومنُ إليه ؟ قال : إذن أزع حدقتيك . قال : فاقرع له العصا ؟ قال : اقرع .

فتناول عصا من بعض جلسايه فوضعها بين يديه ، وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قاسم ، فครع بعصاه المصاص الأخرى قرعة واحدة ؛ فنظر إليه أخوه ؛ ثم أومأ بالعصا نحوه فعرف أنه يقول : مكانك . ثم قرع العصا قرعة واحدة ، ثم رفها إلى السماء ، ثم مسح عصاه بالأخرى ؛ فعرف أنه يقول : قل له : لم أجد جدباً . ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً ؛ فعرف أنه يقول : ولا نباتاً . ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان ؛ فعرف أنه يقول : كلامه .

فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان . فقال له النعمان : هل حمدتَ خصباً ، أو ذمتَ جدباً ؟ فقال عمرو : لم أذم جدباً ، ولم أح مد بقلاء ؛ الأرض مشكلة لا خصباً يُعرف ، ولا جدبها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف .

قال النعمان : أولى لك . بذلك نجوت ، فنجا !

* فطرة ١٤٨ —

اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر :
وعيشك يارسول الله ماسجدت لصنم قط ؟ فغضب عمر بن الخطاب ، وقال : تقول :
وعيشك يارسول الله ماسجدت لصنم قط ، وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة ؟
فقال أبو بكر : ذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي ، فانطلق بي إلى مخدع
فيه الأصنام ، فقال لي : هذه آهلك الشم العوالى ، فاسجد لها ، وخلاني وذهب .
فدنوت من الصنم ، وقلت له : إني جائع فأطعمني ، فلم يجبنى . قلت : إني
عطشان فاسقنى ، فلم يجبنى . قلت له : إني عار فاكسنی . فلم يجبنى . فأخذت
صخرة ، وقلت : إني ملقي هذه الصخرة عليك ، فإن كنت إلهًا فامن نفسك ، فلم
يجبني . فألقيت عليه الصخرة ، فخر لوجهه ، فأقبل والدى ، وقال : ما هذا يابنى ؟
فقلت : هو الذى ترى !

فانطلق بي إلى أمى ، فأخبرها ، قالت : دعه ، فهذا الذى ناجانى به الله !
فقلت : يا أماه ؟ ما الذى ناجاك به الله ؟ قالت : ليلة جاءنى الخاض لم يكن عندي
أحد ، فسمعت هاتقا يهتف ، فأسمع الصوت ، ولا أرى الشخص ، وهو يقول :
يا أمة الله أبشرى بالولد العتيق ، اسمه في السماء صديق !

١٤٩ / حدب على إخوته *

لما ولد سعيد بن العاص ^(١) عمرو ، وترعرع ^(٢) ، تفرّس فيه النجابة ، وكان يفضله على ولده ؛ فجمع بنيه - وكانت يومئذ أكثـر من خـمسة عشر رجلاً - ولم يدع عمرًا مـعهم ، وقال : يا بـنـي ، قد عـرفـتـم خـبرـةـ الـوالـدـ بـولـدـهـ ، وـإـنـ أـخـاـكـ عـمـراـ لـذـوـ هـةـ وـأـعـدـةـ ^(٣) ، يـسـمـوـ جـدـهـ ، وـيـبـعـدـ صـيـطـتـهـ ، وـتـشـتـدـ شـكـيمـتـهـ ، وـإـنـ آـمـرـكـ إـنـ نـزـلـ بـيـ منـ الـمـوـتـ مـالـاـ تـحـيـصـ عـنـهـ أـنـ تـظـاهـرـهـ وـتـواـزـرـهـ وـتـفـزـرـهـ ، فـإـنـكـ إـنـ فـعـلـتـ ذـلـكـ يـقـاـلـ بـكـ الـكـرـامـ ، وـيـخـنـاـ ^(٤) عـنـكـ اللـثـامـ ، وـيـلـبـسـكـ عـزـاـ لـاـتـهـجـهـ ^(٥) الـأـيـامـ .
فـقـالـواـ جـيـعـاـ : إـنـكـ تـؤـرـهـ عـلـيـنـاـ ، وـتـحـابـيـهـ دـوـنـنـاـ . فـقـالـ : سـأـرـيـكـ مـاـ سـتـرـهـ الـبـغـىـ عـنـكـ ، وـصـرـفـهـ ؛ ثـمـ أـمـهـلـهـ ، حـتـىـ ظـنـ أـنـ قـدـ ذـهـلـوـ عـمـاـ كـانـ .

— وـرـاـهـقـ عـرـوـ الـبـلـوغـ ، وـاسـتـدـعـاـهـ دـوـنـهـ ، فـلـماـ حـضـرـوـاـ قـالـ : يـاـ بـنـيـ ، أـلـمـ تـرـواـ إـلـىـ أـخـيـكـ عـمـرـوـ ، فـإـنـهـ لـاـ يـرـالـ يـلـحـفـ فـيـ مـسـائـلـ مـالـيـ ، فـأـحـسـنـ عـلـيـهـ لـصـغـرـهـ ، إـلـىـ أـنـ اـسـتـبـثـتـ أـنـ أـمـهـ بـاغـيـتـهـ عـلـىـ ذـلـكـ ، فـزـجـرـتـهـ فـلـمـ تـسـكـفـ ، وـقـدـ جـاءـ يـسـأـلـيـ الـصـمـصـامـةـ ^(٦) ، كـأـنـ لـاـ وـلـدـ لـيـ غـيرـهـ ، وـقـدـ عـزـمـتـ عـلـىـ أـنـ أـقـسـمـ مـالـيـ فـيـكـ دـوـنـهـ !
فـقـالـواـ كـلـهـمـ : يـاـ بـانـاـ ؛ هـذـاـ عـمـلـكـ يـاـشـارـكـ لـهـ عـلـيـنـاـ ، وـاـخـتـاصـكـ إـيـاهـ دـوـنـنـاـ .

* أـبـانـاءـ نـجـباءـ الـأـبـانـاءـ صـ ٩٩

(١) سـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ : صـحـابـيـ مـنـ الـأـمـرـاءـ الـوـلـاـةـ الـفـاتـحـيـنـ ، وـلـاهـ عـيـانـ السـكـوـفـةـ وـهـوـ شـابـ ، وـكـانـ قـوـيـاـ فـيـهـ تـحـيـرـ وـشـدـةـ تـوـفـيـتـهـ ٥٩٥ـ هـ (٢) تـرـعـرـعـ : شـبـ (٣) رـجـيـ خـيـرـهـ ، وـيـقالـ شـجـرةـ وـأـعـدـةـ : إـذـاـ ظـهـرـ لـرـأـيـهـ أـنـ قـدـ حـانـ إـنـارـهـ (٤) يـخـنـاـ : يـعـدـ وـيـطـرـدـ (٥) لـاـخـلـهـ (٦) الـصـمـصـامـةـ : يـرـيدـ سـيـفـ عـمـرـوـ بـنـ عـدـ يـكـرـبـ الـزـيـدـيـ الـذـيـ يـضـرـبـ بـهـ الـمـشـلـ ، وـكـانـ فـيـهـ يـقـالـ قـدـ صـارـ إـلـىـ سـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ .

قال : يابني ، والله ما آثرته دونك بشيء من مالي قط ، وما كان ما قلته
لكم إلا اختلافاً ، تساهلت فيه لما أملأته من صلاح أمركم .

ثم قال : ادخلوا المخدع ، فدخلوا ، ثم أرسل إلى عمرو فأحضره ، فلما حضر

قال : يابني إني عليك حدب مشق لصغر سنك ، ونفاسة إخوتك على مكانك مني ،
وإني لا آمن بفتة الأجل ، ولـ كنز ادخرته لك دون إخوتك ، وهـ آنذا مطلعك
عليه ، فـ أكتـ أمره .

قال : يا بـ ؟ طـ عـ رـ ؟ ، وـ عـ لـ أـ مـ رـ ؟ ، وـ إـ نـ لـ أـ رـ جـ وـ أـ نـ يـ طـ يـ لـ يـ بـ الـ إـ مـ تـ ؟
فـ أـ مـ ذـ كـ رـ تـ مـ شـ آـنـ الـ كـ نـ ؟ فـ مـ يـ عـ جـ بـ نـ أـ نـ قـ طـ دـ وـ نـ إـ خـ وـ تـ أـ مـ رـ ، وـ أـ زـ درـ عـ
فـ صـ دـ رـ هـ غـ مـ رـ ^(١) .

قال : انصرف يابني ، فـ دـ اـ كـ أـ بـ وـ كـ ، فـ وـ اللهـ مـ الـ مـ لـ مـ كـ نـ ، وـ لـ كـ نـ أـ رـ دـ ؟
أـ بـ لـ وـ رـ أـ يـ كـ فـ إـ خـ وـ تـ كـ ، وـ بـ يـ أـ يـ كـ .

فـ اـ نـ طـ لـ قـ عـ رـ ، وـ خـ رـ جـ إـ خـ وـ تـ مـ الـ مـ خـ دـ ، فـ اـ عـ تـ ذـ رـ وـ رـ إـ لـ أـ يـ هـ مـ وـ أـ عـ طـ وـ هـ مـ وـ ثـ قـ ؟
عـ لـ اـ تـ بـ اـ عـ مـ شـ وـ رـ تـ هـ .

(١) الفمر : الضفن والحدف .

* ١٥٠ — نافرني إلى فتاك فإنه نجيب

كان العباس بن عبد المطلب نديماً لأبي سفيان بن حرب في الجاهلية على شراب، ومعاوية يسقيهما ، وهو إذ ذاك غلامٌ ؛ فلما أخذت الحمر منها تغنى العباس بشعر ابن كعب الخزاعي - وكان قد جاور بني سهم في سنة شديدة ، وله بنات ، فبرموا به ، وأظهروا له ذلك ! فخرج عنهم وتحول هو وبناه يحملن الأناث على ظهورهن ، فقال:

يأيها الرجلُ الْحَوْلُ رَخْلَةُ
هلاً نَزَلتَ بَالَّ عَبْدَ مَنَافَ
هَبْلَتَكَ أَمْكَ (١) لَوْ نَزَلتَ إِلَيْهِمْ
ضَمْنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ (٢)
الْأَخْذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا (٣)
وَالظَّاعُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيلَافَ
حَتَّى يَعُودَ فَتَيْرُهُمْ كَالْكَافَ
وَالْمَلْحُوقُونَ فَقَتَيرُهُمْ بَغْنِيهِمْ
وَالرَّائِشُونَ (٤) وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشَ
وَالضَّارُّ بُونَ الْجَيْشَ يَرْقِيْضُهُ (٥)
وَالْمَانِعُونَ الْبَيْضُ (٦) بِالْأَسِيَافَ
وَرَجَالُ الْعَلَاءِ (٧) هَشْمُ التَّرِيدِ لِقَوْمِهِ
عَجَافُ

* أبناء نجيبة الأبناء من ٦٢

(١) الهبل : النافل والملائكة ، والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها ، ولا تزيد بها شرا ، وقد تجريها مجرى المدح عند استطام الأمر ، أو تجريها مجرى الحض على العمل والقول (٢) الإقرار هنا : تغيير المatum ، وضئولة الجسم (٣) أخذوا المهد من ملوك الشام ، والحبشة ، واليمن ، والعراق ، فتوجهت قريش لتجارتها في هذه الوجهة (٤) الرائشون : الجاعلون لذوى الفاقة ريشا ، والريش والرياش : أصله اللباس ، ثم استعمل لاعطية المطلقة (٥) الْأَيْضُ : السيف وجعه يض (٦) يضنة كل شيء حوزته (٧) كانت قريش قد أصابتها سنة فنالت منهم قاتل هاشم بن عبد مناف - واسمه عمرو - إلى الشام ، فأوقر عيرا من скمعك ، وقدم بها مكة ، ونحر الإبل وطبع لحومها ، ثم هشم ذلك скمعك فسمى هاشما وغلب على اسمه (٨) مستنون : أصابتهم السنة ، وهي الشدة والجاءعة.

وإذا معد حصلت أنسابها فهم لعمرك جوهر الأصداف
فحمي أبوسفيان لما سمع هذا الشعر ، وجعل يعدد ما آثر حرب بن أمية ، وما آثر
نفسه ، وتناقلًا ^(١) في المفارقة إلى أن قال له العباس : نافرنى ^(٢) إلى فتاك هذا ، فإنه
نجيب - يعني معاوية - فقال أبوسفيان : قد فعلت - هذا وهندي تسمع - فاهتبلت ^(٣)
الفرصة ، وأنشأ تقول مخاطبة لابنها معاوية :

اقض - فذك فقسى - لآل عبد شمس

فهم سرآة الحُمْس ^(٤) على قديم الحرَس ^(٥)

قطعلم معاوية قوله ، وقال :

صه ^(٦) يابنة الأكارم عبد شمس ^(٧) هاشم

هما برغم الراغم كانا كغَرْبَنِي ^(٨) صارم

فلا سمع العباس وأبوسفيان مقالة معاوية ابتدراه أيهما يتناوله قبل صاحبه ،
فتتعاوناه ضمًّا وتقبلا ، وافتقد راضين .

(١) المفارقة في الكلام : أن يقول هذا مرة وهذا مرة فيتداول الكلام بينما (٢) المفارقة :
الحاكمة (٣) اهتبلت الفرصة : انتهزتها فبادرت إليها (٤) السراة : جمع سرى ، ومرأة القوم :
خيالهم . والمحس : قريش وخزاعة ، وكل من قارب مكة من قبائل العرب (٥) الحرس : الدهر
(٦) صه : أمر بالسكتوت (٧) يزيد أنهما كالشيء الواحد (٨) الغربان : الحدان ، والصارم : السيف
القاضع .

١٥١ — أنا أعلم بقريش من قريش*

لما قدم معاوية^(١) المدينة منصرفاً من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كساً وطيبٍ وصلاتٍ من المال ؛ ثم قال لرسوله : ليحفظ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمعُ من الردّ .

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّسُولُ مِنْ عَنْدِهِ ، قَالَ لِمَنْ حَضَرَ : إِنْ شَئْتُمْ أَنْتُنَا كُمْ بِمَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ ؟ قَالُوا : أَخْبَرْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : أَمَا الْحَسَنَ فَلَعْلَهُ يَنْهَا نِسَاءُ شَيْئاً مِنَ الطَّيِّبِ ، وَيُنْهِبُ مَا يَقِي مِنْ حَفَرَةٍ ، وَلَا يَنْتَظِرُ غَايَةً .

وَأَمَا الْحَسِينَ فَيَبْدُأُ بِأَيْتَامِ مِنْ قُتْلَةِ أَبِيهِ بَصِيفَيْنِ ؛ فَإِنْ بَقَى شَيْءٌ نَحْرَ بِهِ الْجُزُرُ وَسَقَى بِهِ الْمَنِ .

وَأَمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ فَيَقُولُ : يَا بَدِيعَ^(٢) ! اقْضِ بِهِ دِينِي ؛ فَإِنْ بَقَى شَيْءٌ فَانْفَذْ بِهِ عِدَاتِي^(٣) .

وَأَمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍ ؛ فَيَبْدُأُ بِفَقَرَاءَ عَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ ؛ فَإِنْ بَقَى شَيْءٌ ادْخُرهُ لِنَفْسِهِ ، وَمَانَ^(٤) بِهِ عِيَالَهِ .

* عيون الأخبار ص ٤٠ ج ٣

(١) أسلم معاوية عام الفتح ، وكتب لبني صهي الله عليه وسلم ، وولى الشام لعمر وعشرين سنة وولى الخلافة سنة ٤١ ، وتوفي سنة ٦٠ هـ (٢) بديع : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر

(٣) جمع عدة (٤) مانه : قام بكفایته .

وَمَا عَبَدَ اللَّهُ بْنَ الْزَّيْرَ؛ فِي أَتَيْهِ رَسُولًا، وَهُوَ يَسْتَبْحُ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ
يَعَاوِدُهُ الرَّسُولُ، فَيَقُولُ لِبَعْضِ كُفَّارَتِهِ: خَذُوا مِنْ رَسُولِ مَعَاوِيَةَ مَا بَعْثَتَ بِهِ، وَصَلَّهُ
اللَّهُ، وَجَزَاهُ خَيْرًا، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَهِيَ أَعْظَمُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أَحَدٍ، ثُمَّ يَنْصُرُ فَرِيقَ
إِلَى أَهْلِهِ، فَيُعَرِّضُهَا عَلَى عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: ارْفَعُوهَا؟ لَعَلَّى أَعُوذُ بِهَا عَلَى ابْنِ هَنْدٍ
يَوْمًا مَّا .

وَمَا عَبَدَ اللَّهُ بْنَ صَفْوَانَ فَيَقُولُ: قَلِيلٌ مِّنْ كَثِيرٍ، وَمَا كُلُّ رَجُلٍ مِّنْ قَرِيشٍ
وَصَلَّى إِلَيْهِ كَهْدَنَا، رُدُّوا عَلَيْهِ؟ فَإِنْ رَدَ قِبْلَنَا هَا .

فَرَجَعَ رَسُولُهُ مِنْ عِنْدِهِمْ بِنَحْوِ مَا قَالَهُ مَعَاوِيَةُ؟ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: أَنَا ابْنُ هَنْدٍ !
أَعْلَمُ بِقَرِيشٍ مِّنْ قَرِيشٍ !

١٥٢ — أو قد جئنِي سالمًا *

لما أَسْنَ معاوية^(١) اعتراه أرق^{*} ؛ فكان إذا هوم^(٢) أيقظته نوقيس الروم ، فلما أصبح يوماً ، ودخل عليه الناس ، قال : يامعشر العرب ؟ هل فيكم فتى يفعل ما أمره ، وأعطيه ثلاثة ثلات ديات^{*} أعجلها له ، وديترين إذا رجع ؟ فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين .

قال : تذهب بكتابي إلى ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذنت ! قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال : لقد كانت صغيراً ، وآتيدت كبراً ! فكتب له وخرج ؛ فلما صار على بساط قيسر أذن ؛ فتناوله^(٣) البطارقة ، واخترطوا^(٤) سيفهم ؛ فسبق ملك الروم ، فجثا عليه ، وجعل يأسلم بحق عيسى وبحقه عليهم أن يكفوا .

ثم ذهب به حتى صعد على سريره ، ثم جعله بين يديه ؛ ثم قال : يامعشر البطارقة ؛ إن معاوية رجل قد أَسْنَ ، وقد أرق ، وقد آذنه النوقيس ؛ فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منا ببلاده على النوقيس ؛ والله ليرجع عن إليه بخلاف ماضن . فكساه وحمله ؛ فلما رجع إلى معاوية قال : أو قد جئنِي سالمًا ؟ قال : نعم .

* عيون الأخبار ص ١٩٨ ج ١

(١) أَسْنَ : كبرت سنها (٢) الهموم : هز الرأس من الناعس : (٣) تاجروا : الماجرة المقاتلة (٤) اخترط السيف : استله .

* ١٥٣ - الأحنف يفحم معاوية

جلس معاوية يوماً ، وعنه وجوه الناس ؛ وفيهم الأحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه ، فأطرق الناس ، وتكلم الأحنف^(١) ، فقال : يا أمير المؤمنين ؟ إن هذا القائل لو علِمَ أن رضاك في لعن المسلمين للعَذَمَ ، فاتقِ الله ، ودَعْ علىَ ؛ فقد لقى الله ، وأفرد في حُفرَتِه ، وخلا بعمله ، وكان والله - ماعلمنا - الطاهر في خُلقِه ، الميمون النقيبة ، العظيم المصيبة .

قال معاوية : يا أحنف ! لقد أغصَّتَ العينَ على القذى ، وقلتَ بغير ما ترى ، وایم الله لن تصعدَ المنبر فلتَلعنَنَه طائعاً أو كارهاً !

قال الأحنف : إن ثُغْرِي فهو خيرٌ ، وإن تجبرْنِي على ذلك فواهـة لا تجري به شفتـاي !

قال معاوية : قم فاصعد ! قال : أما والله لا نصفنك في القول والفعل .

قال معاوية : وما أنت قائل إن أنصفتني ؟ قال : أصعد فآمـد الله وأثـنى عليه ، وأصلـى على نبيـه ، ثم أقول : أيـها النـاس ، إن مـعاـويـة أـمـرـنـي أـنـ لـعـنـ عـلـيـاـ ، أـلـاـ وـإـنـ عـلـيـاـ وـمـعاـويـةـ اـخـتـلـفـاـ وـاقـتـلـاـ ، وـادـعـيـ كلـ واحدـ مـنـهـ أـنـ مـبـغـيـ عـلـيـهـ وـعـلـيـ فـعـيـهـ ؛ فـإـذـا دـعـوتـ فـأـمـنـوا رـحـمـكـ اللـهـ ، ثم أـقـولـ :

* نهاية الأربب ص ٢٣٧ ج ٧

(١) الأحنف بن قيس : سيد قيم ، وأحد العظام الدهاء الفص-SAء الشجعان الفائعين ، يضرب به المثل في الحلم ، ولد بالبصرة ، وتوفى سنة ٦٧ هـ .

اللهم أنت وملائكتك وأنبياؤك ورسلك ، وجميع خلقك الباقي منهم
على صاحبه ، والقمة الباقي على المبعي عليها ، آمين يا رب العالمين !
فقال معاوية : إذن نعفيك يا أبا بحر !

* ١٥٤ — نوطى عليه يامزين التماعا *

كان معاوية ولد مصطفى اسمه عبد الله ، فبينما معاوية جالس مع أم عبد الله
مررت بهما أم يزيد - وهي ميسون بنت بحدل السكاكية - فهزت بها أم عبد الله ؛
فقال معاوية : أما والله إن ولدها خير من ولدك ، فقالت : لا والله ، ولكنك
تحب ولدها وتحابيه ، فقال : سأريك ذلك عيانا . ثم أرسل إلى ابنها فجاء فقال له :
يا عبد الله ؛ إن قاض لك كل حاجة فاذكر حوالجك كائنة ما كانت ، فقال :
يا أمير المؤمنين : اشتري حمارا ، فقال له : يابني أنت حمار وأشتري لك حمارا ؟
ثم استحضر يزيد ، فلما حضر قال : يابني ، إن أمير المؤمنين قد بسط لك
أمله ، فاذْكُر حاجتك إن كانت لك حاجة . فاستقبل القبلة ثم سجد ، ثم رفع
رأسه ، وقال : الحمد لله على جميل رأى أمير المؤمنين في ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ،
اجعل إلى العهد ! فقال معاوية : نعم ونعمان عين ، وليتك عهدى .

—
فسجد وحمد الله سبحانه ، فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : نعم

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَزِيدُ كُلَّ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الشَّامِ عَشْرَةً دَنَارًا فِي عَطَائِهِ ، وَتَعْلَمُهُمْ أَنْ
ذَلِكَ بِشَفَاعَتِي . قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ . فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَفْرُضُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَوْلَادِهِ مَنْ قُتِلَ مَعَهُ بِصَفَّيْنِ وَغَيْرِهَا . قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ . فَهَلْ غَيْرُ
هَذَا . فَحَمْدَهُ يَزِيدُ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، وَيَجْعَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَزَوْهُ هَذَا الْعَام
إِلَى ؛ لِأَفْتَحَ أَمْرِي بِتَجْهِيزِ الْجَيْشِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ .
فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ يَزِيدَ قَدْ حَصَلَ عَلَى الْخِلَافَةَ قَالَتْ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْلَمُ وَأَهْدَى لَوْلَاهُ فَأَوْصِهِ بِي وَبِوْلَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ قَامَ يَزِيدٌ يَدْعُو لِوَالَّدِيهِ
وَهُوَ مَوْلَ ، فَتَمَثَّلَ مَعَاوِيَةُ بِقَوْلِ الْقَاتِلِ :
إِذَا مَاتَ لَمْ تُقْلِحْ مَزِينَةً بَعْدَهُ فَنَوِّطِي عَلَيْهِ يَا مُزَيْنَ التَّمَاماً

١٥٥ — ذكاء ابن عباس *

يَدِنَا إِبْنُ عَبَّاسٍ^(١) فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَعِنْهُ نَافعُ بْنُ الْأَزْرِ وَنَاسٌ مِّنَ الْخَوَارِجِ
يَسْأَلُونَهُ إِذَا أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي ثَوَّبَيْنِ مَصْبُوْغَيْنِ مُوَرَّدَيْنِ حَتَّى دَخَلَ
وَجَلَسَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِبْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشَدْنَا، فَأَنْشَدَهُ:

أَمِنْ أَلْ نَعْمَ أَنْتَ غَادِ قَبْكِرْ^(٢) غَدَاهَ غَدِ أَمْ رَائِحَ فَهَجَرْ^(٢)
حَتَّى أَنِّي عَلَى آخِرِ الْفَصِيدَةِ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ نَافعُ بْنُ الْأَزْرِ فَقَالَ: اللَّهُ يَا إِبْنَ
عَبَّاسَ! إِنَّا نَضَرْبُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبْلِ مِنْ أَفَاقَيِ الْبَلَادِ نَسْأَلُكَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
فَتَشَاقَّلُ عَنَا، وَيَأْتِيكَ غَلَامٌ مُتَرْفٌ مِّنْ مَتْرَفِ قَرِيشٍ فَيَنْشَدُكَ:

رَأَتْ رِجَلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزَى وَأَمَا بِالْعَشَى فَيَغْسِرُ

فَقَالَ: لَيْسَ هَكَذَا قَالَ . قَالَ: فَكَيْفَ قَالَ؟ فَقَالَ: قَالَ:

رَأَتْ رِجَلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْعَى وَأَمَا بِالْعَشَى فَيَخْصَرُ^(٣)

قَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا وَقَدْ حَفِظْتَ الْبَيْتَ: قَالَ: أَجَلْ! وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَنْشَدَكَ

الْفَصِيدَةَ أَنْشَدْتَكَ إِيَاهَا، قَالَ: فَإِنِّي أَشَاءَ، فَأَنْشَدَهُ الْفَصِيدَةَ حَتَّى أَنِّي عَلَى آخِرِهَا^(٤)

وَمَا سَمِعْتَهَا قَطْ إِلَّا تِلْكَ الْمَرَةَ صَفْحًا^(٥).

* الْأَغْنَى مِنْ ٧٢ ج ١

(١) هو ثانى ولد العباس بن عبد المطلب ، توفي رسول الله وسننه ثلاث عشرة سنة ، وكان عليه السلام يحبه ودعاه فقال : الالمم عليه التأويل ، فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه في الدين على ما أوتيه من لسان طلق ذلق ، توفي سنة ٦٨ هـ (٢) هجر : سارف المهاجرة ، والمهاجرة : شدة الحر (٣) يضحي : يطمر للشمس ، وعارضت : قابات ، وختصر : يبرد (٤) كان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئاً قط إلا رويته ، وإن لا يسمع صوت الناتحة فأسد أذني كراهة أن أحافظ ما تقول (٥) صفحًا : مروراً.

١٥٦ — عمران بن حطآن يتنقل في القبائل *

لما أطربَ^(١) الحجاجُ عمرانَ^(٢) بن حطآنَ كان يتنقلُ في القبائلِ، فكان إذا
نزلَ في حَيٍ انتسبَ نسبياً يقربُ منهِ .

ثم خرج حتى نزلَ عند روح بن زنباع الجذامي ، فاتمى له من الأزد ،
وكان روح يقرى الأضيافَ ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً^(٣) عندهِ ؛
وكان روح لا يسمع شعراً نادراً ، ولا حدثاً غريباً عندَ عبد الملك ثم يسألُ عنهِ
عمران بن حطآنَ إلا عرفه وزاد فيه ، فذكر ذلك عبد الملك ، فقال : إن لي جاراً
من الأزدِ ما أسمعُ من أمير المؤمنين خبراً ولا شعراً إلا عرفه وزاد فيه ! فقال :
خبرني ببعض أخباره ؛ فأخبره وأنشده ؛ فقال : إن اللغة عدنانية ، وإنني لأحس بهِ
عمران بن حطآن !

ثم تذاكرروا الليلة قولَ^(٤) عمران بن حطآن يمدح ابن ملجم^(٥) :

يا ضربةً من تقىٰ ما أرادَ بها إلا ليبلغَ من ذى العرشِ رضوانا
إنى لاذكره حيناً فأحسبهُ أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزاناً

* رغبة الآمل من ٨٤ ج ٧ ، السكامل ص ١٠٨ ج ٢

(١) أطربه : أمر بطرده ، وإخراجه عن البلد^(٢) كان عمران بن حطآن رجل علم وحديث ،
أدرك صدرًا من الصحابة وروى عنهم ، ولما قام الخلاف بين أصحاب علي زعم فرقه من الخوارج
اصبها القعد ، وأصبح خطيبها وشاعرها ، ومات سنة ٨٤ ه بالكوفة^(٣) أثيراً : مكرماً
عنه (٤) قلب الفقيه الطبرى فقال :

يا ضربة من شقى ما أراد بها إلا ليهدم من ذى العرش بنياناً
إنى لاذكره يوماً فاغتنمه إيهما وألمع عمرات بن حطاناً

(٥) ابن ملجم : قاتل على بن أبي طالب .

فلم يدرِ عبد الملك مَنْ هو ! فرجم رُوح إلى عمران فسأله عنه ! فقال : هذا يقوله
عمران بن حيطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتلَ علىَ بن أبي طالب .

فرجم روح إلى عبد الملك ، فأخبره ؛ فقال له عبد الملك : ضيفك عمران
ابن حيطان ! اذهب فِجْئُني به ، فرجم إليه ؛ فقال : إن أمير المؤمنين قد أحبَ
أن يراك . قال عمران : قد أردتُ أن أسألك ذلك ؟ فاستحييتُ منك فامض ،
فاني بالآخر ؟ فرجم روح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال عبد الملك : أما إنك سترجم
فلا تجده ؟ فرجم وقد ارتجل عمران ، وخلف رُقْمَةً فيها :

يا روح كم من أخي مثويٌ^(١) تزرت به قد ظنَ ظنك من لغمٍ وغضانٍ
حتى إذا خفتُه فارقت منزله
من بعد ما قيلَ عمران بن حيطان !
قد كنتُ جازكَ حولاً ما تروي عنى
فيه روايٌ^(٢) من إنسٍ ومن جانٍ
حتى أردتَ بي العظمى^(٣) فأدركتني
ما أدرك الناسَ من خوفِ ابن مروان
فأعذرُ أخاك - ابن زباغ - فإن له
في النباتاتِ خطوباً^(٤) ذاتَ الوانِ
وإنتَ لقيتُ معدّيَاً فعدّتَناني
يوماً^(٥) يمانِ إذا لقيتُ ذا يَنِ
لو كنتُ مستقرراً يوماً لطاغية^(٦)
كنتَ المقدمَ في سرىٍ وإعلانِ
لكنْ أبْتَ^(٧) لي آياتٍ مطهرةٌ

(١) المثوى : منزل الضيافة ، وأخي : صاحب ، وظن ظنك :رأى وأياك من أني رجل هين ،
ولهم وغان من اليمن من كهملان (٢) روائع : الخوف ، والواحدة رائعة (٣) العظمى
ألاء عبد الملك ، إذ كان حرباً على الحوارج (٤) الخطوب : الأمور العظيمة (٥) يقول :
أنا يوماً يان على الرفع ، يريد أنه متقل (٦) أى لنفس طاغية : أو يريد بالطاغية المذكر وزاد
الباء للتوكييد والبالغة كرواية وعلامة ونسبة . والطاغية : الجبار (٧) أبْتَ لى : معنني الاستغفار
لك . وطه وعمران : سورتان في القرآن ، وكانت الحوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

ثم ارتحل حتى نزل بزُورَ بن الحارث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب؛ فانتسب له أوزاعيا^(١)؛ وكان عمران يطيل الصلاة، وكان غلاماً من بنى عامر يضحكون منه؛ فأناه رجل يوماً من رأه عند روح بن زنباع؛ فسلم عليه، فدعاه زُورَ، فقال: من هذا؟ قال: رجل من الأذد رأيته ضيفاً لروح بن زنباع. فقال له زور: ياهذا؟ أزديا مرة وأوزاعيا مرة؟ إن كنت خائفاً آمناك، وإن كنت فقيراً جبرناك.

فَلَمَا أَمْسَى هَرَبَ ، وَخَلَفَ فِي مَنْزِلِهِ رُؤْمَةً فِيهَا :

إِنَّ الَّتِي أَصْبَحَتْ يَعِيَا بِهَا زُورَ
أَعْيَتْ عَيَاءً^(٢) عَلَى رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعَ
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبَرُهُ
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ^(٣) وَخَدَاعٍ
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ^(٤) عَنِ وَسَائِلِهِ
كَفُّفَ كَافَّ عَنِي ؛ إِنِّي رَجُلٌ
كَفُّفَ اسْأَلَكَ عَنْ لَوْمِي وَمَسَأَلَتِي
كَفُّفَ السُّؤَالَ وَلَمْ يُولَمْ بِإِهْلَاعِ^(٥)
إِنِّي رَجُلٌ^(٦) ، وَإِنِّي فَقِيمُ الْقَاعِ
مَاذَا تَرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعِ^(٧) ؟
كُلُّ أَمْرِيٍّ لِلَّذِي يُعْنِي بِهِ سَاعَ
أَكْرَمُ بِرَوْحِ بْنِ زِنْبَاعِ وَأَسْرَتِهِ
قَوْمُ دَعَا أُولَئِمَ^(٨) لِلْعَلَادَ دَاعِ
جَاؤْرَتِهِمْ سَنَةً فِيمَا أَسْرَ بِهِ
عِرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُهُ بَجَاعِ^(٩)
حَسْبُ الْلَّمِيدِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعَ
أَعْجَزْتُهُ ، وَلَرَادَ مَعْرِفَةً ذَانَهُ^(١٠)

(١) أوزاعي : نسبة إلى أوزاع بطن من همدان (٢) يعيا برا : يعجز عنها . وأعيت عليه : أعزته ، والمراد معرفة ذاته (٣) مخدوع : مصدق لما أقول ، وخداع : ما كفر محتال (٤) انقطعت عن وسائله : الوسائل جمع وسيلة وهي التزيمة والسبب (٥) بإهلاعي : بإذاعي (٦) الصيم : الحال من كل شيء ، أي من خالص قومه . وينقال ملن لا أصل له : هو فقمة بقاع ، وذلك لأن الفقمة لاعروق لها ولا أغصان ، والفقمة الكمة البيضاء ، والقاع : أرض سهلة (٧) الأوزاع : الجمادات وبطن من همدان (٨) أولئم : جم الأولياء آباءهم فهم أجداد (٩) تهجاع : نوم خفيف (١٠) مخبر بوفاته .

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى أَتَى عُمَانَ ؛ فَوِجْدَهُمْ يُعَظِّمُونَ أَمْرَ أَبِي بَلَالٍ وَيَظْهَرُونَهُ ،
فَأَظَاهَرُ أَمْرَهُ فِيهِمْ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْجَعَاجَ فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ عُمَانَ ؛ فَارْتَحَلَ عُمَرَانَ هَارِبًا
حَتَّى أَتَى قَوْمًا مِنَ الْأَزْدِ فَلَمْ يَزِلْ فِيهِمْ حَتَّى مَاتَ ، وَفِي تَرْزُولِهِ يَقُولُ :

نَزَلَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ نُسَرَّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَنْسِ^(١) وَالْخَفَرَ
نَزَلَنَا بِقَوْمٍ يَجْمِعُ اللَّهُ شَهَادَتُمْ وَإِنْ لَمْ يَعْدُ سُوَى الْجَدِيدِ يُعَتَصِّرَ
مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمُ مَعْشَرٍ يَعْمَانِيَ طَابُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ
فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَعَسَرَ أُتَوْنَى فَقَالُوا مَنْ^(٢) رَبِيعَةً أَوْمُضَرَّ؟
أَمَ الْحَىٰ قَهْطَانٌ فَتَلَكُمْ سَفَاهَةُ
وَمَا مِنْهُمَا^(٣) إِلَّا يُسَرَّ بِنَسْبَتِهِ^(٤) كَمَا قَالَ لِي زَوْجٌ وَصَاحِبُهُ زُورٌ
فَنَحْنُ^(٥) بَنُو الإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ تَقْرَبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرَةٍ
وَأَوْتَى عَبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مِنْ شَكَرٍ !

(١) نَسَرٌ .. الْخُ : أَصْلُ الْخَفَرِ شَدَّةُ الْحَيَاةِ . يَقَالُ امْرَأَ خَفَرَةٌ : إِذَا كَانَتْ مُسْتَرَّةً لَا سُتْجِيَّاً

(٢) يَرِيدُ : أَمْنٌ رَبِيعَةٌ أَمْ مَضَرٌ ؟ (٣) وَمَا مِنْهُمَا وَاحِدٌ ، فَعَذْفُ لَمْنَ الْخَاطِبِ

(٤) النَّسْبَةُ : بِالْضَّمِّ وَالْكَسْرِ : النَّسْبَةُ (٥) يَقُولُ : اقْطَعْتُ الْوَلَايَةَ إِلَّا وَلَايَةَ الإِسْلَامِ
لَأَنْ وَلَايَةَ الإِسْلَامِ قَدْ قَارَبَتْ بَيْنَ الْغَرَبَاءِ وَاللَّهِ يَقُولُ : إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .

* ١٥٧ — دهاء عمارة بن قيم اللخمي

كان الحجاج^(١) حسوداً لاتم له صنيعة حتى يفسدَها ، فوجَهَ عمارة بن قيم اللخمي إلى عبد الرحمن بن الأشعث ؛ فظفر به ، وصنع به ماصنع ، ورجع إلى الحجاج بالفتح ، فلم ير منه مأحب ، وكره منافته ، وكان عاقلاً رفيقاً ؛ فجعل يترقق به ويداريه ، ويقول : أنت - أيها الأمير - أشرف العرب ، فمن شرفته شرف ، ومن وضعته اتضع ، ومن ينكِّر ذلك ، مع رفقك ويمسكك ومشورتك ورأيك ؟ وما كان هذا كله إلا بصنع الله عز وجل بتدبرك ، وليس أحد أحق بشكر صنيعك مني . ومن ابن الأشعث ؟ وما خطره ؟

ثم عزم الحجاج على المغى إلى عبد الملك فأخرج عمارة معه ؛ فلم يزل يلطف بالحجاج في مسيره ، ويعظممه ، حتى قدموا على عبد الملك .

ف لما قامت الخطباء بين يديه ، وأذنت على الحجاج ، قام عمارة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ سأـ الحجاج عن طاعتي ومتناصحتي وبلائي ! فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، صنع وصنع ؛ ومن بأسبه ونجده ، وعقله ومكيدته كذا وكذا ، هو أين الناس نقيبة ، وأعلمهم بتدبير وسياسة ؟ ولم يُعْنِ غاية في الثناء عليه .

قال عمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! فرضى الله عنك ، حتى قالها ثلاثة ، فكلها يقول : قد رضيت !

* الحسان والساوى م ١٣٩ ، طبع ليبرج .

(١) انظر صفحة ٢٢٤

قال عمارة : فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ، ولا حفظه ولا عافاه ،
 فهو - والله - السيِّد التدبیر ، الذي قد أفسد عليك أهل العراق ، وأتب عليك
الناس ، وما أتيت إلا من قلة عَقْلِه ، وضعف رأيه ، وقلة بصره بالسياسة ، ولك
والله أمثالها ، إن لم تَعْزَّ له .

قال الحجاج : مَه ياعماره ! قال : لا مه ولا كرامة يا أمير المؤمنين ، كل
ملوك له حر إن سار تحت راية الحجاج أبداً ! قال عبد الملك : ماعندنا أُوسع
لَك !

فَلَمَّا انصرفَ عمارة إلى منزله بعث إليه الحجاج ، وقال له : أنا أعلم أنه ماخَرَج
هذا عنك إلا عن مَعْتَبَة^(١) ، ولك عندى العَتَبَي^(٢) ، ولك ولك ! فأرسل إليه :
ما كنت أظن أن عقلك على هذا ؟ أرجع إليك بعد الذي كان من طعنِي وقولي
عند أمير المؤمنين ! لا ولا كرامة لك !

(١) المعتبة : العتاب ومخاطبة الإدلal (٢) العتبى : الرضا .

(١٥٨) — كَيْفَ رأَيْتُمْ فِرَاسَتِي فِي الْأَعْرَابِ؟

قدم على الحجاج^(١) ابن عم له من الباذية ، فنظر إليه يُولى الناس ؟ فقال له : أَيَّهَا الْأَمِيرُ لَمْ لَا تُولِينِي بَعْضَ هَذَا الْحَضْرِ ؟ فَقَالَ الْحَجَاجُ : هُؤُلَاءِ يَكْتُبُونَ وَيَحْسِبُونَ ، وَأَنْتَ لَا تَحْسِبُ وَلَا تَكْتُبُ !

فغضب الأعرابي ، وقال : بلى ؛ إني لأحسب منهم حسباً^(٢) ، وأكتب منهم كتبًا ! فقال له الحجاج : فإن كان كاتزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس ؟ فما زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ، ثلاثة بين أربعة ، لـ كل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء ! كم هم أَيَّهَا الْأَمِيرُ ؟ قال : هم أربعة ، قال : نعم ! أَيَّهَا الْأَمِيرُ ، قد وقفت على الحساب ؛ لـ كل واحد منهم درهم ، وأنا أعطى الرابع منهم درهماً من عندى ! وضرب بيده إلى تكتبه^(٣) ، فاستخرج منها درهماً ، وقال : أيسكم الرابع ؟ فوالله ما رأيت كاليم زوراً مثلك حساب هؤلاء الحضربيين ! فضحك الحجاج ومن معه ، وذهب بهم الضحك كل مذهب ، ثم قال الحجاج : إن أهل أصحابي آخروا خراجهم ثلاثة سنين ، كلما أتاهم وال أعجزوه ، فلا رميهم بهذا ، فأخليق به أن ينجب !

فكتب له عهده على أصحابي !

فما خرج استقبله أهل أصحابي واستبشروا به ، وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله ، وقالوا : أعرابي بدوى ! ما يكون منه !

* المسعودي ص ١٦٠ ج ٢

(١) انظر صفحة ٢٢٤ (٢) حساباً (٣) التكة : رباط السراويل .

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : أَمَا يَشْغُلُكُمْ مَا أَخْرَجَنِي لِهِ الْأَمِيرُ ؟
 فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي دَارِهِ بِأَصْبَاهَانَ جَمَعَ أَهْلَهَا ، قَالَ : مَا لَكُمْ تَعْصُونَ رَبَّكُمْ وَتَعْضِيبُونَ
 أَمِيرَكُمْ ، وَتُنْهَاكُونَ خَرَاجَكُمْ ؟ فَقَالَ قَاتِلُهُمْ : جَوْزٌ مَّنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَظُلْمٌ مَّنْ
 ظُلِمَ ! قَالَ : فَالْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُكُمْ ؟ فَقَالُوا : تَؤْخِرُنَا بِالْخِرَاجِ ثَمَانِيَّةً أَشْهُرَ ،
 وَنَجْمِعُهُ لَكَ ! قَالَ : لَكُمْ عَشْرَةُ وَتَأْنِي بِعَشْرَةِ ضَمَنَاءٍ .
 فَأَتَوْهُ بِهِمْ ، فَلَمَّا تَوْثَقُ مِنْهُمْ أَمْهَلُهُمْ ؛ فَلَمَّا قَرُبَ الْوَقْتِ رَأَهُمْ غَيْرُ مَكْتَبَتِينَ
 لَمَّا نُدِبِّوا^(١) إِلَيْهِ مِنَ الْأَجْلِ ! وَطَالَ بِهِ ذَلِكُ ، فَجَمَعَ الضَّمَنَاءَ ، وَقَالَ لَهُمْ : الْمَالُ !
 قَالُوا : أَصَابَنَا مِنَ الْآفَةِ مَا نَفَقْتُ ذَلِكَ !
 فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ آلَى الْآيَةِ بَغْتَرَ - وَكَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ - حَتَّى يُجْمَعَ مَالَهِ
 أَوْ يُضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ !

ثُمَّ قَدِمَ أَحَدُهُمْ وَضَرَبَ عُنْقَهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ : فَلَانَ ابْنُ فَلَانَ أُدِي مَاعَلِيهِ !
 وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي بَدْرَة^(٢) ، وَخَمَّ عَلَيْهَا ! ثُمَّ قَدِمَ الثَّانِي فَقَعَلَ بِهِ مَثْلُ ذَلِكَ !
 فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ الرَّهُوسَ تَجَزَّ ، وَتَجَعَلُ فِي الْأَكِيَاسِ بَدْلًا مِنَ الْبَدَرَ ، قَالُوا :
 أَبِهَا الْأَمِيرُ ؟ تَوَقَّفَ عَلَيْنَا حَتَّى نَخْضُرَ لَكَ الْمَالُ ؟ فَقَعَلَ ، فَأَحْضَرَهُ فِي أَسْرَعِ
 وَقْتٍ !

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَاجُ فَقَالَ : إِنَا مَعَاشُ آلِ مُحَمَّدٍ - يَعْنِي جَدَّهُ - وَلَدُنَا نَجِيبٌ ،
 فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ فِرَاسَتِي فِي الْأَعْرَابِ ؟ !
 وَلَمْ يَرِزَّ عَلَيْهَا وَالِيًّا حَتَّى مَاتَ الْحِجَاجَ !

(١) نَدَبَ الْقَوْمَ إِلَى الْأَمْرِ نَدَبًا : دَعَاهُمْ وَحْشَهُمْ (٢) الْبَدْرَةُ : كِبِيسٌ يَوْضِعُ فِيهِ عَشْرَةَ آلَافَ دَرَمٍ .

* ١٥٩ — من بدائعه الشعراء *

أَتَى سليمان بن عبد الملك ^(١) بأسارى ، وكان الفرزدق حاضرًا ، فأمره سليمان
بضرب واحدٍ منهم فاستعفاه فأبى ، وقد أشير إلى سيفٍ غير صالح للضرب لاستعماله ،
قال الفرزدق : بل أضربُ بسيف أبي رغوان ^(٢) سيفٌ مجاشع ، يعني نفسه ، وكأنه
قال : لا يَسْتَعْمِلُ ذلك السيف إلا ظالم أو ابنٌ ظالم ، ثم ضرب بسيفه الأسير ،
وأتفق أن نبا السيف ؛ فضحك سليمان ومن حوله ؛ فقال الفرزدق :
أيعجب الناسُ أن أضحكَتُ سيدهم خليفة اللهِ يُستَسْقَى به المطر
لم ينْبُ ^(٣) سيفٌ من رُعبٍ ولا دهشٍ عن الأسير ، ولكن آخر القدر
ولأن يقدّمَ نفساً قبل ميتتها جمعُ اليدين ولا الصِّمامَة ^(٤) الذكر
ثم أغمد سيفه ، وهو يقول :

ما إن يعَابَ سيدٌ إذا صبَا ^(٥) ولا يُعَابَ صارمٌ إذا نبا
ولا يعَابَ شاعرٌ إذا كبا

ثم جلس يقول : كأني باين المراغة ^(٦) قد هجانى ، فقال :
بسيفِ أبي رغوان سيفٌ مجاشع ضربتَ ولم تضرب بسيفِ ابنِ ظالم

* أدب الدنيا والدين ص ٧ ، بلوغ الأربع ص ٢٠ ج ١

(١) بونع سليمان بن عبد الملك بالخلافة سنة ٩٦ هـ و كان فصيحاً لبقاً ، كما كان غيره شديد
الغيرة ، انسنت الفتوى في أيامه وتوفي سنة ٩٩ هـ (٢) رغوان : لقب مجاشع بن دارم بن مالك
ابن حنظلة ، لقب به لفصاحتنه ولجمارة صوته . ويقال : قالت امرأة سمعته : ما هذا إلا يرغو ، فلقب
رغوان (٣) لم ينْبُ : لم يكل عن الضريبة (٤) الصِّمامَة : السيف لا يثنى ، والذكر أليس الحديد
وأجوده وأشدده (٥) صبا : حن (٦) يريد جريراً .

وقام وانصرف .

وحضر جرير ، فخَبَرَ الخبر ، ولم يُنْشَدِ الشِّعْرَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بسيفِ أَبِي رغوانَ سيفِ مجاشعَ ضربَتْ وَلَمْ تَنْصِبْ بسيفِ ابنِ ظالمٍ
فَأَعْجَبَ سليمانَ ما شاهدَ ، ثُمَّ قَالَ جرير : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَأَنِّي بَابِنِ الْقَيْنِ^(١)
قَدْ أَجَابَنِي فَقَالَ :

وَلَا قَتْلُ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ إِذَا أَقْتَلَ الْأَعْنَاقَ حَلُّ الْمَغَارِمِ
ثُمَّ أَخْبَرَ الفَرِزَدْقَ بِالْمَهْجوِ دُونَ مَاعِدَاهُ ، فَقَالَ شَبَيْبًا :

كَذَلِكَ سَيُوفُ الْمَهْدِي نَبْوُظُ لَبَانَهَا^(٢) وَنَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطِ الْتَّهَمَّمِ
وَلَنْ قَتْلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ إِذَا أَقْتَلَ الْأَعْنَاقَ حَلُّ الْمَفَارِمِ
وَهُلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبَا عنْ كَلِيبِ أَوْ أَخَامِشِلِ دَارِمِ
وَشَاعَ حَدِيثُ الفَرِزَدْقَ بِهَذَا حَتَّى كَانَ زَمَانُ الْمَهْدِي^(٣) ، فَأَنَّى يَأْسِرُ مِنْ
الرُّومِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ - وَكَانَ عِنْدَهُ شَبَيْبٌ^(٤) بْنُ شَيْبَةَ - فَقَالَ لَهُ : اضْرِبْ عَنْكَ هَذَا
الْعِلْجَ ، فَقَالَ : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ عَلِمْتَ مَا أَبْتَلَيَ بِهِ الْفَرِزَدْقَ فَعِيرْ بِهِ قَوْمَهُ إِلَى
الْيَوْمِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَرْدَتُ تَشْرِيقَكَ وَقَدْ أَغْفَيْتُكَ . وَكَانَ شَاعِرُ حَاضِرًا فَقَالَ :

جَزَعْتَ مِنِ الرُّومِيِّ وَهُوَ مَقِيدٌ فَكَيْفَ وَلَوْ لَاَقِيَتَهُ وَهُوَ مَطْلُقٌ
دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتُقْتَلَ فَكَادَ شَبَيْبٌ عِنْدَ ذَلِكَ يَفْرَقُ
فَنَحْ شَبَيْبًا عَنْ قَرَاعِ كَتِيمَةِ وَأَدَنَ شَبَيْبًا مِنْ كَلَامِ يَلْفَقُ

(١) الْقَيْنُ : الْمَبْدُوا الْحَدَادُ ، وَهُوَ بَرِيدُ الْفَرِزَدْقَ (٢) الْظَّابَةُ : جَمْعُ ظَبَّةٍ ، وَهِيَ حَدِيثُ الْيَفِ (٣) انْظُرْ
صَفْعَةَ ٢٥٦ (٤) خَطِيبُ الْبَصَرَةِ فِي زَمَانِهِ ، كَانَ فِي حَاشِيَةِ الْمَهْدِيِّ حِينَما كَانَ وَلِيًّا لِلْمَهْدِيِّ ، وَبَقَى كَذَلِكَ
حَتَّى وَلَى الْخَلَافَةَ فَكَانَ مِنْ سَارِهِ الْمَفْرِيْنِ تُوفِيَ سَنَةُ ١٧٠

* ١٦٥ - قوة حجة

كتب عمر بن عبد العزيز^(١) إلى عدي بن أرطاة: أن اجمع بين إيس بن معاوية واقسام بن ربيعة؛ فول القضاة أنفذها .
فجمع بينهما؛ فقال له إيس: أثبوا الرجل؛ سأله عن وعنه القاسم فقيه البصرة:
الحسن، وابن سيرين .

وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين ، وكان إيس لا يأتى بهما ، فعلم القاسم أنه
إن سألهما أشاراً به؛ فقال: لاتسأل عن ولا عنه؛ فوالله الذي لا إله إلا هو؛ إن
إيس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء؛ فإن كنت كاذباً فما ينبغي أن توليني ،
وإن كنت صادقاً فما ينبغي لك أن تقبل قوله !
فقال له إيس: إنك جئت برجلي فأوفنته على شفیر جهنم ، فنجى نفسه منها
بيمين كاذبة يستغفر الله منها ، وينجو مما يخاف !

قال عدي: أما إذ فهمتها فأنت لها ! فاستقضاه !

* العقد ص ١١ ج ١

(١) انظر من ٢٣٢ (٢) عدي بن أرطاة: أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ،
ولاه عمر بن عبد العزيز البصرة ، وقتل سنة ١٠٢ هـ .

* ١٦١ — إِيَّاسُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ

(٢)

استودع رجل رجلاً مالاً ثم طالبه به فجحده ، فخاصمه إلى إِيَّاسِ^(١) بن معاوِيَةِ القاضي ، وقال : دفعت إِلَيْهِ مالًا في مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ! قال : فَأَيْ شَيْءٌ
كان في ذلك الموضع ؟ قال : شجرة !

قال : فانطلق إلى ذلك الموضع ، وانظر إلى تلك الشجرة ، فاعمل الله يوضح لك
هناك ما تُبَيِّنُ به حَقَّكَ ! أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة ، فنسأليت ، فتدَكَرَ
إِذَا رأيْتَ الشجرة .

مضى وقال إِيَّاسُ للمطلوب منه : اجلس حتى يرجع صاحبك ، فجلس وَإِيَّاسُ
يقضي وينظر إليه بين كل ساعة . ثم قال : ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة ؟ قال :
لا ! فقال : ياعدوَ اللَّه أنت الخائن ! قال : أقْنَى أقالَكَ اللَّه ! فأمر بمحفظه حتى جاء
خصمه ، فقال له : خذ منه بحقك فقد أفرَ !

* المحسن والساوي ص ٤٣ ج ١

(١) هو من مزينة ، ولاء عمر بن عبد العزيز قضاة البصرة وكان صادق الظن لطيفاً في الأمور ،
ومات سنة ١٢٢ هـ .

(٦٢) (٦)
— من ذكاء إِيَّاسُ *

استودع رجلُ أَمِينَ إِيَّاسَ مَالًا ، وَخَرَجَ الْمَوْدَعَ إِلَى الْحِجَازَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ
طَلْبَهُ فِي جِهَدِهِ ، فَأَتَى إِيَّاسًا فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ إِيَّاسٌ : أَعْلَمُتُهُ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي ؟ قَالَ : لَا ،
قَالَ : أَفَنَازَتْنَاهُ عِنْدَ غَيْرِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَانْصَرَفَ ، وَأَكْتَمَ سَرْكَ ، ثُمَّ عَدَ
إِلَى بَعْدِ يَوْمَيْنَ .

فَضَى الرَّجُلُ ، وَدَعَا إِيَّاسَ أَمِينَهُ ، فَقَالَ : قَدْ حَضَرَ عِنْدَنَا مَالٌ كَثِيرٌ ، أَرِيدُ
أَنْ أَسْلَمَهُ إِلَيْكَ ، أَفَحَصَّيْنَ مِنْزُلَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : فَأَعْدَّ مَوْضِعًا لِلِّمَالِ ، وَقَوْمًا
يَحْمِلُونَهُ .

وَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَّاسَ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى صَاحْبَكَ ، فَإِنْ أَعْطَاكَ الْمَالَ فَذَاكَ ،
وَإِنْ جَحَدَ فَقُلْ لَهُ : إِنِّي أَخْبَرُ الْقَاضِيَ بِالْقَصَّةِ .

فَأَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ ، فَقَالَ : تَعْطِينِي الْوَدِيعَةَ أَوْ أَشْكُوكُ إِلَى الْقَاضِيِّ ؟ وَأَخْبَرَهُ
بِالْحَالِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمَالَ . فَرَجَعَ الرَّجُلُ ، وَأَخْبَرَ إِيَّاسًا .

ثُمَّ جَاءَ الْأَمِينُ إِلَى إِيَّاسَ لِيَأْخُذَ الْمَالَ الْمَوْعُودَ بِهِ ، فَزَجَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَا تَقْرَبْنِي

بَعْدَ هَذَا يَا خَائِنَ !

١٦٣ — أَدْبَنِي فَتَأَدَّبَتْ *

كان أبو سلمة حفص بن سليمان وسليمان بن كثير۔ وهذا سيدا دعاء الدولة العباسية۔ يُفَدَّان كل عام على إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فيأتيانه بهداياً أَهْلَ الدُّعَوةِ ، وَكُثُرُهُمْ ، ولم يكن أحد من آل إبراهيم يعرفُهُما ، ولا يعرف الأَمْرُ الَّذِي يأتيان له ، فقدِّمَا سَنَةً من السَّنِين فرأَيَا العباس وأبا جعفر ، فاعجبَاها ، وهذا إذ ذاك غلامان ، فقال سليمان بن كثير لابن سلمة : إني مسرٌ إليك مهِمًا من أمر الدين والدنيا ، فاحلف لي على كتمانه ، فجَلَّ له أبو سلمة بآیمان رضيها منه . فقال له سليمان : إني أرى عند هذين الصَّبيِّين من أمارات الاستقلال بالخلافة ، مالا كفأ له^(١) . فقال له أبو سلمة : ها والله أولى بالأَمر من صاحبنا - يعني إبراهيم الإمام - فقال سليمان : مامنعني من ذكر هذا إلا التَّسْتَرُ.

وينما ما يتفاوضان في هذا الأمر إذ مر أبو العباس وأبو جعفر وهو يضرران كورة ، فدعاهما أبو سلمة فأتياه ، فقال لهم : إني أشدت صاحبِي هذا شعرًا أنا مُعْجَبٌ به ، فلم يرضه ، وقد رضينا بحكمك كـ^(٢) فيه ، فقالا : أَشَدَّهُ ، فأنشدهما : أَمْسِلُ^(٣) إني يابنَ كل خليفة ويافارس الهيجا وياجبل الأرض شكرتك إن الشَّكْرَ حَبَلٌ^(٤) من التَّقْىٰ وما كل من أوليَّته نعمة يقضى وشيدت^(٥) من ذَكْرِي وما كان خاماً ولكن بعض الذَّكْرِ أَنْبَهُ^(٦) من بعض

* أبناء نجاء، الابناء، ص ٩٥

(١) لا كفأ له : لا مثل له يكافئه (٢) أَمْسِلُ : يزيد أَسْلَمَةَ (٣) حَبَلُ من التَّقْىٰ : سبب منه وعهد ، والعهد : الجبل (٤) شيدت : رفعت (٥) أَنْبَهُ : أرفع .

قال أبو جعفر : من قال هذا ؟ فقال : قاله أبو نحيلة ، فغضّ أبو جعفر على
إصبعه ، ثم قال : أَمِنْ هَذَا الْعَبْدُ أَنْ تَدْوُلْ لِبْنَيْ هَاشِمٍ دُولَةً فَيَوْلُغُوا السَّكَلَابَ
دَمَهُ ؟ فقال له أبو العباس : مه ياخْرِي ، فإنه يقال : من ظَهَرَ غَضَبَهُ ضَعْفَ كِيدُهُ .
ثم أقبل أبو العباس على أبي سلمة ، وقال له : هذا شعر أحق في أحق ! كيف
يقول لرجل هو في سلطان غيره ، وتتابع له : يا جبل الأرض ؟ أليس جبل الأرض
هو مرسيها ، ولا يصلح أن يخاطب بهذا من هو تابع لغيره ، وأين تقخيمه وتعظيمه
من نفس اسمه ، إذ يُنَادِيه « أَمْسِلْمُ » وهو مسلمة ؟
ثم إن العباس ولَّ ، فقال له أبو جعفر : هلم يا أخي ناعب ، فقال له
أبو العباس : هل أَوْلَغْتَ^(١) السَّكَلَابَ دَمَ أَبِي نَحِيلَةَ ، فقال : لا ، ولكنك
أَدَبْتَنِي فَتَدَبَّتْ ، وذهبا !
قال أبو سلمة لسليمان بن كثير : بمثل هذا يطلب الملك ، ويدرك الثار !

(١) معناه : هل شفيت غيظك حتى ناعب .

* ١٦٤ — مروءة وذكاء *

لما حجَّ المنصور^(١) عُرِضَ عليه جوهرٌ تقىس له قيمةً عظيمةً للبيع ، فعرفه ، وقال : هذا كان هشام بن عبد الملك بن مروان ، فانتقل إلى ابنه محمد بن هشام ، وما بقي من بنى أمية غيره ؛ ولا بد لي منه ، ثم التفت إلى حاجبه الريبع ، وقال : إذا صليت بالناس غداً في المسجد الحرام ، وحصل الناس كلهم فاغلق الأبواب كلها ، ووكل بها جماعة من الثقات ، وافتتح باباً واحداً وقف عليه ، ولا تُخرج أحداً حتى تعرفه ، فإذا ظفرت بمحمد بن هشام فأنتني به .

فأ لما كان الغد فعل الريبع ما أمره به المنصور ، وكان محمد بن هشام في المسجد ؟ فعرف أنه المطلوب ، وأيقن أنه ما خُوذ مقتول ، فتحير وارتتاب واضطرب ؛ فبيناه على تلك الحال إذ أقبل محمد بن زيد بن على بن الحسين فرأه متغيراً - وكان لا يعرفه - فتقدّم إليه وقال : ياهذا ؟ ما بالك ؟ فقال : لا شيء . فقال : خبرني والله الأمان إن شاء الله على نفسك .

قال محمد بن هشام : فمن أنت ؟ قال : أنا محمد بن زيد بن على بن الحسين ! فزاد خوفه ، وطار عقله ، وتحقّق الموت ؛ فقال له : لا تجزع فاست قاتل أبي ولا جدي ، وليس لي عليك ثأر ، وأنا أجتهد في خلاصك إن شاء الله ! ولكن تعذرني فيما أنا صانع بك من مكره وقبح خطاب ؛ فقال له : افعل ما شئت .

* المختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) انظر صفحة ١٠٤

فطرَ رداءه على وجهه ، وغطَّى به رأسه ، وجذبه وسجنه ، إلى أن قرب من
الربيع حاجب المنصور ، وهو على الباب ؛ فلما وقعت عينُ الربيع عليهما لطمته
محمد بن زيد لطمات على رأسه ، وجاء به إلى الربيع ، وقال : يا أبا الفضل ؛ إن هذا
أخيبيث جَهَلَ منْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَكْرَانِيْ جَهَلًا ، فلما دفعتُ له السَّكِيرَاءَ هربَ مِنْيَ ،
وذهب فَأَكْرَى جَهَالَه لبعض أهْلِ خراسان ، ولِي عَلَيْهِ شَهْوَدٌ ، وأرِيدَ مِنْكَ
مِنْ يوصله معي إلى القاضى ، ويُسْكِنَ جَهَالَه عن الذهاب مع الخراسانيين . فرسم
الربيع عليه اثنين وقال : لا تفارقاوه إلى القاضى - ومحمد قابض على الرداء ، وقد
استتر وجهه به - فخرجوه جميعاً من المسجد .

فَلَمَّا بَعْدُوا عَنِ الرَّبِيعِ قَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : اذْهَبْ إِلَى حَالِ سَبِيلِكَ ، فَتَبَلَّ مُحَمَّدٌ بْنُ
هَشَامَ يَدَهُ وَرَأْسَهُ ، وَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ، ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُ جَوَاهِرَ قِيمَتُهَا
عَظِيمَةٌ ، وَقَالَ : بِاللَّهِ - يَا بَنَى بَنْتَ رَسُولِ اللَّهِ - شَرْفِنِي بِقِيمَتِهِ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ
بِعِنَاعِكَ ؛ فَنَحَنَ أَهْلُ بَيْتِ لَا نَقْبِلُ عَلَى اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مَكَانَةً ، وَاحْتَرَزْ عَلَى
قِسْكِنِ هَذَا الرَّجُلِ ، إِلَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَإِنَّهُ مَجْدٌ فِي طَلْبِكَ !

* ١٦٥ — حذر إبراهيم بن هرمة *

وجه المنصور رسولًا فاصدًا إلى ابن هرمة ، ودفع إليه ألف دينار وخلعة ،
ووصفه له وقال : أمضِ إليه ، فإنك تراه جالسًا في موضع كذا من المسجد ،
فانتسب له إلى بني أمية أو مواليهم ، وسله أن يُنشدَّ قصيده الحائمة التي يقول
فيها مدح عبد الواحد بن سليمان :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح
إذا أنشدَّها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجثني برأسه ، وإن
أنشدَّ قصيده اللامية التي يمدحني فيها فادفع إليه الألف الدينار والخلعة ؛
وما أراه يُنشدُّ غيرَها ولا يعترف بالحائمة .

فأناه الرسول فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه واست נשده قصيده في
عبد الواحد ؛ فقال : ما قلت هذه القصيدة قط ولا أعرفها ، وإنما نعلها إياتي منْ
يعاديَّني ، ولكن إن شئت أنشدتك أحسن منها ؛ قال : قد شئت فهات ،
فأنشدَه :

سرى^(١) ثوبه عنك الصبا المُتَخايل
حتى أتي على آخرها^(٢) ؛ ثم قال له : هات مأمرك أمير المؤمنين بدفعه إلى ؛

* الأغاني ص ١١٢ ج ٦

(١) سرى عنه التوب : كشفه (٢) منها :

لـ لحظات عن حفاف سربه	إذا كرها فيها عقاب ونائل
فأم الذي أمنت آمنة الردى	وأم الذي خوفت بالشكل ثاكل
وحفاف الشيء : جانبـه	

قال : أَيَّ شَيْءٍ تَقُولُ يَا هَذَا ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ دَفَعَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ : دَعْ ذَا عَنِّكَ ، فَوَاللَّهِ مَا بَعْثَكَ إِلَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعَكَ مَالٌ وَكَسُوَةٌ إِلَيْهِ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، فَإِنْ أَنْشَدْتُكَ إِلَيْهَا ضَرِبَتَ عَنْقِي وَحَمَلَتَ رَأْسِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ أَنْشَدْتُكَ هَذِهِ الْلَّامِيَّةَ دَفَتَ إِلَيْهِ مَا حَمَلْتَ إِلَيْاهُ ؛ فَضَحِكَ الرَّسُولُ ثُمَّ قَالَ : صَدِقَتْ لِعْنَرِي ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَلْفَ الدِّينَارَ وَالخَلْعَةَ .

* ١٦٦ — المنصور ودليله بالمدينة *

لَا حَجَّ أَبُو جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ قَالَ لِرَبِيعٍ : ابْغِ لِي فَتِي مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَدِيبًا ظَرِيفًا ، عَالِمًا بِقَدِيمِ دِيَارِهَا ، وَرَسُومِ آثارِهَا ؛ فَتَمَّ بَعْدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوْمِي ، وَأَرِيدُ الْوَقْفَ عَلَيْهَا .

فَأَتَتَنِسَ لِهِ الرَّبِيعُ فَتِي مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَعْرَفُهُمْ بِظَرِيفِ الْأَخْبَارِ ، وَشَرِيفِ الْأَشْعَارِ ؛ فَعَجَبَ الْمُنْصُورُ مِنْهُ ؛ وَكَانَ يَسِيرُهُ أَحْسَنَ مُسَارِيَةً ، وَيَحْاضِرُهُ أَزِينَ مُحَاضِرَةً ، وَلَا يَنْتَدِهُ بِخَطَابٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْجَوَابِ ، فَإِذَا سَأَلَهُ أَنِّي بِأَوْضَحِ دَلَالَةٍ ، وَأَفْصَحِ مَقَالَةٍ .

فَأَعْجَبَ بِالْمُنْصُورِ غَايَةُ الْإِعْجَابِ ، وَقَالَ لِرَبِيعٍ : ادْفُعْ إِلَيْهِ عَشْرَةَ أَلْفَ درَهم ، وَكَانَ النَّفَقَ مُعْلِقاً مُضطَرَّاً . فَتَشَاغَلَ الرَّبِيعُ عَنْهُ ، فَاجْتَازَ مَعَ الْمُنْصُورِ بَدَارَ عَاتِكَةَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هَذَا بَيْتُ عَاتِكَةَ بَنْتِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

يابية عاتكة الذي أَتَعْزِلُ^(١) حذَرَ الْمَدَا وَبِهِ الْقَوَادُ مُوكَلٌ
قال المنصور : ما هاج منه ما ليس هو طبعه : من أن يُخْبِرْ بما لم يُسْتَخْبِرْ
عنه ، ويحجب بما لم يُسْأَلْ عنه ؟ ثم أقبل يردد أبيات القصيدة في نفسه إلى أن
بلغ إلى :

وأراك تفعلُ ماتقولُ ، وبعضهم مَذِيقٌ^(٢) اللسان يقولُ مالا يفعل
فدع بالريع وقال له : هل دفعتَ المدنى^(٣) مأْمُونًا له به ؟ فقال : أَخْرَنَى
علة يا أمير المؤمنين ، قال : أضعفها له وعجلها .

(١) تعزل الشئ وتعزل عنه : تتجلى (٢) رجل مذاق : كذوب (٣) النسبة إلى مدينة
الرسول : مدنى ، وإلى مدينة المنصور مدبي .

* ١٦٧ - فطنة كاتب المنصور

قال أبو جعفر المنصور للهدي يوماً : قد عزمت على أن أوليك الأمر وأردد إليك ؛ فقد كبرت وعجزت عن مباشرة الأعمال والنظر فيها ، وأحببت الراحة والدعة . فخرج للهدي إلى أبي عبيد الله^(١) مستبشرًا ، وعرفه ما عرضه عليه أبو جعفر ، فقال له أبو عبيد الله : اتق الله ولا تظاهر لأمير المؤمنين قبولاً لما ذاك ركبه ، وإذا عاودك قتل له : لا والله ، لأنترض لهذا الأمر ما أبقى الله أمير المؤمنين ، ولا أهضر له ؛ فإنه إنما سأرك بما عرض عليك .

فلا دخل للهدي على أبي جعفر قال له : يا أبا عبد الله ، هل فكرت فيما قلت لك ، أو شاورت أحداً فيه ؟ فقال : ما بني قوّة على ذلك ، ويعقى الله أمير المؤمنين ، ويتعنا بحياته ، فقال له : سبحان الله ! من صدّك عنه ، ومن ناظر فيه ؟ فقال له : شاورت معاوية . قال : فائي شيء قال لك ؟ فعرفه ما قال له ، فأطرق هنئه ثم قال : على معاوية .

فإنما دخل عليه قال له : ما هذا الذي نظرتك^(٢) فيه أبو عبد الله ؟ وكيف رأيت إلا يقبل ؟ قال : أصدقك وأننا آمن ؟ فقال له : هات ، ولم لا تصدقني ؟

* الوزراء والكتاب ص ١٢٨

(١) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار من أهل فلسطين . كان كاتب أبي جعفر في الإنفاق وانتصر في بيت المال وقد ضمه إلى الهدي حين أتته إلى الرى (٢) المراقبة : أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتـا فيه معاـكيف تأتـانـه .

فقال له : إنه والله ما عرضتَ عليه معارضته وأنت ت يريد أن تواليه ، وإنما أردتْ
أن تختبر عقله ، وما كنت لتطيّبَ نفساً بترك ما أنت فيه .

فقال له : وكيف توهتَ ذلك ؟ قال : لأنني سمعتك تقول : إنني أستيقظ
بالليل فأدعو بالكتب ، فأضعها بين يديّ ، وأدعو بوصيف فامرها أن يعرّخ^(١)
ظهرى بالذهب ، فيفعل ذلك ، وأنا مقبل على كتبى وتدبرى ، والنظر فى أمورى ؛
فعلمتُ أنك لاتدع شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع ، وتوثر به غيرك .

فقال : ما كنت أرى أن أحداً يتقدّم ماتقدّم ، وقد أصبت الرأى وأحسنت .

بارك الله عليك !

(١) يعرّخ : يدهن .

* — حيلة طريفة — ٣٦٨

قال داود بن الرشيد : قلت للهيثم بن عدی : بأی شیء استحق سعیدُ بن عثمان أَنْ وَلَّاهُ الْمَهْدِيَ^(١) القضا ، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؟ قال : إن خبره في اتصاله بالمهدي طريف ، فإن أحبت شرحته لك ! قال : قلت : والله قد أحبت ذلك . قال :

اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي ، فقال : استأذن لي على أمير المؤمنين . فقال له الربيع : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قال : أنا رجل قد رأيتُ لأمير المؤمنين رؤيا صالحة ، وقد أحبتُ أن تذكرني له . فقال له الربيع : ياهذا ؛ إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم ، فكيف ما يراه لهم غيرهم ! فاحتلَّ بحيلة هي خير لك من هذه . فقال له : إن لم تخبره بمكاني سألتَ منْ يوصلني إليه ، فأخبرته أني سألتُك الإذن عليه فلم تفعل .

فدخل الربيع على المهدي ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنكم قد أطعتم الناس في أنفسكم ، فقد احتالوا عليكم بكل ضرب . قال له : هكذا صنع الملوك . فما ذاك ؟ قال : رجلٌ بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة ، وقد أحبَّ أن يقصها عليه . فقال له المهدي : ويحك ياربيع ! إني والله أرى الرؤيا لنفسي ، فلا

* الأذكياء من ٥٩

(١) انظر صفحة ٢٥٦

تصح لى ، فكيف إذا أدعاهَا مَنْ لعله قد افتعلها . قال : والله قاتل له مثل هذا
علم يقبل . قال : هات الرجل .

فأدخل إليه سعيد ، وكان له رؤية وجمال ومرودة ظاهرة ، ولحية عظيمة ،
ولسان ، فقال له المهدى : هات . بارك الله عليك ! ماذا رأيت ؟ قال : رأيت
يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي فقال لي : أخبر أمير المؤمنين المهدى أنه يعيش
ثلاثين سنة في الخلافة ، وأية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلب
بيواليت ، ثم يدها فيجدوها ثلاثين ياقوتة ، كأنها قد وُهبت له .

قال المهدى : ما أحسن ما رأيت ، ونحن نتحسن روياك في ليتنا المقبلة على
ما أخبرتنا به ، فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ما تريده ، وإن كان الأمر
يختلف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت ، وربما اختلفت .

قال له سعيد : يا أمير المؤمنين ؟ فـأنا صانع الساعة إذا صرت إلى منزل
وعيالى فـأخبرـهمـ أـنـيـ كـنـتـ عـنـدـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ ،ـ ثـمـ رـجـعـتـ صـفـرـ؟ـ قالـ لـهـ المـهـدـىـ :ـ
ـفـكـيـفـ نـعـمـلـ ؟ـ قـالـ :ـ يـعـجـلـ لـىـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ مـاـأـحـبـ ،ـ وـأـحـلـ لـهـ أـنـيـ قدـ
ـصـدـقـتـ .ـ فـأـمـرـ لـهـ بـعـشـرـةـ آـلـافـ دـرـهـمـ ،ـ وـأـمـرـ أـنـ يـؤـخـذـ مـنـهـ كـفـيلـ لـيـحـضـرـ مـنـ غـدـ
ـذـلـكـ الـيـوـمـ .ـ قـبـضـ الـمـالـ ،ـ وـقـيـلـ لـهـ :ـ مـنـ يـسـكـفـلـ بـكـ ؟ـ فـدـعـيـنـيـ إـلـىـ خـادـمـ فـرـأـهـ
ـحـسـنـ الـوـجـهـ وـالـزـيـ .ـ قـالـ :ـ هـذـاـ يـكـفـلـ بـيـ .ـ قـالـ لـهـ المـهـدـىـ :ـ أـتـكـفـلـ بـهـ ؟ـ فـاحـرـ
ـوـخـجـلـ ،ـ وـقـالـ :ـ نـمـ وـكـفـلـ بـهـ وـاـنـصـرـ .ـ

فـلـمـ كـانـ فـتـلـكـ الـلـيـلـةـ رـأـيـ المـهـدـىـ مـاـذـكـرـهـ لـهـ سـعـيدـ حـرـفـاـ بـحـرـفـ ،ـ وـأـصـبـحـ
ـسـعـيدـ فـيـ الـبـابـ ،ـ وـاسـتـأـذـنـ فـأـذـنـ لـهـ ،ـ فـلـمـ وـقـعـتـ عـيـنـ المـهـدـىـ عـلـيـهـ قـالـ :ـ أـينـ

مِصْدَاقُ مَاقَاتَ لَنَا ؟ قَالَ لَهُ سَعِيدٌ : وَمَارَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : إِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ ! فَأَنْجِزْ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ .
قَالَ لَهُ : حَبَّاً وَكَرَامَةً ، ثُمَّ أَمْرَاهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَعَشْرَةِ تَخْوِيتِ ثِيَابٍ ، وَثَلَاثَةِ مَرَاكِبٍ مِنْ أَنْفُسِ دَوَابِهِ حُكَّلَةً ، فَأَخْذَ ذَلِكَ وَانْصَرَفَ .
فَلَحِقَ بِهِ الْخَادِمُ الَّذِي كَانَ قَدْ كَفَلَ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : سَأَتُكَ بِاللَّهِ : هَلْ كَانَ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي ذَكَرْتَهَا مِنْ أَصْلِهِ ؟ قَالَ لَهُ سَعِيدٌ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ الْخَادِمُ : كَيْفَ وَقَدْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرْتَهُ لَهُ ؟ قَالَ : هَذَا مَا لَا يَأْبَهُ بِهِ أَمْثَالُكُمْ ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْبِلْ إِلَيْهِ هَذَا السَّكَلَامَ خَطْرِ بَيْالِهِ ، وَحَدَّثَتْ بِهِ نَفْسِهِ ، وَشَغَلَ بِهِ فَكْرَهُ ، فَسَاعَةً نَامَ خَيْلَهُ مَاحِلٌ فِي قَلْبِهِ ، وَمَا كَانَ شَغْلُهُ بِهِ فَكْرَهُ فِي الْمَنَامِ .
فَبَهِتَ الْخَادِمُ ، وَتَعَجَّبَ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : قَدْ صَدَقْتَكَ ، وَجَعَلْتَ صَدْقَكَ لَكَ مَكَافِئَاتٍ عَلَى كَفَالَّاتِكَ ، فَاسْتَرْعَلَ عَلَى ذَلِكَ . فَقَعَلَ .
ثُمَّ طَلَبَ الْمَهْدِيُّ لِنَادِمَتِهِ ، فَنَادَمَهُ ، وَحْضَرَ عَنْدَهُ ، وَقَلَدَهُ الْقَضَاءُ عَلَى عَسْكَرِهِ .
فَلَمْ يَزُلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ الْمَهْدِيُّ !

١٦٩ - الأمين والمأمون بين يدي الرشيد *

قال محدث : إن الرشيد ناظر يحيى بن خالد أى ولديه يعهد إليه ، وعلم يحيى بن خالد ميله إلى أم جعفرو إشاره هوها ، فقال : أمير المؤمنين أعلم بولده ، وكان المأمون والأمين حاضرين ، فأغرى ^(١) كل واحد منها بالآخر ، فأسرع ^(٢) الأمين وحمل المأمون ، ثم أمرهما بالمصارعة ، فوثب الأمين ، وثبت المأمون جالساً ، فقال له الرشيد : مالك اليوم يا عبد الله ، أخفت ابنهاشية ؟ أما إنه لأيد ^(٣) ، فقال المأمون : هو كما ذكر أمير المؤمنين ، ولكنني لم أخفة ، ولكن قبض يدي عنه ما قبض لسانى حين نال مني . فقال الرشيد : وما الذى قبض يدك ولسانك عنه ؟ قال : قول الأموى لبنيه متمثلاً ^(٤) :

عند الأبعد والحضور الشهد	انفوا الضغائن ^(٥) ينكم وتواصلوا
ودماركم بقطع وقرد	صلاح ذات البين طول بقائكم
بالكسر ذو حنق وبطش أيد	إن القداح إذا جمعن ورامها
فالوهن والتكسير المتبدد	عزّت ولم تكسر وإن هي بددت
بتعاطفي وتراحم وتوعد	فلمثل ريب الدهر ألف ينكم
لمسود منكم وقلوبكم	حتى تلين جلودكم وقلوبكم

أبناء نجاء الأبناء ص ١١٣

(١) أغري بينهم : سلط أحدهم على الآخر (٢) أسرع : أى أسمعه قوله مكروهاً

(٣) أيد : شديد . والأيد : القوة (٤) الآيات أنشدها عبد الملك يوصى بها ولده

(٥) الضغائن : الأحفاد .

فرق الرشيد رقة شديدة ، واغرورقت عيناه بالدموع ، ثم تشدّد وكفّها ،
وأقبل على الأمين ، وقال : يا محمد ؟ ما أنت صانع إن صرف الله إليك أمر هذه الأمة ؟
قال : أكون مهديها يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد : إن تفعل فأنت أهل لذلك .
ثم أقبل على المأمون وقال له : ياعبد الله ؟ ما أنت صانع إن صرف الله إليك
أمر هذه الأمة ؟ فابتدرت دموع المأمون ، وفطن الرشيد لما أبكاه ، فلم يلتفت عينيه ،
فأرسلهما ، وبكي يحيى ، فلما قضوا من البكاء ، أربأ بكى الأمين لبكائهم ، فأعاد
الرشيد المسألة للمأمون ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين من ذلك . فقال : عزمت
عليك لتقولن ، فقال : إن قدّر الله ذلك أجعل الحزن شعارا^(١) والحزن دثاراً
وسيرة أمير المؤمنين مشعراً ، لا تستحل حرماته ، وكتاباً لا تبدل كلامه .
فأشار إليهما بالانصراف ، فذهبا ، ثم أقبل على يحيى بن خالد فأنسد بيت
صخر بن عمرو بن الشريذ السلمي أخي النساء ، وهو قوله :
أهن بأمر الحزن لو أستطعه وقد حيل بين العبر^(٢) والنزوan
فقال يحيى بن خالد : هيا الله لأمير المؤمنين من أمره رشداً .

(١) الشعار : مأوى الجسد من الثياب ، والدثار : ما فوق ذلك (٢) العبر : حمار الوحش .
النزوan : الونب .

* ١٧٠ — قراً مجد وفرعاً خلافة

قال الكسائي^(١) :

دخلتُ على الرشيد ، فلما قضيتُ حقَّ التسليم والدعاء ، وثبتتُ للقيام ، فقال : أَعُدُّ ، فلم أزل عنده حتى خفَّ عامَّه مَنْ كان في مجاسِه ، ولم يبق إلا خاصَّته ، فقال لي : يا عاليٌّ ، ألا تَحْبُّ أن ترى مُحَمَّداً وعبدَ الله^(٢) ؟ قلتُ : ما أشوقني إليهمَا يا أمير المؤمنين ، وأسرتني بمعاينَة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما !

فأمر بإحضارها ، فلم أَبْتَ أَقْبَلَ كوكبي أفق ، يزيَّنُهُما هدوء ووقار ، وقد غضَّا أَبْصَارَهَا ، وقارباً خطوهَا ، حتى وقفَا على بابِ المَحْلِس ، فسلمَا على أَيْمَانِهَا بالخلافة ، ثم قالا : تمَّ الله على أمير المؤمنين نعمَه ، وشفعَهَا بشكره ، وجعل ماقْلِده من هذا الأمر أَحْدَى عَاقِبَة ، ولا كَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ مَا صَفَا ، فقد صرَّتَ لِلْمُسْلِمِينَ ثقة ، إِلَيْكَ يَفْرَعُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ ، ويقصدُونَ فِي حُواجِبِهِمْ .

فأمرَهَا بالدُّنْوِ مِنْهُ ، فصَرَّ مُحَمَّداً عن يمينه وعبدَ الله عن يساره ، ثم التفتَ إِلَيْهَا : ياعاليٌّ ؟ مازالتُ ساهراً مفكراً في معنى أبياتٍ قد دَخَفَتْ عَلَيْهِ ! قلتُ : إن رأيَ أمير المؤمنين أَن ينشدُنِيهَا . فأَنْشَدَنِي :

فَدَقَّلْتُ قَوْلًا لِلْغَرَابِ إِذْ حَجَّلُ : عَلَيْكَ بِالْقُوْدِ الْمَسَانِيفِ الْأُولُ
تَعَدَّ مَا شَئْتَ عَلَى غَيْرِ عَجَلٍ

* المسعودي ص ٢٧١ ج ٢ ، معجم الأدباء من ١٧٣ ج ١٣ ، الحسان والمساوي من ٤٤٠
(١) اسمه علي بن حزرة وأصله من فارس ، أشهر نحاة الكوفة وأحد انقراء السيدة ، استقدمه الخلفاء العباسيون لعلم أبناءهم ، وألف كثيراً من الكتب في النحو والقراءات والأدب والتوادر ، توفي سنة ١٨٩ هـ (٢) محمد الأمين وعبد الله المأمون إبنا الرشيد .

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إن العير إذا فصلت من خيبر ، وعليها التمر ، يقع
الغраб على آخر العير فيطردها السوق ؛ يقول هذا : تقدم إلى أوائل العير ؛ فـكـلـ
على غير عجل . والقود : الطوال الأعناق . والمسانيف : المقدمة .

ثم أنشدني :

لـعـمـرـى لـئـنـعـشـرـتـ مـنـ خـشـيـةـ الرـدـى نـهـاـقـ الـحـمـارـ إـنـى لـجـهـوـلـ
قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كان الرجل من العرب إذا دخل خيبر أكب على
أربع عشر تعيش الحمار ؛ وهو أن يهق عشر نهقات متتابعات ، يفعل ذلك ليدفع
عن نفسه حُمى خيبر . ثم أنشدني قول الآخر :

أـجـاءـلـ أـنـتـ بـيـقـوـرـاـ (١) مـضـرـمـةـ ذـرـيـعـةـ لـكـ بـيـنـ اللـهـ وـالـمـطـرـ
قلت : نعم ، كانت العرب إذا أبطأ المطر شدت العسر (٢) والسلع ، وهذا
ضربان من النبت في أذناب البقر وألهبوا فيه النار ، وشردوا البقر تقاؤلا بالبرق
والطار .

ثم أنشدني لرجل آخر :

وـسـرـبـ مـلـاحـ قـدـ رـأـيـتـ وـجـوهـهـمـ إـنـاثـ أـدـانـيـهـ ذـكـورـ أـوـاـخـرـهـ
فقلت : إنه يعني الأضراس .

ثم أنشدني لآخر :

فـإـنـ إـذـنـ كـالـثـورـ يـضـرـبـ جـنـبـهـ إـذـ لمـ يـعـفـ شـرـبـاـ وـعـافـتـ صـوـاحـبـهـ
قلت : نعم ، كانت العرب إذا أوردت البقر الماء ، فشربت الثيران وأبت البقر ،
ضربت الثيران حتى تشرب البقر ، وهو كما قال : كالثور يُضرب لما عافت البقر .

(١) امم جمع لبقرة (٢) شجر لم يقتدح الناس في أجود منه .

ثم أنشدني :

ومنْحَدِرٌ منْ رَأْسِ بَرْقَاءَ حَطَهُ مَخَافَةُ بَيْنٍ أوْ حَبِيبٌ مُزَابِلٌ
قلت: نعم ، يعني الدموع ، والبرقاء : العين ؛ لأن فيها سواداً وبياضاً . وحطه :
أساله ، وحبيب : محبوب ، ومزابل : مفارق .

فوتب الرشيد فجذبني إلى صدره ، وقال : اللهم در أهل الأدب ! ثم دعا بخارية ،
قال لها : احملي إلى منزل الكسانى خمس يدرا على عنق خمسة أعبد يلزمون خدمته .

ثم قال لي : استندها - يعني ابنيه - فأنشدني محمد الأمين :

وإِنِّي لَعْفُ الْفَقْرِ مُسْتَرُكُ الْغَنِيِّ وَتَارِكُ شَكْلِ لَا يُوافِقُهُ شَكْلِيِّ
وَشَكْلِيِّ شَكْلِ لَا يَقُومُ بِمِثْلِهِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي نِيَقَةٍ ^(١) مِثْلِي
وَلِنِيَقَةٍ فِي الْجَدِ وَالْبَذْلِ لَمْ يَكُنْ تَائِقَهَا فِيهَا مَضَى أَحَدٌ قَبْلِيِّ
وَأَجْعَلَ مَالِيْ دُونَ عِرْضِيَّ جُنَاحَهُ لِنَفْسِيِّ وَأَسْتَغْفِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِيِّ
وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ اللهِ الْمَأْمُونُ :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ مَطَامِعَ الْفَجَرِ وَلَقَدْ تَلُومَ بَغِيرِ مَاتَدْرِي
مَا يَنِ مَلَكَتْ مَصِيَّةَ نَزَلتْ إِذْ لَا يُحَكِّمُ ^(٢) طَالِعًا أَمْرِي
مَلَكُ الْمُلُوكِ عَلَى مُفْتَدِرٍ يَعْطِي إِذَا مَا شَاءَ مِنْ يُسْمِرِ
فَلَرْبَ مُعْتَبِطٍ بِمَرْزِيَّةٍ وَمَفْجَعٍ بِنَوَابِ الدَّهْرِ
وَمُكَاشِحٍ لِيْ قَدْ مَدَدَتْ لَهُ تَحْرِمًا بِلَا ضَرَعٍ ^(٣) وَلَا غَمِّ
حَتَّى يَقُولُ لِنَفْسِهِ لَهَا : فِي أَيِّ مَذْهَبٍ غَايَةُ أَجْرِيِ

(١) النيقة : ايم من تنوّق في الأمر : تخوضونا في فيه (٢) حكم الأمر : أحکمه (٣) الفرع : من ضرع : إذا ذل وخضم . والغم : من لم يجرب الأمور وبالتحريك المقد .

وترى قناتي حين يغمرها غمّ الثقافِ بطينة الكسرِ
ثم أمرني أن أسألهما ، ففعلت ؛ فسألتهما عن شيء ، إلا أحسنا الجوابَ فيه والخروجَ
منه ، فسررَ بذلك الرشيد ، حتى تبيّنتُ فيه ، ثم قال : ياعلَى ، كيف ترى مذهبَهما
وجوابَهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين هما كذا قال الشاعر :

أَرِيْ قَرِيْ مَجْدِيْ وَفَرْعَى خَلَافَتِيْ يَزِيْنَهَا عَرْقَ كَرِيمٍ وَمُخْتَدِلُ
يَسْدَانَ آفَاقَ السَّمَاءِ بِشِيمَةِ يَوْيِدُهَا حَزْمٌ وَعَصْبَ مُهَنَّدُ
سَلِيلِيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَحَازَمِيْ مَوَارِيثَ مَا يُبَقِّيْ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
يَا مَيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ، هَمَا فَرَعَ زَ كَأَصْلِهِ ، وَطَابَ مَغْرِسَهُ ، وَتَكَنَّتِيْ فِي التَّرَى
عَرْوَقَهُ ، وَعَذَبَتِيْ مَشَارِبَهُ ، أَبُوهُمَا مَالِكٌ أَغْرَى نَافِذَ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْعِلْمِ ، عَظِيمُ الْحَلْمِ ،
فَهُمَا يَسْتَضِيئَانَ بِنُورِهِ ، وَيَنْطَقَانَ بِلِسَانِهِ ، وَيَتَقَلَّبَانَ فِي سَعادَتِهِ ، فَأَمْتَعَ اللَّهُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِهِمَا ، وَآتَى جَمِيعَ الْأُمَّةِ بِيَقَانِهِ وَبِقَائِمَاهُ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْخَلْفَاءِ
وَأَغْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمَبَارَكَةِ أَذْرَبَ^(١) مِنْهُمَا لِسَانًا ، وَلَا أَعْذَبَ كَلَامًا ، وَلَا أَحْسَنَ
أَلْفَاظًا ، وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفْظَا وَرَوْيَا ؛ وَدَعَوْتُ لَهُمَا دَعَاءً كَثِيرًا ، وَأَمْنَى
الْرَّشِيدَ عَلَى دَعَائِيْ ، ثُمَّ ضَرَبَهُمَا إِلَيْهِ ، وَجَمَعَ يَدَيْهِمَا فَلَمْ يَسْطِعْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْوَعَ
تَنْحدِرُ عَلَى صَدْرِهِ ؛ رَقَّةً عَلَيْهِمَا وَإِشْفَاقًا . ثُمَّ أَمْرَهَا بِالْخَرْجِ .

فَلَمَّا خَرَجَا قَبْلَ عَلَىَّ ، قَالَ : كَأَنْكَ بِهِمَا - وَقَدْ حُمِّلَ الْقَضَاءُ ، وَنَزَّلَتْ مَقَادِيرُ السَّمَاءِ ، وَبَلَغَ
الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَانْتَهَىَ الْأَمْرُ إِلَىْ وَقْتِهِ الْمَحْدُودِ وَحِينَهُ الْمَسْطُورُ الَّذِي لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ ، وَلَا
يَنْعِيْ مِنْهُ مَانِعٌ - قَدْ تَشَتَّتَ أَمْرُهُمَا ، وَافْتَرَقَتْ كَلِمَتَهُمَا ، وَظَهَرَتْ مَعَادِيهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ ذَلِكَ بِهِمَا
حَتَّىْ تَسْفَكَ الدَّمَاءُ ، وَتَكْثُرَ القَتْلُ ، وَتَهْتَكَ سُتُورَ النِّسَاءِ ، وَيَتَمَّنِيْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ

(١) الترب : الحديد المسان .

أُنْهَمْ فِي عَدَادِ الْمُوْتَىْ ، قَالَتْ : أَيْكُونْ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمْرِ رَأْيِهِ ، أَوْ لِرُؤْيَاِ ، أَوْ لِشَيْءٍ تَبَيَّنَ لَكَ فِي أَصْلِ مُولَدِهَا ، أَوْ لِأَنْرُوْقَعَ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِمَا ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ أَثْرٌ صَحِيحٌ ، حَلَّتْهُ الْعُلَمَاءُ عَنِ الْأَوْصِيَاءِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ !

* ١٧١ — قُرْسَاتُ عَيْنٍ

قُولْ مُحَمَّدْ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَاهَشِيِّ^(١) :

كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرَ بْنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّي ، وَكَانَتْ لَبِيَّبَةً مِنَ النِّسَاءِ ، حَازِمَةً فَصِيقَةَ بَرْزَةً ، يُعْجِبُنِي أَنْ أَجَدَهَا عِنْدَ أُمِّي فَاسْتَكْثَرَ مِنْ حَدِيثِهَا ، قَلَّتْ لَهَا يَوْمًا : يَا أُمَّ جَعْفَرَ ، إِنْ بَعْضَ النِّاسِ يُفَضِّلُ جَعْفَرًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ يُفَضِّلُ الْفَضْلَ عَلَى جَعْفَرَ ، فَأَخْبَرَنِي . قَالَتْ : مَا زَلْنَا نَعْرِفُ الْفَضْلَ لِلْفَضْلِ . قَلَّتْ : إِنْ أَكْثَرَ النِّاسِ عَلَى خَلَافِ هَذَا . قَالَتْ : سَاحِدَتْكَ وَاقْضِ أَنْتَ – وَكَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرْدَتُ مِنْهَا .

قَالَتْ : كَانَا يَوْمًا يَلْبَيَانَ فِي دَارِي ، فَدَخَلَ أَبُوهُمَا فَدَعَا بِالغِذَاءِ وَأَحْضَرَهُمَا ، فَطَعِمَاهُمْ مَعَهُ ، ثُمَّ آتَاهُمَا بِحَدِيثِهِ ، وَقَالَ لَهُمَا : أَتَلْبَيَانَ بِالشَّطَرِ نَجْ ? قَالَ جَعْفَرٌ – وَكَانَ أَجْرَأَهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَهَلْ لَاعْبَتَ أَخَاكَ بِهَا ؟ قَالَ جَعْفَرٌ : لَا . قَالَ : فَأَلْعَبَا بِهَا بَيْنَ يَدَيِّ لِأَرَى لِمَنِ الْفَلَبَ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بِهَا ، فَجَعَى بِالشَّطَرِ نَجْ ، فَصُفِّتَ بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا الْفَضْلَ . قَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَالِكٌ لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ قَالَ : لَا أَحْبَ ذَلِكَ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ

* أَبْنَاءُ نَجْيَاءَ الْأَبْنَاءِ مِنْ ١٣٠

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ صَلَةِ السَّكُوفَةِ .

يرى أنه أعلم بها من فیا نف من ملاعبي ، وأنا الاعبه مخاطرة^(١) .

فقال الفضل : لا أفعل ، فقال أبوه : لاعبه وأنا معك ، فقال جعفر : رضيت ،
وأبى الفضل واستعنف أباه فأعفاه .

ثم قالت لي : قد حدثت فاقض ، فقلت : قد قضيت بالفضل للفضل على أخيه ،
فقالت : لوعامت أنك لاتحسن القضاء لما حكمت ، أفلاترى أن جعفرا قد سقط
أربع سقطات تزره الفضل عنهم : سقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج ،
وكان أبوه صاحب جد ، وسقط في التزام ملاعبة أخيه ، وإظهار الشهوة لغلهبه ،
والتعريض لغضبه ؛ وسقط في طلب المقاومة وإظهار الحرص على مال أخيه ؛ والرابعة
قادمة الظهر حين قال أبوه لأخيه : لاعبه وأنا معك ، فقال أخوه : لا ، وقال هو :
نعم ؛ فنالصب^(٢) صفا فيه أبوه وأخوه .

فقلت : أحسنت والله ، وإنك لافتني من الشعبي^(٣) . ثم قلت لها : عزمت عليك
أخبريني : هل خفي مثل هذا على جعفر وقد فطن له أخوه ؟ فقالت : لو لا العزم
لما أخبرتك ، إن أباها لما خرج قاتل الفضل خالية به : ماما منعك من إدخال السرور
على أبيك ملاعبة أخيك ؟ فقال : أمران ؛ أحدهما أن للاعبته لغليته فأخجلته ،
والثاني قول أبي : لاعبه وأنا معك ، فايسرئني أن يكون أبي معى على أخي . ثم
خلوت بجعفر قلت له : يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترض ،
وأبوك صاحب جد ! فقال : إنى سمعت أبي يقول : نعم هؤالى المكدرود^(٤) .
وقد علم مانلقاه من كده التعلم والتاذب ، ولم آمن أن يكون بلغه أنا نائب بها ولا

(١) المخاطرة : المراهنة (٢) ناصب الصف : وقف إزاءه وعاده (٣) الشعبي : أحد رجال الحديث والفقهاء (٤) كده : أجدهه وأنبه .

أَن يُبَادِرْ فِينَكَرْ ؛ فَبَادَرْتُ بِالإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَلَيْهِ ، وَقَاتْ : إِن كَانْ تَوْبِيْخُ فَدَيْتُهُ مِنَ الْمُوَاجِهَةِ بِهِ .

فَقَلَتْ لَهُ : يَا بُنَيْ ؟ فِيمَ تَقُولُ أَلَا عَبْدُ مُخَاطِرَةً ؟ كَأَنَّكَ تَقْامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ !
فَقَالَ : كَلا ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاهُ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَعَرَضَهُ عَلَيْهِ ،
فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعَتْ أَنْ يَلْأَعِنَنِي فَأَخَاطِرَهُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ يَغْلِبُنِي فَتَطْبِبُ نَفْسَهُ بِأَخْذِهِ .
فَقَلَتْ لَهُ : يَا أَمَّاهُ ، مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاهُ ؟ فَقَالَتْ : إِنْ جَعْفَرًا دَخَلَ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدِيهِ دَوَاهَ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مَحَلَّةً بِالْيَا قَوْتُ الْأَزْرَقِ
وَالْأَصْفَرِ ؛ فَرَآهُ يَنْظَرُ إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . فَقَلَتْ : إِيَّاهُ .

فَقَالَتْ : ثُمَّ قَلَتْ لِجَعْفَرٍ : هَبْكَ اعْتَذَرْتَ بِمَا سَمِعْتَ ، فَمَاعْذُرُكَ مِنَ الرِّضَا بِمَنْاصِبَةِ
أَبِيكَ حِينَ قَالَ : لَا عَبْدُهُ وَأَنَامُكَ ؟ فَقَلَتْ أَنْتَ : نَعَمْ ، وَقَالَ هُوَ : لَا . فَقَالَ : عَرَفْتُ
أَنَّهُ غَالِبِي ، وَلَوْ فَتَرَ لَعِبَهُ لِتَغَالِبَتُ لَهُ ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الْشَّرْفِ وَالسُّرُورِ بِتَحْيِزِ أَبِيهِ إِلَيْهِ .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنْ : فَقَلَتْ : بَخَ بَخَ^(١) هَذِهِ وَاللَّهُ السِّيَادَةُ ، ثُمَّ قَلَتْ
لَهَا : يَا أَمَّاهُ ، أَكَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحَلْمَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيْ ؟ أَيْنَ يَدْهُبُكُ ؟ أَخْبَرَكَ
عَنْ صَبَّيْنِ يَلْعَبَانِ فَتَقُولُ : أَكَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحَلْمَ ! لَقَدْ كَنَّا نَهْنَى الصَّبَّيْنَ إِذَا
بَلَغُ الْعَشْرَ وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَحْجِي مِنْهُ أَنْ يَمْتَسِمْ !

(١) يَقَالُ : بَخَ بَخَ ، إِعْجَابًا بِالشَّيْءِ وَإِظْهَارًا لِلسُّرُورِ بِهِ .

* ١٧٢ — حيلة وآلٍ

بلغ الرشيد أن موسى بن عيسى^(١) - وكان أميراً على مصر من قبلاه - عازم على خلعه ، فقال : والله لأعزّلنه بأحسنٍ مَنْ على باي ! وقال ليحيى^(٢) بن خالد : اطلبْ لِي كاتباً عفيفاً يصلح لعمل مصر ، واكتم خبره ، فلا يشعر به موسى حتى يفجأه ، فقال : قد وجدته ، قال : من هو ؟ قال : عمر بن مهران^(٣) .

فكتب له بخطه كتاباً إلى موسى بتسليم العمل إليه ، فسار وليس معه غير غلامٍ أسود ، على بغل استأجره ، ومعه خُرُوجٌ فيه قميص وطيلسان^(٤) وخف ! فلما وصل إلى مصر نزل خاناً ، فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد ، وعمّن فيه من العمال ، وأخبر من كانوا بجواره في الخان أنه قد ولّى مصر ، واستعمل منهم كتاباً وحاجباً وصاحبَ شرطة ، وقد آخر بيت المال ؛ وأمر من تبعه ووثق به أن يدخل معه على موسى ، فإذا سمعوا حركة في دار الإمارة قبضوا على الديوان .

فلما أبْرَمَ أمره بَكَرَ إلى دار الإمارة ، فأذن موسى للناس إذْنَا عاماً ، فدخل في

* غرر الحصائص ص ٤٤ ، النجوم الزاهرة ص ٧٨ ج ٢

(١) هو موسى بن عيسى الأمير العباسى ، ولي إمرة مصر على الصلاة سنة ١٧١ ، ثم عزّله الرشيد وولاه ثانية سنة ١٧٤ هـ وعزل سنة ١٧٦ هـ ، وكان عادة جواداً مدوحاً (٢) يحيى ابن خالد : وزير هارون الرشيد (٣) كان عمر قائداً لجيش وكابلاً للخرجاج كما كان مديرآ للأملاك الدولة (٤) الطيلسان : نوع من الأكسيبة .

جلتهم و من اتفق معهم ، و موسى جالس في دسته^(١) ، والقواد يبن يديه ، وكل من
قضيت حاجته ينصرف . و عمر جالس ، وال الحاجب ساعة بعد ساعة يسأله عن
حاجته ، وهو يتفاصل ، حتى خف الناس ، فتقعد ، وأخرج كتاب الرشيد ودفعه
لmosى ؟ فقبله ووضعه على رأسه ، ثم فتحه وقرأه فانتفع^(٢) لونه ، وقال : السمع
والطاعة .

ثم قال : أقرى أبا حفص السلام ، وقل له : كُن بموضعك حتى تتخذ لك
منزلاً ، ونأمر الجندي يستقبلونك ! قال : أنا عمر بن مهران ، وقد أمرني أمير المؤمنين
أن أقيمك للناس ، وأنصف المظلوم منك ، وأنا فاعل ما أمرني به أمير المؤمنين !
 فقال له موسى : أنت عمر بن مهران !؟ قال : نعم ! قال : لعن الله فرعون
حيث قال : أليس لي ملائكة مصر ؟! وااضطراب المجلس !
فقبض على الديوان ؛ ونزل موسى عن فرشه ، وقال : لا إله إلا الله ! هكذا
تقوم الساعة ! ماظنت أن أحداً بلغ من الحيلة والخزم مابلغت ؟ تسلمت مني العمل ،
وأنت في مجلسى !

ثم نهض عمر إلى الديوان ، ونظر فيه ، وأمر ونهى ، وعزل وولى .

(١) الدست : صدر البيت (٢) انتفع لونه : تغير

* ١٧٣ — أعطني على قدرى

دخل رجلٌ بدوىٌ عليه شَعْثُ السفر ، على داود^(١) المَهْلِبِي - وكان إذا حضرَ الطَّعامُ يتقدّمُ بِصَرْفِ البوابين ، ولا يمنعُ من الوصول إلى طعامه - فلما فرغ من الطعام وَثَبَ قَائِمًا وأوْمَى إِلَيْهِ ، وَقَالَ : مَن أَنْتَ يَا فَتى؟ قَالَ : شاعر ، فَصَدَّتْكَ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ . قَالَ داود : مَهْلَأً قَلِيلًا ، ثُمَّ دُعا بِقوسِ فَأَوْتَرَهَا^(٢) ، وأوْمَى إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَلْ ، فَإِنْ أَنْتَ أَحْسَنْتَ خَامْتُ وأَجْزَلْتُ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ رَمَيْتُكَ بِهَذَا السَّهْمِ يَقْعُدُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَقْعُدُ فِيهِ ، فَبَتَّسَمَ البدوى ، وَقَالَ :

أَمْنَتْ بِداودِ وجودِ يَمِينِهِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَرْهُوبِ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ وَأَصْبَحَتْ لَا أَخْشَى بِداودِ نَبَوَةً وَلَا حَدَّثَانَا إِنْ شَدَّدْتُ بِهِ أَزْرِي لَهُ حَكْمُ الْقُمَانِ وَصُورَةُ يَوْسُفَ وَمُلْكُ سَلِيمَانَ وَصَدَقُ أَبِي ذَرَّ فَتَى تَهْرُبُ الْأَمْوَالِ مِنْ جُودِ كَفَّهِ كَاهِرُ بِالشَّيْطَانِ مِنْ لَيْلَةِ الْقُدْرِ فَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجَوَادِ ، وَالْوَتْرُ النَّدِيِّ وَسَهْمُكَ فِي الْمَوْتِ فَاقْتُلَ بِهِ فَقْرَى فَضِيحَكَ داود وَرَمَى بِسَهْمِهِ مَعَ الْقَوْسِ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : يَا فَتى الْعَرَبِ ، بِاللَّهِ

* الختار من نوادر الأخبار - مخطوط .

(١) هو داود بن يزيد بن حاتم المَهْلِبِي أمير من الشجعات العقلاء ، كان وايـاً على إفريقية ، وبقي في إمارتها أشـهـر ، ثم لـاه الرشيد الـسـند ، فانـسـقت له أمورـها ، واستـمـرـ بها إلى أنـ توفـيـ سنة ٢٠٥ هـ (٢) أوـتـرـ قـوسـهـ : جـهـلـ لهاـ وـتـرأـ .

هل كان ذكر القوس في الآيات؟ قال: لا والله! ففرح بذلك، وقال: يا فتى العرب بالله أيمًا أحب إليك: أعطيك على قدرك أم على قدرى؟ قال: بل على قدرى! قال: كم على قدرك؟ قال: مائة ألف درهم، فأمر له بها.

ثم قال: مامنعتك أن تقول على قدرى؟ قال: أيها الأمير، أردت أن أقول ذلك، فإذا الأرض لم تساو قدر الأمير، فطلبت على قدرى! قال: الله درك! والله إن نترك لأحسن من نظمك! وأمر له بمائة ألف ثانية، وأمره لا ينقطع عنه.

١٧٤ — طاهر بن الحسين والأئمَّون *

لما انقضَّ طاهر^(١) بن الحسين بخراسان عن المأمون ، وأخذ حذره أدبَ له المأمون وصيفاً^(٢) بأحسنِ الآداب ، وعلمه فنونَ العلم ، ثم أهداه إليه مع الطافَ كثيرة من طرائفِ العراق ، وقد واطأه على أن يسمَّه ، وأعطاه سُمَّ ساعة . ووعده على ذلك بأموالٍ كثيرة .

فلمَّا انتهى إلى خراسان ، وأوصلَ الهدية ، قبل طاهر الهدية ، وأمر بإزالَ الوصيف في دار ، وأجرَى عليه ما يحتاجُ إليه من التَّوْسُعة ؛ وتركه أشهرَ .

فَلَمَّا بَرِمَ الْوَصِيفُ بِمَكَانِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :

يا سيدى : إنَّ كُنْتَ تَقْبِلُنِي فَاقْبِلْنِي ، وَإِلا فَرَدَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ !

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، وَأَمْرَ بِإِدْخَالِهِ ؛ فَلَمَّا انتهى إلى بَابِ الْجَلْسِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَمْرُهِ

بِالْوَقْوَفِ عَنْدَ بَابِ الْجَلْسِ ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى لِبْدِ أَبِي ضَيْضٍ ، وَقَرْعَ^(٣) رَأْسَهُ ، وَبَيْنِ

يَدِيهِ مَصْحَفٌ مَنْشُورٌ ، وَسِيفٌ مَسْلُولٌ . فَقَالَ : قَدْ قَبَلْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

غَيْرَكَ ؟ فَإِنَّا لَا نَقْبِلُكَ ، وَقَدْ صَرْفْنَاكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ عَنْدَنِي جَوَابٌ

* العدد الفريد ص ٢٥٩ ج ١

(١) كان طاهر بن الحسين أكبر من اشتهر في عهد المأمون بقيادة الجيوش وعن التقىه وبعد الصيت ، وهو الذي قتل الأمين سنة ١٩٨ ، ولاه المأمون خراسان ، وكان مستقلًا بها ، يؤدى الخراج عن عملها ، وتغير عليه المأمون حينما بلغه أنه امتنع عن الدعاء له على المنبر ، وتوفى بعرو

سنة ٢٠٧ هـ (٢) الوصيف : الخادم والخادمة (٣) قرع رأسه : ضربه بالعصا .

أَكْتُبْهُ إِلَى مَاتِرِي مِنْ حَالِي ؛ فَأَبْلُغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامَ ، وَأَعْلَمُهُ بِالحَالِ الَّتِي
رَأَيْتَنِي فِيهَا .

فَلَمَّا قَدِمَ الْوَصِيفُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَلَّمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَوَصَّفَ لَهُ الْحَالَ
الَّتِي رَأَاهُ فِيهَا شَاورُ وِزَرَاءَهُ فِي ذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَعْنَاهُ ، فَلَمْ يَعْلَمْهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ؛
فَقَالَ الْمُؤْمِنُ : لَكُنِي قَدْ فَهَمْتُ مَعْنَاهُ : أَمَا تَقْرِيرُهُ رَأْسَهُ وَجْلُوسُهُ عَلَى الْلَّبْدِ الْأَبْيَضِ
فَهُوَ يَخْبُرُنَا أَنَّهُ عَبْدٌ ذَلِيلٌ . وَأَمَا الْمَصْحَفُ الْمُنشُورُ فَإِنَّهُ يَذْكُرُنَا بِالْعَهْوُدِ الَّتِي لَهُ
عَلَيْنَا ، وَأَمَا السَّيْفُ الْمُسْلُولُ فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ نَكْثَتَ تَلَكَ الْعَهْوُدُ ، فَهَذَا يَحْكُمُ بَيْنِنَا
وَبَيْنَكَ . أَغْلَقُوا عَنَا بَابَ ذَكْرِهِ ، وَلَا تَهْبِجُوهُ فِي شَيْءٍ ؛ فَلَمْ يَهْجُهِ الْمُؤْمِنُ حَتَّى
جَاءَتْهُ !

١٧٥ - هَمْتُ بِالْأُوْطَانِ وَجَدَّاً بِهَا *

سمع طاهر بن الحسين عوف بن محلم^(١) الخزاعي ، ينشد شعراً يقول فيه :

عَجِبْتُ لِحَرَاقَةِ ابْنِ الْحَسِينِ نَكِيفَ تَعُومُ وَلَا تَفَرَّقُ
وَبَحْرَانِ : مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخِرٌ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقٌ
وَأَعْجَبْتُ مِنْ ذَاكَ عِدَانَهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ ؟

فَأَدْخَلَهُ ، وَأَنْشَدَهُ إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَخْتَصَهُ بِعِنَادِمَتِهِ ، وَاخْتَارَهُ لِسَامِرَتِهِ ، وَكَانَ لَا يَخْرُجُ
فِي سَفَرٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مَعَهُ ، وَجَعَلَهُ زَمِيلَهُ وَأَنْيَسَهُ وَعَدِيلَهُ ، وَكَانَ عَوْفٌ يَسْتَأْذِنُهُ فِي
الْإِنْصَارَافِ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطْنِهِ ، فَلَا يَأْذِنُ لَهُ ، وَلَا يُسْمِحُ بِهِ . فَلَمَّا مَاتَ طَاهِرٌ ظَنَّ أَنَّهُ
قَدْ تَخْلَصَ ، وَأَنَّهُ يَلْحُقُ بِأَهْلِهِ ، وَيَرْجِعُ إِلَى وَطْنِهِ ، فَقَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ مِنْ
نَفْسِهِ ، وَأَنْزَلَهُ مِنْزَلَتِهِ مِنْ أَيْمَانِهِ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَدِيبًا فَاضِلًا عَالَمًا بِأَخْبَارِ النَّاسِ -
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى أَدْبَرِ عَوْفٍ وَفَضَلَ تَمْسِكَ بِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ ، وَحَسْنَ
حَالُهُ ؛ وَتَلَطَّفَ بِجَهَدِهِ أَنْ يَأْذِنَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْمَوْدِ إِلَى وَطْنِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ
سَبِيلٌ !

وَحْزَنَ الشَّوْقُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَهْمَمَ أَمْرَهُمْ ؛ فَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ بَغْدَادَ

* معجم الأدباء من ١٤٠ ج ١٦

(١) أحد العلماء الأدباء الرواة النداماء الشعراء اختص طاهر بعنادمه فبغى عليه ثلاثة سنة لا يفارقه . وتوفي نحو سنة ٢٢٠ هـ .

يريد خراسان ، فصَيَّرَ عَوْفًا عَدِيلَهُ^(١) ، يستمتع بِسَامِرَتِهِ ، وَيُرَتَّحُ إِلَى مَحَادِثَتِهِ إِلَى أَنْ دَنَا مِنَ الرَّأْيِ^(٢) ؛ فَلَمَّا شَارَفَهَا سَمْعُ صَوْتَ عَنْدَلِيمِ يَغْرِدُ بِأَحْسَنِ تَغْرِيدٍ ، وَأَشْجَبَ صَوْتٍ ؟ فَأَعْجَبَ عَبْدُ اللَّهِ بِصَوْتِهِ ، وَالْتَّفَتَ إِلَى عَوْفَ بْنِ حَمْلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بْنَ حَمْلَمَ ؟ هَلْ سَمِعْتَ قُطُّ أَشْجَبَ مِنْ هَذَا الصَّوْتِ وَأَطْرَابَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَيْهَا الْأَمِيرُ ! وَإِنَّهُ لَحَسْنُ الصَّوْتِ شَجَبِ النُّغْمَةِ ، مُطْرِبُ التَّغْرِيدِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

قَاتَلَ اللَّهُ أَبَا كَبِيرٍ حِيثُ يَقُولُ :

أَلَا يَا حَمَّامَ الْأَيْكِ إِلَفَكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَادٌ فَقِيمَ تَنْوِحُ
أَرْقُقُ ! لَا تَنْجُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ! فَإِنَّنِي بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ
وَلُوعًا^(٣) فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارِزِينَ فَهَنَا أَبْكَى وَالْفَوَادُ قَرِيبُ
فَقَالَ عَوْفٌ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ أَبُو كَبِيرٍ وَأَجَادَ . ثُمَّ قَالَ : أَصْلَحْ اللَّهُ الْأَمِيرُ ؟ إِنَّهُ
كَانَ فِي الْمُهَذَّلِيْنَ مائَةً وَثَلَاثُونَ شَاعِرًا ، مَا فِيهِمْ إِلَّا مُغْنَاقٌ ، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مُشْلُّ
أَبِي كَبِيرٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُبَدِّعُ فِي شِعْرِهِ ، وَيُفْهَمُ آخِرُ قُولِهِ وَأَوْلُهُ ، وَمَا شَاءَ أَبْلَغَ فِي
الشِّعْرِ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ !

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَجَزَّتَ شَعْرَ أَبِي كَبِيرٍ ! قَالَ عَوْفٌ : أَصْلَحْ
اللَّهُ الْأَمِيرَ ! قَدْ كَبَرَتْ سَنَى ، وَفِي ذِهْنِي ، وَأَنْكَرَتْ كُلَّ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ !
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : سَأَلَّتُكَ بِحَقِّ طَاهِرٍ إِلَّا فَعَلْتَ ! وَكَانَ لَا يُسْأَلُ بِحَقِّ طَاهِرٍ شَيْئًا إِلَّا
ابْتَدَأَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ عَوْفٌ ذَلِكَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) عَدِيلَهُ : يَقَالُ عَادِلَهُ فِي الْمَحْلِ ، أَيْ رَكِبُ مَعَهُ (٢) كَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً فَتَحَاجَاهَا نَعِيمُ بْنُ
مَقْرَنَ فِي خَلْفَةِ عَمْرٍ ، وَهِيَ الآنُ أَطْلَالُ عَلَى مَسَافَةِ خَمْسَةِ كِيلُومُترَاتٍ مِنْ طَهْرَانَ (٣) لَوْعًا :

مَصْدَرُ وَلْعٍ بِهِ : اسْتَخْفَ شَوْقًا .

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةً وَنَزُوحُ أَمَّا لِلنَّوْيِّ مِنْ وَنِيَّةٍ^(١) فَتُرِيحُ
 لَقْد طَلَحَ^(٢) الْبَيْنُ الْمِشْتُ رَكَابِي فَهِلْ أَرِينَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيجُ
 وَأَرْقَنِي بِالرَّأْيِ نَوْحُ حَامِمٌ فَنُخْتُ وَذُو الْبَثَّ الْغَرِيبِ يَنْوَحُ
 عَلَى أَمْهَا نَاحِتُ وَلَمْ تُذْرِ^(٣) دَمْعَةً وَنُخْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمْوَعِ سُفُوحُ
 وَنَاحِتُ وَفَرْخَاهَا بِحِيثُ تَرَاهَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامِهُ فِيْحُ
 أَلَا يَأْحَمَ الْأَيْنِكِ إِلْفَكَ حَارِضُ
 عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوْيِّ^(٤)
 فَإِنَّ الْفَنِي يُدْنِي الْفَتَّى مِنْ صَدِيقِهِ وَءُمُّ الْفَنِي بِالْمُقْتَرِينَ طَرُوحُ^(٥)

فَاسْتَعْبَرَ^(٦) عَبْدُ اللَّهِ، وَرَقَّ لَهُ، وَجَرَتْ دَمْوَعُهُ، وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِضَنِينَ
 بِعْفَارَقِتِكَ، شَحِيجٌ عَلَى الْفَائِتِ مِنْ حُمَاضَرَتِكَ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا أَعْمَلْتَ مَعِي خُفَاؤِلَا
 حَافِرًا إِلَّا رَاجِعًا إِلَى أَهْلَكَ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَهمٍ . فَقَالَ يَدْحُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبَاهُ:
 يَا بْنَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَانِ وَأَلْسَنَ الْأَمْنَ بِهِ الْمَغْرِبِانِ^(٧)
 إِنَّ الْمَهَانِينَ - وَبُاغْتَهُمَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمِّيَ إِلَى تَرْجُمَانِ
 وَأَبْدَلَتِنِي بِالشَّطَاطِ الْحَنَّا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٨)

(١) الْوَنِيَّةُ : الْفَتَّةُ (٢) طَلَحُ : أَعْيَا (٣) لَمْ تَنْدُرْ : لَمْ تَرْسُلْ مِنْ عِنْهَا دَمْعَةً ، وَأَسْرَابُ
 الدَّمْوَعِ جَاعِلَاهَا . سُفُوحُ : مَصْدُر سُفُوحُ الدَّمْعِ كَمْنَتُ : صَبِيَّهُ ، أَوْسَفُ الدَّمْعُ : الْمُصْبِبُ
 (٤) النَّطَوَافُ : مَصْدُر طَافَ ، وَإِلَاءِ عَصَا النَّطَوَافَ : كَنْيَةٌ عَنِ الْاِسْتِفَارِ وَتَرْكِ الْسَّفَرِ ، وَطَرِيعَ
 بِعْنَى مَطْرُوحٍ (٥) طَرُوحُ : رَامٌ وَقَادِفٌ ، صَيْغَةٌ مِنَ الْفَلْقَةِ . وَالْمُقْتَرِينَ : الْمُصْبِقِينَ عَلَيْهِمْ فِي النَّفَقَةِ
 (٦) اسْتَعْبَرَ : جَرَتْ عَبْرَتِهِ أَيْ دَعْتَهُ وَحَزَنَ (٧) يَا بْنَ مِنْ حُكْمِ الْمَشْرِقَيْنِ ، وَأَحْلَلَ الْأَمْنَ فِي
 الْمَغْرِبِينَ (٨) الشَّطَاطِ : الظَّولُ وَحْسَنُ الْقَوْمَ أَوْ اعْدَالُهُ . وَالْحَنَّا : الْأَنْهَاءُ ، يَرِيدُ تَفَوُسَ
 الظَّهَرِ ، وَالصَّعْدَةُ : الْفَنَاءُ الْمُسْتَوْيَةُ ، وَالسَّنَانُ : حَدِيدَتِهِ .

وَعُوَضْتُنِي مِنْ زَمَاعَ^(١) الْفَتَى وَهَبْتِي هُمُ الْجَبَانُ الْهِدَانُ
 وَقَارَبْتُ مِنِي خُطَا لَمْ تَكُنْ مُقَارَبَاتٍ وَثَنَتْ مِنْ عِنَانَ^(٢)
 وَلَمْ تَدْعُ فِي لِعْسَمَمْتَعٍ إِلَّا إِسَانِي ، وَبِحَسْبِي لِسَانٍ
 أَدْعُو بِهِ اللَّهَ وَأَشْنَى بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعِي الْمِحَانَ^(٣)
 وَهِمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجَدَّا بِهَا وَبِالْغَوَانِ ، أَيْنَ مِنَ الْغَوَانَ^(٤)
 فَقَرَبَانِي - بَأْنِي أَنْتُمَا - مِنْ وَطَنِي قَبْلِ اصْفَارِ الْبَنَانَ^(٥)
 شَمْ وَدَعَ عَبْدَ اللَّهِ ، وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ فَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ !

(١) الزماع : المتساه في الأمر ، والزميع : الشجاع الذي يزمع بالأمر ، ثم لا يثنى عنه ، والهدان : الأحق التقليل (٢) العنان : سيد التجام (٣) الجبان : الحبيب (٤) همت بالأوطان : أحبتها وتعلقت بها من الوجود والحزن ، والنوانى : جمع غانية ، وهي المرأة الجليلة الناتمة المستديدة بمحملها (٥) كنية عن الموت .

١٧٦ — فراسة أعرابي *

قال أبو السمراء :

خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجّبين إلى مصر ، حتى إذا كنا بين
 الرملة ^(١) ودمشق إذا نحن بأعرابي قد اعترض ، فإذا شيخ فيه بقية ، على بغير له
 أورق ^(٢) ، فسلم علينا فرددنا عليه السلام ، وكان معنا إسحاق بن إبراهيم الراقي ،
 وإسحاق بن أبي ربعي ، ونحن نسair الأمير ، وكنا يومئذ أفره من الأمير دواب ،
 وأجود منه كُسَّا ^(٣) .

فجعل الأعرابي ينظر في وجوهنا ، فقلت : ياشيخ ، قد الححت في النظر !
 أعرفت شيئاً أم أنكرته ؟ قال : لا والله ما عرفتكم قبل يومي هذا ، ولا أنكرتكم
 لسوء أرءاه فيكم ؛ ولكنني رجل حسن الفراسة في الناس ، جيد المعرفة بهم ؛
 فأشرت له إلى إسحاق بن أبي ربعي ، فقلت : ماتقول في هذا ؟ فقال :

أرى كتاباً داهي الكتابة بينْ عليه وتأديبُ العراق منيرُ
 له حركات قد يشاهدنَّ أنه علم بتقسّط الخراج بصير
 ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الراقي ، فقال :

ومؤثثِ نسِك ما عليه ضميره يحبُّ المدايا بالرجال مَكُور

* عصر المؤمنون ص ٤١٣ ج ٤

(١) الرملة : خمسة مواضع أشهرها بلد بالشام (٢) الأورق من الإبل : ما في لونه ينافى
 إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل حلاً لاسيراً (٣) جمع كسوة .

إخال به جبنا وبحلا وشيمة تخبر عنه انه لوزير
ثم نظر إلى ، وأنشا يقول :

يكون له بالقرب منه سرور وهذا نديم للأمير ومؤنس
في بعض نديم مرة وسيرى وأحسبه للشعر والعلم راويا
ثم نظر إلى الأمير ، وأنشا يقول :

هذا إن له فيمن رأيت كفة وهذا الأمير المرتجى سيف كفه
عليه رداء من جمال وهيبة وقد عصم الإسلام منه بذاته
لأنه عاش معروف ومات نكير ألا إنما عبد الله بن طاهر لنا ولدنا بربنا وأمير

فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع ، وأعجبه ما قال الشيخ ؛ فأمر له بخمسة
دينار ، وأمره أن يصحبه .

وقد شكره رضا الله عليه ونفعه ثم أتى به إلى
الله ثم أتى به إلى الملك ثم أتى به إلى الملك ثم أتى به إلى الملك ثم
أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم
أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم
أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم أتى به الملك ثم

١٧٧ — ثابت الجنان *

قال أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادَ :

ما رأيت رجلاً عرضاً على الموت ورأى النطع مفروشاً والسيف مسلولاً ، ولم يكتثر ذلك ، ولا عدل به عما أراد إلا تيم بن جليل ، وقد كان خرج على المعتصم في أيام دولته ، وزرع يده عن الطاعة ، وانقطع إلى بعض النواحي ، وكان قد عظم أمره على المعتصم ، وقد رأيته وقد جيء به مكتوفاً أسيراً ، وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتل المعتصم ، وكان المعتصم قد جلس له مجلساً منكراً ، وأمر الناس بالدخول .

ودخل تيم ، وحضر السيف ، وفرش النطع ، وكان تيم جليل الوجه تام الخلقة ، عذب المنطق ، فرأه المعتصم غير دهش ولا مكتثر لما نزل به . فأراد أن يستنبطه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت ، فقال له : يا تيم ، إن كان لك عذر فات به ، فقال :

أما إذ أذن أمير المؤمنين فالحمد لله الذي جَبَرَ بك صَدْعَ^(٢) الدين ولم ينك شعث المسلمين ، وأنار بك سبيل الحق ، وأخْمَدَ بك شهاب الباطل ؛ إن الذنب يا أمير المؤمنين تُغرس الألسنة الفصيحة ، وتمي الأفادة الصحيحة ، ووالله لقد كبر الذنب ، وعظمت الجريمة ، وانقطعت الحجة ، وساء الفتن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامتك ، وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق ، ثم أنسد :

* اختصار من نوادر الأخبار - مخطوط ، نهاية الأربع من ٦٦ ج ٦

(١) الصدع : الشق (٢) انظر صفحة ٥٥

أرى الموتَ بين السيف والنطع كامناً يُلاحظني من حينها أتلفتُ
 وأكابر ظني أنك اليوم قاتلي وأى أمرٍ مما قضى الله يُغاثٌ^(١)
 وأى أمرٍ يأتي بعذر وحجّة وسيفُ المنايا بين عينيه مصلٌ^(٢)
 وما جزَعَنِي من أن أموت وإنني لاعلمُ أن الموت شاء موقٌ
 ولكن خلق صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفقّت
 كأنى أرَاهُم حينْ أُنْهِي إلَيْهم وقد حَمَشُوا^(٣) تلك الوجوه وصوّتوا
 فإن عشتُ عاشوا سالمين بفِيَّطة أذودُ الرّدّى عنهم وإن مُتُّ موتوا^(٤)
 قال : فبِكَا المعتصم حتى ابْتَأَتْ لحيته ، وقال : إن من البيان لسحراً ، ثم قال :
 يائيم ، كاد السيف أن يسبق العفو ، وقد وهبتك الله تعالى ولصبيتك ، وغفرت لك
 الصّبّوة^(٥) ، ثم أمر بك قيوده ، وعقد له الولاية على موضعه الذي كان خرج منه ،
 ووصله بشىء كثير .

(١) أفت : تخلص ونجا (٢) مصلٌ : أصل السيف : استله من نعده (٣) خش وجهه
 لطمـه (٤) موتوا : كثـر فيهم الموت (٥) الصّبّوة : الزلة .

١٧٨ — إسحاق الموصلى حكم بين أبيه وابن جامع *

أَنِّي إِسْحَاقُ^(١) أَبَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصَلِيُّ يَوْمًا مُسَلَّمًا، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بْنِي! مَا أَعْلَمُ
أَحَدًا بَلَغَ مِنْ يَرْبَّ وَلَدَهُ مَا بَاغَتُهُ مِنْ يَرْبَكَ، وَإِنِّي لَا سَتَّلْ ذَلِكَ لَكَ؛ فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ
أَصِيرُ فِيهَا إِلَى مُحِبَّتِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ - جَعَلْتُ فَدَاكَ - كُلُّ مَا ذَكَرْتَ؛ فَأَطَّالَ
اللَّهُ بِقَاءَكَ! وَلَكِنِي أَسْأَلُكَ وَاحِدَةً: يَمُوتُ هَذَا الشَّيْخُ غَدَّاً أَوْ بَعْدِ غَدٍ لَمْ أَسْمَعْهُ؟
فَيَقُولُ النَّاسُ لِي مَاذَا - وَأَنَا أَحْلُّ مِنْكَ هَذَا الْخَلْ! قَالَ لِي: وَمَنْ هُوَ؟ قَاتَ:
ابْنُ جَامِعٍ، قَالَ: صَدِقْتَ يَا بْنِي، أَسْرِجُوا^(٢) لَنَا.

فَجَهَنَّمَ ابْنَ جَامِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبِي وَأَنَا مَعْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ جَهَنَّمَ فِي
حَاجَةٍ فَإِنْ شَتَّتَ فَأَشْتَمُنِي، وَإِنْ شَتَّتَ فَاقْدِرْ فِي غَيْرِ أَنَّهُ لَا يَدْلِكُ مِنْ قَضَائِهَا، هَذَا
عَبْدُكَ وَابْنُ أَخِيكَ إِسْحَاقَ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَرَكِبْتُ مَعَهُ أَسْأَلَكَ أَنْ تُسْعِفَهُ فِيمَا
سَأَلَ، فَقَالَ: نَعَمْ عَلَى شَرِيعَةِ: تُقْيَّانَ عَنْدِي، أَطْعَمْكَ مَشْوَشَةً^(٣) وَقَلِيلَةً^(٤)،
وَأَسْقِيَكَ وَأَغْنِيَكَ؛ فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ الْخَلِيفَةِ مَضَيَّنَا إِلَيْهِ وَإِلَّا أَقْمَنَا يَوْمَنَا، فَقَالَ
أَبِي: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَأَمْرُ الْدَّوَابِ فَرُدَّتْ.

فَجَاءَنَا ابْنَ جَامِعٍ بِالْمَشْوَشَةِ وَالْقَلِيلَةِ فَأَكَلَنَا وَشَرَبَنَا؛ ثُمَّ انْدَفَعَ فَعَنَّا، فَنَظَرْتُ
إِلَى أَبِي يَقِلُّ فِي عَيْنِي، وَيَعْظُمُ ابْنَ جَامِعٍ حَتَّى صَارَ أَبِي فِي عَيْنِي كَلَاشِيءٍ! فَلَمَّا

* الأغانى ص ٩ ج ١

(١) انظر صفحة ٤٩ (٢) أسرجوها لنا: شدوا على الخيل سروجها لنركبها (٣) المشوشة: زيت يضرب مع بياض البيض فيصنع منه طعام دسم : (٤) القليلة: مزقة تتخذ من أكباد الجزر ولحومها.

طر بنا غاية الطلب جاء رسول الخليفة ، فركبَا وركبتُ معهما ؛ فلما كنا في بعض الطريق ، قال لى أبي : كيف رأيتَ ابن جامع يابني ؟ قلت له : أَوْعَفْتِينِي - جعلت فداك ! قال : لست أَعْفِيكَ فقل . فقلت له : رأيتَك - ولا شيء أَكْبر عندي منك - قد صَغَرْتَ في عيني في الغناء معه حتى صرتَ كلاشى .

ثم مضيا إلى الرشيد وانصرفت إلى منزلِي - وذلك لأنّي لم أكن بعد وصلتُ إلى الرشيد - فلما أصبحتُ أرسل إلى أبي فقال : يابني ، هذا الشتاء قد هجم عليك وأنت تحتاج فيه إلى معونة - وإذا مال عظيم بين يديه - فاصرف هذا المال في حوالجك ، فقمت قبليت يده ورأسه ، وأمرت بحمل المال واتبعته ، فصوت : يا إسحاق ، ارجع ، فرجعت ؛ فقال لى : أتدرى لِمَ وهبْتُ لك هذا المال ؟ قلت : نعم ؛ جعلت فداك ! قال : لِمَ ؟ قلت : لصِدقِي فيك وفي ابن جامع ، قال : صدقت يابني ، امضِ راشداً .

١٧٩ — البحترى وأبو تمام *

حدث البحترى ^(١) قال : أول مارأيتُ أباً تاماً ^(٢) أتى دخلتُ على أبي سعيد
محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدة فسُرَّ بها أبو سعيد وقال : أحسنت يا فتى
وأجدتَ .

وكان في مجلسه رجلٌ نبيلٌ رفيعُ المجلس فوقَ مَنْ حضر عنده تكادُ تمسُّ
ركبَتَه ركبَتَه . فأقبلَ علىَه ، ثم قال : يافتي أَمَا تستحي منِي ؟ هذا شعرٌ لي تَنْتَحِلُه
وتتشدُّه بحضورتِي ! فقال له أبو سعيد : أَحَقًا تقول ؟ قال : نعم ! وإنما أخذته منِي
فسبقني به إِلَيْكَ وزاد فيه . ثم اندفعَ فأنشدَ أَكثَرَ هذه القصيدة حتى شَكَّكَنِي -
عِلمَ اللَّهُ - فِي نفسي وَبَقِيَتْ متحيرًا .

فأقبلَ علىَه أبو سعيد فقال : يافتي قد كان في قرابتك لنا وودنا لك ما يغنينيك
عن هذا . فجعلتُ أحلفُ له بكلِّ محراجةٍ من الأيمان أن الشعَرَ لِي ماسِقَتِي إِلَيْهِ
أَحَدٌ ولا سمعته منه ولا انتَحَلتُه . فلم ينفعَ ذلك شيئاً .
واطرق أبو سعيد ، ثم لامني حتى تمنَّيتُ أنني سُخْتُ في الأرض ؛ فقمت
مُذَكَّرًا بالبال أجرِ رجلِي فخرجت .

فَهَا هُوَ إِلَّا أَنْ بَلَغَ الدَّارَ حَتَّى خَرَجَ الْغَلْمَانُ فَرْدُونِي . فَأَقْبَلَ عَلَىَ الرَّجُلِ فَقَالَ :

* الأغاني ص ١٦٩ ج ١٨

(١) هو الوليد بن عبادة الطائي ، كان شاعراً مطبوعاً، قيل: إنه أشهر من استحق لقب شاعر بعد أبي نواس . مات سنة ٢٨٤ هـ (٢) هو حبيب بن أوس ، كان يعد رأس الطبقة الثالثة من الشعراء المحدثين ، وإليه انتهت معانٍ للنقدين والمتاخرين ، ولد الحسن بن وهب بريد الموصل ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ .

الشعرُ لك يابني ، والله ماقلته قط ولا سمعته إلا منك . ولتكنى ظننتُ أنك تهاونت
في موضعى ؛ فأقدمتَ على الإنشاد بحضورِي ، من غير معرفةٍ كانت بيننا ، تريدُ
 بذلك مُشاهاتي ومسكارتي حتى عرَفْتني الأمير نسبك وموضعك . ولو ددتَ الآلا
 تلدَ أبداً طائيةً إلا مثلك .

وجعل أبو سعيد يضحك . ودعاني أبو تمام وضمني إليه وعاتقني وأقبل يقرّ ظلي .
ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه . واقتديتُ به .

* ١٨٠ - فراسة عضد الدولة *

قدم رجل إلى بغداد للحج ، وكان معه عقد يساوى ألف دينار ، فاجتهد في
بيعه ، فلم ينفعه ؛ فجاء إلى عطار موصوف بالخير ، فأودعه إياه ، ثم حج ، وعاد ،
فأتاها بهدية ، فقال له العطار : من أنت ؟ وما هذا ؟ فقال : أنا صاحب العقد الذي
أودعتك إياه ؛ فما كلَه حتى رَفَسَهُ رَفَسَهُ رماه عن دُكَانِه ، وقال : تدعى على
مثل هذه الدعوى !

فاجتمع الناس ، وقالوا للحاج : ويلك ! هذا رجل خير ، ما وجدتَ من تدعى
عليه إلا هذا ! فتغير الحاج وترددَ إلينه ، فما زاده إلا شتماً وضرباً . فقيل له : لو
ذهبت إلى عضد الدولة ؛ فله في هذه الأشياء فراسة .

فكتب قصته ، ورفعها لعضد الدولة ، فصاح به فجاء ، فسألَه عن حاله ، فأخبره
بالقصة ، فقال : اذهب إلى العطار بـكُرْتَه ، واقعد على دكته^(١) ، فإن منعك فاقعد

* الأذكياء من ٣١

(١) الدكَّة : بناء يسطع أعلىه لعمود .

على دكّة تقابلها من بُكرة إلى المغرب ولا تكمله ، وافعل هكذا ثلاثة أيام ، فإنّي
سأمر عليك في اليوم الرابع ، وأقف وأسلم عليك ، فلا تقم لـ ولا تزدنى على ردّ
السلام ، وجواب ما أسألك عنـه ، فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد ، ثم أعلمـنى
ما يقول لك ، فإن أعطاكـه فبـغي به إلى .

فجاء إلى دكان العطار ليجلس فـنـعـه ، فـجلـسـ على دـكـةـ تـقـابـلـهـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ، فـلـمـاـ
كانـ فيـ الـيـوـمـ الـرـابـعـ اـجـتـازـ عـضـ الدـوـلـةـ فـمـوكـبـ الـعـظـيمـ ؛ فـلـمـاـ رـأـيـ الـخـرـاسـانـيـ وـقـفـ
وـقـالـ سـلـامـ عـلـيـكـ ؛ فـقـالـ الـخـرـاسـانـيـ - وـلـمـ يـتـحـركـ : وـعـلـيـكـ السـلـامـ . فـقـالـ : يـأـخـرىـ
تـقـدـمـ فـلـاتـقـىـ إـلـيـنـاـ وـلـاـ تـعـرـضـ حـوـاجـكـ عـلـيـنـاـ ! فـقـالـ : كـاـنـقـ ؛ وـلـمـ يـشـبـعـهـ الـكـلـامـ ،
وـعـضـ الدـوـلـةـ يـسـأـلـهـ ، وـيـسـتـحـفـ وـقـدـ وـقـفـ ، وـوـقـفـ الـعـسـكـرـ كـلـهـ ، وـالـعـطاـرـ قـدـ أـغـمـىـ
عـلـيـهـ مـنـ الـخـوفـ .

فـلـمـاـ انـصـرـفـ التـفـتـ الـعـطاـرـ إـلـيـهـ . فـقـالـ : وـيـحـكـ ! مـتـىـ أـوـدـعـتـنـىـ هـذـاـ الـعـقـدـ ؟
وـفـ أـىـ شـىـ كـانـ مـلـفـوـفـاـ ؟ فـذـكـرـنـىـ لـعـلـىـ أـذـكـرـهـ ؟ فـقـالـ : مـنـ صـفـتـهـ كـذـاـ وـكـذـاـ ،
فـقـامـ وـقـشـ ، وـنـقـضـ جـرـةـ عـنـدـهـ ، فـوـقـعـ الـعـقـدـ ، فـقـالـ : قـدـ نـسـيـتـ ، وـلـمـ تـذـكـرـنـىـ
الـحـالـ مـاـ ذـكـرـتـ ؟ فـأـخـذـ الـعـقـدـ ، ثـمـ قـالـ : وـأـىـ فـائـدـةـ لـىـ فـيـ أـنـ أـعـلـمـ عـضـ الدـوـلـةـ ؟ ثـمـ
قـالـ فـيـ نـفـسـهـ : لـعـلـهـ يـرـيدـ أـنـ يـشـتـرـيـهـ ، فـذـهـبـ إـلـيـهـ فـأـعـلـمـهـ ، فـبـعـثـ بـهـ مـعـ الـحـاجـ
إـلـىـ دـكـانـ الـعـطاـرـ ، فـعـاقـعـ الـعـقـدـ فـيـ عـنـقـ الـعـطاـرـ ، وـصـلـبـهـ بـيـابـ الدـكـانـ ، وـنـوـدـىـ عـلـيـهـ :
هـذـاـ جـزـاءـ مـنـ اـسـتـوـدـعـ فـجـحدـ . فـلـمـاـ ذـهـبـ النـهـارـ أـخـذـ الـحـاجـ الـعـقـدـ ، فـسـلـمـهـ إـلـىـ
الـحـاجـ ، وـقـالـ : اـذـهـبـ بـهـ !

١٨١ — ملك لا تعتصم الطيور منه *

قصد المنصور بن أبي عامر رجل جوهرى من تجبار المشرق من مدينة عدن
بجوهر كثير وأحجار نفيسة ، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسن ، ودفع إلى التاجر
الجوهرى صُرَّته - وكانت قطعة يمانية - فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على
شط النهر ، فاما توسيطها واليوم فائض ، وعرقه منصب ، دعنه نفسه إلى التَّبَرِدِ في
النهر . فوضع ثيابه وتلك الصُّرَّةَ على الشط ؛ فترت حداة فاختطفت الصرة ، تخسها
لها ، وطارت في الأفق ذاهبة بها .

قامت قيمة التاجر ، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة ؛ فأسر الحزن
في نفسه ، وخلفه لأجل ذلك علة اضطراب فيها ، واستبان للمنصور ما بالرجل من
المهابة والكآبة ، وفقدما كان عنده من النشاط وشدة العارضة ؛ فسأل المنصور
عن شأنه فأعلمه بقصته ، فقال له : هل أتيت إلينا حين وقوع الأمر فكنا نستظير
على ذلك بالحيلة ! فهل هديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها ! قال : مَرْ شرقاً
على سُمْتِ هذا الجبل الذي يلي قصرك - يعني الرملة .

فدعى المنصور شرطيه الخاص به ؛ فقال : جئي بشيخة أهل الرملة الساعة ؛
فمضى وجاء بهم سريعاً . فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال منهم سريعاً ،
وانقل عن الإضافة دون تدرج ؛ فتناولوا في ذلك ، ثم قالوا : يا مولانا ؛ ما نعلم

إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعملُ هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السبق بأقدامهم؛ عجزاً عن شراء دابة؛ فابتاع اليوم دابةً، واكتسي هو ولده كسوةً متوسطةً . فأمر بإحضاره من الغد ، وأمر التاجر بالغدو إلى الباب ، فحضر الرجل بين يدي المنصور فاستدناه ، والتاجر حاضر ، وقال له : سبب ضاع منا وسقط إليك ، ما فعلتَ به؟ قال : هاهو ذا يامولاي ، وضرب بيده إلى حُجزة^(١) سراويله ، فآخر جلَّةَ بعيدتها ، فصاح التاجر طرماً ، وكاد يطير فرحاً .

قال له المنصور : صفْ لي حديثها . فقال : بينما أنا أعمل تحت تخلة إذ سقطت أمامي فأخذتها ، ورافقى منظرها؛ فقلت : إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار ، فاجترت بها ، ودعنتى فاتقى إلى أخذ عشرة مثاقيل كانت معها مصورة ، وقلت : أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها .

فأعجبَ المنصور ما كان منه ، وقال للناظر : خذْ صرتك ، وانظرها ، واصدقى عن عددها . ففعل وقال : وحقك يا مولاي ، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبها لك .

قال له المنصور : نحن أولى بذلك منك ، ولا نغص عليك فرحك ؛ ثم أمر للناظر بعشرة دنانير عوضاً عن دنانيره ، وللرجل بعشرة دنانير ثواباً له ، وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأُوسعناه جزاءً .

فأخذ الناظر في الثناء على المنصور ، وقد عاوده نشاطه . وقال : لا يُبَثِّن في الأقطار عظَمَ ملكك ، ولا يُبَثِّنَ أنك مملك الطير ، فلا تعتصم منك ، ولا تؤذني جارك .

(١) الحجزة من السراويل : موضع السككة .

فضحك المنصور ، وقال : أقصد في قولك يغفر الله لك ! فعجب الناس من
تلطف المنصور في أمره وحيلته في تفريح كربته !

١٨٢ — صبي يهجو صبياً *

كان أبو بكر بن المنخل وأبو بكر الملاح متآخين متصافيين ، وكان لهم ابنان
صغيران قد برعا في الطلب ، وحاذا قصب السبق في حلبة الأدب ، فنهاجي الابنان
بأقذع المهجاء ؛ فركب ابن المنخل في سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله ، فجعل
يعتب عليه على هجاء بنى الملاح ، ويقول له : قد قطعت ما بيني وبين صديق وصفي
أبى بكر فى إقداعك بابنه !
قال له ابنه : إنه بدأنى والبادى أظلم ، وإنما يجب أن يلتحى ^(١) من بالشر
تقدّم ؛ فعذرته أبوه !

فبينما ها على ذلك إذ أقبل على وادٍ ت نقُّ فيه الضفادع ، فقال أبو بكر لابنه
أجز :

تنق ضفادع الوادي

قال ابنه :

بصوت غير معتمد

قال الشيخ :

* نفح الطيب ص ٣٠١ ج ٢

(١) يلتحى : يلام ويعنف .

كَانَ تَقِيقَ مَوْلَاهَا

فَقَالَ ابْنُهُ :

بَنُو الْمَلَاحِ فِي الْوَادِي

فَلَمَّا أَحْسَتِ الضَّفَادُعَ بِهِمَا صَمَّتْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

وَتَصَمَّتْ مِثْلَ صَمَّتْهُمْ

فَقَالَ ابْنُهُ :

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى زَادٍ

فَقَالَ الشَّيْخُ :

فَلَا غُوثَ لِمَكْهُوفِ

فَقَالَ الْابْنُ :

وَلَا غَيْثَ لِمَرْقَادٍ !

* ١٨٣ - رسولان

أقبل المستكفي يوماً على محمد بن محمد بن يحيى السكاكِ ، فقال له : أتعرفُ خبر الحجاج بن يوسف مع أهلِ الشام ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ! قال : ذَكَرُوا أنَّ الحجاجَ كان قد اجْتَبَى^(١) قوماً من أهلِ العراق وَجَدَ عندَهُم من السُّكْفَايَةِ مالَ يَجِدُ عندَ مُخْتَصِيهِ من الشاميِّين ؛ فشقَّ ذلكَ على الشاميِّين ، وَتَكَامَوا فيهِ .
 فبلغَ إِلَيْهِ كلامُهُمْ ؛ فركِبَ فِي جَمَاعَةِ مِن الْفَرِيقَيْنِ ، وَأَوْغَلَ بَهُمْ فِي الصَّحْرَاءِ ، فلَاحَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ قَطَارِ إِبْلٍ ، فَدَعَا بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : امْضِ فَاعْرُفْ مَا هَذِهِ الْأَشْبَاحُ ؟ وَاسْتَفْصِصْ خَبْرَهَا . فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا إِبْلٌ ، فَقَالَ : أَمْحَلَّةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُهُ مَحَلَّةٌ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ! وَلَكِنِّي أَعُودُ وَأَتَعْرُفُ ذَلِكَ !
 وقد كان الحجاج أَتَّبعَهُ بِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ ، وَأَمْرَهُ بِهِ شَلَّ ما كان قد أَمْرَرَ بِهِ الشَّامِيِّ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ الْعِرَاقَ ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْحَجَاجُ - وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْمَعُونَ - فَقَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : إِبْلٌ . قَالَ : وَكَمْ عَدْدُهَا ؟ قَالَ : ثَلَاثُونَ . قَالَ : وَمَا تَحْمِلُ ؟ قَالَ : زِيَّتاً . قَالَ : مَنْ أَنْ صَدَرْتَ ؟ قَالَ : مَنْ مَوْضِعُكَذا . قَالَ : وَمَنْ رَبَّهَا ؟ قَالَ : فَلَانَ .

فَالْتَّفَتَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ :

أَلَامَ عَلَى عَمِّرٍ وَلَوْمَاتُ أَوْ نَائِي لَقَلَّ الَّذِي يَعْنِي غِنَاءَكَ يَاعَمِّرُ وَ

فقال ابن يحيى : قد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الأدب في هذا المعنى :
شرُّ الرسولين من يَحْتَاجُ مُرْسِلُهُ منه إلى العَوْدِ ، والأمران سِيَانٌ
كذاك ما قال أهل العلم في مَثَلٍ : طريقٌ كلّ أخى جَهْلٌ طريقان
ثم قال المستكفي : ما أحسن ما وصف البحترى الرسول بالذكاء بقوله :
وَكَانَ الذَّكَاءُ يَبْعَثُ مِنْهُ فِي سَوَادِ الْأَمْرِ شُعلَةً نَارٍ

انتهى الباب الخامس

فهرس الأعلام

- | | |
|--|--|
| ابن كعب الخزاعي : ٣٤٩
ابن محرز المغنى : ٢٥٠ ، ٢٢
ابن المقفع : ٤٠
ابن البارانة : ١١٤
ابن هرمة : ٢٥٤ ، ٢٥٣
أبو إسحاق بن المأمون : ٣٠٩
أبو بكر بن أبي قحافة الصديق : ١٣٥

٣٤٦ ، ١٨٥
أبو بكر الإشبيلي : ١١٤
أبو بكر الملاح : ٤١٣
أبو بكر بن المدخل : ٤١٣
أبو بلال مردارس بن أديه : ٣٦١

أبو تمام : ٤٠٩ ، ٤٠٨
أبو حذيفة الطرطوسى : ١١٣
أبو حنيفة : ٢٥٥
أبو خالد (وزير المهدى) : ٣١٥
أبو دؤاد الإيادى : ١٩٥ | (١)
آمنة بنت وهب : ٩٧
إبراهيم النبي عليه السلام : ٧٩ ، ٦٨
إبراهيم بن سليمان : ٢٤٣ ، ٢٤٢
إبراهيم بن محمد الإمام : ٣٧١
إبراهيم بن المهدى : ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥

٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦
إبراهيم الموصلى : ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩

٤٠٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢
إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة
ابن البواب (حاجب المأمون) : ٣١٩

ابن جامع : ٤٠٧ ، ٤٠٦
ابن الرومى : ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢

٣٥٣٤ ، ٢٤ ، ٢٢
ابن سيرين : ٣٦٨

ابن عائشة : ٣٥ ، ٢٥ |
|--|--|

- | | |
|---|---------------------------------------|
| الأحنف بن قيس : ٣٥٥ ، ٣٥٤ | أبو دلف العجلن : ٣١٢ ، ٣١١ |
| الأحوص بن محمد : ٣٧٦ | أبو ذؤيب المذلي : ١٣٥ ، ١٣٤ |
| الأخطل : ٢٢١ | أبو ذذر الفهارى : ١٨٤ ، ١٨٣ |
| الأزد (قبيلة) : ٣٦١ ، ٣٥٨ ، ٧٤ | أبو سفيان بن أمية : ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٢ |
| إسحق بن إبراهيم الرافقي : ٤٠٢ | ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٠٣ |
| إسحق بن إبراهيم الموصلى المغنى : ٤٩ | ٣٥٠ ، ٣٤٩ |
| إسحق بن إبراهيم الموصلى المغنى : ١٢٧ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ | أبو طالب بن عبدالمطلب : ٨٩ ، ٧٨ |
| إسحق بن إبراهيم الموصلى المغنى : ١٣٢ | ١٠١ ، ٩٠ ، ٩٩ |
| إسحق بن أبي ربعى : ٤٠٢ | أبو عبيدة بن الجراح : ١٣٥ |
| إسماعيل (النبي عليه السلام) : ٩٣ ، ٧٩ | أبو علي القالى : ٦٠ |
| إسماعيل بن احمد التجيبي : ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ | أبو عمري يوسف الرمادى : ٣٢٤ ، ٣٢٣ |
| إسماعيل بن صبيح : ١٢٧ | أبو العيناء : ٣١٨ |
| أسد بن خويلد : ٩٥ | أبو قحافة : ٣٧٦ |
| الأسود بن عبد المطلب : ٩٠ | أبو كثير المذلي : ٣٩٩ |
| الأسود العنسي : ١٦٨ | أبو النشناش (أحد لصوص بني تميم) : ١٣٨ |
| الأصمى : ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٥٥ | أبو نصر الفارابى : ١٤٥ ، ١٤٤ |
| أعشى قيس : ٢٨ ، ١١ ، ١٠٦ ، ٩ ، ٨ | أحمد بن أبي خالد : ٢٨٩ ، ٢٨٨ |
| أعشى همدان : ٣٩ | ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣٠٩ ، ٢٩٣ |
| الأفعى الجرمى : ١١٨ | أحمد بن دؤاد : ١٤٢ |
| | أحمد بن إسماعيل بن علي : ٢٤٤ ، ٢٤٤ |
| | ٢٤٦ ، ٢٤٥ |

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| بديح المغني : ٣٥١ ، ٢٦ ، ١٩ | امرأة القيس : ١٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ |
| البراض بن قيس : ٥ ، ٤ | ٣٤١ ، ٣٤٠ |
| البراجم : ١٥٥ | الأمين بن الرشيد : ١١٠ ، ٢٤٥ |
| البرامكة : ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ | ٣١٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ |
| ٢٨٨ ، ٢٧٠ ، ٥١ ، ٤٦ | ٣٨٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ |
| برد الفؤاد (معنىّة) : ٢٨ | ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ |
| برذعة الموسوس : ١١٣ | أم الحويرث (أمّة من خزاعة) : |
| برق الأفق (معنىّة) : ٣٦ | ١٣٧ ، ١٣٦ |
| بشر بن أبي خازم : ١٦٧ ، ١٦٦ | أم شدرة : ١٨٩ ، ١٨٨ |
| بشر المرىسي : ١٤٠ | أممية بن أبي الصلت : ٨٦ ، ٨٥ |
| بشر (خادم أبي دلف) : ٣١١ | ٨٨ ، ٨٧ |
| بغيض (قبيلة) : ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ | أممية بن عبد شمس : ٩٥ |
| بلبلة (معنىّة) : ٣١ | ألف الناقة (قبيلة) : ١٨٩ |
| بكر بن وائل : ٣٣٧ ، ٢ | أنمار بن نزار : ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ |
| البلجاء (أمّة من الخوارج) : ٢٠٨ | أوس بن حارثة : ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ |
| بنو أبي طالب : ٣١١ | أوزاع (قبيلة) : ٣٦٠ |
| بنو الأصفر : ١٧٢ | إيلاس بن معاوية : ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ |
| بنو أمية : ٢٤٢ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٣٩ | (ب) |
| بنو جفنة : ٣٤٣ ، ٦ | البحترى : ٤٠٩ ، ٤٠٨ |
| بنو زراراً : ٣ ، ٢ | مجيرى (الراهن) : ١٠٠ ، ٩٩ |
| بنو ساعدة : ١٣٤ | مجحة بن قيس القشيرى : ١٧ ، ١٦ |
| بنو سهم : ٩٠ | |

جرير بن عطية: ٢٣٧، ٢٣٧، ٣٦٧، ٣٦٨

جسم: ١٧٤

جعفر بن أبي طالب: ١٤

جعفر بن محمد الأنماطي: ١٤٢

جعفر بن يحيى: ٤٢، ٥٠، ٥٣، ٥٣

٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١

٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٤، ٢٨٩

٢٩١، ٣٩٠، ٣٨٩، ٣٩٣، ٢٩١

جميلة المغنية: من ٢٢ إلى ٣٥

(ح)

حاتم الطائى: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٦

حاجب بن زرارة: ٣، ٢

الحارث بن جفنة: ١٦٩، ١٧٠، ١٧١

١٧٢، ١٧٣

الحارث بن خالد المخزومى: ٢٢

الحارث بن ظالم: ١٧٣

الحارث بن عبد المطلب: ٩٣

الحارث بن عوف: ١٧٣

الحارث بن كلدة: ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤

١٢٥، ١٢٦

بنو شيبان: ١٥٤

بنو عبد المطلب: ١٦، ١٧

بنو عبد مناف: ٩٣

بنو كعب بن ربيعة: ١٦

بنو مخزوم: ٧٨، ٧٩، ٨٩، ٩٠

بنو المغيرة: ٨٩، ٩٠

بهلة بن عوف: ٩٠

(ت)

تميم بن جميل: ٤٠٤، ٤٠٥

تميم (قبيلة): ١٥٦، ١٧٥

(ث)

ثيف: ٨٧

(ج)

جبريل بن بختيشوع: ١٠٧، ١٠٨

جبلة بن الأيهم: ٦

جذام (قبيلة): ١٧١

الجرادتان (مفتيتان): ٦٦، ٦٧

جرول بن أوس = الحطيبة

حمدون بن إسماعيل النديم : ٥٥

٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦

حنظلة بن أبي سفيان : ١٠١

حنظلة (مضيف التعان) : ١٦١

١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢

حنين المعني : ٣٩

(خ)

خارجة بن يزيد : ٦

خالد بن برمك : ١٤١ ، ١٤٠

١٤٣

خالد بن عبد الله القسري : ٢٣٨

٢٤٠ ، ٢٣٩

خالد بن عتاب : ٢٢٧ ، ٢٢٦

خالد بن الوليد : ٨٤ ، ١٥

خرizم بن نواف : ١٤٩

خليدة (معنى) : ٣٠

خعاة بنت عوف بن مسلم : ١٥٣

الخنساء : ١١ ، ١٠

(د)

داود بن سلم : ٢٢٠

حباية المغنية : ٣٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٣٩

٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ١٤٢

، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٥٨ ، ٢٢٦

٤١٥ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤

حرب بن أمية : ٤

حرب بن خالد : ٢٢٠

حسان بن ثابت : ١١ ، ١٠ ، ٦

١٩٢ ، ١٣٥

الحسن بن سهل : ٣١٥

الحسن بن علي : ٣٥١ ، ٢١٦ ، ٢١٥

الحسين بن الصحاك : ٣٢٠ ، ٣١٩

الحسين بن علي : ٢١٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣

٣٥١ ، ٢١٦ ، ٢١٥

الحسين بن بدر = الزبرقان بن بدر

الحسين بن الحمام : ١٧٣

الخطيئة : ١٦٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩

، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠

١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤

حفص بن سليمان : ٣٧٢ ، ٣٧١

الحكم بن عبد الرحمن الناصر : ٦١ ، ٦٠

- | | |
|---|---|
| <p>رسم (قائد الفرس) : ١٧٨</p> <p>روح بن زناع : ٣٥٨ ، ٣٥٩</p> <p style="text-align: right;">٣٦٠</p> <p>(ز)</p> <p>الزبرقان بن بدر : ١٨٨ ، ١٨٩</p> <p style="text-align: right;">١٩٠</p> <p style="text-align: right;">١٩٤</p> <p>الزبرق القاضى : ٤٤</p> <p>الزرقاء المغنية : ٣١</p> <p>زرياب : ٤٨</p> <p>زفر بن الحارث السكلاوى : ٢٢٧</p> <p style="text-align: right;">٣٦٠</p> <p>زياد بن أبيه : ٢٠٤</p> <p>زياد بن عبيد الله : ٢٣٨ ، ٢٣٩</p> <p style="text-align: right;">٢٤٠</p> <p>زيد بن عمرو : ٦٨</p> <p>(س)</p> <p>ساعدة بن النعاف بن ثواب :</p> <p style="text-align: right;">١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠</p> <p>سالم بن عبد الله : ٢٨٠</p> | <p>داود بن يزيد الملهى : ٣٩٤ ، ٣٩٥</p> <p>ديبة بن حرمي الشيبانى : ٨٤</p> <p>دحمان الأشقر : ٣٦</p> <p>دريد بن الصمة : ١٦٩</p> <p>الدلال المغنى : ٢٨</p> <p>(ذ)</p> <p>ذؤاب بن أسماء : ١٥٧</p> <p>(ر)</p> <p>رائقة المغنية : ٦</p> <p>رافع بن الليث : ١٠٨</p> <p>الربيع بن يونس : ١٠٤ ، ٢٥١</p> <p style="text-align: right;">٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦</p> <p style="text-align: right;">٣٨١ ، ٣٨٠</p> <p>ربيعة بن نزار : ١١٨ ، ١١٩</p> <p style="text-align: right;">١٢٠</p> <p>ربيعة (قبيلة) : ٢٥١</p> <p>رجاء بن حيوة : ٢٨٠</p> <p>رحمة المغنية : ٢٨</p> <p>الرشيد بن المعتمد : ١١٤</p> |
|---|---|

- سالم (مولى أبي حذيفة بن عتبة) : ١٣٥
 سلام (مولى أبي حذيفة بن عتبة) : ٧٠ : سبأ
 سلام المغنية : ٣٠
 سليم الأسود (خادم المنصور) : ٢٤٤
 سليمان بن عبد الملك : ٢٢٥، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨
 سليمان بن كثير : ٣٧٢ ، ٣٧١
 السموءل : ١٥٣ ، ١٥٢
 سنان بن أبي حارثة : ١٧٣
 سنان (وصيف طريفة الكاهنة) : ٧٠
 سوادة بن الخطيبة : ١٨٨
 سوار : ٢٥٧ ، ٢٥٦
 (ش)
 شبيب بن شيبة : ٣٦٧ ، ٤٠
 شرحبيل بن السمط : ٢٠١
 الشريفي الرضي : ٣٢٧ ، ٣٢٦
 الشريفي المرتفى : ٣٢٧ ، ٣٢٦
 شريك بن عمرو : ١٦٣ ، ١٦٢ : ١٤٩ ، ١٤٨
 شحاسن بن لأى : ١٩٠
 الشهاسية المغنية : ٣٠
 سطيح الكاهن : ٨٣ ، ٨٢
 سعد بن عبادة : ١٣٥
 سعد بن مالك : ٣٤٤
 سعد بن النعيم بن ثواب : ١٨٤
 سعد (قبيلة) : ١٧٥
 سعدة (مغنية) : ٣١
 سعدى أم أوس بن حارثة : ١٦٦
 سعيد بن العاص : ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 سعيد بن عثمان : ٣٨١ ، ٣٨٠
 سعيد بن مسجح : ٣٦ ، ٢٤ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٣٧
 سعيد بن النعيم بن ثواب العبدى : ٣٧٢ ، ٣٧١
 السفاح (ال الخليفة العباسى) : ٢٤٢

عاتكة بنت يزيد بن معاوية : ٣٧٦
 عاد : ٦٦ ، ٦٧
 العاص بن وائل : ٨٩ ، ٩٠
 عامر بن صعضة (قبيلة) : ١٦ ، ١٧
 عامر بن الطفيلي : ٢١ ، ١٦٨
 عامر بن الظرب العدواني : ٣٣٢ ، ٣٣٣
 عامر بن مالك : ١٦٩ ، ١٧٠
 العباس بن عبد المطلب : ١٠١ ، ٣٤٩ ، ٢٨١ ، ١٠٣ ، ١٠٢
 العباس بن المؤمن : ٣٠٩
 العباس (صاحب شرطة المؤمن) : ٢٨٩
 عبد الرزاق بن هام : ٢٧٩
 عبد الرحمن بن إبريق الأزدي : ١٣٦
 عبد الرحمن بن الأشعث : ٣٦٢
 عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ٦
 عبد الرحمن بن ملجم : ٣٥٩ ، ٣٥٨
 عبد الرحمن الناصر : ٥٩ ، ٦١
 عبد عمرو (ابن عم طرفة) : ٣٤٢
 عبد قيس بن خفاف البرجى : ١٥٥

١٥٦

شمول (غلام صقابي) : ٦٤
 شن (صاحب طبقة) : ٣٣٤ ، ٣٣٥
 (ص)
 صخر بن عمرو : ١١
 ضياغة بنت عامر بن قرط : ١٧
 ضعف المغنية : ١٠٩
 (ض)
 طاهر بن الحسين : ٣٩٧ ، ٣٩٦
 طبقة (صاحبة شن) : ٣٣٤ ، ٣٣٥
 طرفة بن العبد : ٣٤٣ ، ٣٤٢
 طريفة السكاهنة : ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠
 طلحة بن عبد الله : ٢٣١ ، ٢٣٠
 طويس المغنى : ٢٧
 طيء : ١٧٦
 (ع)
 عائشة بنت جعفر البرمكي : ٤٤

عبدالملك بن عربن عبد العزيز: ٢٣٥
 عبد الملك بن عمير: ٣٤١، ٣٣٨
 عبد الملك بن مروان: ٣٨، ٣٦
 ، ٣٨٧، ٢٢٦، ٢٢٣، ٢٢٢
 ٣٦٣، ٣٥٩، ٣٥٨، ٢٣٣
 عبد الواحد بن سليمان: ٢٥٤، ٢٥٣
 عبيد بن الأبرص: ١٩٥
 عبيد الله بن زياد: ٢٠٩، ٢٠٨
 عبيد الله بن العباس: ٢١١، ٢٠١
 ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢
 عبس: ١٥٣
 عتبة بن النهاس: ١٩٦، ١٩٥
 عثمان بن حيّان المرّى: ٢٢٩، ٢٢٨
 عثمان بن عفان: ٨٥، ٨٣
 عثمان بن سليمان: ٢٥٨
 عدى بن أرطاة: ٣٦٨
 عدى بن حاتم: ١٧٦، ١٥٩، ١٥٧
 ١٧٧
 عدى بن زيد: ٦٩، ٣٩
 عربة الأوسى: ٢١٨، ٢١٧
 عرار بن عمرو بن شأس: ٢٥

عبد الله بن أبي ربيعة: ٩١
 عبد الله بن جدعان: ٩٥
 عبد الله بن جعفر: ٢٦، ١٩، ١٨
 ٢١٩، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥
 عبد الله بن حاتم: ١٥٧
 عبد الله بن حذافة السهمي: ١٠٢
 عبد الله بن الزبير: ٣٥٢، ٣١٥
 عبد الله بن زياد: ٢٠٩، ٢٠٨
 عبد الله بن صفوان: ٣٥١
 عبد الله بن طاهر: ٣١٣، ٣١٢
 ٤٠١، ٤٠٠، ٣٩٩، ٣١٤
 عبد الله بن عباس: ٣٥٧
 عبد الله بن عمر: ٣٥١
 عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان: ٣٥٥
 عبد المسيح بن عمرو: ٨٢، ٨١
 ٨٣
 عبد المطلب بن هاشم: ٧٩، ٧٨
 ، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٨٠
 ٩٨، ٩٧
 عبد الملك بن صالح: ١٢٧

المرجى : ٢٢	عروة بن عتيبة بن جعفر (الرّحال) :
٥٦٤	عزّة (مغنية) : ٣٠ ، ٢٩ ، ٦
٣٧٨ ، ٢٨١	عطارد بن حاجب :
٣٤١ ، ٣٣٨ - ٢٢٨	عفيراء السّكاهنة :
١٤	عقيل بن أبي طالب :
٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٢٢٠	عقيلة المغنية :
٢٥	عاقمة بن علامة :
٨٩ ، ١٥ ، ١٤	علويه :
٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ١٩٣ ، ٩٠	علي بن ابراهيم :
٧٤ ، ٧٣	علي بن أبي طالب :
١٥٣	٣٥٤ ، ٢١٧ ، ١٨٤
٣٤٥	علي بن محمد :
٤٦	عمارة بن تيم اللخمي :
٣٤٢ ، ١٥٤	عمارة بن حزرة :
٣٥٩ ، ٣٥٨	٤٢
٣٦١ ، ٣٦٠	عمارة الفقيه :
٣٩٣ ، ٣٩٢	عمارة بن الوليد :
١٥٤	٩١ ، ٩٠ ، ٨٩
٢٣١ ، ٢٣٠	عمر بن أبي ربيعة :
	٣٥٧ ، ٢٩
	عمر بن الخطاب :

الفضيل بن عياض : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

٢٨٢ ، ٢٨٣

(ق)

القاسم بن ربيعة : ٣٦٨

قراد بن أجدع : ١٦٤ ، ١٦٣

قرיש : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٧٦ ، ١٧٩

، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٩٣ ، ٨٩

١٨٤ ، ١٧٩ ، ١٠٢

القريعيون : ١٩٠

قس بن ساعدة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩

القعاع بن حبيب : ٢٢٨

قيس بن سعد : ٢١٧ ، ٢١٨

قيس بن عاصم المتفري : ١٧٣

قيس (قبيلة) : ٢٢٨

قيصر (ملك الروم) : ١٥٢

قينيل بن عنق : ٦٦ ، ٦٧

(ك)

كافور الإخشيدى : ٣٢١ ، ٣٢٢

كثير عزة : ١٢٦ ، ١٢٧

عيسى (النبي عليه السلام) : ٦٩

(غ)

الغريض : ٣٤ ، ٢٥ ، ٢٢

غسان : ٣٥٩

غفار : ١٨٤ ، ١٨٣

غيلان بن سلمة : ١٣ ، ١٢

غيلان بن خرشة : ٢٠٨ ، ٢٠

(ف)

فاطمة (زوج عمر بن عبد العزيز) :

٢٣٣

الفرزدق : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٦٧

الفضل بن الريبع : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩

الفضل بن يحيى : ٤٥ ، ٥٠ ، ١٢٧

، ١٣٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧

، ٢٧٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٥

، ٣١٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١

الكسانى : ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨	٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨، ٣١٠، ٣٠٩
٣٨٩	٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٢، ٣٨١
كسرى : ١٣٥	٣٩٧، ٣٩٦، ٣٨٩، ٣٨٨
كعب بن مامه : ١٥١	مازن (قبيلة) : ٢٥٨
كعب (صحابي) : ١٣٥	مالك بن أبي السمح المغنى : ٣٥، ٢٧
كندة : ١٥٢	مالك (ابن عم حاتم) : ١٥٩
(ل)	ماوية (زوج حاتم الطائى) : ١٥٧
لؤى : ٢٠٦	١٦٠، ١٥٩، ١٥٨
لبيد بن ربيعة : ١٨٧، ١٧٦	مبارك التركى : ١٤١
لحم : ٣٥٩	المتلمس : ٣٤٣، ٣٤٢
لقان بن عاد : ٦٦	الخلق : ١٠، ٩، ٨
لحب : ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦	محمد بن إبراهيم الإمام : ٢٦٦، ٢٦٥
ليث بن مالك : ١٥٣	محمد بن أبي الأزهر : ٣١٩
(م)	محمد بن حميد الطوسي : ٢٩٤
المأمون (الخليفة) : ٤٦، ٤٣، ٤٢	محمد بن خلف (وزير بهاء الدولة) :
٢٤٥، ١٤٣، ١٤٢، ١٢٧، ٤٩، ٤٧	٣٢٧، ٣٢٦
٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٣، ٢٨٩، ٢٨٨	محمد بن زيد بن علي : ٣٧٤، ٣٧٣
٣٠٨، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ٢٩٨	محمد بن عبد البر الكيسانى : ٢٦٠
	محمد بن عبد الرحمن الماشمى : ٣٨٩
	٣٩١، ٣٩٠
	محمد بن عبد الله (الرسول عليه السلام) :
	٩٧، ٨٤، ٨١، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤

- مسرور (خادم الرشيد) : ١٠٨
مسلم بن عقبة المرّى : ٢٠٢، ٢٠١
مسلم بن عقيل : ٢٠٤، ٢٠٣
المسدّب بن زهير : ١٤١
مضر بن نزار : ١٢٠، ١١٩، ١١٨
مضر (قبيلة) : ١١٦، ٢
معاوية بن أبي سفيان : ١٩، ١٨ ، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١
, ٢١٣، ٢١٢، ٢١٠، ٢٠٧، ٢٠٦
, ٣٥٥، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠
٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٥٦
معاوية بن بكر : ٢٦٦
معاوية بن عبد الله بن يسار : ٣٧٨
معبد المغنى : ٣٤، ٢٧، ٢٤
المعتصم (ال الخليفة) : ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥
معن بن أوس : ٢٤
معن بن زائدة : ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦
٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩
مكشوح المرادي : ١٧٤، ١٦٩
ملاعب الأسنة — عامر بن مالك
١٧٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٠١، ١٠٠، ٩٩
٣٤٦، ٢٨١، ١٨٤، ١٧٩
محمد بن عبد الله (مولى يحيى بن خالد) :
٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨
محمد بن الفضل الخراساني : ٣٧٤، ٣٧٣
محمد بن محمد بن يحيى : ٤١٦، ٤١٥
محمد بن هشام بن عبد الملك : ٣٧٣
٣٨٤
محمد بن يزيد الأموي الحصنى : ٣١٢
٣١٤، ٣١٣
مخارق المغنى : ٤٩ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩
٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧١
مذحج : ١٧٣
مرند بن عبد كلال : ٧٦، ٧٥، ٧٤
٧٧
مرداس بن حذير : ٢٠٩، ٢٠٨
مروان بن الحكم : ١٣٨
مروان بن زنباع : ١٥٤، ١٥٣
مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :
٢٣٥
المستكفي بالله : ٤١٦، ٤١٥

نافع بن الأزرق : ٣٥٧	مليكة بنت الحطيبة : ١٨٩
نافع بن طنبورة المغنى : ٢٦	المنذر بن سعيد : ٦١، ٦٠
ثزار بن معد : ١١٨	المنذر بن المغيرة : ٤٣
النعمان بن شواب العبدى : ١٤٨ ، ١٤٩	المنصور بن أبي عامر : ٣٢٤، ٣٢٣، ٦٤ ٤١٣، ٤١٢، ٤١١، ٣٢٥
النعمان بن المنذر : ١٦١، ٨١، ٦٩، ٤ ، ١٦١، ٨١، ٦٩، ٤	منصور بن زياد : ٢٧٧، ٢٧٦
١٦٦، ١٦٥ ، ١٦٤، ١٦٣ ، ١٦٢	المنصور العباسى (الخليفة) : ١٠٤
٣٤٥، ٣٤٤ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٧	٢٤٢ ، ١٤١، ١٤٠ ، ١٠٦، ١٠٥
النمر بن قاسط (قبيلة) : ١٩٠	٢٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥، ٢٤٤
نومة الضحى (معنىّة) : ٢٨	٣٧٦ ، ٣٧٣، ٣٧٢ ، ٣٧٠ ، ٢٥٢ ٣٧٩، ٣٧٨، ٣٧٧
(ه)	المهدى العباسى (الخليفة) : ٢٥٦ ، ٣٨٠ ، ٣٦٧ ، ٣٥٥، ٢٥٧ ٣٨٢، ٣٨١
هارون الرشيد : ١٢٧، ١٠٨، ١٠٧	موسى (النبي عليه السلام) : ١٠٢
، ٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٠	موسى بن عيسى : ٤١٦، ٤١٥
، ٣٨١ ، ٣١٥ ، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨	موسى بن يحيى البرمكى : ٤٥
، ٣٨٩ ، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٢	(ن)
٤٠٧، ٤٠٦، ٣٩٢	الناقة الجعدى : ١٠٩
هاشم بن حرملة : ١٧٣	الناقة الذىباني : ٢٢٦، ٢٥، ١١، ١٠
هبة الله (معنىّة) : ٢٨	٢٦٧
هذيل بن زفر : ٢٢٨	
هذيل (قبيلة) : ٢٥٨	

(ى)

يحيى بن أكثم : ٣١٨
 يحيى بن خالد البرمكي : ٤٥، ٤٤، ٤٢ :
 ، ٥٣، ٢٦٨، ٢٦٧، ١٤١، ١٤٠
 ، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٤، ٢٧١، ٢٦٩
 ، ٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٢٩١، ٢٩٠
 ٣٨٩، ٣٨٤، ٣٨٣

يحيى (حاجب يزيد بن المطلب) :
 ٢٢٨
 يزيد بن المطلب : ٢٢٨، ٢٢٥، ٢٢٤
 ٢٢٩

يزيد بن عبد المدان : ١٦٩، ١٧٠
 ١٧٥، ١٧٤، ١٧١

يزيد بن عمرو : ١٦٩

يزيد بن شجرة الزهرى : ٢٠١

يزيد بن معاوية : ٣٥٦، ٣٥٥

يهود : ١٨٠، ١٧٩، ١٠٣، ١٠٢، ١٠٠

هرقل : ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢

الهرمزان : ١٧٨

هشام بن عبد الملك : ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٥٣

٣٧٣

هند (أم معاوية بن أبي سفيان) :

٣٥٠

هنيدة : (زوج الزبرقان بن بدر) :

١٨٩

هود (النبي عليه السلام) : ٦٦

(و)

الواقدي : ٢٠٤

الوليد بن عبد الملك : ٢٢٥، ٢٢٤

٢٣٦، ٢٣٣، ٢٣٠، ٢٢٨

الوليد بن عقبة : ١٨٦

فهرس الأماكن

(ح)

الحبشة: ٩٥، ٩٠، ١٥

المجاز: ١٨٠، ٢٢

الحدبية: ١٧٩

الحرفة: ٢٢٦

حمص: ١٧٩

الخيرة: ٢٤٣، ٢٤٢، ٤٠، ٣٩، ٦

(خ)

خراسان: ٣٩٩، ٣٩٦

خمير: ٥

خيف: ٢٣

(د)

دمشق: ١٤٤، ٤٧، ٤٣، ٣٦

، ٢٩٩، ٢٥٣، ٢٢٢، ٢١٢، ٢٠٤

٤٠٢، ٣٠٣

الدهناء: ٣٣٨

دومة الجندي: ٣٣٨

(ذ)

ذومنخ: ١٩٢

(ا)

أجياد: ٢٣

أصبهان: ٣٦٦، ٣٦٥

الأنبار: ٣٠٢

(ب)

البحرين: ٣٤٣، ٣٤٢

البصرة: ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٠٤

بصري: ١٠٨، ٩٩، ٣٦

بطن نخلة: ٨٤

بغداد: ٢٩٨، ١٤٢، ١٠٤، ٤٤

٤٠٨، ٣٠٢، ٣٠١، ٣٠٠

البيع: ١٩٩

(ت)

تهامة: ٩٧، ٤

(ج)

جسم: ٢٦

الخذين: ٢٨

جمع: ٣٤

<p>(ر)</p> <p>الرقة : ١٠٧ ، ٢٤٥ ، ١٠٨ ، ١٠٧</p> <p>الرملا : ٤٠٢</p> <p>الري : ٣٩٩ ، ٣٠٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦</p>
<p>(ز)</p> <p>الزهراء : ٦١ ، ٥٩</p>
<p>(س)</p> <p>ساواة : ٨٢ ، ٨١</p> <p>الساواة (واد) : ٨٢</p>
<p>(ش)</p> <p>الشام ، ١٨ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٣٧ ، ٨٢ ، ٧٩ ، ٦٨ ، ٤٧ ، ٣٧</p> <p>١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٩٣ ، ٨٧</p> <p>، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢١ ، ٢٠١ ، ١٨٥</p> <p>٣٤٣ ، ٣٢١ ، ٢٣٨</p>
<p>(ص)</p> <p>صفين : ٣٥٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤</p> <p>الصمان : ٣٣٨</p>
<p>(ط)</p> <p>الطائف : ١٢٢ ، ١٣</p>
<p>(ج)</p> <p>اللحج : ٢٣</p>
<p>(ه)</p> <p>طوس : ١٠٨</p>
<p>(ع)</p> <p>عدن : ٢٣</p> <p>العراق : ٢٣٨ ، ٢٢٨ ، ٢٠٤ ، ١٨٨ ، ١٢</p> <p>عمان : ٣٦١</p>
<p>(غ)</p> <p>غرناطة : ١١٤</p> <p>غزة : ١٨٠ ، ١٧٩</p>
<p>(ف)</p> <p>الفرع : ٢٨</p>
<p>(ق)</p> <p>قرطبة : ٥٩</p> <p>قرقرى : ١٨٨</p> <p>قصوان : ٢</p>
<p>(ك)</p> <p>كافر (نهر) : ٣٤٣</p> <p>كداء : ١٠٣</p>
<p>(ل)</p> <p>لحج : ٢٣</p>

الموصل: ١١١

(ن)

نجد: ٤

نجران: ١١٨، ١٧٥

شهر عيسى: ٣٢٧

(ي)

يتراب: ٩٨

الياءمة: ٨

اليمين: ١٠١، ٢٤

(م)

مارب: ٧٤، ٧٣

مالقة: ٦٢

محسر: ٣٤

المدينة: ٢١١، ١٩٩، ١٩٥، ٢٨

٢٥٣، ٢٣٦، ٢٣١، ٢٢٨، ٢١٢

المربد: ٤٠

مصر: ٣٢١، ٣١٤، ٣١٢، ٢٣٢

٤٠٢

مكة: ٦٦، ٣٦، ٢٢، ١٥، ٥

١٨٧، ١٠٣، ١٠١، ٩٠

(انتهى الجزء الأول)

(ن)

(ل)

(م)

(س)

سجق: ٢٢

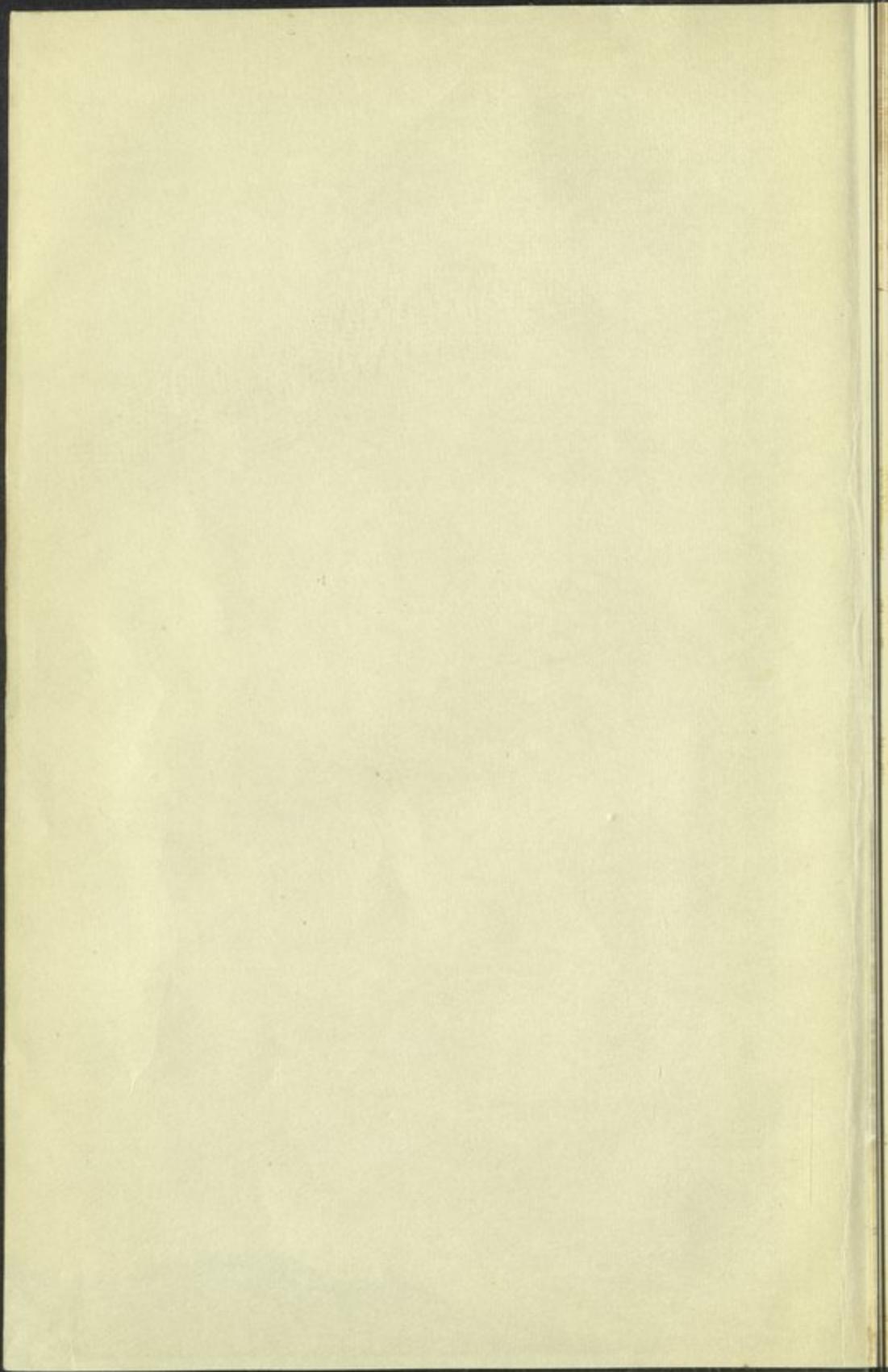
استدرال

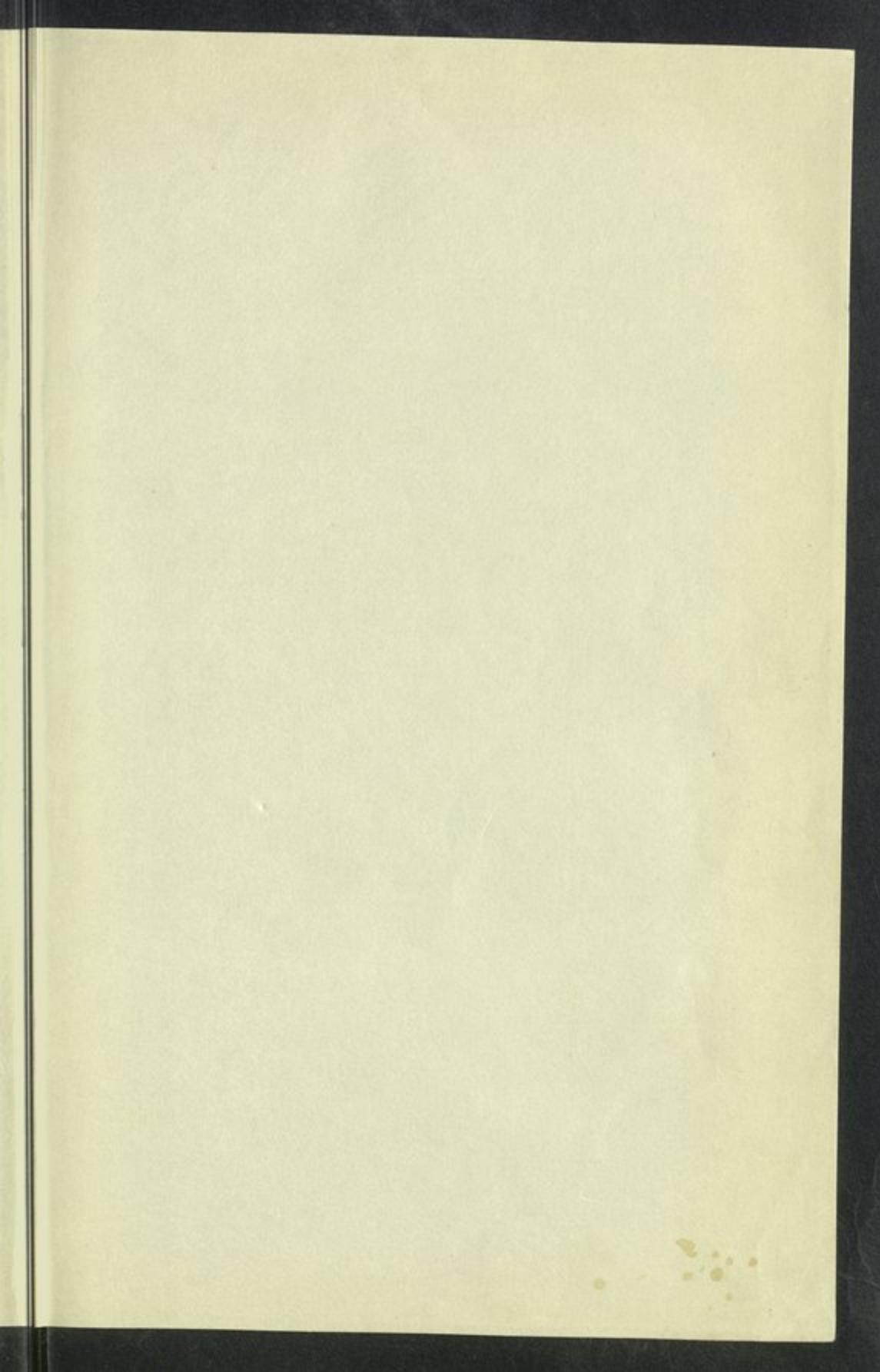
وقع في أثناء الطبع بعض غلطات مطبعية نذكرها هنا لاستدرارها القاري قبل أن يمضي في قراءة الكتاب :

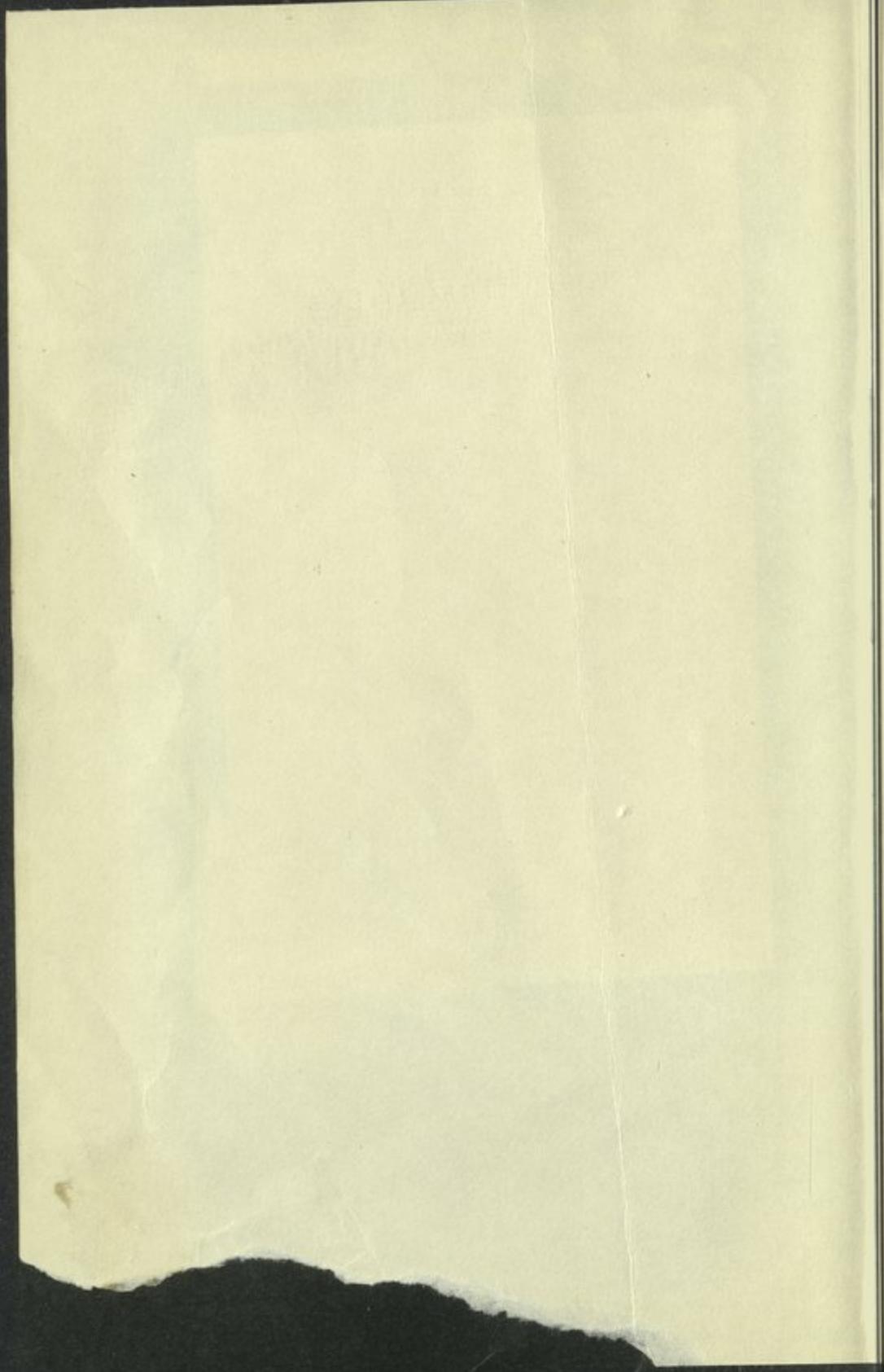
الصواب	الخطأ	الصفحة	الصواب	الخطأ	الصفحة
أَخْلَفُ	أَخْلَفَ	٨ ١٦٤	فَسَرَّ بِهِ	فَسَرَرَ بِهِ	١٢ ٥
الْخَالِي	الْخَالِي	٨ ١٦٤	جَفَنَةٌ	جَفَنَةٌ	١ ٦
بَشْرٌ بْنُ أَبِي حَازِمٍ	بَشْرٌ بْنُ أَبِي حَازِمٍ	١٥ ١٦٦	الَّذِينَ	الَّذِينَ	٢٠ ٨
بَشْرٌ بْنُ أَبِي حَازِمٍ	بَشْرٌ بْنُ أَبِي حَازِمٍ	١٦ ١٦٦	بَعْيِنَكَ	بَعْيِنَكَ	١٢ ١٠
عَوْيَتُ عَوَاءُ	عَدِيتُ عَدَاءُ	١٤ ١٩٥	الْتَّرْجَانَ	الْتَّرْجَانَ	١٢ ١٢
عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ	فَغَنِيَّتُ	١١ ١٩٩	فَعَنِيَّتُ	فَعَنِيَّتُ	١٢ ٣٧
أَخْذَتْهُ	أَحْذَتْهُ	١١ ١٩٩	وَابْنُ أَسْتَاذِنَا	وَابْنُ أَسْتَاذِنَا	٩ ٥٤
صَفَيْنَ	صَفَيْنَ	١٣ ٢٠٤	وَهُوَ	وَهُوَ	١٨ ٥٩
حُجَّاجًا	حِجَّاجًا	١ ٢١٥	فَاغْرَوْقَتْ	فَاغْرَوْقَتْ	٥ ٦٤
فَإِنْ يَنْصُفَكَ	فَإِنْ لَمْ يَنْصُفَكَ	٤ ٢٤١	يَمْنَتْنَا	يَمْنَتْنَا	٥ ١٠٢
جَمَلاً	جَمَلًا	٣ ٢٤٨	قَلْتَ	قَالَ	٤ ١٠٤
فَحَدَّثَهُ	فَحَدَّثَهُ	٨ ٢٧١	حُجَّاجًا	حُجَّاجًا	١ ١١٦
عَلَى غَدَاهُ	عَلَى غَدَاهُ	١ ٢٩٤	لَا خَذَنَ	لَا خَذَنَ	٥ ١٤٩
بَنْتِي	بَنَاتِ	١٢ ٣٢٢	السَّمْوَلَ	السَّمْوَلَ	١ ١٥٢
عَمْرُ بْنُ هَبِيرَةَ	عَمْرُ بْنُ هَبِيرَةَ	٦ ٣٢٨	السَّمْوَلَ	السَّمْوَلَ	١ ١٥٣

شاندیسا

الرقم	العنوان	الطبعة	الطبع	الطبع	الطبع
٧٧	كتاب	جامعة	٢٣١٨	٢٣٢٠	٢٣٢٣
٧٨	كتاب	جامعة	٢٣١٨	٢٣٢٠	٢٣٢٣
٧٩	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٠	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨١	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٢	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٣	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٤	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٥	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٦	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٧	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٨	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٨٩	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٠	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩١	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٢	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٣	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٤	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٥	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٦	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٧	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٨	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤
٩٩	كتاب	جامعة	٢٣٢٠	٢٣٢٢	٢٣٢٤







DATE DUE



892.7308:J21kA:v.1:c.1

جاد المولى، محمد احمد

قصص العرب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01835006

892.7308

J21kA

v. 1

